طريق النجاة

المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
«دام ظله»

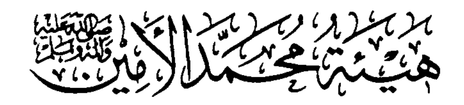
هيئة محمد الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم)

طريق النجاة
المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
«دام ظله»
هيئة محمد الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم)

كتاب


طريق النجاة


المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
«دام ظله»


هيئة محمد الأمين صلى الله عليه وآله

الطبعة الثانية

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

ولعنة الله على اعدائهم أجمعين

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

كلمة الناشر

العديد من التجارب الاصلاحية التي مرت بها الدول والحركات الاسـلامية لانتشال العالم الاسلامي من الفقر والحرمان، والتخلف الثقافي والتبعية للغـرب، باءت بالفشل رغم تعدد التجارب وتنوعها..

وبغض النظر عن الأسباب والجذور التي أدت الى ذلك.. فإن الحقيقة الـتي نريد أن نشير اليها بهذه العجالة هي تغيير المسلكية .. اذ لابد من تبديل المسـلكية التي ثبت فشلها الى اخرى اجدى واكثر واقعية ..

وقد توصل العديد من المهتمين بشؤون العالم الاسلامي الى ضرورة السـعي الجاد لسلوك طرق اكثر جذرية وأقرب الى الواقع من تلك التي تعتمد على الشعار فقط، وان كلفت بعض المتاعب والصعاب أو ارجعتنا قليلا الى الوراء .

ولكي نكون اكثر واقعية فإن الخطوات الاولى لتغيير واقعنا تنطلق منا اولا في الاعتماد على أنفسنا وعقولنا ، وامكاناتنا الخاصة، بلا تبعية الى الاخرين .

ولكن بعض المذاهب السياسية وبعض المهتمين بالسياسة في البلاد الاسلامية سواء كانوا في موقع الحكم أم في موقع المعارضة، يرون ضرورة التبعية الى الغرب لبناء حضارتنا من جديد، الا ان الحق هو خلاف ذلك .. اذا الحل يكمن في الخلاص من هذه التبعية والهيمنة الغربية.. نفسياً اولاً ثم في سائر مجالات الحياة، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وما أشبه.

وهذا الكتاب القيّم يدعو الى الرجوع الى قيم الاسلام في مختلف الشؤون. والتأمل ومراجعة التاريخ ودراسة تجارب الامم الناهضة تثبت لنا صحة ذلك.. فيدعو الإمام المولف الى الاعتماد على النفس والامكانات الذاتية كأول خطوة للتخلص من الحاجة الى الاخرين .. اذ ان الحاجة الى الاخرين تسوقنا الى الوقوع تحت طائلة اسرهم .

ومن هنا فإنه يلزم علينا أن ننطلق من مفاهيم الاسلام لصناعة حياتنا، ومن قيمه لبناء مستقبلنا وحضارتنا.

.. اننا لسنا ضد التقدم المادي الذي صنعه الغرب، بل نأمل برفض التبعية المادية للآخرين والسعي الجاد للخلاص منها حتى نخطو خطوات ايجابية نحو اكتفاءنا الذاتي..فعلينا أن نقاسي فترة لنصنع غداً مشرقاً نكون فيه سادة أنفسنا وليس أتباعاً لهذا أو لذاك .

مقدمة المؤلف

بسم اللّٰه الرَّحمٰن الرَّحيم

الحمد للّٰه رب العالمين ، والصّلاة والسَّلام على محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين .

لما وفقني الله سبحانه وتعالىٰ لإتمام الفقه (بإستثناء كتاب التجارة ، حيث لم أوفق بعد لإتمامها) كتبت بعض الأُمور التي لها عناوين مستقلة في العالم الحاضر ، في ضمن الفقه ، وإن لم يكن لها تلك العناوين في الفقه المكتوب من الشيخ إلى الشيخ ، ومن السيد إلى السيد ، وذلك لتغير الظروف ، وهذه العناوين موجودة في الكتاب ، والسنة ، وكتب الفقهاء ، وفي الدليل العقلي ، لكنها غير مجتمعة في مكان غالباً حسب إطلاعي ، وحيث أُتيح لي الآن فراغ إستخرت الله سبحانه فتوكلت عليه ، واستمددت من أرواح الرسول «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» وآله الأطهار «عليهم السَّلام» حيث قال سبحانه : **﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾**[1] وقال تعالىٰ : **﴿ولو أنهم رضوا ما أتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون﴾**[2] أن اجمع شيئاً من ذلك في هذا الكتاب المسمىٰ بـ (طريق النجاة) لعله يكون سبباً لنجاة المسلمين من هذا المهوىٰ السحيق الذي وقعوا فيه ، فأخر دنياهم وأودىٰ بدينهم إلا من عصمه الله تعالىٰ .

---

(١) سورة المائدة : الآية/ ٣٥ .

(٢) سورة التوبة : الآية / ٥٩ .

لا استبعد أن يلاقي هذا الكتاب بعض المقاومة ممن يرى بعض الآراء الغربية أو من هو مرتبط بهم ، فإن الغرب بنى على ثلاثة أشياء :

الأول : حرياتهم التي اختاروها لأنفسهم ، وقد ذكرنا في كتاب الصياغة وغيره إنها أقل من حريات الإسلام بنسبة كبيرة .

الثاني : أمنهم على الطريقة المعروفة ، والتي ليست بقدر أمن الإسلام حسب المناهج الموجودة في الكتاب والسنة .

الثالث : اقتصادهم الذي بنوه على أسس ، ومن تلك الأُسس امتصاص إقتصاديات غيرهم لأجل رفاه أنفسهم .

ومن المعلوم أن هذا الكتاب يُنافي بعض هذه الأُمور ، ولذا فهم لا يقبلون ذلك إطلاقاً ، وإن كان المسلمون لهم حسن نية بالنسبة إليهم ولا يريدون أذاهم ، وإنما يريدون إحقاق حقهم والإستحواذعلى قدر ما لهم لا على غير ذلك ، لكن المرجو أن لا تؤثرالمواجهة ـ على فرضها ـ في المسلمين ، بل يوفقون للعمل بكتابهم وسنتهم حتى ينجيهم الله سبحانه من الذل والهوان والتأخر ، والله سبحانه اسأل التوفيق والثواب والإتمام ، وأن يجعله من أسباب نجاة المسلمين ، إنه لما يشاء قدير ، وهو الموفق المستعان .

قم المقدسة

محمد الشيرازي

الفصل الأوّل
في الشؤون الفكرية

لزوم سلوك طريق النجاة :

مسألة: يلزم على الإنسان ان يسلك سبيل النجاة عقلاً وشرعاً فإن العقل يوجب على العاقل سلوك هذا السبيل ، وقد ورد في جملة من الروايات الإلماع إلى ذلك ، كما ورد ذكر طرق النجاة ، ونحن نذكر جملة منها إلماعاً لا استيعاباً :

فعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (ثلاث منجيات العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر ومخافة الله في السر والعلانية) [1] .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال لعلي «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (يا علي ثلاث موبقات وثلاث منجيات ، فأما الموبقات فهوى متبع وشح مطاع واعجاب المرء بنفسه ، وأما المنجيات فالعدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وخوف الله في السر والعلانية كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [2] .

وعن أبي عبد الله أو علي بن الحسين «عليهما الصَّلاة والسَّلام» على ما يرويها

---

(١) البحار ج ٧٠ ص ٦ ح٢ .
(٢) البحار ج ٧٧ ص ٦٣ ح ٤ .

الشمالي قال : قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (ثلاث منجيات وثلاث مهلكات ، قالوا : يا رسول الله ما المنجيات ؟ قال : خوف الله في السر كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، والعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر . الحديث)[١] .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (نجا المخفّون وهلك المثقلون)[٢] .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (ثلاث منجيات : تكف لسانك ، وتبكي على خطيئتك ، وتلزم بيتك)[٣] .

وقد ذكرنا في كتاب (الآداب والسنن) وجه ذكر الأعداد الخاصة في أمثال الروايات . وفي الآية الكريمة : **﴿يا أيُّها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ . ﴿يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرىٰ تحبونها نصر من الله وفتح قريب﴾**[٤] .

وقال سبحانه : **﴿ونجّينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾**[٥] .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» انه قال : (رحم الله امرءاً سمع حكماً فوعى ، ودعى إلى رشاد فدنا ، وأخذ بحجزة هاد فنجا)[٦] .

وعنه «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال لإبنه الحسن : (واعلم يا بني أن أحداً لم ينبيء عن الله سبحانه كما أنبأ عنه الرسول «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم»

---

(١) البحار ج ٧٠ ص ٧ ح ٥ .
(٢) البحار ج ٧٧ ص ٥٥ ح ٣ .
(٣) الخصال ص ٨٥ ح ١٣ باب الثلاثة .
(٤) سورة الصف : الآيات / ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .
(٥) سورة فصلت : الآية / ١٨ .
(٦) نهج البلاغة الخطبة ٧٦ .

فارض به رائداً وإلى النجاة قائداً)[٢] ، وفي حديث آخر أنه «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة)[٢] ، وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (النجاة مع الإيمان)[٣] .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (الزموا الحق تلزمكم النجاة) ، وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (ثلاث فيهن النجاة : لزوم الحق وتجنب الباطل وركوب الجد)[٥] .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» في كلام له تزهيداً في الدنيا وبعض أزمانها ، قال : (لذلك زمان لا ينجو فيه إلاَّ كلّ مؤمن نُومَةٌ إن شهد لم يعرف وإن غاب لم يفتقد أولئك مصابيح الهدىٰ)[٦] .

أقول : والمراد كما ذكرناه في شرح نهج البلاغة ، أن يكون الإنسان مجانباً لأهل الباطل فيما إذا لم يتمكن من تغيير الباطل ، وإلاَّ وجب عليه تغيير الباطل .

وقال «عليه السَّلام» في كلمة له : (الناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع)[٧] .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» في صفة الإسلام : (فجعله أمناً لمن عقله وسلماً لمن دخله ، ونجاة لمن صدق)[٨] .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : «عليكم بكتاب الله إنه الحبل المتين ، والنور المبين ، والشفاء الناجع ، والرأي النافع ، والعصمة للمتمسك ، والنجاة للمتعلق)[١] .

---

(١) نهج البلاغة الكتاب ٣١ .
(٢) نهج البلاغة الخطبة ٥ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٦٨ ح ٢١٢٦ .
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ١٨١ ح ٣ .
(٦) نهج البلاغة الخطبة ١٠٣ .
(٧) نهج البلاغة قصار الحكم ١٤٧ .
(٨) نهج البلاغة الخطبة ١٠٦ .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (إجعل الدين كهفك والعدل سيفك تنجو من كل سوء وتظفر على كل عدو) [٢] .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» في كلمة له قالها لولده الحسن ع حيث روى انه قال : (دخلت على أمير المؤمنين «عليه السَّلام» وهو يجود بنفسه لما ضربه ابن ملجم فجزعت لذلك فقال لي : لا تجزع فقلت : وكيف لا أجزع وأنا أراك على حالك هذه ، فقال «عليه السَّلام» : ألا أعلمك خصالاً أربع إن أنت حفظتهن نلت بهن النجاة ، وان ضيعتهن فاتك الداران ، يا بني لا غنى أكبر من العقل ، ولا فقر مثل الجهل ، ولا وحشة أشد من العجب ، ولا عيش ألذ من حسن الخلق)[١] .

وقال «عليه السَّلام» : (إن كنتم للنجاة طالبين ، فارفضوا الغفلة واللهو وألزموا الإجتهاد والجد) [٤] .

وقال «عليه السَّلام» : (رأس النجاة الزهد في الدنيا)[٥] .

وقال «عليه السَّلام» : (خذ ما يبقى لك مما لا تبقىٰ له ، وتيسر لسفرك وشم النجاة وارحل مطايا التشمير)

إلى غيرها من الروايات الكثيرة التي تحرض على النجاة بألفاظ مختلفة بعدما عرفت من الآيات الكريمة المحفزة على ذلك بمختلف صروف التحفيز .

ثم انّ سلوك طريق النجاة لا يمكن أن يكون كاملاً إلاّ إذا كان الحكم بيد المسلمين الذين يطبقون الإسلام ، وإلاّ فالكثير من المسلمين يسلكون سبيل الضلال ولو في بعض الفروع ، كما نشاهده في الحال الحاضر ، وهذا بالإضافة

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٥٦ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم المفهر ص ٧٥ ح٢١ .
(٣) البحار ج ٧٨ ص ١١١ ح ٦ .
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ١٤٣ ح ٥٨ .
(٥) نهج البلاغة الخطبة ٢٢٣ .

إلىٰ أنه خلاف الإسلام لا يجوز للإنسان أن يتـرك ما يقلع جذور الفكر الباطل والعلم الزائف . ولا انقلاع لجذورهما إلّا بإقامة حكم الإسلام .

فالأُمة الواحدة والحرية الإسلامية والأُخوة الإيمانية وتطبيق قوانين الإسلام في مختلف أبعاد الحياة ـ مكان القوانين الشرقية والغربية والقوانين الوضعية التي يضعها حكام بلاد الإسلام ـ من أهم ما يجب على المسلم ، ولا يمكن كل ذلك إلّا برجوع الإسلام إلى الحكم ، ولا بأس من رجوع الإسلام إطلاقاً بل الزمان مهيّأ له أحسن تهيئة، ففي هذه السنوات الأخيرة حدثت في العالم أحداث كبيرة ، وهي آخذة في النمو والإطراد ، وكلهاتساعد على رجوع الإسلام إلى الحكم :

الأول : حدث في الغرب ، حيث أخذت بلاد أوروبا تتوحد ، ومن المقرر أن تتم الوحدة في الأعوام المقبلة ومن المعلوم أن حكام بلاد الإسلام في هذا القرن كانوا ولا يزالون من أتباع الغرب قلباً وقالباً ، فإذا رأوا أن الغرب تحول من التفرق إلى التجمع ومن القومية إلى العقلانية فربما يستعدون هم لمثل ذلك ، وهؤلاء وإن لم يكونوا يصلحون لحكم بلاد الإسلام لمكان دكتاتوريتهم إلّا أن الذين يريدون تطبيق الإسلام من المسلمين المخلصين يجدون مجالاً واسعاً لتجديد النشاط للسلوك في سبيل إعادة حكم الإسلام .

الثاني : حدث في الشرق ، فإن الشرق الشيوعي أخذ ينبذ الشيوعية شيئاً فشيئاً ، فقد تحولت الصين عن الشيوعية بعد موت (ماو) وروسيا انحلت وسقطت الشيوعية ، وهذا حدث مهم أيضاً ، فإن المسلمين في ذينك البلدين أخذوا في التحرّر ولو بقدر ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر حكام بلاد الإسلام الذين كانوا ينظرون إلى الشرق ، واستوردوا منه الكبت والدكتاتورية والإرهاب أخذوا في الإضمحلال والزوال باضمحلال قدرتهم في هذه الأُمور .

الثالث : حدث نفس بلاد العالم الثالث ، والتي منها بلاد الإسلام غالباً ، حيث أن المسلمين أخذوا في سلوك طريق الخلاص ، وكل هذه الحروب والثورات والنشاطات في العالم الثالث دليل على ذلك حيث التدافع الشديد بين الحكام والمستعمرين من جانب ، وبين المسلمين من جانب آخر ، والنتيجة تغيير الغرب لحكام المسلمين ، بحكّام آخرين مرضيين له ، لذرّ الرماد في العيون ،

فإذا عقل المسلمون حسب ما ذكر في الكتاب والسنّة كان بينهم وبين الحكم الإسلامي مسافة قصيرة بإذن الله تعالىٰ ، وقد وعد هو حيث قال : ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾[(١)] وقال سبحانه : ﴿**ولن يخلف الله وعده**﴾[(٢)]

نعم من أهم بنود العقلانية العمل بالمستوىٰ الرفيع ، والذي منه توحيد الصف ، فإن التنازع لا محالة يسبب الفشل ، وهذا ما يجده الإنسان في بعض العاملين الإسلاميين ، فترىٰ كتلة تعمل للإسلام بإخلاص لكن في برنامجها التنقيص من الآخرين ، أو تعمل من منطلق الإستبداد ، وقد ورد في الحديث : (ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم) ، فهل يمكن جمع كلمة المسلمين والوصول إلى الهدف بأمثال هذه الأمور؟ .

نعم قد عمل بعضهم أكثر من نصف قرن بهذه الكيفية فلم يصل ، وقد يرىٰ الإنسان بعض الكتل الإسلامية يشكون من عدم إلتفاف الناس حولهم ، بينما المشكلة في كيفية السلوك .

ثم إنه ربما يتصور البعض أن المشكلة في شيء هامشي لا يرتبط بالأمر ، فيتصورون مثلاً لزوم توحيد بلاد الإسلام في أول شهر رمضان وشوال وذي الحجة ، وما أشبه ، وإن اختلفت آفاقهم ، ويضيفون أنه كيف يمكن للمسلمين وحدة وأعيادهم وغيرها مختلفة وفيه :

أولاً : كيف كان للمسلمين في الأزمنة الماضية وحدة مع اختلاف أعيادهم وغيرها من جهة اختلاف الآفاق ، مضافاً إلى عدم الإرتباط بين الأمرين إطلاقاً ، فالهند لها وحدة سياسية وجغرافية وفيها مئات الأديان والمذاهب ، والصين لها وحدة وفيها كثير من الاختلافات من هذا القبيل .

ثانياً : نقول ـ استطراداً ـ إن في المقام سؤالين :

السؤال الأول : ما هو الميزان في وحدة الأُفق وتعدده بالنسبة إلى من لا يقول باعتبار الآفاق وحدة واحدة ؟ .

---

(١) سورة محمد : الآية / ٧ .

(٢) سورة الروم : الآية / ٦ .

السؤال الثاني : كيف يُقال بالتعدد مع أن بعض الأدلة ظاهرها الوحدة مثل (جعلت رؤيتها لجميع الناس مرءاً واحداً) وإن ليلة القدر وحدة وكذلك يوم عاشوراء وغير ذلك مما ألمع إلى بعضها صاحب (الجواهر) وغيره ؟ .

الجواب :

أما عن السؤال الأول : فنقول : لا إشكال في أن الحدود الجغرافية التي صنعها الغرب حول بلاد الإسلام لا اعتبار بها ، فمن الممكن أن يكون قطر واحد له حدود جغرافية واحدة بينما بعض المدن فيه يرون الهلال فيفطرون ، وبعض المدن فيه لا يرون الهلال فلا يفطرون ، أما بالنسبة إلى البلاد المتقاربة فأفقها واحد ، وأما بالنسبة إلى البلاد المتباعدة فإن رأىٰ كل بلد فهو وإلاّ لكل حكمه من الرؤية وعدمها ، أما الأول فلصدق (إنما عليك مشرقك ومغربك)[1] وأما الثاني فلإطلاق (صم للرؤية وافطر للرؤية)[2] .

وإن قيل : أي ميزان للبلاد المتقاربة والمتباعدة . .

قلنا : لا يهم الإسم بعد وجود الملاك في الدليلين الذين ذكرناهما .

ثم إنه مقتضىٰ القاعدة (عليك مشرقك ومغربك) ، إلاّ ما علمنا بالخروج بسبب تقارب الأُفق .

وأما عن السؤال الثاني : فقول الإمام «عليه الصّلاة والسّلام» : (إنما عليك مشرقك ومغربك) ، ظاهر في الملاك ، فماذا يُقال في أوقات الصلوات وفي الإعتكاف وفي أيام العادة الشهرية النسوية ، وفي البلوغ وفي اليأس وفي سنة الخمس وفي الإقامة عشرة أيام بالنسبة إلى الصّلاة والصيام وفي أعمال عرفات والمشعر ومنىٰ لمن اختلف أفق بلدة طلوعاً وغروباً عن أُفق تلك المشاعر ، وفي صلاة الآيات بالنسبة إلى الآفاق المختلفة التي حصلت الآية في بعضها ولم تحصل في بعضها إلى غير ذلك ، هذا كله بالإضافة إلى أنه في الزمان السابق حيث عدم

---

(١) الوسائل ج ٣ ص ١٤٥ باب ٢٠ ح ٢ .
(٢) الوسائل ج ٧ ص ١٨٣ باب ٣ ح ٥ .

الإتصال بين البلاد كان المعيار الأفق ، ولو كان غيره لزم التنبيه عليه في الروايات ، ولم ينبهوا ، فهو دليل على العدم فإن بعض الأشياء مما طبيعته داخلة في كبرى (لو كان لبانَ) .

والاشكال بأنه يلزم أن يكون هناك عيدان وليلتان للقدر غير وارد .

حلاً ، بأنه لا مانع كما في أوقات الصَّلاة .

ونقضاً بما إذا كان ليل بلاد امريكا مثلاً نهار العراق وبالعكس كما هو دائماً كذلك فلا بد أن تكون هناك ليلتا قدر ، ويوما عيد على كل تقدير ، سواء قلنا باتحاد الأفق أو باختلافه ، هذا بالإضافة إلى أن ولادة الهلال من جهة محل البحث على أربعة أقسام :

الأول : أن يولد أول المعمورة من الشرق وهذا يراه الكل ولا كلام فيه .

الثاني : أن يولد وسط المعمورة بحيث لا يراه الشرق ويراه الغرب من المعمورة .

الثالث : أن يولد آخر المعمورة من الغرب بحيث لا يراه إلاَّ الغرب .

الرابع : أن يولد حيث لا معمورة فلا يراه أحد رؤية خارجية ، بحيث لو فرض أنه كان هناك إنسان لرآه .

فنقول في القسمين الثاني والثالث يقول كل من قال بأن لكل أفق حكمه بذلك ، أما القائل بوحدة الآفاق فيقول بلزوم جعل أول الشهر حسب رؤية بعض البلاد وسطاً أو أخيراً بالنسبة إلى الكل ، وهذا ما عرفت الإشكال فيه نقضاً وحلاً .

وفي الرابع لا يقول به حتى القائل بوحدة الآفاق ، مع أنه يلزم أن يقول به لاضطراب دليله في ذلك أيضاً ، وعليه فيلزم عليه أن يفحص عن المنجمين ومن أشبه ولو بمعيار التعدد ، والعدالة التي يقولها الشيخ في أهل الخبرة ، وأن يسكن هذا القائل هناك بعضاً ممن يراه عند الولادة ليخبره بالولادة إن كان قادراً على الإسكان ، فيحكم بالإهلال وإن لم يره أحد في المعمورة ، فهل يقول هؤلاء بمثل ذلك ؟ أو يعملون بمثل هذا العمل ؟ فتأمّل .

ثم أنـك قد عـرفت أن ما كـان ليله نهاراً وبالعكس لكـل بلد حكمه عـلى حـدة بلا اشكـال عند الجميـع ، أما نـزول الملائكـة على الحجـة «عليـه الصَّـلاة والسَّلام» فهو في الأفق الذي هو موجود فيه ، ونحن غير مكلفين بذلك وقد يُقال بجواب آخر بالنسبة إليه «عليه الصَّلاة والسَّلام» .

ثم إنـه إذا كـان الفقهـاء المـراجـع يـرىٰ بعضهم إتحـاد الآفـاق وبعضهم اختلافها فـــــملاحظة أكثرية الآراء لما ذكرنـاه من دليل الشـورىٰ الحاكم عـلى أدلة التقليد في كتاب (فقه الدولة) وغيره ، ولو كـان هناك مـرجعان فقط فـاللازم أن تكـون هناك لجنـة من الفقهاء محكمـة في أن الحكم مع هـذا أو ذاك ، ويؤيده إرجاع الإمام «عليه الصَّلاة والسَّلام» بعد التنازع في القاضيين إلى الروايات ، وما نحن فيه أهم من ذلك فيفهم بالملاك الأولوي ، وعليه فاللجنة المحكمـة هي التي تكون المرجع الأخير حول إتباع المسلمين لهذا الـرأي ، أو لذاك الرأي والله العالم المستعان .

التوكل والإستمداد من اللّٰه تعالىٰ :

مسألة: عـلى الذين يـريدون إقـامة حكم الإسـلام التوكـل عـلى الله وطلب النصر منه .

فقد قال سبحانه : **﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾**[١] .

وعليهم بكثرة الدعاء ، فـ (إن الدعـاء من أهم أبواب الفتـح ، وان أعجز الناس من عجز عن الدعاء)[٢] . و (إن أفضل العبادة الـدعاء)[٣] ، و (إن أحب الأعمال إلى الله عزّ وجلّ في الأرض الدعاء)[٤] ، وقد قال سبحانه : **﴿قل ما يعبأ بكم ربي لـولا دعاؤكم﴾**[٥] و (انـه إذا أذن الله لعبده في الـدعاء فتـح له أبـواب الرحمة)[٦] ، و (ان الدعاء مُخ العبادة ، وانه لن يهلك مع الدعاء أحـد ، وما من

---

(١) سورة آل عمران : الآية / ١٦٠ .
(٢) البحار ج ٩٣ ص ٢٩٤ ح ٢٣ .
(٣) البحار ج ٩٣ ص ٢٩٤ ح ٢٣ .
(٤) البحار ج ٩٣ ص ٢٩٧ ح ٢٤ .
(٥) سورة الفرقان : الآية / ٧٧ .
(٦) البحار ج ٩٣ ص ٣٠٢ ح ٣٩ .

شيء أفضل عند الله عزّ وجلّ من أن يسأله العبد ويطلب ما عنده)[١] ، و (ان المسلمين لم يدركوا نجاح الحوائج عند ربهم بأفضل من الدعاء ، والرغبة إليه ، والتضرع إليه ، والمسألة منه)[٢] ، و(إن الدعاء كهف الإجابة ، كما أن السحاب كهف المطر)[٣] ، و (إن الدعاء يرد القضاء بعدما أبرم إبراماً)[٤] ، وانه (ما من مسلم دعا الله سبحانه دعوة ليس فيها قطيعة رحم ، ولا إثم إلاّ اعطاه الله إحدى خصال ثلاثة : إما أن يعجل دعوته ، وإما أن يدخر له ، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها) [٥] .

وورد : انّه (ما من أحد أبغض إلى الله عزّ وجلّ ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده ، قال سبحانه : **﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾**) [٦] .

وورد : انه (يدخل الجنة رجلان كانا يعملان عملاً واحداً فيرى أحدهما صاحبه فوقه فيقول : يا رب لماذا أعطيته وكان عملنا واحداً ، فيقول الله تعالىٰ : سألني ولم تسألني) [٧] .

وورد : إستحباب إكثار الدعاء لأنه (مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة ، ولا ينال ما عند الله إلاّ به) [٨] ، و (إن الله يحبّ من عباده المؤمنين أن يدعوه

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٢٦٨ الباب العاشر .
(٢) الوسائل ج ٤ ص ١٠٨٩ ح ٥ باب ٣ .
(٣) البحار ج ٩٣ ص ٢٩٥ ح ٢٣ .
(٤) البحار ج ٩٣ ص ٢٩٦ ح ٢٣ .
(٥) مكارم الأخلاق ص ٢٦٩ الباب العاشر .
(٦) الوسائل ج ٤ ص ١٠٨٤ ح ٣ باب ١ .
(٧) الوسائل ج ٤ ص ١٠٨٤ ح ٧ باب ١ .
(٨) البحار ج ٩٣ ص ٢٩٩ ح ٣٣ .

ووعدهم الإجابة)[١] ، وأنه سبحانه يصير دعاء المؤمنين يوم القيامة لهم عملاً يزيدهم في الخير ، ويكره ترك طلب الحاجة الصغيرة استصغاراً لها ونهى عن ذلك ، وقد علّل في الحديث (إن صاحب الصغار هو صاحب الكبار)[٢] ، (وإن اللّه سبحانه يحب أن يسأل فلا يستحي أحدكم أن يسأل الله من فضله ، ولو شسع نعل)[٣] .

وفي حديث : (إن الله سبحانه قال لموسىٰ : سلني كل ما تحتاج إليه حتى علف شاتك وملح عجينك)[٤] .

وفي الحديث : إن الدعاء والبلاء ليترافقان إلى يوم القيامة (إن الدعاء ليرد البلاء وينقض القضاء ، وقد نزل من السماء ، وأبرم إبراماً)[٥] .

وفي الحديث : (انه إذا دعوت سم حاجتك)[٦] .

ويكره ترك الدعاء إتكالاً على القضاء والقدر ، فإن عند الله منزلة لا تنال إلاّ بمسألته ، والذي قضىٰ وقدّر هو الذي أمر بالدعاء ووعد الإجابة ، وحذر من الترك ، وقد ورد في الحديث : (إن الدعاء يرد البلاء وقد قدر وقضىٰ ولم يبق إلاّ إمضاؤه ، فإذا دعا الله عزّ وجلّ وسأل صرف البلاء صرفه)[٧] .

وإذا سأل سائل : إن الله يعلم أنه يصله البلاء أو لا يصله ويصله الرخاء أو لا يصله ، فإذا علم وصول البلاء أو الرخاء فلماذا الدعاء والحال أنه يصله ، وإذا علم عدم وصولها فلماذا الدعاء والحال أنه لا يصله ولو بدون الدعاء ؟ .

فالجواب : الدعاء من الأسباب ، فالله يعلم أنه يدعو ويصله الرخاء أو

(١) الوسائل ج ٤ ص ١٠٨٦ ح ٦ باب ٢ .
(٢) البحار ج ٩٣ ص ٣٠٣ ح ٣٩ .
(٣) مكارم الأخلاق ص ٢٧٠ الباب العاشر .
(٤) البحار ج ٩٣ ص ٣٠٣ ح٣٩ .
(٥) الكافي ج ٢ ص ٤٦٩ ح ٣ ـ ٤ .
(٦) البحار ج ٩٣ ص ٣١٢ ح ١٧ .
(٧) الكافي ج ٢ ص ٤٧٠ ح ٨ .

يدعو فلا يصله البلاء ، ويعلم أنه لا يدعـو فلا يصله الـرخاء أو لا يـدعو فيصله البلاء .

ثم إن من أراد أن يستجاب دعاءه عند البلاء فليقدم الدعـاء في الرخـاء ، وقـد ورد عن رسول الله «صـلّىٰ الله عليه وآلـه وسلّم» (تعرّف إلى الله في الـرخاء يعرفك في الشدة)[١] ، (وإنه إذا كان الإنسان دعّاءاً إذا نزل بالإنسان البلاء ودعا قالت الملائكة : صوت معروف لم يحجب من السماء ، ومن لم يتقدم في الدعـاء لم يستجب له إذا نزل به البلاء ، وقالت الملائكة : إن هذا الصوت لا نعرفه)[٢]

وورد (ان الـدعاء في الـرخاء يستخـرج الحوائـج في البـلاء)[٣] . (وان من تخوّف بلاءاً يصيبه فتقدم فيه بالدعاء لم يـره الله ذلك البـلاء أبداً)[٤] . (ومـا من أحدٍ ابتلىٰ وإن عظمت بلواه احقُّ بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء)[٥] .

وفي الحـديث : (ما من بـلاء ينزل عـلى عبد مؤمن فيلهمـه الله عـزّ وجـل الدعاء إلاّ كان كشف ذلك البلاء وشيكاً ، وما من بلاء ينزل على مؤمن فيمسـك عن الدعاء إلاّ كان ذلك البلاء طويلاً ، فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرع إلى الله سبحانه)[٦] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة السَّلام» قـال : (هل تعـرفون طـول البلاء من قصره ؟ قالوا : لا ، قال : إذا أُلهم أحدكم الدعاء عند البلاء فاعلموا أن البـلاء قصير)[٧] .

وورد عن النبيّ «صـلّىٰ الله عليه وآلـه وسلَّم» انـه قـال : (ألا أدلكم عـلى سـلاح ينجيكم من أعدائكم ويـدر أرزاقكم ؟ قالـوا : بلى،قـال : تدعـون ربكم

---

(١) البحار ج ٩٣ ص ٣١٢ ح ١٧ .
(٢) البحار ج ٩٣ ص ٢٩٦ ح ٢٣ .
(٤) البحار ج ٩٣ ص ٢٩٧ ح ٢٣ .
(٥) البحار ج ٩٣ ص ٣٠١ ح ٣٧ .
(٦) البحار ج ٩٣ ص ٢٩٨ ح ٢٨ .
(٧) البحار ج ٩٣ ص ٣٨٢ ح ٨ .

بالليل والنهار فإن سلاح المؤمن الدعاء) [١] .

وفي الحديث (إن الدعاء أنفذ من سنان الحديد) [١٣] . و(انه ترس المؤمن) ، و(انه عمود الدين ، وانه نور السماوات والأرضين) ، و(انه مفاتيح النجاح ، ومقاليد الفلاح) ، و(انه جنة منجية ترد البلاء ، وقد أبرم إبراما) [٦] .

واللازم أن يطمئن الإنسان باستجابة دعائه ، فقد قال الصادق «عليه الصَّلاة والسلام» : (إذا دعوت فأقبل بقلبك وظن أن حاجتك بالباب) [٧] ، ويرفع الداعي يديه إلى السماء مستكيناً متضرعاً ، وقد قال سبحانه : **﴿فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾** [٨] .

وقد روي أن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» (كان يرفع يديه إذا إبتهل ودعا كما يستطعم المسكين) [٩] ، وأوحىٰ الله سبحانه وتعالىٰ إلى موسىٰ : (ألق كفيك ذلاً بين يدي كفعل العبد المستصرخ إلى سيده ، فإذا فعلت ذلك رحمت وأنا أكرم القادرين) [١٠].

ثم إذا لم يستجب دعاء الإنسان ألح في الدعاء ، فإن الإلحاح يوجب الإجابة بإذن الله سبحانه وتعالىٰ ، فقد قال الباقر «عليه السَّلام» : (والله لا يلح عبد مؤمن على الله في حاجته إلاّ استجاب له وقضاها له) [١١].

---

(١) البحار ج ٩٣ ص ٣٠٠ ح ٣٧ .
(٦) الوسائل ج ٤ ص ١٠٩٥ ح ٩ باب ٨ .
(٧) البحار ج ٩٣ ص ٣٠٥ ح ١ .
(٨) سورة المؤمنون : الآية / ٧٦ .
(٩) البحار ج ٩٣ ص ٢٩٤ ح ٢٣ .
(١٠) الوسائل ج ٤ ص ١١٠٠ ح ٤ باب ١٢ .
(١١) البحار ج ٩٣ ص ٣٧٤ ح ١٦ .

وقال الصَّادق «عليه الصَّلاة السَّلام» : (إن الله عزّ وجلّ كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة وأحب ذلك لنفسه ، إن الله عزّ وجلّ يحب أن يُسأل ويطلب ما عنده)(١) .

وقال النبيّ «صلّى الله عليه وآله وسلّم» : (إن الله عزّ وجلّ يحب السائل اللحوح) (٢) .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (عليكم بالدعاء والإلحاح على الله في الساعة التي لا يخيب فيها برٌ ولا فاجرٌ) (٣) .

ولعل الإمام «عليه الصَّلاة والسَّلام» لم يذكر الوقت المقرر حتى يدعو الإنسان كل وقت .

ولا يخفى أن القنوط محرّم شرعاً ، بل اللازم على الإنسان أن لا يقنط وإن أبطأت الإجابة ، وقد قال الرضا «عليه الصَّلاة والسَّلام» في جواب قول البزنطي : (إني قد سألت الله حاجة منذ كذا وكذا سنة وقد دخل في قلبي من إبطائها شيء ، قال له الرضا «عليه الصَّلاة والسَّلام» : يا أحمد إياك والشيطان أن يكون له عليك سبيل حتى يقنطك ـ إلى أن قال ـ «عليه السَّلام» : إنك على موعد من الله عزّ وجلّ أليس الله عزّ وجل يقول : **﴿وإذا سألك عبادي عني فإنّي قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان﴾** وقال : **﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾** وقال : **﴿والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً﴾** فكن بالله أوثق من غيره ، ولا تجعلوا في أنفسكم إلاَّ خيراً فإنه مغفور لكم) (٤) .

وورد : (إنه يستجاب للرجل الدعاء ثم يؤخر عشرين سنة)(٩) .

وورد : (ان بين قول الله عزّ وجلّ : **﴿قد أُجيبت دعوتكما﴾** وبين أخذ

---

(١) البحار ج ٩٣ ص ٣٧٠ ح ٨ .
(٢) البحار ج ٩٣ ص ٣٧٤ ح ١٦ .
(٣) الوسائل ج ٤ ص ١١١٠ ح ٧ باب ٢٠ .
(٤) الوسائل ج ٤ ص ١١٠٨ ح ١ باب ١٩ .
(٥) الوسائل ج٤ ص ١١٠٨ ح٤ باب ١٩ .

فرعون أربعين عاماً) [١] .

وورد : (ان المؤمن ليدعو فيؤخر الله إجابته إلى يوم الجمعة) [٢] إلى غيرها من الروايات الكثيرة المذكورة في الوسائل والمستدرك والبحار وغيرها في أبواب الدعاء .

المسلمون قدرة لا يُستهان بها :

المسلمون في مختلف بلاد الغرب وفي الهند وبعض مناطق الهند الصينية وأفريقيا وما إلى ذلك قوة هائلة يمكن استخراجها لأجل التحرير والتوحيد لبلاد الإسلام وتطبيق أحكام الله سبحانه وتعالىٰ فيها .

فإن بلاد الإسلام ابتليت باستعمار الغرب والشرق من ناحية ، وبالحكام المستبدين ـ سواء كانوا مربوطين أو غير مربوطين ـ من ناحية ثانية .

والإنسان المكبل لا يتمكن من فك القيد عن نفسه ، وإنما الحر يتمكن من فك قيده ، إن تلك البلاد التي ذكرناها ليست حرة بالمعنىٰ الإسلامي ، بل فيها شيء من الحرية ، وهذا الشيء القليل من الحرية يمكن الإستفادة منه لتحرير بلاد الإسلام ، وعليه فاللازم على من يحب نجاة المسلمين من العاملين أن ينظم أولئك المسلمين ، ويوقظ فيهم روح الخدمة والتحرير وذلك يكون بأمور :

الأول : تنظيمهم تنظيماً صحيحاً ، حيث ان تلك البلاد ليست كبلاد الإسلام في حظر التنظيم ، فبالإمكان التنظيم العالمي في أحزاب ومنظمات وهيئات وجمعيات وجماعات وما إلى ذلك ، ليكون أداة لحركة التحرير في بلاد الإسلام .

الثاني : تنظيم الإضرابات والمظاهرات السلمية لأجل هذا الهدف ، وهل يمكن إسقاط الحدود الجغرافية وما إلىٰ ذلك في بلاد الإسلام، إلّا بالإضرابات أو

---

(١) الوسائل ج٤ ص ١١٠٨ ح٢ باب ١٩ .
(٢) الوسائل ج ٤ ص ١١٠٨ ح ٣ باب ١٩ .

المظاهرات مما تنعكس في وسائل الاعلام العالمية فتذلل هذه الأنظمة المستبدة الموجودة في بلاد الإسلام وتستجيب ! .

الثالث : الإهتمام بالإعلام بمختلف الوسائل ، من الاذاعة والتلفزيون ، ودور النشر والجرائد ، والمجلات ، والأشرطة المرئية والمسموعة ، وما أشبه ، ليعرف أهل تلك البلاد ماذا يريد المسلمون ، فإن الإنسان فطر على مساعدة المظلوم ، وعلى سماع قول الحق ، باستثناء المعاندين ، والمعاندون دائماً قليلون ، وعلى هذا الأساس بنى الأنبياء دعوتهم ، فإن الأمر ينتهي إلى الفطرة أخيراً مهما قويت الحواجز ، قال الله تعالىٰ : ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها**﴾[1] .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (كل مولود يولد على الفطرة ، إلّا أن أبواه اللذين يهودانه وينصرانه ويمجسانه)[2] .

ولا يخفىٰ ان تنظيم مسلمي الغرب ونحو الغرب ليس بالشيء الهين ، إن التنظيم بحاجة إلى ثقافة ومال ورجال وعمل بلا كلل ، وهذا لا يأتي إلّا من جماعة يوقفون أنفسهم لأجل ذلك ، فيكون في كلّ بلد شبه حر أفراد يشتغلون في هذا الخط ، وبكل لين وسلم وتعقل ، حتى يحقق الهدف بإذن الله تعالىٰ .

إن كل أحد يفصح عن دور ، وكل أحد يحبّ أن يكون قوياً ، فإذا تمكن العاملون في هذا الحقل التنظيمي من إيقاظ هذه الروح في مسلمي الغرب حتى يعرفوا أن هذا دورهم أولاً ، ويعرفوا أن قوة مسلمي العالم قوتهم ثانياً ، تمكنوا من التحرك في رقعتهم بما لا يحتاج إلى أكثر من خمس سنوات على بعض الفروض .

وإذا استيقظت هذه الروح في أُولئك ، تبع ذلك قوتهم العلمية والمالية واحترام الناس لهم أيضاً ، هناك ، لأن العلم لا بد وأن يستعقب هذه الأُمور الثلاثة وإذا وصلوا إلى هذا الأمر تبدأ فيهم الإضرابات والمظاهرات السلمية المؤدبة ، بلا حاجة إلى السباب . وهناك مع تعدد الإضرابات والمظاهرات

---

(١) سورة الروم : الاية / ٣٠ .

(٢) الفقيه ج ٢ ص ٢٦ ح ٢ .

من ناحية ، ومع امتلاكهم الجرائد والمجلات وسائر وسائل الإعلام من ناحية ثانية ، ومع صداقاتهم مع الافراد الحياديين أو المحبين للخدمة من ناحية ثالثة ، تنعكس أعمالهم على كل العالم ، فيتحرك المسلمون في العالم الثالث تحركاً حقيقياً بالإضرابات والمظاهرات السلمية المؤدبة أيضاً لأجل التحرير والإستقلال وتوحيد الأمة عملياً وتطبيق أحكام الله تعالىٰ في المجتمع ، ولا تمر خمس سنوات في أوسط تقدير وتأخذ بوادر الفرج تلوح في الأفق وهناك ستكون النتيجة بإذن الله سبحانه وتعالىٰ .

التفاؤل والنصر :

مسألة: اللازم ترك اليأس والإمتلاء بروح الرجاء من الله سبحانه وتعالىٰ ، فإن الإنسان الذي يرجو الله سبحانه وتعالىٰ يكون قوياً من ناحيتين :

من ناحية نفسية كما قرر الله سبحانه وتعالىٰ ذلك في الفطرة .

ومن ناحية امدادِ الغيب له ، وقد أكدت الآثار الواردة عن المعصومين «عليهم الصَّلاة والسَّلام» على الأمرين ، أي طرد اليأس عن النفس ، والإمتلاء بروح الرجاء ، وإليك جملة من تلك الروايات .

فعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» أنه قرأ في بعض الكتب : إن الله تبارك وتعالىٰ يقول : (وعزتي وجلالي ، ومجدي وارتفاعي على عرشي ، لأقطعن أمل كلّ مؤمل من الناس غيري باليأس ، ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس ، ولأنحينّه من قربي ، ولأبعدنه من فضلي،أيؤمل غيري والشدائد بيدي ، ويرجو غيري ، ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلّقة وبابي مفتوح لمن دعاني ، فمن ذا الذي أملني لنائبة فقطعته دونها ، ومن ذا الذي رجاني لعظيمه فقطعت رجاءه عني ، جعلت آمال عبادي عندي محفوظة ، فلم يرضوا بحفظي ، وملأت سماواتي ممن لا يمل من تسبيحي ، وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي ، فلم يثقوا بقولي،ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري إلاّ من بعد إذني ، فمالي أراه لاهياً عني ، أعطيته بجودي ما لم يسألني

ثم انتزعته عنه فلم يسألني رده ، وسأل غيري ، أفتراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ، ثم أسأل فلا أجيب سائلي ، أبخيل أنا فيبخلني عبدي أو ليس الجود والكرم لي ، أو ليس العفو والرحمة بيدي ، أو ليس أنا محل الآمال ، فمن يقطعها دوني أفلا يخشى المؤملون أن يؤملوا غيري ، فلو أن أهل سماواتي وأهل أرضي أملوا جميعاً ثم أعطيت كل واحد منهم مثل ما أمل الجميع ما انتقص من ملكي عضو ذرة ، وكيف ينقص ملك أنا قيمه ، فيا بؤساً للقانطين من رحمتي ، ويا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني)[1] .

وعن الصادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» في قول الله عزّ وجلّ : **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون﴾** قال : (هو قول الرجل : لولا فلان لهلكت ، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا ، ولولا فلان لضاع عيلي ، ألا درى أنه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه ، قلت : فيقول ماذا ؟ يقول : لولا أن منّ الله عليَّ بفلان لهلكت ؟ قال : نعم لا بأس بهذا أو نحوه)[2] .

وعن الحسين «عليه الصَّلاة والسَّلام» عن رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (يقول الله عزّ وجلّ : لأقطعن أمل كلّ مؤمن أمل دوني بالآياس ، ولألبسنه ثوب مذلة بين الناس ، ولأنحينه وصلي ولأبعدنه عن قربي من ذا الذي أملني لقضاء حوائجه فقطعت به دونها ، أم من ذا الذي رجاني بعظيم جرمه فقطعت رجاءه مني ، أيؤمل أحداً غيري في الشدائد وأنا الحيّ الكريم ، وبابي مفتوح لمن دعاني، يا بؤساً للقانطين من رحمتي ، ويا شقوة لمن عصاني ولم يراقبني)[3] .

وعن نوف البكالي قال : (رأيت أمير المؤمنين «صلوات الله عليه) مولياً مبادراً فقلت : أين تريد يا مولاي ؟ فقال : دعني يا نوف ، إن آمالي تقدمني في المحبوب فقلت : يا مولاي : وما آمالك ؟ فقال : قد علمها المأمول ، واستغنيت

(١) نحوه فقه الرضا ص ٣٥٩ ، الكافي ج ٢ ص ٥٣ ح ٧ ، الوسائل ج ١١ ص ١٦٧ ح ١ .
(٢) الوسائل ج١١ ص ١٦٩ ح ٢ ، عدة الداعي ص ٧٠ .
(٣) البحار ج ٧١ ص ١٤٣ ، وكذلك البحار ج ٩٤ ص ٩٥ .

عن تبيينها لغيره ، كفى بالعبد أدباً أن لا يشرك في نعمة وأربة غير ربه ، فقلت : يـا أمير المؤمنـين إني خائف عـلى نفسي من الشره ، والتطلع إلى طمـع من أطـماع الدنيا ، فقال لي : وأين أنت من عصمة الخـائفين ، وكهف العـارفين ، فقلت : دلني عليـه قال : إن الله العـلي العـظيم يصـل أملك بحسن تفضله لتقبـل عليـه بهمك ، وأعرض عن النازلة في قلبك ، فإن أحلك بها فأنـا الضامن من مـوردها والقطع إلى الله سبحانه ، فإنه يقول : وعزتي وجلالي لأقطعن أمل كـلّ من يؤمل غيري باليأس ، ولأكسونه ثوب المذلة في الناس ، ولأبعدنـه من قربي ، ولأقـطعنه عن وصـلي ، ولأخلين ذكره حـين يرعى غـيري أيؤمـل ويله لشـدائـده غـيري ، وكشف الشدائد بيدي ، ويرجو سواي وأنا الحي الباقي ، ويطرق أبواب عبـادي وهي مغلقة ، ويترك بابي وهو مفتـوح ، فمن ذا الذي رجـاني كثير جـرمه فخيبت رجـاءه ، جعلت آمـال عبـادي متصلة بي وجعلت رجـاءهم مـذخـوراً عنـدي ، وملأت سماواتي ممن لا يمل تسبيحي ، وأمرت ملائكتي أن لا يغلقوا الأبـواب بيني وبين عبادي ، ألم يـع من فدحتـه نائبـة من نوائبي ، أن لا يملك أحـد كشفها إلاّ بإذني فلمَ يعرض العبد بعمله عني ؟ وقد أعـطيته مـا لم يسألني فلم يسـألني وسأل غـيري ، أفتراني ابتـدىء خلقي من غير مسـألة ، ثم أسـأل فلا أُجيب سـائـلي ، أبخيل أنا فيبخلني عبدي أو ليست الدنيا والآخرة لا تنتهي إلاّ إليَّ ، فمن يقطعها دوني ، ومـا عسىٰ أن يؤمل المؤملون من سـواي ، وعزتي وجـلالي لو جمعت آمـال الأرض والسـماء ثم أعـطيت كـل واحـد منهم مـا نقص من ملكي بعض عضـو الذرة ، وكيف ينقص نائل أنا أفضته ، يا بؤسـاً للقانـطين من رحمتي ، ويا بؤسـاً لمن عصاني . . وتوثب على محارمي ، ولم يراقبني ، واجترأ عليَّ)[1] .

وعن الصّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قـال : (لما أمـر الملك بحبس يوسف في السجن ألهمه الله علم تأويل الرؤيـا ـ إلى أن قال ـ : ثم **﴿قـال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك﴾** قال : فلم يفزع في حاله إلى الله فيدعـوه ، ولذلـك قال الله : **﴿فأنساه الشيطان﴾** قال : فأوحىٰ الله إلى يـوسف في ساعتـه تلك : يا

---

(١) انـظر البحار ج ٧١ ص ١٤٣ ، والبحـار ج ٩٤ ص ٩٥ ، انـظر مشكـاة الأنـوار ص ١٦ وص ١٧ نحوه باختلاف يسير ، نحوه فقه الرضا «عليه السَّلام» ص ٣٥٩ .

يوسف من أراك الرؤيا التي رأيتها ؟ قال : أنت يا رب ، قال : فمن حببك إلى أبيك ؟ قال : أنت يا رب ، قال : فمن وجه السيارة إليك ؟ فقال : أنت يا رب ، قال : فمن علمك الدعاء الذي دعوت به حتى جعل لك من الجب فرجاً ؟ قال : أنت يا رب . قال : فمن جعل لك من كيد المرأة مخرجاً ؟ قال : أنت يا رب ، قال : فمن أنطق لسان الصبي بعذرك ؟ قال : أنت يا رب ، قال : فمن صرف عنك كيد امرأة العزيز والنسوة ؟ قال : أنت يا رب ، قال : فمن ألهمك تأويل الرؤيا ؟ قال : أنت يا رب ، قال : فكيف استغثت بغيري ولم تستغث بي وتسألني أن أُخرجك من السجن ، واستغثت وأملت عبداً من عبادي ليذكرك إلى مخلوق من خلقي في قبضتي ، ولم تفزع إليَّ ، البث في السجن بذنبك بضع سنين لإرسالك عبداً إلى عبد)[١] .

وعن الجعفريات بسند الأئمَّة إلى عليّ «صلوات الله عليه وعليهم» قال : (خمس لو شدت إليها المطايا حتى ينضين لكان يسيراً : لا يرجو العبد إلاَّ ربه ، ولا يخاف إلاَّ ذنبه ، ولا يستحي الجاهل أن يتعلم ، ولا يستحي العالم إذا سأل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم ، ومنزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد)[٢] .

وعن أبي الحسن الرضا «عليه السَّلام» قال : (أحسنوا الظن بالله ، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : أنا عند ظن عبدي المؤمن بي ، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً)[٣] .

وفي رواية أُخرى : (قال الرضا «عليه الصَّلاة والسَّلام» : فأحسن الظن بالله ، فإن أبا عبد الله كان يقول : من حسن ظنه بالله كان الله عند حسن ظنه به ، ومن رضي بالقليل من الرزق قبل منه اليسير من العمل)[٤] .

---

(١) تفسير العياشي ج ٢ ص ١٧٦ ح ٢٣ .
(٢) الخصال ج ١ ص ٣١٥ ح ٩٥ و ٩٦ .
(٣) الكافي ج ٢ ص ٥٨ ح ٣ ، الوسائل ج ١١ ص ١٨٠ ح ١ .
(٤) الوسائل ج ١١ ص ١٨٠ ح ٢ ، روضة الكافي ص ٣٤٧ .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (وجدنا في كتاب عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» : إن رسول الله «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال على منبره : والذي لا إلٰه إلَّا هو ما أعطىٰ مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلَّا بحسن ظنه بالله ورجائه له ، وحسن خلقه ، والكف عن اغتياب المؤمنين ، والذي لا إلٰه إلَّا هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والإستغفار إلَّا بسوء ظنه بالله وتقصيره في رجائه له ، وسوء خلقه ، واغتياب المؤمن ، والذي لا إلٰه إلَّا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلَّا كان الله عند ظن عبده المؤمن ، لأن الله كريم بيده الخير ، يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه ، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه)[1] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (حسن الظن بالله أن لا ترجو إلَّا الله ، ولا تخاف إلَّا ذنبك)[2] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» يقول : (ينبغي للمؤمن أن يخاف الله خوفاً كأنه مشرف على النار ، ويرجوه رجاءاً كأنه من أهل الجنة ، ثم قال : إن الله تبارك وتعالىٰ عند ظن عبده ، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً)[3] .

وعن عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» في وصيته لمحمد بن الحنفية قال : (ولا يغلبن عليك سوء الظن بالله عزّ وجلّ ، فإنه لن يدع بينك وبين خليلك صلحاً)[4] .

وفي رواية : إن داود «عليه السَّلام» قال : (يا رب ما آمن بك من عرفك ، فلم يحسن الظن بك)[5] .

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٨ ح ٢ ، فقه الإمام الرضا «عليه السَّلام» ص ٣٦٠ ، الوسائل ج ١١ ص ١٨١ ح ٣ .
(٢) الكافي ج ٢ ص ٥٨ ح ٤ ، الوسائل ج ١١ ص ١٨١ ح ٥ .
(٣) البحار ج ٧٠ ص ٣٨٥ .
(٤) الوسائل ج ١١ ص ١٨١ ح ٦ ، الفقيه ج ٢ ص ٣٤٥ .
(٥) فقه الرضا «عليه السَّلام» ص ٣٦٠ السطر الأخير . مشكاة الأنوار ص ٣٦ .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» انه قال : (الثقة بالله وحسن الظن به حصن لا يتحصن به إلاّ كلّ مؤمن ، والتوكل عليه نجاة من كلّ سوء وحرز من كلّ عدو)[1] .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» انه قال : (حسن ظن العبد بالله سبحانه على قدر رجائه له وحسن توكل العبد على الله على قدر ثقته)[2] .

وقال «عليه السَّلام» : (حسن الظن من أفضل السجايا وأجزل العطايا)[3] .

وقال «عليه السَّلام» : (حسن الظن أن تخلص العمل وترجو من الله أن يعفو عن الزلل)[4] .

وهنا أسئلة ملحّة :

الأول : لماذا نرىٰ أن كثيراً من الراجين لا يصلون ؟ .

الثاني : لماذا نرىٰ كثيراً من غير الراجين كالملحدين يصلون ؟ .

ومن قبيل هذين السؤالين سؤال آخر هو ، أنه لماذا نرىٰ بعض الأدعية لا تنجح ؟ ولماذا نرىٰ بعض غير الداعين ينجحون ؟

الثالث : أنه كيف كانت قصة يوسف «عليه الصَّلاة والسَّلام» بالنسبة إلى سؤاله نديم الملك ، مع إنا مأمورون باتباع الأسباب .

والجواب عن السؤال الأول : إن عدم وصول الراجين تارة يعلل بأنهم لم يأخذوا بكل الأسباب ، والرجاء هو بنفسه من الأسباب لكن الرجاء سبب غيبي والأسباب الظاهرة أسباب طبيعية جعلها الله سبحانه وتعالىٰ وقررها في هذا الكون .

---

(١) انظر البحار ج ٧٠ ص ٣٢٣ باب ٥٩ ، حسن الظن بالله سبحانه .
(٢) غرر الحكم ج ١ ص ٣٧٧ ح ٢٨ ، وغرر الحكم ج ١ ص ٣٧٧ ح ٢٩ .
(٣) غرر الحكم ج ١ ص ٣٧٨ ح ٣١ .
(٤) غرر الحكم ج ١ ص ٣٧٨ ح ٣٣ .

وهذه الروايات في مقام عدم الأخذ بالرجاء ، لا في حصر الأمر بالرجاء فقط ، فالدنيا دنيا أسباب ، فهل من يرجو الولد بدون الزوجة يتمكن من الحصول عليه ، إلى غير ذلك من الأمثلة .

وإذا أردنا تمثيلاً للرجاء والأسباب فنقول :

الرجاء بمنزلة مهندس المعمل ، والعمل على طبق الموازين بمنزلة المعمل ، والمعمل لا يتمكن من العمل والإنتاج بدون المهندس ، كما أن المهندس لا يتمكن من العمل بدون المعمل .

وتارة أُخرىٰ لأن الرجاء ليس في موضعه .

فالدنيا :

طبعت على كدر وأنت تريدها   صفواً من الأقذار والاكدار

فهل يمكن أن تبطل موازين الكون بأن لا يموت أحد ، أو لا يمرض أحد ، أو ما أشبه ذلك ، فإذا كان المقرر أولاً وبالذات موت الناس جميعاً في أوقات خاصة وبآجال محددة ، فإذا رجا الإنسان عدم الموت كان في غير محله ، أما إذا رجا عدم الموت فيما للرجاء مسرح فيه ، فإنه لا يموت مثل ذلك ، مثل من يراجع الطبيب لا يمت ومن لم يراجع الطبيب يمت .

س : أليس الله يعلم أنه يموت ؟ فما فائدة الطبيب إيجاباً أو سلباً ؟ .

ج : نقضاً : بأنه لماذا السعي والتعب والكد والعمل في الزراعة ، فإذا علم الله سبحانه وتعالىٰ أن هذه الأرض تثمر فما فائدة التعب ، وإذا علم الله أنها لا تثمر فما فائدة التعب .

وحلاً : بأن الله يعلم أنه يراجع الطبيب فلا يموت ويعلم الله أنه لا يراجع الطبيب فيموت .

وعن السؤال الثاني : إن الله سبحانه حيث جعل الدنيا بأسباب قرر الوصول إلى الأهداف بتلك الأسباب لكن ليس وصولاً كاملاً ، بل وصولاً في الجملة ، وذلك حتى يستقيم الإمتحان ، وإلاّ لم يمكن الإمتحان ، ولذا قال

سبحانه وتعالىٰ : ﴿**كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك**﴾[1] .

إن الدنيا والآخرة وحدة واحدة كالإبتدائية والثانوية والجامعة ، مثلاً نفرض ان الدنيا الإبتدائية ، والبرزخ الثانوية ، والآخرة (الجنة أو النار) الجامعة ، والإستفادة الكاملة ما كان في المجتمع دون البعض ، قال سبحانه : ﴿**فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز**﴾[2] .

ثم الدنيا دنيا مقرونة بقلة من المشاكل الطبيعية حسب تقرير الله سبحانه وتعالىٰ ، وبكثرة من المشاكل الزائدة على طبيعة الحياة للإنسان الذي ليس في طريق الله سبحانه وتعالىٰ .

فالإنسان الذي في طريق الله سبحانه :

أولاً : تكون الحياة طبيعية أي بقلّة من المشاكل .

ثانياً : له العاقبة الأُخروية الحسنة ، بينما الإنسان الذي ليس في طريق الله سبحانه وتعالىٰ تكون دنياه صعبة جداً كما قال سبحانه وتعالىٰ : ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإنَّ له معيشة ضنكاً**﴾ ولا آخرة له إطلاقاً كما قال سبحانه : ﴿**ونحشره يوم القيامة أعمىٰ**﴾[3] .

ومن المعلوم أن الملحد لا يصل ، نعم له بعض الدنيا ، وهذا ليس معناه الوصول ، فمن يلزم عليه السفر مائة فرسخ حتى يصل إلى هدفه إذا قطع عشرة فراسخ فقط ، فهل يكون معناه أنه وصل .

س : فلماذا نرىٰ دنيا المسلمين اليوم أسوأ من دنيا الكفار ؟ .

ج : لأن المسلمين لم يعملوا بما قرر الله سبحانه وتعالىٰ وإنما عملوا ببعض ما قرر ، فهل عملوا بالشورىٰ وقد قال سبحانه : ﴿**أمرهم شورىٰ بينهم**﴾[4]

---

(١) سورة الإسراء : الآية / ٢٠ .

(٢) سورة آل عمران : الآية / ١٨٥ .

(٣) سورة طه : الآية / ١٢٤ .

(٤) سورة الشورىٰ : الآية / ٣٨ .

وهل عملوا بالتنظيم ، وقد قال عليّ «عليه السَّلام» : (نظم أمركم)[1] وهل عملوا بالأمة الواحدة كما قال سبحانه وتعالىٰ : **﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة﴾** وهل عملوا بالحرية الممنوحة لهم حيث قال : **﴿يضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾**[2] إلى غير ذلك .

وعلى أي حال ، فالملحدون لم يصلوا إلى الهدف ، إنّما وصلوا لبعض الهدف من التقدم المادي لأنهم أخذوا شيئاً من تعاليم الإسلام حسب قول عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (الله الله في القرآن لا يسبقنكم بالعمل به غيركم)[3] والمسلمون تركوا أسباب التقدم التي قررها الله سبحانه وتعالىٰ .

أما السؤال الثالث : فإن يوسف «عليه الصَّلاة والسَّلام» كما ذكروا إنما نظر عند سؤال صاحبه الذي كان معه في السجن إلى السبب فقط ، والأنبياء «عليهم الصَّلاة والسَّلام» لعظم مكانهم يعد مثل هذا الشيء منهم (ترك الأَوْلىٰ) وقد ذكر أنه لبث في السجن لكل كلمة أو حرف قالها لذلك الصاحب سنة ، والله سبحانه العالم ، وكل مبحث من هذه المباحث الثلاثة فيه تفصيل مذكور في محله وإنما أردنا الإلماع إليها بقدر مجال هذا الكتاب الموضوع لشأن الإنهاض والإيقاظ والله المستعان .

القدرة الإسلامية وفاعليتها :

المسلمون أقوىٰ من الغرب والشرق ، لكن قوتهم الكبيرة غير فاعلة ، وقوة الغرب والشرق الصغيرة فاعلة ، فإذا وعىٰ المسلمون هذين الأمرين أولاً ، ثم عملوا في فاعلية القوّة الإسلامية من جانب وإبطال فاعلية القوّة الأجنبية في بلادهم من جانب آخر ثانياً قام الإسلام من جديد بإذن الله ، وأنقذ العالم لا العالم الإسلامي فحسب ، بل وحتى العالم الغربي الذي وقع في (مآسي الفقر)

---

(١) نهج البلاغة ص ٤٣١ كتاب رقم ٤٧ .
(٢) سورة المؤمنون : الآية / ٥٢ .
(٣) نهج البلاغة ص ٤٢٢ كتاب ٤٧ .

حيث في أميركا وحدها ثلاثون مليون من الفقراء كما صرحوا هم بأنفسهم بذلك ، وفي (مآسي الإستعمار) وفي (مآسي السلاح) فهل هناك إنسان يستعد لأن يصنع الدمار لأخوانه البشر ليل نهار ، غير أن النظام الغربي والشرقي سبب هذا الشيء وألقىٰ جملة من الناس الأبرياء منهم والمعاندين في هذه العجلة الدائرة ، وفي (مآسي الخلاء الروحي) فإن المادة تملأ مراكز البدن أما الدين والفضيلة والتقوىٰ فهي التي تملأ تجاويف الروح . وفي (مآسي الكبت) فإن القوانين الغربية كابتة لأنفسهم قبل غيرهم بينما الإنسان خلق حراً يريد الحرية ، وهل البشر في الغرب حر! ؟ إلى آخر القائمة .

هذا حال الغرب ، فكيف بالعالم الثالث المستعمَر (بالفتح) بل العالم الشيوعي الذي لم يمر على تاريخ البشرية حسب التاريخ المدون أتعس حالاً منه ، الذي يعيش خلف الإسلاك الحديدية الشائكة في وضع أسوء من حال الحيوانات السائمة في زرائبها ، وعلىٰ أي حال فإن للمسلمين قوة هائلة تحت ركام من الجهل والتخلف والفوضىٰ والشدائد ، وللغرب والشرق قوة ضعيفة فاعلة في الميدان ، فاللازم انقاذ المسلمين بل وانقاذ العالم ككل من المآسي .

الشعائر الإسلامية :

مسألة: مما يجب الإهتمام به جداً الأُمور الإسلامية ، وهي عبارة عن القرآن الكريم والمسجد والصَّلاة والزكاة والحج والصوم ، وليس القصد في هذه المسألة بيان فلسفة هذه الأُمور ، بل القصد أن التيار الإسلامي المتنامي يجب أن يتبنى أفراده إقامة هذه الشعائر بكل قوة ، وكذلك يلزم عليه أن ينشر في المجتمع هذه الأُمور حسب المقدور .

أولاً القرآن : فلأنه الكتاب الأول للمسلمين ولا شك في أنه هو المفتاح الأول للحركة العالمية التي سببت إخراج البشر من الظلمات إلى النور ، واليوم إذا كان هناك نور ولو بصيص منه في العالم ، فإنما هو مستند إلى القرآن الكريم أولاً ، وبالذات ، وما لم يرتبط المسلمون بالقرآن ثانياً لا يرتبطون بالسيادة والسعادة مرة أُخرىٰ ، والغرب إنما أخذ بالزمام لأنه طبق شيئاً من القرآن

كالنظافة والإنتخاب والعمل وما أشبه ، فاللازم الإهتمام بـالقرآن الكـريم بحفظه وتفسيره وترجمته وجعل المدارس له وقراءته ليل نهار إلى غير ذلـك من وجوه النشر والترويج ، ليس هـذا فحسب بل الـلازم الإلتزام بـالعمل بـه حسب المستطاع ، وهكذا يقول، (غوستاف لوبون) حول القرآن الحكيم :

[إذا راجعنـا القرآن وعقـائـده الـرئيسيـة نـراه وحده يصح له أن يُباهي بأنه أدخل التوحيـد إلى العـالم ، وتشتق سهـولـة الإسـلام العـظيمـة من التـوحيـد المحض ، وفي هـذه السهـولـة سر قـوة الإسلام والإسلام إدراكـه سهل خـال مما نـراه في الأديان الأُخرىٰ ويـأباه الـذوق السليم غالبـاً من المتناقضات والغـوامض ، ولا شيء أكثر وضـوحاً واقل غموضاً من أُصول الإسـلام القائلة بـوجود إله واحد وبمساواة جميع النـاس أمام الله وببضعـة فروض يدخل الجنة من يقوم بها ، ويدخل النـار من يعـرض عنها ، وإنـك إذا مـا اجتمعت بـأي مسلم من أية طبقة رأيته يعرف ذلـك ويجب عليه أن يعتقـد ويسرد لك أُصـول الإسـلام في بضـع كلمات بسهولة ، وهو بذلك على عكس النصراني الذي لا يستطيع حديثـاً عن التثليث والإستحالـة وما ماثلها من الغوامض ، من غـير أن يكون من علماء الـلاهوت الـواقفـين عـلى دقـائق الجـدل ، ووضـوح الإسلام البـالغ ومـا أمر بـه من العدل والإحسان ساعـد على انتشـاره في العالم ، ونفسر بهـذه المـزايـا سبب اعتنـاق كثـير من الشعـوب النصرانية للإسلام كالمصريين الذي كانوا نصارىٰ أيـام حكم قيـاصرة القسـطنـطينيـة ، فـأصبحـوا

مسلمين حين عرفوا أُصول الإسلام ، كما نفسر السبب في عدم تنصر أية أُمة بعد أن رضيت بالإسلام ديناً سواء كانت هذه الأُمة غالبة أم مغلوبة ، ويجب على من يرغب في الحكم أن يفكر بفائدة هذا الكتاب الديني وأن لا ينظر إلى قواعده الفلسفية ، بل إلى مدى تأثير عقائده والإسلام إذا نظر إليه من هذه الناحية وجده من أشد الأديان تأثيراً في النفوس وهو مع مماثلته لأكثر الأديان في الأمر بالعدل والإحسان والصَّلاة . . . الخ ، يعلم هذه الأُمور بسهولة يستمرؤها الجميع ، وهو يعرف فضلاً عن ذلك أن يصيب في النفس إيماناً ثابتاً لا تزعزعه الشبهات ، ولا ريب في أن نفوذ الإسلام السياسي والمدني كان عظيماً إلى الغاية .

قد كانت بلاد العرب قبل محمد «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» مؤلفة من امارات مستقلة وقبائل متقاتلة دائماً ، فلما ظهر محمد «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» ومضىٰ علىٰ ظهوره قرن واحد كانت دولة المسلمين ممتدة من الهند إلى اسبانيا ، وكانت الحضارة تسطع بنورها الوهاج في جميع المدن التي خفقت راية النبي فوقها .

والإسلام من أكثر الديانات ملائمة لاكتشافات العلم ، ومن أعظمها تهذيباً للنفوس حملاً على العدل والإحسان والتسامح ، ولم يمس الزمن دين النبي الذي له من النفوذ ما له في الماضي ، والذي لا يزال ذا سلطان كبير على

النفوس ، مع أن الأديان الأُخرىٰ التي هي أقدم منه تخسر كل يوم شيئاً من قوتها ، بينما يدين بالإسلام الكثير ، واعتنقته جزيرة العرب ومصر وسوريا وفلسطين وآسيا الصغرىٰ وجزء كبير من الهند وروسيا والصين ، ثم جميع أفريقيا إلى ما تحت خط الإستواء تقريباً ، وتجمع بين مختلف الشعوب التي اتخذت القرآن دستوراً لها ووحدة اللغة والصّلاة التي يسفر عنها مجيء الحجيج إلى مكة من جميع بلاد العالم الإسلامي ، وتجب على جميع أتباع محمد «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» تلاوة القرآن باللغة العربية بقدر الإمكان ، واللغة العربية هي لذلك أكثر لغات العالم إنتشاراً على ما يحتمل . والشعوب الإسلامية علىٰ ما بينها من الفروق العنصرية ترى بينها من التضامن الكبير ما يمكن جمعها به تحت علم واحد في أحد الأيام ، وسيرى القاريء حين نبحث في فتوح المسلمين وأسباب انتصاراتهم أن القوة لم تكن عاملاً في إنتشار القرآن ، فقد ترك المسلمون المغلوبين أحراراً في أديانهم ، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما رأوا من عدل المسلمين الغالبين ما لم يروا مثله من سادتهم السابقين ، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل وقد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة ، فلما قهر النصارىٰ عرب الأندلس فضل هؤلاء القتل والطرد عن آخرهم على ترك الإسلام .

فلم ينتشر القــرآن بـالسيف إذاً ، بــل انتشر بالدعوة وحدها وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخراً كالـترك والمغول ، وبلغ القــرآن من الإنتشــار في الهنــد ، التي لم يـكن العرب فيها غـير عابـري سبيل مـا زاد معه عـدد المسلمين فيها على خمسين مليـون نسمة ، ويـزيد عدد مسلمي الهند يـوماً فيـوماً ، مـع ان الإنكليز الذين هم سادة الهنـد في الوقت الحـاضر يجهزون البعثات التبشيرية ويرسلونها تباعاً إلى الهنـد لتغير مسلميها على غـير جدوىٰ ، ولم يكن القـرآن أقل إنتشاراً في الصين التي لم يفتح المسلمون أي جزء منها قط ، وسترىٰ في فصـل آخر سرعـة الدعـوة الإسلامية فيها] . انتهىٰ باقتضاب .

ثانياً المساجد : فلأنه المكان الذي انـطلقت منه رسـالة الإسـلام ، فاللازم الإكثار من بنائه مهما أمكن ، وقد ورد في فضل بنـائه متـواتر الـروايات ، وإليـك جملة منها :

فعن رسول الله «صلّىٰ الله عليـه وآله وسلّم» انـه قال : (من ابتنى مسجـداً ولو مثل مفحص قطاة ، بنىٰ الله له بيتاً في الجنة)[١] .

وفي رواية : (بنى الله له بكل شبر مدينة في الجنة)[٢] .

وفي رواية الجعفريـات بسند الأئمّـة إلى علي بن أبي طـالب «عليه السَّـلام» قال : يقول الله عزّ وجلّ : (إذا أردت أن أصيب أهل الأرض بعذاب ، لـولا أن رجـال يتحابـون فيّ ويعمرون مسـاجدي ويستغفـرون بالأسحـار لولاهم لأنـزلت عذابي)[٣] .

---

(١) الوسائل ج ٣ ص ٤٨٦ ح ٢ ، الفقيه ج ١ ص ١٥٢ ح ٢٦ .
(٢) الوسائل ج ٣ ص ٤٨٦ ح ٤ .
(٣) علل الشرائع ص ٥٢١ ح ١ ، الوسائل ج ٣ ص ٤٨٦ ح ٥ .

وعن النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (المساجد أنوار الله) ، وعن أبي عبيدة الحذاء قال : سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» يقول : (من بنىٰ مسجداً بنىٰ الله له بيتاً في الجنة) ، قال أبو عبيدة فمر بي أبو عبد الله «عليه السَّلام» في طريق مكة وقد سويت بأحجار مسجداً فقلت له : (جعلت فداك نرجو أن يكون هذا من ذاك ، قال : نعم)[1] .

وعن جعفر بن محمد عن آبائه «عليهم السَّلام» قال : (إن الله إذا أراد أن يصيب أهل الأرض بعذاب قال : لولا الذين يتحابون فيَّ ويعمرون مساجدي ويستغفرون بالأسحار لولاهم لأنزلت عذابي)[2] .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (من بنىٰ مسجداً في الدنيا أعطاه الله بكل شبر منه ، أو قال : بكل ذراع منه مسيرة أربعين ألف عام مدينة من ذهب وفضة ، ودّر وياقوت وزمرد وزبرجد ولؤلؤ إلى آخر الحديث)[3] .

وعن هاشم الحلاّل قال (دخلت أنا وأبو الصبّاح علىٰ أبي عبد الله «عليه السَّلام» فقال له أبو الصباح : ما تقول في هذه المساجد التي بنتها الحاج في طريق مكة ، فقال : بخ بخ فيك أفضل المساجد ، من بنىٰ مسجداً كفحص قطاة ، بنا الله له بيتاً في الجنّة)[4] .

وقد كان رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» في مكة المكرمة يصلّي في المسجد الحرام كثيراً ، فلما جاء إلى المدينة بنىٰ أول ما بنىٰ مسجد قبا ، وهو الذي أنزل الله تعالىٰ فيه : ﴿**لمسجد أسس على التقوىٰ من أول يوم أحق أن تقوم فيه**﴾[5] .

أقول في قبال مسجد ضُرار نزلت هذه الآية . كما أنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» لما ورد المدينة المنورة بنى فيها المسجد قبل كل شيء ، فعن عبد الله بن

---

(١) الوسائل ج ٣ ص ٤٨٥ ح ١ ، المحاسن ص ٥٥ ح ٨٥ ، الكافي ج ٣ ص ٣٦٨ ح ١ .
(٢) الوسائل ج ٣ ص ٤٨٦ ح ٣ ، علل الشرائع ص ٥٢١ ح ١ .
(٣) الوسائل ج ٣ ص٤٨٦ ح ٤ .
(٤) الوسائل ج ٣ ص ٤٨٦ ح ٦ ، المحاسن ص ٥٥ ح ٨٥ .
(٥) سورة التوبة : الآية / ١٠٨ .

سنان عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (سمعته يقول : إن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» بنى مسجده بالسميط ، ثم إنّ المسلمين كثروا فقالوا : يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فزيد فيه ، فقال : نعم فزيد فيه وبناه بالسعيدة ، ثم ان المسلمين كثروا فقالوا : يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فزيد فيه ، فقال : نعم فأمر به فزيد فيه وبنىٰ زيادة بالأنثى والذكر ، ثم اشتد عليهم الحر فقالوا : يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فظلل ، فقال : نعم ، فأمر به فأقيمت به سوارى من جذوع النخل ، ثم طرحت عليه العوارض والخصف والأذخر ، فعاشوا فيه حتى أصابتهم الأمطار فجعل المسجد يكف عليهم ، فقالوا : يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فطين ، فقال لهم رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : لا عريش كعريش موسىٰ ، فلم يزل كذلك حتى قبض ، وكان جداره قبل أن يظلل قامة ، وكان إذا كان الفيء ذراعاً وهو قدر مربض عنز صلّى الظهر ، فإذا كان ضعف ذلك صلّى العصر ، وقال : السميط لبنة لبنة والسعيدة لبنة ونصف والذكر والأنثىٰ لبنتان مختلفتان ، إلى غير ذلك)[1] .

وقد كانت من عادة المسلمين أنهم إذا فتحوا مدينة جعلوا بعض كنائسها وبيعها مسجداً ، وفي ذلك وردت جملة من الروايات :

فعن عيسىٰ بن القاسم قال : (سألت أبا عبد الله «عليه السَّلام» عن البيع والكنائس يصلّي فيها ؟ قال : نعم ، وسألته هل يصلح بعضها مسجداً ؟ فقال : نعم)[2] .

وفي رواية أُخرىٰ : (سألت أبا عبد الله «عليه السَّلام» عن البيع والكنائس هل يصلح نقضها لبناء المساجد ؟ فقال : نعم)[3] .

ومن شدة اهتمام الإسلام بالمسجد أنه استحب أن يتخذ الإنسان غرفة من بيته مسجداً ، ولكن ليس لهذه الغرفة أحكام المسجد .

فعن الحلبي عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (كان لعلي «عليه السَّلام» بيت ليس فيه شيء إلاّ فراش وسيف ومصحف ، وكان يصلّي فيه)[4] .

---

(١) الوسائل ج ٣ ص ٤٨٧ ح ١ ، الكافي ج ٣ ص ٢٩٥ ح ١ .
(٢) الوسائل ج ٣ ص ٤٩١ ح ١ ، التهذيب ج ١ ص ١٩٩ .
(٣) الوسائل ج ٣ ص ٤٩١ ح ٢ ، الكافي ج ٣ ص ٣٦٨ ح ٣ .
(٤) الوسائل ج ٣ ص ٥٥٥ ح ٥ ، المحاسن ص ٦١٢ ح ٢٩ .

وعن مسمع قال كتب إلى أبو عبد الله «عليه السَّلام» : (إني أحب لـك أن تتخذ في دارك مسجداً في بعض بيوتك ثم تلبس ثوبين طمرين غليظين ثم تسأل اللّه أن يعتقـك من النار وأن يـدخلك الجنة ولا تتكلم بكلمـة باطـل ولا بكلمـة بغي) [١] .

وعلى أي حال فـالمساجـد بيوت الله في الأرض فيستحب الإكثـار منها لأنها سبب البركة والتوفيق والسعادة وإقبال الله سبحانه وتعالىٰ عـلى الإنسان ، ولعلهـا تكون من مقدمات قيام الدولة الإسلامية العالمية .

فعن أبي بصـير قـال : (سـألت أبـا عبـد الله «عليـه السَّـلام» عن العلة في تعظيم المساجد فقال إنما أمر بتعظيم المساجد لأنها بيوت الله في الأرض) [٢] .

ثم لا يخفىٰ ان الغربيين والشرقيـين بأنفسهم أو بـواسطة عمـلائهم يجعلون عراقيل كثيرة أمام بناء المساجد كما يسعون في هدمها أو تبديلها .

فقـد بدّل وأغلق وهـدم الشيوعيـون في روسيا ثـلاثـين ألف مسجـد أبـان سيطرتهم على البلاد الإسلامية ، كما أن الشيوعيين في الصين فعلوا مثل ذلك بمائة وثمانين ألف مسجد ، كما ورد ذلك في إحصائين بهذا الشـأن ، وفي تركيـا وإيران هدم وأغلق وبدّل المساجد البهلوي الأول وأتاتورك . وقـد رأيت في ثلاثـة بلدان إسـلامية كيف أنهم كـانوا يهـدمون المسـاجد ويمنعـون من بنائهـا بل عن تجـديـد عمارتها .

فمثلاً في كربلاء المقدسة هدمت الحكومة جملة من المسـاجد كمسجـد رأس الحسين«ع» والمسجد الناصري ومسجد مدرسة حسن خان ومسجد الصافي وغيره .

كما أنهم كانوا يمانعون حتى عن إعادة المساجد كالمسجد الذي كان في بـاب (طويريج) فإنه لما خرب أجرّته الحكومة لأصحاب الـدواب ، وقد حـاولنا تجـديد عمارته وأرسلنا وفوداً إلى بغداد ، وفداً تلو وفد ، في عدة سنـوات حتى صار عـدد

---

(١) الوسائل ج ٣ ص ٥٥٥ ح ٦ ؛ المحاسن ص ٦١٢ ح ٣١ .

(٢) الوسائل ج ٣ ص ٥٥٦ ح ١ ، علل الشرائع ص ٣١٨ ح ١ .

الوفود خمسين وفداً وهؤلاء قابلوا الرئيس الأعلىٰ للدولة ، ثم الوزراء والمدراء ، ومن إليهم ولكن بدون فائدة ، كل ذلك لإجازة عمارة هذا المسجد ، وأخيراً وفق الله الخيريين ، لتجديد عمارته بعد صرف أموال كثيرة وأتعاب أكثر ، والآن المسجد قائم بحمد الله تعالىٰ ويسمى بمسجد الإمام أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» .

ثمَّ بالإضافة إلى لزوم بناء المساجد كما ذكرناه يلزم جمع الناس حوله للصَّلاة فيه ، وعقد مجالس الوعظ والإرشاد هناك ، بل والقضاء في المسجد أيضاً فإن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» وعليّاً «عليه السَّلام» كانا يقضيان في المسجد . ودكة القضاء وبيت الطشت معروفان في مسجد الكوفة . إلى غير ذلك من أقسام احياء المسجد بمختلف المناسبات وملئه بالناس ، حتى مناسبة الفواتح والإحتفالات والوفيات وما أشبه ، وإذا تعارض أمران أو أُمور في المسجد قدم الأهم على المهم حسب الموازين الإسلامية .

ثالثاً الصَّلاة : والتي قلنا في أول المسألة بلزوم الإهتمام بها فلأنها عمود الدين إن قُبلت قُبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها ، وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (مثل الصَّلاة مثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود نفعت الأطناب والأوتاد والغشاء ، وإذا تكسر العمود لم ينفع طنب ولا وتد ولا غشاء)[١] .

وفي حديث آخر عنه «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (الصَّلاة ميزان ، من وفىٰ استوفى)[٢] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (أول ما يحاسب به العبد الصَّلاة ، فإن قبلت قبل سائر عمله ، وإذا ردت رد عليه سائر عمله)[٣] .

---

(١) الوسائل ج ٣ ص ٢١ ح ٦ ، الكافي ج ٣ ص ٢٦٦ ح ٩ .
(٢) الفقيه ج ١ ص ١٣٣ ح ١ ، الكافي ج ٣ ص ٢٦٦ ح ١٣ ، الوسائل ج ٣ ص ٢٢ ح ٨ .
(٣) الوسائل ج ٣ ص ٢٢ ح ١٠ ، الفقيه ج ١ ص ١٣٤ ح ٥ .

وعن علي «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إن عمود الدين الصَّلاة وهي أول ما ينظر فيه من عمل ابن آدم ، فإن صحت نظر في عمله وإن لم تصح لم ينظر في بقية عمله) [١] .

وعن معاوية بن وهب قال : سألت أبا عبد الله «عليه السَّلام» عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم وأحب ذلك إلى الله عزّ وجلّ ما هو ؟ فقال : (ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصَّلاة ، ألا ترى ان العبد الصالح عيسىٰ بن مريم قال : (وأوصاني بالصَّلاة والزكاة ما دمت حياً) [٢] إلى غيرها من الروايات الكثيرة .

وهكذا التأكيد الوارد علىٰ صلاة الجماعة حيث وردت الروايات المتواترة في فضلها :

فعن النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (التكبيرة الأُولىٰ مع الإمام خير من الدنيا وما فيها ، وعن عبد الله بن مسعود (رحمه الله) أنه قد فاتته تكبيرات الإفتتاح يوماً فأعتق رقبة ، وجاء إلى النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» فقال : يا رسول الله فاتتني تكبيرة الإفتتاح يوماً فأعتقت رقبة هل كنت مدركاً فضلها ؟ فقال : لا ، فقال ابن مسعود : ثم أعتق أُخرىٰ هل كنت مدركاً فضلها ؟ فقال : لا يابن مسعود ولو أنفقت ما في الأرض جميعاً لم تكن مدركاً فضلها) .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (صفوف أُمتي كصفوف الملائكة في السماء والركعة في الجماعة أربع وعشرون ركعة كل ركعة أحب إلى الله تعالىٰ من عبادة أربعين سنة) [٣] .

وعن النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (من صلىٰ الصَّلاة في

---

(١) الوسائل ج ٣ ص ٢٣ ح ١٣ ، التهذيب ج ١ ص ٢٠٣ .
(٢) الوسائل ج ٣ ص ٢٥ ح ١ ، الكافي ج ٣ ص ٢٦٤ ح ١ ، الفقيه ج ١ ص ١٣٥ ح ١٣ .
(٣) الوسائل ج ٥ ص ٣٧٢ ح ١٠ ، المجالس ص ١١٧ . .

جماعة فظنوا به كل خير واقبلوا شهادته)[١] .

وعن النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (من صلىٰ أربعين يوماً في الجماعة يدرك التكبيرة الأولىٰ كتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق) .

وعن النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : قال لقمان لابنه:(الصّلاة جماعة ولو على رأس زج)[٢] .

أقول : الزج ، الرمح وهذا للمبالغة في ضيق المكان أيضاً ووجود المشكلة للإنسان ، وعن علي أمير المؤمنين «عليه الصّلاة والسّلام» قال : (مروة الحضر ، قراءة القرآن ومجالس العلماء والنظر في الفقه ، والمحافظة على الصّلاة في الجماعة)[٣] .

وعن موسىٰ بن جعفر «عليهما السّلام» حديث عن أبيه أنه قال : (من أسبغ وضوءه في بيته وتمشط وتطيب ثم مشى من بيته غير مستعجل وعليه السكينة والوقار إلى مصلاه رغبة في جماعة المسلمين لم يرفع قدماً ولم يضع أخرىٰ إلاّ كتب له حسنة ومحيت عنه سيئة ، ورفعت له درجة ، وإذا ما دخل المسجد ـ إلى أن قال ـ «عليه السّلام» : ثم افتتح الصّلاة مع الإمام جماعة إلاّ وجبت له من الله المغفرة والجنة من قبل أن يسلم الإمام»[٤] .

وعن أبي الحسن «عليه السّلام» قال : (انتظار الصّلاة جماعة من جماعة إلى جماعة كفارة كل ذنب)[٥] .

وعن النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (إن الله وعد أن يدخل الجنة ثلاثة نفر بغير حساب ويشفع كل واحد منهم في ثمانين ألفاً ، المؤذن والإمام ورجل يتوضأ ثم يدخل المسجد فيصلّي في الجماعة)[٦] .

---

(١) الكافي ج ٣ ص ٣٧١ ح ٣ ، الوسائل ج ٥ ص ٢٧١ ح ٤ .
(٢) البحار ج ٧٦ ص ٢٧١ .
(٣) الوسائل ج ٨ ص ٣٢٠ ح ١٥ .
(٤) ورد نحوه في الوسائل ج ١ ص ٢٦٦ باب ١٠ .
(٥) مؤداه في الوسائل ج ١ ص ٢٦٦ ، باب ١٠ .
(٦) الوسائل ج ١ ص ٢٦٦ باب ١٠ نحوه .

وعن النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال لعثمان بن مضعون في حديث : (يا عثمان انه من صلىٰ الصبح في جماعة وقعد يذكر الله حتىٰ تطلع عليه الشمس كان له في الفردوس سبعون درجة ، بعد ما بين كل درجة كحصر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة ، ومن صلىٰ الظهر في جماعة له في جنات عدن خمسون درجة بعد ما بين كل درجتين كحضر الفرس الجواد المضمر خمسون سنة ، ومن صلىٰ العصر في جماعة كان كقيام ليلة القدر)[١] .

رابعاً الزكاة : فهي إقامة لحاجات الناس ، وهي والخمس عصبان للإقتصاد الإسلامي ، فإن الدولة تحتاج إلى الرجال والمال ، والرجال يجتمعون في صلاة الجماعة ، والمال يكون من الخمس والزكاة ، ولذا وردت تأكيدات بليغة في كل منها :

فقد ورد في الزكاة عن ابن سنان عن أبي عبد الله «عليه السّلام» قال : لما نزلت آية : ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ في شهر رمضان أمر رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» مناديه فنادى في الناس : (إن الله تعالىٰ قد فرض عليكم الزكاة كما فرض عليكم الصّلاة ، ثم لم يعرض لشيء من أموالهم حتى حال عليهم الحول من قابل ، فصاموا وأفطروا فأمر «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» مناديه فنادى في المسلمين : أيّها المسلمون زكوا أموالكم تقبل صلاتكم ، قال : ثم وجه عمال الصدقة وعمال الطسوق)[٢] .

وعن أبي الحسن موسىٰ بن جعفر «عليهما السّلام» قال : (حصنوا أموالكم بالزكاة) [٣] .

وعن محمد بن سنان عن الرضا «عليه الصّلاة والسّلام» أنه كتب إليه في جواب مسائله : (إن علّة الزكاة من أجل قوت الفقراء وتحصين أموال الأغنياء ، لأن الله عزّ وجلّ كلف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمان والبلوىٰ كما قال الله

---

(١) الوسائل ج ٥ ص ٣٧٣ ح ١١ ، المجالس ص ٤٠ ، الوسائل ج ٤ ص ١٠٣٦ ح٨ .
(٢) الوسائل ج ٦ ص ٣ ح ١ ، الفقيه ج ٢ ص ٨ ح ١ ، الكافي ج ٣ ص ٤٩٧ ح ٢ .
(٣) الوسائل ج ٦ ص ٤ ح ٥ ، الفقيه ج ٢ ص ٢ ح ٣ ، المقنعة ص ٤٣ .

تعالىٰ : ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم﴾ في أموالكم إخراج الزكاة ، وفي أنفسكم توطين النفس على الصبر ، مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله عزّ وجلّ ، والطمع من الزيادة فيه ، والرأفة والرحمة لأهل الضعف ، والعطف على أهل المسكنة ، والحث على المواساة وتقوية الفقراء ، والمعونة لهم على أمر الدين ، وهو موعظة لأهلها ، وعبرة لهم ليستدلوا على فقر الآخرة بهم ، وما لهم من الحث في ذلك على الشكر لله تعالىٰ لما خولهم وأعطاهم والدعاء والتضرع ، الحديث)[١] .

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله «عليهما السَّلام» قالا : (فرض الله الزكاة مع الصَّلاة)[٢] .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (لا يقبل الله الصَّلاة ممن منع الزكاة)[٣] .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (لا تتم صلاة إلاَّ بزكاة ، ولا يقبل صدقة من غليل ، ولا صلاة لمن لا زكاة له ، ولا زكاة لمن لا ورع له)[٤] .

وعن جعفر بن محمد عن آبائه عن علي «عليهم الصَّلاة والسَّلام» قال : (إن الله عزّ وجلّ فرض على أغنياء الناس في أموالهم قدر الذي يسع فقراءهم ، فإن ضاع الفقير أو أجهد أو عرىٰ بما يمنع الغني فإن الله محاسب الأغنياء في ذلك يوم القيامة ومعذبهم عذاباً أليماً)[٥]

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (ما من ذي زكاة مال إبل ولا بقر ولا غنم يمنع زكاة ماله إلاَّ أُقيم يوم القيامة بقاع ففر تنطحه كل ذات

---

(١) الوسائل ج ٦ ص ٥ ح ٧ ، الفقيه ج ٢ ص ٤ ح ٧ .
(٢) الوسائل ج ٦ ص ٥ ح ٨ ، الكافي ج ٣ ص ٤٩٧ ح ٥ .
(٣) عن الرضا «عليه السَّلام» البحار ج ٩٦ ص ١٢ .
(٤) البحار ج ٨٤ ص ٢٥٢ .
(٥) البحار ج ٩٦ ص ٢٨ .

قرن بقرنها ، وتنهشه كل ذات ناب بأنيابها ، وتطأه كل ذات ظلف بظلفها ، حتى يفرغ الله من حساب خلقه ، وما من ذي زكاة مال نخل ولا زرع ولا كرم يمنع زكاة ماله ، إلاّ قلدت أرضه في سبعة أرضين يطوق بها إلى يوم القيامة)[١] .

وعن محمد بن مسلم ، قال سألت أبا جعفر «عليه السَّلام» عن قول الله عزّ وجلّ : **﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السَّموات والأرض﴾** قال : (ما من عبد منع زكاة ماله إلاّ جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب وهو قول الله **﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾** قال ما بخلوا من الزكاة)[٢] .

وفي رواية الأئمّة «عليهم السَّلام» عن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (ما أكرم الله عزّ وجلّ رجلاً إلاّ زاد الله عليه البلاء ، ولا أعطى رجل زكاة ماله فنقصت من ماله ، ولا حبسها فزادت في ماله ولا سرق سارق إلاّ حبس من رزقه)[٣] .

أقول : لا يبعد ان يكون المراد بصدر الحديث ان إكرام الله إنما يكون بالجهاد في سبيل الله ، وفي سبيل إنقاذ الناس ، ومن المعلوم أن المجاهد يزداد بلاؤه كلما تقدم جهاده .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (أول من يدخل النار أمير متسلط لم يعدل ، وذو ثروة من المال لا يعطي حقه ، ومقترف أجر)[٤] .

وعن إسماعيل بن جابر عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : سمعته

---

(١) الوسائل ج ٦ ص ١٠ ح ١ ، الفقيه ج ٢ ص ٥ ح ١ ، الكافي ج ٣ ص ٥٠٥ ح ١٩ ، عقاب الأعمال ص ٢٣٥ .
(٢) الوسائل ج ٦ ص ١١ ح ٣ ، الفقيه ج ٢ ص ٦ ح ٥ ، الكافي ج ٣ ص ٥٠٤ ح ١٠ ، عقاب الأعمال ص ٢٣٤ .
(٣) الكافي ج ٣ ص ٥٠٤ ح ٦ ، وص ٥٠٦ ح ٢٠ قطعة منه .
(٤) البحار ج ٧٥ ص ٣٤٠ .

يقول : (ما من عبد ضيع حقاً إلاَّ أعطىٰ في باطل مثله)[١] .

وعن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (ما مات صاحب كنز لا يؤدي زكاة كنزه إلاَّ جيء بكنزه يوم القيامة فيحمىٰ بها جنبه وجبينه لعبوسه وزرراه وجعل السائل والساعي وراء ظهره)[٢] .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : فمن كان له مال فلم يزكه يبشره كل يوم ألف ملك بالنار ، إن الله جعل أرزاق الفقراء في أموال الأغنياء ، إن جاعوا وعروا فبذنب الأغنياء ، وحق على الله أن يكبهم في نار جهنم)[٣] ، إلى غيرها من الروايات الواردة في باب الزكاة .

خامساً:الخمس : كما ورد في باب الخمس أيضاً روايات متواترة .

فعن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (إن الله لا إلٰه إلاَّ هو لما حرم علينا الصدقة أنزل لنا الخمس ، فالصدقة علينا حرام والخمس لنا فريضة والكرامة لنا حلال)[٤] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» إنه قال : (لا آخذ من أحدكم الدرهم وإني لمن أكثر أهل المدينة مالاً ، ما أُريد بذلك إلاَّ أن تطهّروا)[٥] .

وعن أبي جعفر «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (لا يحل لأحد أن يشتري من الخمس شيئاً حتى يصل إلينا حقنا)[٦]

وعن أبي بصير عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : سمعته يقول : (من اشترىٰ شيئاً من الخمس لم يعذره الله ، اشترىٰ ما لا يحل له)[٧] .

---

(١) الكافي ج ٣ ص ٥٠٦ ح ٢١ .
(٢) ورد مؤداه في البحار ج ٩٦ باب عقاب مانع الزكاة .
(٣) قطعة منه في الفقيه ج ٢ ص ٤ ح ٦ .
(٤) الوسائل ج ٦ ص ٣٣٧ ح ٢ ، الفقيه ج ٢ ص ٢١ ح ٦ ، تفسير العياشي ج ٢ ص ٦٤ ح ٦٥ .
(٥) الوسائل ج ٦ ص ٣٣٧ ح ٣ ، الفقيه ج ٢ ص ٢٣ ح ١٥ .
(٦) الوسائل ج ٦ ص ٣٣٧ ح ٤ ، الكافي ج ٣ ص ٤٥٨ ح ١٤ .
(٧) الوسائل ج ٦ ص ٣٣٨ ح ٥ ، التهذيب ج ١ ص ٣٨٨ .

وعن عمران بن موسىٰ عن موسىٰ بن جعفر «عليهما السَّلام» قال : (قرأت عليه آية الخمس فقال : (ما كان لله فهو لرسوله وما كان لرسوله فهو لنا) . ثم قال : (والله لقد يسر الله على المؤمنين أرزاقهم بخمسة دراهم جعلوا لربهم واحداً وأكلوا أربعة أحلاء) [١] .

وعن إسحاق بن عمار قال : سمعته «عليه السَّلام» يقول : (لا يعذر عبد اشترىٰ من الخمس شيئاً أن يقول : يا رب اشتريته بمالي حتىٰ يأذن له أهل الخمس) [٢] .

وفي رواية : (إن هارون العباسي قال للإمام الكاظم «عليه الصَّلاة والسَّلام» : أتقولون أن الخمس لكم ؟ قال : نعم قال هارون : إنه لكثير ؟ قال «عليه السَّلام» : إن الذي أعطانا علم أنه لنا غير كثير) [٣] .

سادساً:الحج : فهو أقوى شيء لجمع كلمة المسلمين من كل بلاد الإسلام ، وإسقاط الحدود الجغرافية وإطلاع المسلمين بعضهم علىٰ بعض ، إلى غير ذلك من الفوائد الكثيرة التي ذكرناها في بعض الكتب الإسلامية .

ولذا قال غلادستون : إذا أردتم أن تثبت أقدامكم في بلاد الإسلام فامنعوا الحج . وقد اتبعت كافة بلاد الإسلام بواسطة حكامها نصيحة غلادستون منذ نصف قرن بمختلف القوانين والأسماء .

وإليك جملة من الروايات المؤكدة لشؤون الحج :

فعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» انه قال : (من مات ولم يحج حجة الإسلام فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً) [٤] . وبعض قالوا في تفسير هذا الحديث : إن اليهود يحبون جمع المال وأن النصارى يحبون البذخ والترف والتجمل فكلاهما يصرف المال في غير مصرفه إما كنزاً أو صرفاً غير صحيح ، فالذي لا

---

(١) الوسائل ج ٦ ص ٣٣٨ ح ٦ ، بصائر الدرجات ص ٢٩ ح ٥ .

(٢) الوسائل ج ٦ ص ٣٧٨ ح ١٠ ، تفسير العياشي ص ٦٣ .

(٣) نحوه في تفسير العياشي ج ١ ص ٦٣ .

(٤) الوسائل ج ٨ ص ١٩ باب ٧ ، المقنعة ص ٦١ المحاسن ص ٨٨ ح ٣١ .

يحج يُقال له : هل كنت تريد حفظ المال أو صرفه في التجمل وما أشبه ، فإن كان الأول فلتمت يهودياً وإن كان الثاني فلتمت نصرانياً .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه سئل عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ قال : هذا فيمن ترك الحج وهو يقدر عليه (١) .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (من مات ولم يحج حجة الإسلام ولم يمنعه من ذلك حاجة تُجحف به أو مرض لا يطيق فيه الحج أو سلطان يمنعه فليمت يهودياً أو نصرانياً) (٢) .

وعن الرضوي «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (تاركه كافر ، وتوعد على تاركه النار ، فنعوذ بالله من النار) (٣) .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (من مات ولم يحج حجة الإسلام ولم تمنعه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان ظالم فليمت على أي حال شاء ، إن شاء يهودياً أو نصرانياً) (٤) .

وعنه «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (من لم يمنعه من الحج حاجة ظاهرة ولا مرض حابس ولا سلطان جائر فمات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً) (٥) .

وقد شدّد الإسلام في شأن الحج حتى أن الذي لا يتمكن من الحج ويتمكن من الإستنابة يجب الإستنابة عنه في مسألة مذكورة في الفقه كتاب الحج ،

---

(١) مثله عن الصَّادق «عليه السَّلام» ، الوسائل ج ٨ ص ٢٠ ح ٢ ، التهذيب ج ١ ص ٤٥١ .

(٢) عقاب الأعمال ص ٢٣٦ ، الوسائل ج ٨ ص ١٩ ح ١ ، المقنعة ص ٦١ ، المحاسن ص ٨٨ ح ٣١ ، المعتبر ص ٣٢٦ .

(٣) فقه الإمام الرضا «عليه السَّلام» ص ٢١٤ سطر ٣ .

(٤) مثله ، الوسائل ج٨ ص ٢١ ح ٥ ، المعتبر ص ٣٢٦ .

(٥) المصدر السابق .

فعن الفضل بن العباس قال : (أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» فقالت : إن أبي أدركته فريضة الحج وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يلبث على دابته فقال لها رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» فحجي عن أبيك)[١] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (إن علياً «عليه السَّلام» رأى شيخاً لم يحج قط ولم يطق الحج من كبره فأمره أن يجهز رجلاً فيحج عنه)[٢] .

وعن أبي عبد الله في حديث قال : (وإن كان موسراً وحال بينه وبين الحج مرض أو حصر أو أمر يعذره الله فيه ، فإن عليه أن يحج عنه من ماله صرورة)[٣] ، إلى غيرها من الروايات .

كما أن من مات ولم يحج حجة الإسلام وكان مستطيعاً وجب أن يقضى عنه الحج من أصل المال ، وإن لم يوص ، فعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» : إن معاوية بن عمار سأله عن رجل يموت ولم يحج حجة الإسلام ويترك مالاً قال : (عليه أن يحج من ماله رجلاً صرورة لا مال له)[٤] .

وعن محمد بن مسلم قال (سألت أبا جعفر «عليه السَّلام» عن رجل مات ولم يحج حجة الإسلام ، يحج عنه ؟ قال : نعم)[٥] .

وفي رواية سماعة قال : سألت أبا عبد الله «عليه السَّلام» عن الرجل يموت ولم يحج حجة الإسلام ولم يوصِ بها وهو موسر قال : (يحج عنه من صلب ماله لا يجوز غير ذلك) .

إلى غيرها من الروايات الكثيرة في أبواب الحج ، مما يظهر منها اهتمام الإسلام بالحج إيما اهتمام .

---

(١) نحوه الفقيه ج ٢ ص ٢٦٠ .
(٢) الفقيه ج ٢ ص ٢٦٠ ح ١ .
(٣) الفقيه ج ٢ ص ٢٦٠ ح ١ .
(٤) الكافي ج ٤ ص ٣٠٦ ح ٣ .
(٥) الفقيه ج ٢ ص ٢٧٠ ح ٦ .

سابعاً: الصوم : فإنه من أقوىٰ العبادات في ضبط النفس واصطبارها وإرتباط العبد بالله سبحانه وتعالىٰ ، ولذا ورد في حقه تأكيدات نذكر جملة منها :

فعن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (خطب رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» الناس في آخر جمعة من شعبان ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : أيّها الناس أنه قد أظلكم شهر فيه ليلة خير من ألف شهر وهو شهر رمضان فرض الله صيامه)[١] .

وعن غياث قال سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» يقول : (إن شهر رمضان لم يفرض الله صيامه على أحد من الأُمم قبلنا ، فقلت له فقول الله عزّ وجلّ : **﴿يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾** قال : إنما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأُمم ، ففضل به هذه الأُمة ، وجعل صيامه فرضاً على رسول الله وعلى أُمته)[٢] .

وبسند الأئمّة إلى عليّ «عليهم الصَّلاة والسَّلام» قال : (جاء نَفرٌ من اليهود إلى النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» ـ إلى أن قال ـ يا محمد فأخبرني عن الثامن لأي شيء افترض الله صوماً على أُمتك ثلاثين يوماً وافترض على سائر الأُمم أكثر من ذلك ، فقال النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : إن آدم لما أكل من الشجرة بقي في جوفه مقدار ثلاثون يوماً ، فافترض الله على ذريته ثلاثين يوماً الجوع والعطش ، وما يأكلون بالليل فهو تفضل من الله على خلقه ، وكذلك كان لآدم «عليه السَّلام» ثلاثين يوماً ، كما على أمتي ، ثم تلا هذه الآية : **﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾** قال : صدقت يا محمد قال : فما جزاء من صامها فقال النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : ما من مؤمن يصوم يوماً من شهر رمضان حاسباً محتسباً إلاّ أوجب الله تعالىٰ له سبع خصال : أول خصلة يذوب الحرام من جسده ، والثاني يتقرب إلى رحمة الله تعالىٰ ، والثالث تكفّر خطيئته ، ألا تعلم أن الكفارات في الصوم تكفّر ، والرابع

---

(١) الوسائل ج ٧ ص ١٧١ ح ٢ ، الفقيه ج ٢ ص ٥٨ ح ١ ، الكافي ج ٤ ص ٦٦ ح ٤ .
(٢) الفقيه ج ٢ ص ٦١ ح ١٤، الوسائل ج ٧ ص ١٧٢ ح ٣ .

يهون عليه سكرات الموت ، والخامس آمنه الله من الجوع والعطش يوم القيامة ، والسادس براءة من النار ، والسابع أطعمه الله من طيبات الجنة قال : صدقت يا محمد)[١] .

وعن قيس الجهني قال سمعت رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» يقول : (ما من يوم يصومه العبد من شهر رمضان إلّا جاء يوم القيامة في غمامه من نور في تلك الغمامة قصر من درة له سبعون باباً كل باب من ياقوتة حمراء)[٢] .

وفي رواية ان رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» ذكر شهر رمضان وفضله على الشهور بما فضله الله وقال : (إن شهر رمضان شهراً كتب الله صيامه على المسلمين وسنة قيامه فمن صامه إيماناً وإحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)[٣] .

وقال «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من صام شهر رمضان وقام إيماناً وإحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)[٤] .

وفي رواية أُخرى عنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه ذكر شهر رمضان وفضله بما فضله الله عزّ وجلّ على سائر الشهور قال : (شهر فرض الله صيامه وسن قيامه ، فمن صام وقام إيماناً وإحتساباً ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه)[٥] .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (صوم شهر رمضان جنة من النّار)[٦] .

---

(١) الفقيه ج ٢ ص ٤٣ ح ٤ ، الوسائل ج ٧ ص ١٧٢ ح ٤ .
(٢) ورد مؤداه في البحار ج ٩٦ ، أبواب الصوم ص ٣٣٧ فراجع .
(٣) الوسائل ج ٧ ص ٢٢٠ ح ٢ وص ١٧٧ ح ١٤ ، التهذيب ج ١ ص ٣٩٤ .
(٤) نحوه البحار ج ٩٦ ص ٣٥٦ .
(٥) الوسائل ج ٧ ص ١٧٧ ح ١٤ وص ٢٢٠ ح ٢ ، التهذيب ج ١ ص ٣٩٤ .
(٦) عن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» الفقيه ج ٢ ص ٤٤ ح ١ .

وعنه «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (ينطق الله جميع الأشياء بالثناء على صوّام شهر رمضان)(٧) .

وقال «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إن الجنة مشتاقة إلى أربعة نفر:إلى مطعم الجيعان ، وحافظ اللسان وتالي القرآن وصائم شهر رمضان) ، وقال «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إن رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما) وقال «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إن الجنة لتتزين من السنة إلى السنة لصوام شهر رمضان) (٢) .

وفي خطبة النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (أنفاسكم فيه تسبيح ونومكم فيه عبادة)وفي رواية من بعض الأصحاب قال : كنا عند رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» فقال : رأيت البارحة عجائب فقلنا : يا رسول الله ما رأيت حدثنا فداك أنفسنا وأهلونا وأولادنا ، فقال : رأيت رجلاً من أُمتي قد أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره والديه فمنعه منه ـ إلى أن قال ـ ورأيت رجلاً من أُمتي يلهث عطشاً كلما ورد حوضاً منع منه فجاءه صيام شهر رمضان فسقاه وأرواه) (٣) . إلى غيرها من الروايات .

ثم انه ليس معنىٰ لزوم اهتمام التيار بهذه الأُمور التي ذكرناها في أول المسألة عدم الإهتمام بغيرها ، فإن اللقب لا مفهوم له كما يقوله الاصوليون وإنما ذكرناها من بين كل تلك الامور الشرعية والشعائر الإلٰهية ، لأن لها امتيازات حسب ما يستفاد من الكتاب والسنّة ، وإلاّ فاللازم على التيار الإسلامي الذي يريد النهوض والإنهاض أن يلتزم بالإسلام من ألفه إلى يائه وإلاّ فقد قال الله سبحانه : **﴿ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أُولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾** (٤) .

---

(١) نحوه البحار ج ٩٦ أبواب الصوم باب فضل صوم شهر رمضان .
(٢) راجع البحار ٩٦ أبواب الصوم
(٣) روضة الواعظين ص ٣٤٥ ، الفقيه ج ٢ ص ٥٨ ح ١ .
(٤) سورة النساء : الآيتان / ١٥٠ و ١٥١ .

كما أن اللازم على التيار الإسلامي الإهتمام برفع المنكرات السرية والعلنية التي امتلأت بها بلاد الإسلام كالخمر والغناء والربا والقمار ودور البغاء وما أشبه ، وقد ورد في كل ذلك وأمثالها متواتر الروايات ، وقد ذكرنا جملة من المنكرات في كتاب الواجبات والمحرمات من الفقه ، فاللازم الإبتعاد والإبعاد عن الحرام ، ولو بالقدر المستطاع ، قبل الوصول إلى الحكم فإذا وصلوا إلى الحكم لزم عليهم منع المنكرات جميعاً بالأسلوب المناسب.

إحياء المفاهيم الإسلامية :

مسألة: يلزم على العاملين في حقل إحياء الإسلام وإعادته إلى الحياة وإعادة الحياة إليه : إحياء المفاهيم الإسلامية ، سواء ذكرها الإسلام أو كانت عادة المسلمين قبل دخول الغرب إلى الإسلام فإن المفهوم ليس صرف ألفاظ ، بل حقائق مرتبطة بالأمة ، ففي إحيائها إحياء الامة ، وفي إماتتها إماتة الامة ، هذا بالإضافة إلى ربط الأحكام الشرعية ببعض تلك المفاهيم .

مثلاً يلزم إحياء السنة القمرية والتاريخ الهجري القمري والساعة الغروبية فإنها كانت متداولة في بلاد الإسلام قبل دخول المستعمرين بدل الساعة الزوالية ، والدينار والدرهم بدل النقود الأخر ، والرطل والمد والصاع والفرسخ والميل والأشهر القمرية إلى غير ذلك .

فإن تبديل هذه المفاهيم إزالة الوحدة الإسلامية واللون الإسلامي ، مثلاً هناك بالنسبة إلى النقود ريال وتومان وروبية وما أشبه ذلك ، وبالنسبة إلى الأشهر هناك في بعض البلاد كانون وتشرين ، وفي بعضها فروردين وارديبهشت ، وفي بعضها ديسمبر ونوفمبر ، إلى غير ذلك ، اليست أمثال هذه الأمور موجبةً لتشتيت الأمة وتحطيم وحدتها ، بينما اللازم أن تكون كل بلاد الإسلام تتخذ من محرم وصفر والدينار والدرهم تاريخاً ونقداً إلى غير ذلك ، فإن أمثال هذه الأمور تظهر الأمة بمظهر الوحدة .

إن الغرب أتعب نفسه أيما إتعاب حتى صنع هذا التشتيت ، وقد كان التاريخ قبل مجيء الغرب إلى بلادنا هو الأشهر القمرية كما يجد الإنسان ذلك في

كل الكتب التي كتبت قبل مجيئهم، وهكذا بالنسبة إلى إحيائهم الأسماء الدارسة مثل أفغان وإيران وما أشبه ذلك مما لم يكن في السابق ، وإنما كانت هنالك بالنسبة إلى البلاد أسماء أخر ، وهكذا بالنسبة إلى الإصطلاحات التوراتية أو الإنجيلية أو نحو ذلك .

ثم كل شعائرنا مرتبطة بالأشهر القمرية فرمضان للصيام ، وذو الحجة للحج ، والأشهر الحرم لحرمة القتال ، ولزيادة الدية ، وشوال لعيد الفطر ، وما إلى ذلك فإنها كلها مرتبطة بالأشهر القمرية ، وكذلك ولادات المعصومين‌ع وليالي القدر ، وأعياد الفطر ، والغدير والمبعث وأوقات الزيارات المستحبة في رجب وشعبان وعرفه والأربعين ، وشهادات المعصومين كعاشوراء ، وهجرة النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» وغيرها ، فإنها كلها مرتبطة بالأشهر القمرية ، وكذلك حال كثير من العبادات كالأغسال المستحبة في أزمنة خاصة ، والصلوات المستحبة في أوقات مخصوصة ،والعمرة الرجبية والإعتكاف في العشر الأواخر من رمضان ، والصيام في أيام خاصة من الأشهر القمرية كأول الشهر وآخره ، إلى آخر هذه القائمة التي يجدها الإنسان حتى في الرسائل العملية ، بل الكتب التفسيرية والفقهية ، والروايات الواردة عنهم «عليهم الصَّلاة والسَّلام» فإنها كلها مربوطة بالأشهر القمرية .

وكذلك عادة النساء ، والعدة بالنسبة إلى الطلاق ، ونحوه واليأس بالنسبة إلى المرأة ، أما البلوغ فهما مشتركان فيه ، فإن هذه الأمور مرتبطة بهذه الأشهر إما مباشرة كالعادة بشكل، أو غير مباشر مثل السنين القمرية المكونة من الأشهر القمرية ، كالخمس والتاريخ والبلوغ واليأس ونحوها فإنها ترتبط بالسنوات القمرية ، وفي القرآن الحكيم آيات في أمثال هذه الشؤون مثل : **﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾**[1] وفيه أيضاً : **﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السّمٰوات والأرض منها أربعة حرم﴾**[2] .

---

(١) سورة البقرة : الآية / ١٨٩ .

(٢) سورة التوبة : الآية / ٣٦ .

وفيه أيضاً : **﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾**[1]. إلى غير ذلك ، وأما الروايات فآلاف منها ذكرت فيها هذه المفاهيم .

ثم إن تبدلت الأشهر بالشمسية تأخر البلوغ في الولد والبنت بما ليس بمشروع ، كما يتأخر اليأس في المرأة ، وتكون العدة أكثر من العدة الواقعية بالنسبة إلى الأشهر ، إلى غير ذلك مما هو كثير ، ولم نقصد بالذكر هنا التفصيل بل الإلمام فقط .

ثم لماذا تغيير السنة من الهجرية إلى الميلادية أليس هذا من جهة الإستعمار ، كما غيرت بعض البلاد عطلة الجمعة إلى عطلة السبت أو الأحد .

نعم الزكاة والخراج وأمثال الحجامة ونحوها مرتبطات بالسنوات الشمسية لأن المحصول والدم وما أشبه تابع لها دون الأشهر القمرية ، مثلاً إن تاريخ إيران كان قمرياً هجرياً حتى ذهب بعض الملوك إلى الغرب قبل قرن ، فجمع في كتبه بين التاريخين ، ثم حذفوا التاريخ الإسلامي وسجلوا مكانه التاريخ الميلادي أو الشمسي ، وهكذا بالنسبة إلى الأشهر ، كما إن تاريخ بعض البلاد الإسلامية إلى قبل نصف قرن كان تاريخاً هجرياً قمرياً ، ثم غير المستعمرون بسبب عملائهم التاريخ إلى المسيحي والأشهر الغربية .

وعلى أي حال ، فالإنسياق وراء الغرب والشرق في هذه الأمور حتى مثل المد والفرسخ والشبر والصاع والرطل ونحوه عبارة أخرى عن انقطاع البلاد عن تاريخها وسوابق أمرها ، وهذا من أبشع أنواع الإستعمار الذي هو كالحية لين مسها قاتل سمها .

وكذلك يلزم إحياء لغة العرب التي هي لغة القرآن الحكيم والسنة المطهرة ، ولغة المسلمين عموماً في صلاتهم وقرآنهم ، وادعيتهم ، وحجهم ، وسائر شؤونهم لفظاً وكتابة ، في قبال إماتتها في بعض بلاد الإسلام مثل تركيا على يد أتاتورك ، وفي الهند أحيوا اللغات السنسكريتيه ونحوها ، وذلك ملازم لاماتة

---

(١) سورة البقرة : الآية / ١٨٥ .

اللغة العربية ، وكذلك في البلاد الشيوعية كالإتحاد السوفيتي والصين وغيرهما ، ومعني ذلك انفصام المسلمين في تلك البلاد عن سوابقهم من ناحية وعن الإلتحام في الأمة الواحدة ، مع سائر المسلمين من ناحية ثانية ، ولذا نجد أن البريطانيين والفرنسيين والروس ومن إليهم من سائر المستعمرين يصرّون على تعميم لغاتهم في كل البلاد المستعمرة لهم ، بل وفي غير المستعمرة ، وقد كان من أسباب سقوط العثمانيين أنهم أداروا ظهورهم للّغة العربية واهتموا بكل قواهم السياسية بالتريك ، حتى أن في البلاد الخاضعة لهم كانوا يصرّون على تعليم اللغة التركية للجيش وغير الجيش ، فكان الموظف التركي الرفيع المقام المسيطر على جماعة من الموظفين أو الأهليين يأخذ الأشياء ويسميها باللغة التركية ، ثم يطلب من المستمعين أن يكرروا تلك اللغة على ذلك الشيء ليتعلموا ، ومن أبىٰ منهم أو لم يتمكن التلفظ بلغة الترك كان يعرّض للعقاب من رئيسه بالضرب والسجن والإبعاد والغرامة وما أشبه .

مثلاً كان يأخذ بيده حجارة أو إناء ماء أو قطعة خبز أو قلماً أو محبرة أو كتاباً أو ما اشبه ثم يسمي ما أخذه بيده باللغة التركية ، ويطلب من السامعين ترديد ذلك اللفظ التركي ، فإذا أبوا أو لم يتمكنوا نالوا عقابهم ، وكان هذا بالإضافة إلى علل أُخرىٰ عاملاً في كراهة الأُمة الإسلامية لهم حتى إذا هجم عليهم الغرب لم يجدوا من يساعدهم في البقاء ، وقد رأينا كيف سقط البهلوي والملكيون الأول والثاني في العراق ، وملوك مصر وغيرهم ، فكان مثل هؤلاء من جهة عدم مساعدة المسلمين لهم ساعة الأزمة كما قال الشاعر في خليفة من الخلفاء العباسيين ، مات وخليفة آخر قام مكانه .

اللّه أكبر لا صبر ولا جلد	ولا عزاء إذا أهل البلا فقدوا
خليفة مات لم يحزن له أحد	وآخر قام لم يفرح به أحد

وقد نشر الإستعمار الغربي في البلاد غير العربية أن اللغة العربية لغة الإستعمار العربي ، وكان ذلك في قمته في الهند وأندونوسيا وبلاد أفريقيا وإيران وتركيا وما إلى ذلك من البلاد غير العربية ، بينما هنالك فرق بين الإستعمار وغير الإستعمار ، فالأول يجمع الخيرات لنفسه ويذل الأهلين أيما إذلال ، بينما الثاني يعز

الناس ويريد الخير للجميع ، ويرى المسلمين أُخوة ولعل الادل على ذلك أن الحكومات والعلماء والأثرياء الذين توالوا على بلاد الإسلام قبل دخول المستعمر ورواج القوميات كانوا من كل لغة وجنس حسب الأُخوة الإسلامية .

فمثلاً من الحكومات كانت حكومة العربي والفارسي والتركي والهندي وغيرهم ، ومن العلماء نرى العلامة والمحقق العربيين ، وشيخ الطائفة والكليني الإيرانيين ، والسيد مير حامد حسين ووالده الهنديين ، والإيرواني والمامغاني التركيين ، وإلى آخر القائمة الطويلة ، وقد رأينا ذلك في العراق حين كانت بقايا الإسلام ولو كصبابة إناء أو كحشاشة نفس قبل نصف قرن تقريباً وهكذا كان حال التجار ، فإنهم كانوا من كل اللغات والجنسيات .

ثم إن الإستعمار جعل اللغة العربية في بلاد العرب أيضاً متفرقة مكسرة حتى تنقطع صلة العرب بلغة الإسلام ولغة قرآنهم وسنتهم وتنقطع صلة بعضهم ببعض ، ومن لاحظ اللغة العربية العامية في العراق وفي سوريا وفي الحجاز رآها لغات ثلاثاً لا لغة واحدة والتفاهم بينهم ليس كتفاهم أهل لغة واحدة ، وكلها وإن كانت مشتقة من اللغة العربية لكنها ليست عربية ، وفي البلاد غير العربية أخذ الإستعمار بسبب عملائه يخرج الألفاظ العربية القليلة أيضاً في تلك البلاد ، مما بقيت من الحالة الإسلامية ، وبدّل مكانها الألفاظ المحلية ، وانظروا إلى إيران مثلاً في أيام الإسلام كيف مثل (مهيار) الديلمي و (صاحب بن عباد) و (الفيروز آبادي) صاحب القاموس و (بديع الزمان) الهمداني وغيرهم وغيرهم ، أما اليوم فلا أثر لأحدهم ، كما أنه في أيام الإسلام كيف انتجت (ابن سينا) و (الاخوند) الخراساني و (الشيخ الأنصاري) و (المجلسيين) ومن إليهم ، وحتى في الشعر الفارسي انتجت أمثال السعدي والحافظ ومن إليهما ، وكل ذلك كان من آثار الكتاب والسنة ، فإن التيار الكهربائي لو انقطع وقف كل الإنتاج من الإضاءة والتبريد والتسخين والحركة وغيرها .

نعم لما جاء الإسلام غمر النور البلاد كلها ، وعند غروبه إن بقي شيء فالباقي مثل أنوار الحباحب المنتشرة في أبعاد متفرقة .

يقول كتاب (التبشير والإستعمار) بما ننقله من دون ذكر أسماء الأشخاص

الذين ذكرهم لعدم الخصوصية في تلك الأسماء وإنما نجعل مكانها كلمة فلان والنقل أيضاً باقتضاب يقول المؤلفان :

[يرىٰ أكثر الهاجمين على استعمار الشرق أن تقطيع أوصال العرب بل المسلمين لا يمكن أن يتم ما دام هناك لغة واحدة يتكلمها العرب ويعبرون بها العرب والمسلمون عن آرائهم ، وما دام هناك حرف عربي يربط حاضر المسلمين إلى تراثهم الماضي ، فإذا حمل المبشرون والمستعمرون العرب على الكتابة باللغة أصبح لكل قطر عربي لغة خاصة به ، أو لغات متعددة ، ثم إذا هم استطاعوا أن يحملوا المسلمين على التخلي عن الحرف العربي واحلال الحرف اللاتيني مكانه انقطعت صلة العرب تماماً بأدبهم القديم وبالمؤلفات الدينية واللغوية والأدبية والتاريخية والفكرية ، وحينئذ يصبح العرب وحدات لغوية فكرية غير متعارفة ، ثم تتناثر هذه الوحدات مع الزمن فيسهل إخضاعها بجهد أيسر من الجهد الذي تحتاج إليه هذه الغاية الآن ، وكان زعيم الحركة الرامية إلى الكتابة بالعامية وبالحرف اللاتيني الإستعماريون الفرنسيون ، وعلى رأسهم المستشرق الفرنسي والموظف في قسم الشؤون الشرقية في وزارة الخارجية الفرنسية فلان ، ولقد حاول هذا الرجل أن يبث دعوته هذه في المغرب ، وفي مصر ، وفي سوريا ، ولبنان خاصة ، وكذلك سعى لهذه الغاية مبشرون واستعماريون من أمم أُخرى ، أما ما يتعلق

بلبنان خاصة وهناك محاولات عملية كثيرة لم تنجح ولن تنجح إن شاء الله .

ومن هذه قواعد اللهجة اللبنانية السورية تأليف الأب فلان ، ويحاول هذا الأب في مؤلفه هذا وضع قواعد ثابتة لهذه اللهجة ، والكتاب موضوع بالفرنسية ، والنصوص العربية منسوخة بالحرف اللاتيني ، والكتاب طبع في المطبعة اليسوعية التحفة العامية في قصة فلان

، نشرها الأب فلان اليسوعي

مؤلفه بلغة لبنان العامية ، وتمثل ناحية هامة من حياة اللبنانيين ، وهنالك محاولات كثيرة مثل هذه ، ومع أن جميع المحاولات الأولىٰ قد خرجت من المدارس الفرنسية ويجب أن نستثني من جملة هذه الحركة نفراً من الأساتذة ليس هذا رأيهم ، وبعد أن نامت فكرة الكتابة العامية بالحرف اللاتيني رجعت من جديد وتحت ستار تسهيل اللغة إلى الإستيقاظ وآخر ما ظهر في هذا الباب تبسيط قواعد العربية وتبويبها على أساس منطقي جديد تأليف الدكتور فلان ، أحد أساتذة التاريخ واللغات السامية في الجامعة الأمريكية في بيروت ، أما الأساس الجديد الذي يقترحه هذا المؤلف فهو موضع جدال كبير . ويبدو أن الدكتور المذكور يريد أن يجعل من اللغة العربية الفصحىٰ والحرف العربي مشكلتين يستحيل حلهما ، ولذلك هو يرى أن ينتقل العرب إلى الكتابة العامية وبالحرف اللاتيني أنه يبسط رأيه

هـذا عـلى منحني كبـير وبشيء من التهكم كـان يجب أن يترفع عنـه من يدعـو إلى أساس منـطقي جـديد ، انـه يقول : يـطالب مثلاً بعض النـاس بتبني الحـرف الـلاتيني تفسيـراً للقـراءة وتخفيضـاً لنفقـات الـطبـاعـة ونحن من المؤمنـين بهـذه النظرية ، ولن نرى حلاً للكتابة إلاَّ بتبني الحـرف الـلاتيني وضبط الكلمات فيه مـرة واحـدة ، وأمـا الذين لا يرون مشكلة في الأمر وهم من لم يمارس التعليم ، فيقـولون هؤلاء جمـاعـة خـارجـون عن العروبة والإسلام . ويطالب بعض الناس بتيسير قواعد العربية لتقرب من العامّية أو لرفع العاميـة لتقـرب من الفصحىٰ ، ويتسـاءل البعض الآخـر وهل العربية معقدة لنبسطها أو عسـيرة لنيسرها ، إنما أنتم جماعة خارجون على العروبة والإسلام ، لماذا يثور الناس كلما طالبنا بالتيسير ، لماذا يتهمونا بـالخروج ، الأمـر بسيط الجهـل الجهـل ، عـدو العرب الأكبر .

ويقول الدكتور : ولكن لا يصح اعتـماد اللغة كما تحدرت إلينا مدونـة مصدراً لـدراسة اللغـة في عهـودها السـابقة ، وذلـك لأن الـذين استنبـطوا قـواعـدهـا وضبـطوا أحكـامهـا اعتمـدوا الشعـر الجاهلي أولاً ، ثم القـرآن الكريم مـادة لغويـة ، ومتى كانت لغة الشعـر ولغة الأدب والـدين مرآة تعكس لغــة النـاس في معــاشهم ومكـاسبهم ، ويقـول : ولكن تجدر بنـا الإشـارة أولاً ، إلى أن الجمـع ـ أي جمع الكلمات في القـواميس ـ تنـاول

لغات عربية كثيرة ، وكان الحماس للجميع بالغاً مبلغه ، فأقحموا هذه الكثرة دون روية في التحقيق ، وليس في قولنا هذا ما يقلل من احترامنا لأولئك العلماء الأفذاذ ، ولكن عمل المعاجم لا يتم بالطريقة الفردية ، غير أن من يعرف لسان العرب أو التاج أو القاموس لا يستطيع إلاَّ أن يرفع قبعته إجلالاً لجامعيها ويقول فإن علينا في مواقفنا الرسمية أن لا نتكلم بلغة الأجيال الغابرة وأن نعبّر عن أحساسيسنا ودواخلنا بلغة وقفت في مجراها عند نقطة معينة في الزمان والمكان] .

ومن المعلوم أنه يقصد الدكتور بالنقطة المعينة ظهور الإسلام عندما أُحيطت بهالة من التقديس ، وعندما سيج حولها بسياج من الأحكام ، فوقفت في تطورها عند هذه النقطة من الزمان والمكان ، ويقول :

[نحن نعلم أن الفصحى بعد أن أصبحت لغة الدين واللغة الرسمية أخضعت للقيود التي يفرضها الصرفيون والنحويون ، غير أن منزلة العربية قضيت أن يسيج حولها بسياح من الأحكام والقواعد الشديدة ، ولكن نشاط العرب توقف عند زمن معين ، إذاً لا يمكن للشعب السامي أن يكون قد أسهم في خلق العلم والفلسفة ، والفن ، لأن أساس العلم والفلسفة والفن اللذة العقلية والشرف الروحي والرغبة الملحة في استجلاء غوامض الكون ، واللغة ظاهرة إنسانية لا علاقة لها بالإلّه ، ولم تهبط من شاهق ، بل نشأت من أسفل ، وتحاول هذه

المدرسة فرض هذه الفصحى بالشكل الذي
وصلت به إلى الناطقين بها من نقطة معينة
بالزمان والمكان على مجتمع ابتعد عن هذه النقطة
أو قل على مجتمع يسير مع الحياة ، فهو لا يعرف
الجمود ، أقول لنفسي : يجب أن تخضع العربية
لي وأن تلين لفكري لا أن يخضع فكري وعلمي
لقوالب معينة تروق لأذواق جيل من الناس ماتوا
منذ مئات السنين ، إننا ناقمون على القواعد .
إن وضع الأحكام يقيد اللغة انه يقف في مجراها
الطبيعي ويسد عليها الطريق كما حدث للغة
العربية الفصحىٰ ، فإن وضع الأحكام لها أوقف
عمل القواميس اللغوية عند نقطة معينة في الزمان
والمكان ، ولكن للناس أن يسألوا ماذا سيحل
بالقرآن الكريم ؟ وماذا سيحل بالأدب القديم ؟
وجوابنا هو : ان القرآن الكريم سيخلد ،
سيبقى على ما هو عليه كما بقيت كتب دينية
عديدة مع انحراف لغة الناس ، عن لغة هذه
الكتب ، ويصر الدكتور فلان بأن طبع الكتب
والمجلات بالحرف العربي ليس مشروعاً اقتصادياً
وأن الطبع بالحرف اللاتيني أكثر توفيراً للوقت
والمال ، انتهى باقتضاب] .

ومن المعروف أن أتاتورك فعل نفس الأمرين ، فغير اللغة العربية إلى لغة غير عربية ، كما غير الخط العربي إلى الخط اللاتيني . وأنا أذكر في العراق أبان المد الأحمر الشيوعي كيف كانت الجرائد والمجلات تكتب باللغة العامية ، والمشاهد الآن في إذاعاتنا العربية أنها تتكلم الفصحى وتتكلم اللغة العامية ، بحجج واهية ، والكلام في هذا المبحث طويل نكتفي منه بهذا القدر .

العمل ثمرة المقدمات :

ثم لا يخفى اهمية المناقشة التابعة للفكر ، ويراد بها المناقشة التي هي مقدمة للعمل ، فالعلم هو الأول ، والتفكير الثاني ، والمناقشة الثالث ، والعمل الرابع ، فبدون الرابع يكون كل ذلك بلا ثمر ، ولقمان وأبو ذر كما ذكر في الروايات كانا من الكادحين ، بعد أن كانا من المفكرين ، كما يجده الإنسان في تاريخهما ، من غير فرق بين أن يكون الفكر لأجل التخطيط للإنقاذ ، لأنه عمل أيضاً ، أو يكون لأجل الإيقاظ والإرشاد ، فإنه عمل أيضاً ، أو يقترنان في إنسان واحد ، بأن يفكر ويعمل أعمالاً جسدية أو ما أشبه .

ولذا نجد اهتمام الآيات والروايات بالعمل أكبر اهتمام فقد قال سبحانه : ﴿إن في خلق السماوات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء ، فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض ، لآياتٍ لقومٍ يعقلون﴾[1] . وقال سبحانه : ﴿ولقد مكناكم في الأرض ، وجعلنا لكم فيها معايش ، قليلاً ما تشكرون﴾[2] .

وقال تعالىٰ : ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين﴾[3] .

وقال سبحانه : ﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً﴾[4] .

وقال تعالىٰ : ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾[5] .

---

(١) سورة البقرة : الآية / ١٦٤ .
(٢) سورة الأعراف : الآية / ١٠ .
(٣) سورة الحجر : الآيتان : ١٩ ـ ٢٠ .
(٤) سورة طه : الآية / ٥٣ .
(٥) سورة الروم : الآية / ٤٦ .

وقال تعالىٰ : ﴿وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾[١] .

وقال سبحانه : ﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ، إن الله لذو فضل علىٰ الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾[٢] .

وقال سبحانه : ﴿فإذا قضيت الصَّلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾[٣] .

وقال تعالىٰ : ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾[٤] .

وقال سبحانه : ﴿والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً﴾[٥] .

وقال سبحانه : ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾[٦] .

وقال سبحانه : ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً﴾[٧]

وقال سبحانه : ﴿لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف﴾[٨] .

وقال سبحانه : ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أُنثىٰ وهو مؤمن فلنحيينه

---

(١) سورة فاطر : الآية / ١٢ .
(٢) سورة غافر : الآية / ٦١ .
(٣) سورة الجمعة : الآية / ١٠ .
(٤) سورة الملك : الآية / ١٥ .
(٥) سورة نوح : الآية / ١٩ .
(٦) سورة المزمل : الآية / ٢٠ .
(٧) سورة النبأ : الآيات / ٦ ـ ١١ .
(٨) سورة قريش .

حياة طيبة﴾[١] .

وقال تعالىٰ : **﴿فأما من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فعسىٰ أن يكون من المفلحين﴾**[٢] .

وقال تعالىٰ : **﴿ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأُولئك لهم الدرجات العلىٰ﴾** [٣] .

قال تعالىٰ : **﴿من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أُنثىٰ وهو مؤمن فأُولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً﴾** [٤] .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (كما لا يجتني من الشوك العنب كذلك لا ينزل الفجار منازل الأبرار ، وهما طريقان ، فأيهما أخذتم أدركتم) ، وفي رواية أُخرىٰ عنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (كما لا يجتني من الشوك العنب كذلك لا ينزل الفجار منازل الأبرار ، فاسلكوا أي طريق شئتم ، فأي طريق سلكتم وردتم على أهله) .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (إن لأحدكم ثلاث أخلاء منهم من يمتعه بما سأله فذلك ماله ، ومنهم خليل ينطلق معه حتى يلج القبر ولا يعطيه شيئاً ولا يصحبه بعد ذلك فأُولئك قريبه ومنهم خليل يقول : والله أنا ذاهب معك حيث ذهبت ولست مفارقك ، فذلك عمله إن كان خيراً وإن كان شراً)[٥] .

---

(١) سورة النحل : الآية / ٩٧ .
(٢) سورة القصص : الآية / ٦٧ .
(٣) سورة طه : الاية / ٧٥ .
(٤) سورة النساء : الآية / ١٢٤ .
(٥) الخصال ج ١ ص ١١٤ ح ٩٢

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم» قال : (يتبع الميت ثلاثة : أهله ، وماله ، وعمله ، فيرجع إثنان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ويبقىٰ عمله) .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم» : (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاّ من ثلاث : إلاّ من صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له)[١] .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم» : (سبعة أسباب يكتب للعبد ثوابه بعد وفاته : رجل غرس نخلاً ، أو حفر بئراً ، أو أجرىٰ نهراً ، أو بنىٰ مسجداً ، أو كتب مصحفاً ، أو ورث علماً ، أو خلف ولداً صالحاً يستغفر له بعد وفاته)[٢] [٣]

لكن الظاهر أن السبعة من باب المثال الغالب ، وإلاّ فكل خير يبقى يكتب ثوابه للعبد بعد وفاته كما يفهم ذلك بالملاك .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم» : (أفضل العمل الصَّلاة على ميقاتها ، ثم البر للوالدين ، ثم أن يسلم الناس من لسانك)[٤] .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم» قال : (سيد الأعمال ثلاث خصال : إنصافك الناس من نفسك ، ومواساتك الأخ في الله عزّ وجلّ ، وذكر الله تعالىٰ على كل حال)[٥] .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم» : (أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن تطرد عنه جوعته ، وتكشف عنه كربته)[٦] .

ومن وصاياه «صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم» لأبي ذر : (يا أبا ذر ، كن بالعمل بالتقوىٰ أشد اهتماماً منك بالعمل ، فإنه لا يقل عمل بالتقوى ، وكيف يقلّ عمل

---

(١) نحوه الوسائل ج ١٣ ص ٢٩٢ ح ١ .
(٢) الوسائل ج ١٣ ص ٢٩٢ ح ١ و ٢ ،
(٣) الوسائل ج ٣ ص ٢٩٣ ،
الخصال ج ١ ص ٣٢٣ ح ٩ ، تنبيه الخواطر ص ٣٥٢ .
(٤) الخصال ج ١ ص ١٦٣ ح ٢١٣ .
(٥) البحار ج ٩٣ ص ١٥١ .
(٦) الوسائل ج ١١ ص ٥٧٣ .

يتقبل بقول الله عزّ وجلّ : ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾)(٧) .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم» : (ثلاث من لم تكن فيه لم يقم له عمل : ورع يحجزه عن معاصي الله عزّ وجلّ ، وخلق يداري به الناس ، وحلم يرد به جهل الجاهل)(٢) .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم» : (ثلاث من لم يكن فيه لم يقم له عمل : ورع يحجزه عن معاصي الله عزّ وجلّ ، وعمل يرد به جهل السفيه ، وعقل يداري به الناس) (٣) .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم» : (ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا يعتدن بشيء من عمله : تقوى تحجزه عن معاصي الله عزّ وجلّ ، أو حلم يكف به السفيه ، أو خلق يعيش به في الناس) (٤) .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم» : (ثلاثة لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف) (٥) .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم» : (ما عمل من لم يحفظ لسانه) .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم» : (لو أن رجلاً جر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في طاعة الله عزّ وجلّ حقر ذلك يوم القيامة ، ولودَّ أنه يرد إلى الدنيا كي ما يزداد من الأجر والثواب)

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم» : (إن الله تعالىٰ يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه). وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم» ان الله تعالىٰ يحب من العامل

(١) مكارم الأخلاق ص ٤٦٨ ، البحار ج ٧٧ ص ٨٦ .
(٢) الخصال ج ١ ص ١٤٥ ح ١٧٢ ، البحار ج ٧١ ص ٣٩٢ .
(٣) تحف العقول ص ١٤ .
(٤) البحار ج ٧١ ص ٣٩٤ .
(٥) البحار ج ٧٧ ص ٨٥ .

إذا عمل أن يحسن) .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (العمل العمل ، ثم النهاية النهاية ، والإستقامة الإستقامة ، ثم الصبر الصبر ، والورع الورع ، إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم)(٢) .

وقال «عليه السَّلام» : (إنكم لاعراب الأعمال أحوج منكم إلى أعراب الأقوال) (٣) .

وقال «عليه السَّلام» : (إعملوا رحمكم الله على أعلام بينة ، فالطريق نهج يدعو إلى دار السَّلام ، وأنتم في دار مستعتب على مهل وفراغ والصحف منشورة ، والأقلام جارية ، والأبدان صحيحة ، والألسن مطلقة ، والتوبة مسموعة ، والأعمال مقبولة)(٤) .

وقال «عليه السَّلام» : (عجبت ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، يحب الصالحين ولا يعمل عملهم ، ويبغض المذنبين وهو أحدهم ، يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ، ويرجو لنفسه بأكثر من عمله ، يقصر إذا عمل ، ويبالغ إذا سأل ، فهو بالقول مدل ، ومن العمل مقل)(٥) .

وقال «عليه السَّلام» بالنسبة إلى صفة الطيبين من الزهاد : (كانوا قوماً من الدنيا وليسوا من أهلها ، فكانوا فيها كمن ليس منها ، عملوا فيها بما يبصرون ، وبادروا فيها ما يحذرون) (٦) .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (فأعلموا وأنتم في نفس البقاء ، والصحف منشورة والتوبة مبسوطة ، والمدبر يدعو والمسيء يرجو قبل أن يخمد العمل ،

---

(٢) البحار ج ٧١ ص ١٩٠ ، نهج البلاغة خطبة ١٧٦ .
(٣) غرر الحكم ج ١ ص ٢٩٠ ح ٩ .
(٤) نهج البلاغة خطبة ٩٤ .
(٥) نهج البلاغة حكم رقم ١٥٠ .
(٦) نهج البلاغة خطبة ٢٣٠ .

وينقطع المهل)[1] .

وقال «عليه السَّلام» : (عباد الله ، الآن فاعملوا والألسن مطلقة ، والأبدان صحيحة ، والأعضاء لدنة ، والمنقلب فسيح ، والمجال عريض ، قبل ارهاق الفوت وحلول الموت) [2] .

وقال «عليه السَّلام» : (فاعملوا ، والعمل يرفع ، والتوبة تنفع ، والدعاء يسمع ، والحال هادئة ، والأقلام جارية) [3] .

وقال «عليه السَّلام» : (من يعمل يزدد قوة ، من يقصر في العمل يزدد فترة) [4] .

وقال «عليه السَّلام» : (الشرف عند الله سبحانه بحسن الأعمال لا بحسن الأقوال) [5] .

وقال «عليه السَّلام» : (العلم يرشد ، والعمل يبلغ بك الغاية) [6] .

وقال «عليه السَّلام» : (بالعمل يحصل الثواب لا بالكسل) [7] .

وقال «عليه السَّلام» : (إن أحبكم إلى الله عزّ وجلّ أحسنكم عملاً ، وإن أعظمكم عند الله عملاً أعظمكم فيما عند الله إرادة)[8] .

وقال «عليه السَّلام» : (إعملوا قليلاً تنعموا كثيراً)[9] .

وقال «عليه السَّلام» : (جاء رجل إلى رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلَّم» قال : ما ينفي عني حجة الجهل ، قال : العلم قال : فما ينفي عني حجة

---

(١) نهج البلاغة خطبة ٢٣٧ .

(٢) نهج البلاغة خطبة ١٩٦ .

(٣) نهج البلاغة خطبة ٢٣٠ .

(٤) غرر الحكم ج ٢ ص ٦٢٧ ح ٣٤٥ و ٣٤٦ .

(٥) غرر الحكم ج ١ ص ٨٢ ح ١٩٤٦ .

(٦) غرر الحكم ج ١ ص ٩٢ ح ٢٠٨٣ .

(٧) غرر الحكم ج ١ ص ٣٣٤ ح ١١٧ .

(٨) الكافي ج ٨ ص ٦٨ .

(٩) تنبيه الخواطر ص ٤١٥ .

العلم ، قال : العمل)[١] .

وقال «عليه السَّلام» : (من أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه)[٢] .

وقال «عليه السَّلام» : (العمل شعار المؤمن)[٣] .

وقال «عليه السَّلام» : (العمل أكمل خلف)[٤] .

وقال «عليه السَّلام» : (الدين ذخر والعمل دليل)[٥] .

وقال «عليه السَّلام» : (بحسن العمل تجني ثمرة العلم لا بحسن القول)[٦] .

وقال «عليه السَّلام» : (الناس في الدنيا بالأموال وفي الآخرة بالأعمال)[٧] .

وقال «عليه السَّلام» : (دعا الله الناس في الدنيا بآبائهم ليتعارفوا ، وفي الآخرة بأعمالهم ليجازوا ، فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ ، ﴿يا أيها الذين كفروا﴾)[٨] .

وقال «عليه السَّلام» : (ثمرة العمل الصالح كأصله ثمرة الشيء كأصله)[٩] .

وقال «عليه السَّلام» : (المرء لا يصحبه إلّا العمل)[١٠] .

(١) تنبيه الخواطر ص ٥٢ .
(٢) البحار ج ٧١ ص ١٨٩ .
(٣) غرر الحكم ج ١ ص ١٨ ح ٤٦٢ .
(٤) غرر الحكم ج ١ ص ٢٠ ح ٥٣٧ .
(٥) عرر الحكم ج ١ ص ٤٢ ح ١٢٦٩ .
(٦) غرر الحكم ج ١ ص ٣٣٤ ح ١١٨ .
(٧) البحار ج ٧٨ ص ٣٦٨ .
(٨) البحار ج ٧٨ ص ٢٠٨ .
(٩) غرر الحكم ج ١ ص ٣٦١ ح ٦٢ .
(١٠) غرر الحكم ج ١ ص ٣٤ ح ١٠٤١ .

وقال «عليه السَّلام» : (القرين الناصح هو العمل الصالح)[١] .

وقال «عليه السَّلام» : (إعلم إن لكل عمل نباتاً ، وكل نبات لا غنى به عن الماء ، والمياه مختلفة ، فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته ، وما خبث سقيه خبث غرسه وأمرت ثمرته)[٢] .

وقال «عليه السَّلام» : (قليل تدوم عليه أرجى من كثير مملول منه)[٣] .

وقال «عليه السَّلام» : (إن فضل القول على الفعل هجنة ، وإن فضل الفعل على القول لجمال وزينة)[٤] .

وقال «عليه السَّلام» : (زيادة الفعل على القول أحسن فضيلة ، ونقص الفعل عن القول أقبح رذيلة)[٥] .

وقال «عليه السَّلام» : (أفضل الأعمال ما أكرهت عليه نفسك)[٦] .

وقال «عليه السَّلام» : (أفضل العمل ما أُريد به وجه الله)[٧] .

وقال «عليه السَّلام» : (أفضل الأعمال لزوم الحق)[٨] .

وقال «عليه السَّلام» : (أفضل العلم أدومه وإن قل)[٩] .

إلى غيرها من الروايات الكثيرة الواردة عنه «عليه السَّلام» وعن رسول الله قبله «صلىّ الله عليه وآله وسلَّم» وعن الإئمة الطاهرين بعدهما ﴿ع﴾

---

(١) غرر الحكم ج ١ ص ١٠٣ ح ٢١٧٩ .
(٢) نهج البلاغة خطبة ١٥٤ ، تنبيه الخواطر ص ٢٧٢ .
(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ١٦٩ .
(٤) غرر الحكم ج ١ ص ٢٣٦ ح ١٨١ .
(٥) غرر الحكم ج ١ ص ٤٢٥ ح ١٥ .
(٦) نهج البلاغة حكم ٢٤٩ ، البحار ج ٧٨ ص ٦٩ ، شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٨٣ .
(٧) غرر الحكم ج ١ ص ١٨٠ ح ١٣٠ ، غرر الحكم ج ١ ص ١٨٠ ح ١٣٠ .
(٨) مثله غرر الحكم ج ١ ص ١٨٧ ح ٢٣٩ .
(٩) تنبيه الخواطر ص ٥٢ .

مقومات الحركة الإسلامية :

مسألة: من أهم ما يلزم على الحركة الإسلامية العامة ملاحظة ثلاثة أُمور :

السلامة أولاً ، والصعود ثانياً ، والبقاء ثالثاً .

ولا يحتاج الأمر إلى برهان ، فإنه من القضايا التي قياساتها معها فهل تتمكن حركة بدون الثلاثة من أن تشق طريقها في الحياة ؟ ثم إذا لم تصعد الحركة كماً وكيفاً تبقى في زاوية صغيرة من الأرض كما بقيت عشرات الحركات كذلك سواء من الإسلاميين أو غير الإسلاميين .

ولنفرض أنه كانت الحركة سالمة وصعدت ، فإذا لم تكن فيها عناصر البقاء سقطت ولو بعد الوصول إلى القمة ، كما شاهدنا ذلك في حركات معاصرة إسلامية ، وغير إسلامية ، وكما حدثت أمثال هذه الأُمور في التاريخ .

وهذه المقومات الثلاثة تحتاج على أقل تقدير إلى خمسة أُمور :

الأول : إعطاء الحريات للناس غير الحركيين من قبل الحركيين بمعنىً عدم المساس بحرياتهم .

الثاني : المداراة .

الثالث : التزام السلم الصعودي التدريجي .

الرابع : التواضع ، بمعناه العام .

الخامس : سعة القاعدة حتى تتمكن القاعدة من تحمل البناء .

أما الأول : فلأن الحركة إذا لم تعط للناس الحرية توحّد الجميع على هدمها . فإن الإنسان الذي يحس بالكبت يهتم كل الإهتمام لأن يرفع الكبت عن نفسه والناس كثيرون ، والحركة مهما كانت فهي قليلة ، ولا شك أن الكثير يغلب القليل ولو في الخط البعيد ، والغالب أن يبدأ الأمر من أن الناس ينتقدون الحركة نفسها أو رجالها إجتهاداً أو حسداً أو تحريكاً أو ما أشبه ذلك . وهؤلاء الحركيون لا يتحملون فيردون ضعفاً أو اضعافاً على النقد ، وعادة يكون الرد

إتهاماً وسباً لاذعاً وما أشبه ذلك .

وهكـذا يسير الأمـر حتى يشعر النـاس بأنهم مكبـوتـون من جهـة الحـركـة فيجمعـون على لـزوم إبادة الحـركة فتـأخذ في الضمـور وينفضّ الناس من حـولها وأخيراً تموت ، وكم رأينـا من الحركـات قد أصـابها ذلـك ، ولذا ورد في الايـات والروايات التأكيد على حريـة الإنسان ،وإن الإنسـان يلزم عليه أن يقـابل السيئـة بالحسنة .

قال سبحانه : ﴿ويدرؤون بالحسنة السيئة﴾ .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليـه وآله وسلّم» انـه قال : (عليكم بـالعفو ، فإن العفو لا يزيد العبد إلاّ عزاً ، فتعافوا يعزكم الله)[١] .

وعن البـاقر «عليـه السَّلام» قـال : (الندامـة على العفـو أفضـل وأيسر من الندامة على العقوبة)[٢] .

وعنه «صلىٰ الله عليـه وآله وسلّم» أنـه أتىٰ إليه بـاليهوديـة التي سمّته فقـال النبيّ «صـلىٰ الله عليه وآلـه وسلّم» لها : (مـا حملك على مـا صنعت ؟ فقـالت : قلت : إن كـان نبياً لم يضره ، وإن كـان ملكاً أرحت النـاس منه ، قـال : فعفـا رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» عنها)[٣] .

وعن الرضا «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (قال رسول الله «صـلىٰ الله عليه وآله وسلّم» لليهودي الذي سحره ما حملك على ما صنعت : قال : علمت أنه لا يضرك وأنت نبي قال فعفا عنه رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم»)[٤] .

ولا يخفىٰ أن ما في بعض التواريخ من تأثير السحر في النبيّ كذب محض ، كما دل عليه العقل والنقل ، وهذه الرواية مرتبطة بفعل السحر لا بتأثيره .

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٨٨ ح ٥ ، الوسائل ج ٨ ص ٥١٩ ح ٢ .
(٢) الكافي ج ٢ ص ٨٨ ح ٦ ، الوسائل ج ٨ ص ٥١٩ ح ٤ .
(٣) الكافي ج ٢ ص ٨٩ ح ٩ ، الوسائل ج ٨ ص ٥١٩ ح ٣ .
(٤) انـظر الحلم والعفـو وكـظم الغيظ البحـار ج ٧١ ص ٣٩٧ بـاب ٩٣ .

وعن النبيّ «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» إنه قال لرجل : (أُوصيك بتقوىٰ الله والعفو عن الناس) .

وشكى رجل إلى رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» خدمه فقال له: (أعف عنهم ما ستصلح به قلوبهم ، فقال : يا رسول الله انهم يتفاوتون في سوء الأدب ، فقال أعف عنهم ففعل)[١] .

وكان رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلّم» (كما في الحديث) يأمر في كل مجالسه بالعفو ، وينهى عن المثلة وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (ما من عبد يعفو عن عبد في حال جهله إلّا زاده الله بذلك عزاً). وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» في قوله تعالىٰ : ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ قال : إذا كان يوم القيامة ينادي مناد : من كان له على الله أجر فليقم ، فيقوم عند ذلك أهل العفو ، فيدخلون الجنة بغير حساب ، وورد في الحديث ان : رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» لم ينتقم لنفسه من أحد قط بل كان يعفو ويصفح)[٢] .

وعن موسىٰ بن جعفر عن آبائه «عليهم السَّلام» عن النبيّ «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (من عفا عن أخيه المسلم عفا الله عنه)[٣] .

وعن النبيّ «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (ثلاثة ينزلون الجنة حيث يشاؤون إلى أن قال : ورجل عفا عن مظلمة)[٤] .

وعن عليّ بن الحسين «عليهما السَّلام» أنه قال : (من بدأ بالشر زيّف أصله ، ومن كافاه شاركه أهله) .

وعن ابن سنان عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» في خطبته : ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة ؟ العفو عمن ظلمك ، وأن تصل من قطعك ، والإحسان إلى من أساء

---

(١) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٨٧ .
(٢) انظر البحار ج ٧١ ص ٣٩٧ ، باب ٩٣ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) المصدر السابق .

إليك ، وإعطاء من حرمك ، وفي التباغض الحالقة ، لا أعني حالقة الشعر ، ولكن حالقة الدين) (١) .

وعن رسول الله « صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (خير أهل الدنيا وأهل الآخرة أخلاقاً من يعفو عمن ظلمه ، ومن يعطي من حرمه ، ومن يصل من قطعه من ذوي أرحامه ، وأهل ولايته) (٢) .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» أنه قال : (قال أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» لولده الحسن «عليه السَّلام» في وصيته إليه : ولا يكونن أخوك أقوىٰ على قطيعتك منك على صلته ، ولا تكونن علىٰ الإساءة أقوىٰ منك على الإحسان ، ولا على البخل أقوىٰ منك على البذل ، ولا على التقصير أقوىٰ منك على الفضل ، ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك ، فإنما يسعىٰ مضرته ونفعك ، وليس جزاء من سرك أن تسوءه) (٣) .

وعن الصادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال لعبد الله بن جندب ، يابن جندب : (صل من قطعك ، وأعطِ من حرمك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، وسلّم على من سبك ، وأنصف من خاصمك ، واعف عمن ظلمك ، كما أنك تحب أن يعفى عنك) (٤) .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (من كظم وهو قادر على إنفاذه دعاه الله تعالىٰ يوم القيامة على رؤوس الخلائق وخيّره أن يختار من الحور العين ما أراد) (٥) .

وقال «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (رأيت في ليلة المعراج غرفاً في أعلىٰ

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٨٧ ح ١ ، الوسائل ج ٨ ص ٥٢٠ ح ١ .
(٢) الكافي ج ٢ ص ٨٧ ح ٢ .
(٣) نهج البلاغة ص ٤٠٣ ، نسخة صبحي الصالح ، الوسائل ج ٨ ص ٥٢٢ ح ٧ .
(٤) تحف العقول ص ٣٥٣ .
(٥) انظر البحار ج ٧١ ص ٣٩٩ ، وص ٤٢٨ باب كظم الغيظ .

الجنة فقلت لمن هي ؟ قال : للكاظمين الغيظ وللعافين عن الناس وللمحسنين) .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (ليس القوي من يصرع الفرسان ، إنما القوي من يغلب غيظه ويكظمه)[٢] .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (ثلاثة يرزقون مرافقة الأنبياء : رجل يدفع إليه قاتل وليه ليقتله فعفا عنه ، ورجل عنده أمانة ولو يشاء لخانها فيردها إلى من ائتمنه عليها ، ورجل كظم غيظه عن أخيه ابتغاء وجه الله)[٣] .

وعن علي بن الحسين «عليهما السّلام» قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من أحب السبل إلى الله تعالىٰ جرعتان ، جرعة غيظ يردها بحلم ، وجرعة حزن يردها بصبر)[٤] .

وعن لقمان «عليه السّلام» : (من لا يكظم غيظه يشمت فيه عدوه)[٥] .

وعن سلمان الفارسي (رحمه الله) قال : (من كظم غيظه سلم ، ومن لم يكظمه ندم)[٦] .

وعن النبيّ «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (أعقل الناس أشدهم مداراةً للناس ، وأحزم الناس أكظمهم غيظاً)[٧] إلى غيرها من الروايات الكثيرة .

أما الثاني : وهو المداراة ، فينبغي أن تعلم أن الناس لا يتحملون المتفوق عادة مهما كان لونه ومهنته وعمله .

---

(٢) مثله في البحار ج ٧٧ ص ١٥٠ .
(٣) انظر البحار ج ٧١ ص ٣٩٩ وص ٤٢٨ .
(٤) الكافي ج ٢ ص ٩٠ ح ٩ ، الوسائل ج ٨ ص ٥٢٣ ح ٤ .
(٥) انظر البحار ج ٧١ ، ص ٣٩٩ ، وص ٤٢٨ ، وج ٧٣ ص ٢٦٢ .
(٦) المصدر السابق .
(٧) المصدر السابق .

قال سبحانه : ﴿أم يحسدون الناس على ما أتاهم من فضله﴾[١] .

والحركات بطبيعتها التفوقية التقدمية غير محتملة من قبل الناس ، ولا يمكن رفع هذا إلَّا بالمداراة إلى أبعد حد ، ولذا نجد في الروايات التأكيد على المداراة ، تأكيداً كبيراً :

فعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : جاء جبرائيل إلى النبيّ «صلىّ الله عليه وآله وسلّم» فقال : (يا محمد ربك يقرئك السَّلام ويقول : دارِ خلقي)[٢] .

وقال «صلىّ الله عليه وآله وسلّم» : (أمرني ربي بمدارة الناس كما أمرني بتبليغ الرسالة) [٣] .

وعن الباقر «عليه السَّلام» : سأل عنه عن رجل خبيث قد رأى منه جهداً ، هل ترىٰ مكاشفته أم مداراته ، فكتب إليه : (المداراة خير لك من المكاشفة ، وان مع العسر يسراً ، فإن العاقبة للمتقين)[٤] .

وعن الإمام العسكري «عليه الصَّلاة والسَّلام» : إن مداراة أعداء الله من أفضل صدقة المرء على نفسه ، وإخوانه ، كان رسول الله «صلىّ الله عليه وآله وسلّم» في منزله إذا استأذن عليه عبد الله بن أبي السلول ، فقال رسول «صلىّ الله عليه وآله وسلّم» : (بئس أخو العشيرة إئذنوا له فأذنوا له ، فلما دخل أجلسه وبشر في وجهه فلما خرج قالت عائشة : يا رسول الله ، قلت فيه ما قلت وفعلت به من البشر ما فعلت ؟ فقال رسول الله «صلىّ الله عليه وآله وسلّم» : يا حميراء إن شر الناس يوم القيامة من يكره اتقاء شره) [٥] .

وفي الرضوي : (إن الله تبارك وتعالىٰ أوحىٰ الله إلى رسول الله «صلىّ الله

---

(١) سورة النساء : الآية / ٥٤ .
(٢) الكافي ج ٢ ص ٩٥ ح ٢ ، الوسائل ج ٨ ص ٥٤٠ ح ٣ .
(٣) الكافي ج ٢ ص ٦٩ ح ٤ ، الوسائل ج٨ ص ٥٣٩ ح ١ وص ٥٤٠ ح ١ .
(٤) انظر البحار ج ٧٥ ص ٣٩٣ باب ٨٧ ، التقية والمداراة ، والوسائل ج ٨ ص ٥٣٨ باب ١٢١ ، استحباب مداراة الناس .
(٥) الكافي ج ٢ ص ٢٤٥ ح ١ ، باب من يُتقىٰ شرُه .

عليه وآله وسلّم» إني آخذك بمداراة الناس كما آخذك بالفرائض)[١] .

وفي رواية أُخرىٰ عنه : (إن المؤمن آخذ عن الله عزّ وجلّ الكتمان)[٢] .

وعن أبي الحسن الرضا «عليه السَّلام» قال : (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال : سنة ربه ، وسنة من نبيه ، وسنة من وليه ، فأما السنة من ربه فكتمان السر ، وأما السنة من نبيه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» فمداراة الناس ، وأما السنة من وليه فالصبر في البأساء والضراء)[٣] .

وعن عليّ بن الحسين «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه وصىٰ ولده الباقر «عليه الصَّلاة والسَّلام» قائلاً : (يا بني إن العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والعقل ترجمان العلم ، واعلم أن العلم أبقى واللسان أكثر زهداً ، واعلم يا بني أن صلاح الدنيا بحذافرها في كلمتين ، إصلاح شأن المعائش ، ملئ مكيال ، ثلثاه فطنة وثلثه تغافل لأن الإنسان لا يتغافل إلاَّ من شيء قد عرفه ، وفطن له)[٤] .

وعن النبيّ «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : لسلمان الفارسي : (يا سلمان الناس إن قارضتهم قارضوك ، وإن تركتهم لم يتركوك ، وإن هربت منهم أدركوك ، قال : فأصنع ماذا ؟ قال : أقرضهم غرضك ليوم فقرك)[٥] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (كمال الأدب والمروة في سبع خصال : العقل ، والحلم ، والصبر ، والرفق ، والصمت ، وحسن الخلق ، والمداراة)[٦] ، إلى غيرها من الروايات الكثيرة الواردة في هذا الباب بمختلف الألفاظ .

---

(١) فقه الإمام الرضا «عليه السَّلام» ص ٣٦٨ .
(٢) فقه الإمام الرضا «عليه السَّلام» ص ٣٦٨ .
(٣) الخصال ج ١ ص ٨٢ ح ٧ .
(٤) انظر البحار ج ٤٧ ص ١٥٣ ، والبحار ج ٧٥ ص ٣٠٨ ، والبحار ج ٧٨ ص ١٤٢ .
(٥) انظر البحار ج ٤٦ ص ٣١١ باب ٩٥ معنىٰ الفتوة والمروّة .
(٦) المصدر السابق .

وأما الثالث : وهو ملاحظة السلم الصعودي التدرجي ، فلأن الله سبحانه قد جعل الحياة ذات درجات ، والتفوق لا يكون إلّا بالتدرج ، وقد قالوا في المثل : (سريع النمو سريع الزوال) وكما لا يمكن في عالم الطبيعة انقلاب الطفل رجلاً كبيراً ولا إنقلاب النواة شجرة باسقة في ظرف سنة ، كذلك يكون أمر الحياة الاجتماعية وإلّا انقلب الأمر على الناهضين فعوض أن يتقدموا يتأخرون ، ولذا نجد في الروايات تأكيداً كبيراً على الصبر والأناة .

ففي رواية الجعفريات بسند الأئمة إلى علي «عليهم الصَّلاة والسَّلام» أنه قال في حديث : (والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد)[١] .

وعن عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلّم» : الصبر خير مركب)[٢] .

وقال «صلّى الله عليه وآله وسلّم» : (أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة : بدناً صابراً ، ولساناً ذاكراً ، وقلباً شاكراً ، وزوجة صالحة)[٣] .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (إن للنكبات غايات لا بد أن تنتهي إليها ، فإذا أحكم على أحدكم بها فليطأطىء لها وليصبر حتى يجوز ، وأن اعمال الحيلة فيها عند إقبالها زائد في مكروها)[٤] .

وكان يقول : (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فمن لا صبر له لا إيمان له)[٥]

وعن أبي عبد الله قال : (إن قوماً يأتون يوم القيامة يتخللون رقاب الناس حتى يضربوا باب الجنة قبل الحساب ، فيقولون : لم ؟ فيقولون : كنا من

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٧١ ح ٢ ، البحار ج ٧١ ص ٩٢ .
(٢) البحار ج ٨٢ ص ١٣٩ .
(٣) انظر البحار ج ٧١ ص ٥٦ باب ٦٢ الصبر ، وانظر الوسائل ج ٢ ص ٩٠٧ باب ٧٦ استحباب الصبر على البلاء .
(٤) البحار ج٧١ ص ٩٥ ، وج ٧٨ ص ٩٥ .
(٥) الكافي ج ٢ ص ٧٢ ح ٤ .

الصابرين في الدنيا)(١) .

وعن عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (إن من ورائكم قوماً يلقون من الأذىٰ والتشديد والقتل والتنكيل ما لم يلقه أحد من الأمم السابقة ، ألا وإن الصابر منهم الموقن بي العارف فضل ما يؤتىٰ إليه فيَّ لمعي في درجة واحدة ، ثم تنفس الصعداء فقال : آه آه ، على تلك الأنفس الزاكية ، والقلوب الراضية المرضية ، أُولئك أخلاّئي ، هم مني وأنا منهم)(٢) .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (أيها الناس سيكون بعدي أُمراء لا يستقيم لهم الملك إلاَّ بالقتل والتجبر ، ولا يستقيم لهم الغنىٰ إلاَّ بالبخل والتكبر ، فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر ، وهو يقدر على الغنىٰ منهم ، وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة منهم ، وصبر على الذل وهو يقدر على العز منهم ، ويريد بذلك وجه الله والدار الآخرة ، اعطاه الله أجر اثنين وخمسين شهيداً)(٣) .

وعن أبي حمزة قال : سمعت أبا جعفر «عليه السَّلام» يقول : (ثلاث أقسم إنهن حق ـ إلى أن قال ـ : ولا صبر عن مظلمة إلاَّ زاده الله بها عزاً)(٤) . إلى غيرها من الروايات الكثيرة ، والمراد بأمثال الصبر في المقام هو الصبر الإيجابي لا الصبر السلبي كما لا يخفىٰ .

وأما الرابع : وهو التواضع ، فإنه ضروري لمن يريد التقدم ، إذ التواضع يخفّف من شدة العداء والحسد اللذين هما من سمات الناس الذين لا يتمكنون من أن يروا المتفوقين عليهم .

فإذا رأى العدو عدوه متواضعاً تنزلت درجة عدائه من عشرة إلى خسمة ،

---

(١) انظر البحار ج ٧١ ص ٥٦ باب ٦٢ ، والوسائل ج ٢ ص ٩٠٧ باب ٧٦ .

(٢) انظر البحار ج ٧٥ ص ٣٠٥ باب ٧٩ ، الظلم وأنواعه وص ١٧ ، وص ٣٦٧ ، وص ٣٨٤ .

(٣) الكافي ج ٢ ص ٧٤ ح ١٢ .

(٤) انظر البحار ج ٧٥ ص ٣٠٥ .

ثم إلى ثلاثة ، وأحياناً إلى الصفر وقد قال سبحانه : **﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾** ، **﴿ولا يلقّاها إلاّ الذين صبروا ولا يلقّاها إلاّ ذو حظ عظيم﴾** (١) .

أما إذا رأى العدو أن المتفوق غير متواضع بقي على حسده . بل الأمر بين الصعود الخارجي كماً وكيفاً والهبوط النفسي تواضعاً ، وقد رأينا نحن كيف قامت حكومات وحركات وارتفع أفراد ثم سقطوا جميعاً بسبب عدم تواضعهم ، ولذا نرى جملة كبيرة من النصوص بهذا الصدد :

فعن عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (طوبىٰ لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، وتواضع من غير منقصة ، وجالس أهل الفقر والرحمة ، وخالف أهل الذل والمسكنة ، وأنفق مالاً جمعه في غير معصية) (٢) .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (كمال العقل في ثلاث : التواضع لله ، وحسن اليقين ، والصمت إلاّ من خير) (٣) .

وعن العسكري «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (أعرف الناس بحقوق إخوانه وأشدهم قضاءاً لها أعظمهم عند الله شأناً ، ومن تواضع في الدنيا لأخوانه فهو عند الله من الصديقين) (٤) .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» في وصيته عند موته : (عليك بالتواضع ، فإنه من أعظم العبادة) (٥) .

وقال «عليه السَّلام» : (بالتواضع تتم النعمة) (٦) .

---

(١) سورة فصلت ؛ الآيتان / ٣٤ ـ ٣٥ .
(٢) البحار ج ٧٥ ص ١١٩ وج ٦٩ ص ٣٨١ وج ٧٧ ص ٣٩٥ نقلاً عن تفسير علي بن إبراهيم القمي .
(٣) انظر البحار ج ٧٥ ص ١١٧ باب ٥١ التواضع .
(٤) البحار ج ٧٥ ص ١١٧ ـ ١١٨ .
(٥) البحار ج ٧٥ ص ١١٩ .
(٦) نهج البلاغة ص ٥٠٨ رقم الحكمة (٢٢٤) .

وقال «عليه السَّلام» : (ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله)[١] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : سمعته يقول : (إن في السماء ملكين موكلين بالعباد ، فمن تواضع لله رفعاه ، ومن تكبر وضعاه)[٢] .

وعن الكاظم «عليه السَّلام» أنه قال : (في الإنجيل : طوبىٰ للمتراحمين ، أُولئك هم المرحومون يوم القيامة ـ إلى أن قال ـ : طوبىٰ للمتواضعين في الدنيا أُولئك يرتقون منابر الملك يوم القيامة)[٣] .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» للراوي ، الذي هو هشام بن الحكم : (يا هشام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا ، وكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار ، لأن الله تعالىٰ جعل التواضع آلة العقل ، وجعل التكبر آلة الجهل ، ألم تعلم من شمخ إلى السقف برأسه شجه ، ومن خفض رأسه استظل تحته وأكنه ، فكذلك من لم يتواضع لله خفضه الله ، ومن تواضع لله رفعه)[٤] ـ إلى أن قال ـ «عليه السَّلام» : (وأعلم أن الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم ، ولكن رفعهم بقدر عظمته ومجده)[٥] .

وعن الجعفريات بسند الأئمَّة إلى علي «عليهم الصَّلاة والسَّلام» قال : (سمعت رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» يقول : لا حسب إلاَّ بالتواضع)[٦] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال في حديث(رأس الحزم التواضع)[٧] .

---

(١) البحار ج ٧٨ ص ١٣ .
(٢) الكافي ج ٢ ص ٩٩ ح ٢ .
(٣) تحف العقول ص ٤٥٨ .
(٤) تحف العقول ص ٤٦٣ ، البحار ج ٧٨ ص ٣١٢ .
(٥) تحف العقول ص ٤٦٥ .
(٦) البحار ج ٧٧ ص ١٦٨ .
(٧) البحار ج ٧٥ ص ١١٧ ، التواضع باب ٥١ .

وعن النبيّ «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (طوبىٰ لمن تواضع في غير منقصة ، وأذل نفسه في غير مسكنة ، وأنفق من مال جمعه من غير معصية)[١] .

إلى غيرها من الروايات :

وأما الخامس : وهو سعة القاعدة ، فكما أنه لا يمكن في الماديات بناء بيت وسيع أفقياً أو مرتفع عمودياً على قاعدة ليس لها السعة المناسبة والقوة المتينة ، كذلك الأمر في المعنويات .

ولذا فاللازم على القائمين بالنهوض ملاحظة النسبة بين القاعدة وبين البناء ، وهذا من كبرىٰ شعب الإتقان والحكمة وتدبر عاقبة العمل ونحوها ، مما أكدت الروايات عليها :

ففي رواية عن الرضا عن آبائه «عليهم السَّلام» قال : قال أمير المؤمنين «عليه السَّلام» : (التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم)[٢] .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : أتىٰ رجل إلى النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» فقال : (علمني ؟ فقال : عليك باليأس بما في أيدي الناس ، فإنه الغنى الحاضر ، قال : زدني يا رسول الله ، قال : إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته ، فإن يكون خيراً ورشداً فاتبعه وإن يك غياً فدعه)[٣] .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال لولده الحسين «عليه السَّلام» : (ومن تورط في الأمور بغير نظر في العواقب فقد تعرض للنوائب ، التدبير قبل العمل يؤمنك الندم)[٤] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال في وصيته لعبد الله بن جندب : (وقف عند كلّ أمر حتىٰ تعرف مدخله من مخرجه ، قبل أن تقع فيه فتندم)[٥] .

---

(١) البحار ج ٧٧ ص ٩٠ .
(٢) الوسائل ج ١١ ص ٢٢٣ ح ٢ ، الفقيه ج ٢ ص ٢٤٦ .
(٣) الوسائل ج ١١ ص ٢٢٤ ح ٧ ، المحاسن ص ١٦ ح ٤٦ .
(٤) الوسائل ج ١١ ص ٢٢٣ ح ٢ ، في وصية لمحمد بن الحنيفيّة : الفقيه ج ٢ ص ٢٤٦ .
(٥) تحف العقول ص ٣٥١ .

وعن رسـول الله «صلّىٰ الله عليـه وآله وسلّم» أنـه قال : (إذا هممت بـأمـر فتدبر عاقبته ، فإن كان خيراً فاسرع إليه ، وإن كان شراً فانته عنه)[١] .

وعن النبيّ «صـلّىٰ الله عليه وآلـه وسلّم» أنه قـال : (من نظر في العـواقب سلم في النوائب)[٢] .

وعن الـدرة الباهـرة قال : أوصىٰ آدم ابنـه شيث «عليهما السَّـلام» بخمسة أشياء : وقال لـه : (إعمل بهـا وأوصي بها بنيـك من بعدك ـ إلى أن قـال ـ : إذا عزمتم على أمر فانظروا إلى عواقبه ، فإني لو نظرت إلى عـاقبة أمـري لم يصبني ما أصابني)[٣] .

وعن عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (من ركب العجَل أدرك الزلل، من عجل ندم على العجل)[٤] إلى غير ذلك .

والحاصل أن فكرة الإنقاذ عبارة عن الحركة الهدفيـة بالمقـارنة بـأرفع أقسـام الأخلاق على طول الحياة ، فهو شبه العلم الـذي يروي عن الـرسول «صـلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد .

الأسباب المباشرة لإقامة حكم الإسلام :

مسألة: عـلى التيار الإسـلامي أن يهتم غايـة الإهتمام بـأربعة أُمـور ، هي الأسباب المباشرة لإقامة حكم الإسلام في البلاد ، فإن الحكم الإسلامي في ظروفنا الراهنـة (ولعلهـا تطول عـلى هذا النحـو) من أصعب الأُمور ، وإذا لم تتـوفر هـذه الأُمور الأربعة فقيام حكم الله في الأرض من قبيـل حصول المسبب بـدون السبب ، وقد جعـل الله الدنيا دنيا أسباب ، ولذلك كرر في القرآن الحكيم في قصة ذي القرنين ﴿ثمّ اتبع سبباً﴾ وقد أبىٰ الله أن يجري الأُمور إلاّ بأسبابها إلاّ في أوضاع الإعجاز .

فبعد الإتكال على الله سبحانه حتى يكون هو معطي السبب والمسبب يحتاج

---

(١) الوسائل ج ١١ ص ٢٢٣ ح ١ وص ٢٢٤ ح ٧ ، المحاسن ص ١٦ ح ٤٦ .
(٢) مثله في غرر الحكم ج ١ ص ٨٥ .
(٣) انظر البحار ج ٧١ ص ٣١٤ ، باب ٨٠ التفكر والأعتبار .
(٤) المصدر السابق .

الوصول إلى هذه الأمور :

الأول : ملاحظة المعادلات الدّولية العالمية ، فإنها وإن لم تكن تسمح بإقامة حكم الإسلام إطلاقاً ، إلاَّ أن هناك فرقاً بين ملاحظة هذه المعادلات، وبين عدم ملاحظتها .

إن الدول العالمية في هذا اليوم لاتسمح حتى بإقامة حكم الإسلام في جزء من أجزاء بلاد المسلمين ، فهل من المعقول أن تسمح بإقامة حكم الإسلام في كل العالم الإسلامي ؟ فمنذ أكثر من مائة سنة والمسلمون يريدون النهوض في كل هذه الأجزاء المتناثرة ، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك ، فهل يُقام حكم الإسلام بدون ملاحظة المعادلات الدولية ، وهل هذا شيء ممكن عادة وإن كان ممكناً عقلاً ؟ .

إنه في عقد واحدمن الزمن قتل الغرب والشرق وشرد وعوّق في مناطق محدودة من بلاد الإسلام أكثر من خمسة وعشرين مليون مسلماً ، ففي انفصال بنغلاديش عن باكستان قتلوا ثلاثة ملايين ، وفي أفغانستان قتلوا مليونين ، وأعاقوا مليونين ، وشردوا ستة ملايين ، وفي الحرب العراقية الإيرانية قتلوا وأعاقواأكثر من ثلاثة ملايين ، كما أن المشردين من إيران وحدها أربعة ملايين ، ومن العراق وحدها أكثر من ثلاثة ملايين ، ومن السودان في حرب قرنق شردوا أكثر من ثلاثة ملايين ، وهذا مع قطع النظر عن المعوقين والمشردين والمقتولين في السودان ، ولبنان ، وفلسطين ، وأرتريا ، والفلبين ، وغيرها .

نعم لسان حال الغرب والشرق بالنسبة إلى الإسلام والمسلمين ما قاله الشاعر :

الآن إذ نشبت مخالبنا به ... يرجو النجاة ولات حين فرار

الثاني : فهم الحكومة فهماً كاملاً ، فإن فهم الحكومة والحكم في الحال الحاضر صار من أصعب أقسام الفهم ، فكما أنه لكل من الطب والهندسة والفقه والقضاء وما أشبه فهم خاص ، فمن يسير في طريق الطب لا يكون مهندساً وكذلك بالعكس هكذا فهم الحكم .

إن حزباً إسلامياً يجاهد أكثر من نصف قرن ثم لا يصل إلى الحكم بل لا

يقــترب من الحكم ليس السر فيــه إلاَّ لأن فهم الحــزب للحكم دون المستــوىٰ المطلوب ، إن الرسول «صلّىٰ الله عليه وآله وسلَّم» كان يُرمىٰ بالحجارة ويهان أكبر إهانة ويُراد قتله فيقول : (اللَّهُمَّ اغفـر لقومي فـإنهم لا يعلمون) وبعدمـا استولىٰ على الحكم قال لمن قتلوا أقرباءه والمؤمنين به وصادروا أموالهم وشردوهم وعذبوهم بمختلف أنواع العذاب والإهانة : (إذهبوا فأنتم الطلقاء) ولم يقتـل صبراً لا عـالماً واحداً ، ولا ثريـاً واحداً ولا حـاكماً واحـداً ، ولا منافقـاً واحداً مـع ما لاقىٰ من الإضـطهاد منهم قبـل وصولـه إلى الحكم ، إلى أن إلتحق بالـرفيق الأعلىٰ ،حتى في أشـد القضايـا خطورة وهـو المؤامرة عـلى قتله ، بـل عفـا عمن سقتـه السم حتى استشهد من أثر ذلك .

وفي القرآن الحكيم في قصة مسجد ضرار قال سبحـانه : ﴿والـذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بـين المؤمنين وارصـاداً لمن حارب الله ورسـوله من قبل وليحلفن إن اردنا إلاَّ الحسنىٰ والله يشهد أنهم لكاذبون﴾ .

﴿لا تقم فيه أبداً لمسجد أُسس على التقوىٰ من أول يوم أحق أن تقـوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ .

﴿أفمن أسس بنيانه عـلى تقوىٰ من الله ورضـوان خير أم من أسس بنيـانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ .

﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلـوبهم إلاَّ أن تقطّع قلوبهم والله عليم حكيم﴾ (١) .

فمع أنهم كانوا ضارين وكافرين ومفرقين وجواسيس وأكثر من ذلـك وأنهم كانوا مستمـرين على هـذه الحالات كما تدل عليـه الآيات المتقـدمة لم يـزد رسولُ الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلَّم» على إحراق ذلك البناء ، وعدم إقامة الصَّـلاة فيه حسب نهي الله سبحـانه وتعـالىٰ له . لقـد فعل «صـلّىٰ الله عليه وآلـه وسلَّم» كل ذلـك حتى تمكن من شق طـريق حكم الإسـلام إلى الأمـام في عـالم ذلـك اليـوم المتفكك ، فكيف في عالم هذا اليوم المتشابك قيوداً وأصفاداً وأغلالاً .

---

(١) سورة التوبة : الآيات/١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ .

نعم إن هذا الأمر بحاجة إلى تفكير عميق مقدمة للعلم المناسب والعمل المناسب .

الثالث : الأفراد الصالحون حتى يقبلهم الناس لهم حكاماً ، وهذا أيضاً من أصعب الأمور .

إن حزباً إسلامياً تراه يبدأ مفكراً في إقامة حكم الله في الأرض ثم بعد عقود من الزمن لم نكن حصيلته إلّا جملة من المساجد ، وعدّة من الشباب ، وعدد من النشرات والكتب ، لأنه لم يرب نفسه على الإستعداد المطلوب ، نعم قال الشاعر :

أوردها سعد وسعد مشتمل ... ما هكذا يا سعد تورد الإبل

وليس هذا تهجماً بل تذكيراً والذكرىٰ تنفع المؤمنين ، وفي المثل (صديقك من يبكيك لا من يضحكك) .

ولا شك أن أعمال المخلصين منهم مرفوعة في عليين ، وأنهم مأجورون مثابون في خدماتهم الإسلامية ، إلّا أنها خدمات جمعية خيرية لا أُناس يريدون إنقاذ المسلمين ، ومن لم يقبل بهذا الكلام فلينتظر حتى يحكم الزمان بأنه هل كان تياراً إسلامياً عالمياً مطّرداً أو جمعية خيرية ، نعم لقد رأيت بنفسي شيوخاً كبار السن ابتدأوا قبل نصف قرن بهذا التفكير الرفيع وانتهوا إلى أن صاروا أئمة في مساجد متباعدة بمأمومين قليلين أو خطباء من الدرجة الثالثة أو ما أشبه ، وذلك لأن طريقهم لم يكن طريق الحكم ، بل رأيت بعضهم صاروا موظفين لحكومات كانوا هم أشد المناوئين لتلك الحكومات ، يقول سعدي في شعر له وهذا ترجمته :

أخاف أن لا تصل إلى الكعبة أيها الأعرابي ... فإن طريقك ذاهب إلى تركستان

الرابع : يجب تطبيق القانون الصالح للحياة لمستقى من الأدلة الأربعة للناس ، في كل أبعاد الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والتربوية والفكرية والعسكرية ، والأمنية وغيرها وذلك بمئات الملايين من الكتب والنشرات بمختلف الألسنة والمستويات وإلّا فإن الناس لا يبدلون طريقتهم في الحياة وعاداتهم إلى أُمور لا يعرفون هل أنها أنفع لهم أو أضرّ ، بل هل أنها أقرب إلى الإسلام أو

أبعد مما هم فيه ، فإن (سكارنو) الأندنوسي كان يريد تطبيق الإقتصاد الشيوعي باسم الإسلام ، وعبد السَّلام كان يريد تطبيق الإشتراكية في العراق باسم الإسلام ، والمجاهد الأكبر كما سموه في تونس كان ينقض الإسلام حجراً حجراً باسم الإسلام .

وما لم تتوفر هذه الأُمور الأربعة في الحركة الإسلامية كان طلب تطبيق الإسلام في حكومة البلاد من قبيل طلب المسبب بدون سلوك السبب .

الاستعداد لمسلك الحكومة الصعب :

الحكومة من أصعب الأُمور وهكذا الوصول إليها وحفظها . . واصعب من كل ذلك جعلها مثالية تستهوي الأفئدة حتى يقتدي الناس بها ، فهل الذين يريدون سلوك طريق النجاة للمسلمين مستعدون لتحمل كل هذه الصعوبات؟ .

إن أقل قدر من الكبر والعنجهية والغرور والغفلة توجب عدم الوصول إلى الحكم في المرتبة الأُولىٰ ، ومن المعلوم أن الله سبحانه جعل قانونية في الحياة في ضمن مليارات من القوانين لأجل الصعود والنزول ، فكما للفرد صعود ونزول حسب الموازين الكونية ، كذلك الجماعة الذين يريدون الصعود عليهم أن يعملوا ليل نهار بكل يقظة وحذر وتضحية حتى يصلوا إلى الحكم ، كما كانوا يسلكون الطريق الذي قرره الله سبحانه في أسباب الدنيا ، وقد أبى الله أن تجري الأُمور إلّا بأسبابها ، وقال سبحانه : **﴿كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك﴾**[1] .

ثمَّ أن بعضهم إذا وصلوا يأخذهم الكبر والغرور والغفلة وما إلى ذلك ، فيأخذون في طرد الناس من حولهم ، ويسقطون في النهاية ، أما الجماعة النشطة التي تكونت في رحم الزمان فهم الذين يصلون إلى الحكم مكان أُولئك الذين اغتروا بالمنصب والجاه والمال والخدم والحشم وما إلى ذلك ، وهكذا يدور الفلك يوماً عليهم ويوماً لهم .

وقد قال علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» : الدهر يومان ، يوم لك ويوم

---

(١) سورة الإسراء : الآية / ٢٠ .

عليك ، فإذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصبر .

وقال سبحانه وتعالىٰ قبل ذلك ﴿**وتلك الأيام نداولها بين الناس**﴾[١] .

ولعل الاذن في قوله تعالىٰ : ﴿**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله**﴾[٢] يُراد به الإذن التكويني ، وهو وجود المؤهلات والأسباب التكوينية .

والذي يقرّب هذا الاحتمال في الآية المباركة ما نجده من غلبة الباطل على باطل آخر مرة وبالعكس مرّة أُخرىٰ ، وغلبة الحق على الباطل غلبة مادية مرّة وغلبة الباطل على الحق غلبة مادية ، وإن الأنبياء كانوا يُقتلون كما في الآية الكريمة : ﴿**فلم تقتلون أنبياء الله من قبل**﴾ وفي بعض الأحيان كانوا يقتلون المتعدين عليهم من باب : ﴿**جزاء سيئة سيئة**﴾[٣] قال سبحانه : ﴿**يقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً**﴾[٤] وأن أحد الباطلين كان يهزم الباطل الآخر ، كما هزم بنو العباس بني أُمية ، وهزم المغول بني العباس .

أما الحق فلا إشكال في أنه دائماً مقدم على الباطل معنوياً ، فإن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه ، وقد قال سبحانه : ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه**﴾ .

وقد خلط يزيد بين الإرادة التكوينية والتشريعية حيث قرأ قوله تعالىٰ :

﴿**قل اللَّهُمَّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير**﴾[٥] على مسامع الإسراء من أهل البيت «عليهم الصَّلاة والسَّلام» في قصة الحسين «عليه السَّلام» الدامية ، فإنه أراد أن يبين أن الملك الذي أوتيه وسلب الملك الذي كان نصيب أهل البيت «عليهم الصَّلاة والسَّلام» إنما هما بإرادة الله التشريعية ، فهو الخليفة بالحق في قبال الحسين «عليه السَّلام» الذي نزع الملك منه ، بينما لم يكن

---

(١) سورة آل عمران : الآية / ١٤٠

(٢) سورة البقرة : الآية / ٢٤٩ .

(٣) سورة الشورىٰ : الآية / ٤٠ .

(٤) سورة التوبة : الآية / ١١١ .

(٥) سورة آل عمران : الآية / ٢٦ .

الكلام من يزيد أكثر من مغالطة واضحة ، فالأمر مرتبط بالتكوين لا بـالتشريع ، وإلاَّ فالذين كانوا يقتلون الأنبياء أيضاً خلفـاء الأرض بالإرادة التشريعـة!ولا يقول به مؤمن بالقرآن .

وعلى أي ، فـالحكم أمـر صعب الـوصـول ، لكن البعض ينظرون إلى الإنقلابات العسكرية ونحوها حيث بين عشية وضحـاها يصـل الشخص العادي إلى أعلىٰ درجات الدولة فيظنون أن الإنقلاب من صنع هؤلاء الزمرة من العسكـر ومن إليهم ، بينما وراء هذا الإنقلاب مليارات من البشر ، على ما ذكـرنا تفصيله في بعض الكتب المعنية بهذا الشأن .

إن نـاصر أو قاسم أو غـيرهمـا لم يصلوا إلى الحكم إلاَّ بمسـاعـدة القـوانـين العالمية بتصديق الإنقلاب والإنقلابيين ، ثم أن التخطيط كان من الأجـانب ، كما دلت عليه الأدلة .

فهذا النوع من الوصول إلى الحكم ليس محـل الكلام ، وإنمـا محل الكـلام الـوصول الصحيـح ولو الصحيـح عند الـذين يصلون وعند مجتمعـاتهم من بـاب (لكل قوم نكاح) .

والكلام الآن في أنه إذا أُريد الوصول إلى الحكم في بلاد الإسلام كان الأمر بحاجة إلى مليارات من الساعات من العمل الجاد ليل نهار ، عمـلاً بالمستـوى كماً وكيفاً ، فإذا رأى الإنسان جماعة يريدون الوصـول إلى حكم الإسلام أو بـالأحرىٰ يـريـدون إيصـال الإسـلام إلى الحكم ثم لم يكن بينهم شـورى ، ولا لهم جمع الكلمة ، ولا التواضع المنشود ، ولا الحل والعقد المطلوب ، ولا التقشف والزهد ولا الأخـذ بأسبـاب الدنيـا إلى غير ذلـك ، فـانهم لا يتمكنـون من شيء ينـوون الوصول إليه ، وحتى إن كانت نواياهم حسنة ، فإن النوايا الحسنة شيء والوصول إلى الخارج العملي آخر .

ثم بعد الوصول إلى الحكم فرضاً يعتبر بقـاء الحكم أمر صعب ، الواصل يجب عليـه أن يثبت أنـه رجـل دولـة ، فـإن الحكم ليس عبـارة عن الـرئـاسـة ، والوزارة ، والامارة ، والأمـر والنهي ، والمال والاعـلام ، والجيش ، وما اشبـه ،

بل انه فوق كل ذلك عبارة عن الإدارة الصحيحة داخلاً وخارجاً ، فإن الداخل بحاجة إلى عشرات الألوف من المقومات ، والخارج أيضاً بحاجة إلى عشرات الألوف من المقومات ، حتى يبقى هذا البناء الذي شيد رغم العواصف الداخلية والخارجية .

وهل الذين يريدون الوصول إلى حكم الإسلام فكروا في هذا الشأن تفكيراً جاداً ، وهل أنهم أعدوا العدة له ، إذ الإدارة ليست وليدة الساعة ، بل تحتاج إلى أسس ومقومات ، وإلاّ ففي المثل : (سريع النمو سريع الزوال) .

ثم ما هو البرنامج الذي يريدون أن يروه للناس ، ومن هم الأشخاص الذين هيأوهم لتحمل هذه المسؤولية وهل الناس يعرفونهم ويستعدون الإنضواء تحت لوائهم ؟ أو على الأقل السكوت عليهم ؟ إلى عشرات الأسئلة الأُخرىٰ ؟ .

وهذا الكلام ليس من جهة اليأس ، بل من جهة الحزم ، وفي المثل : (صديقك من يبكيك لا من يضحكك) ولا يفيد أن يقول الإنسان المريد لحكم الإسلام : اني أعمل بالكتاب والسنّة وأطبق عدل الإسلام فكل الحكام الذين حكموا بلاد الإسلام باسم الإسلام كانوا يقولون ذلك ، فالقائل ماذا يريد ؟ لو قال : إسلام رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» فإسلام رسول الله صحيح مائة في المائة لكن كيف يطبق في الحال الحاضر ، وهذا يحتاج إلى عشرات الأجوبة في مختلف الحقول : الإقتصادية ، والإجتماعية ، والسياسية ، والفكرية ، والتربوية ، والحربية ، والعسكرية ، والزراعية ، والصناعية ، والتجارية ، وغيرها وغيرها ، فإن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» تبعاً للقرآن ، قال اموراً (شخصية) لا يشك فيها اثنان كوجوب الصّلاة والصوم والحج ، وحرمة الخمر والزنا والقمار وما أشبه ذلك ، وقال (كليات) مثل **﴿أوفوا بالعقود﴾**[1] **﴿وذروا ما بقي من الربا﴾**[2] **﴿خلق لكم ما في الأرض﴾**[3] إلى الوف الكليات المذكورة في القرآن الحكيم والسنة المطهرة ، فهل العقود تشمل العقود

---

(١) سورة المائدة : الآية/١ .

(٢) سورة البقرة : الآية/٢٧٨ .

(٣) سورة البقرة : الآية/٢٩ .

الجديدة ، وهل الربا يشمل قدر العمل والعامل والمحل ، وهل ﴿لكم﴾ في الاية الكريمة على الاسلوب الشيوعي الشرقي ، أو الرأسمالي الغربي ، أو الإشتراكية بمختلف أقسامها التي تبنتها دول متعددة ، أو الإسلام له منهج خاص في الإقتصاد لا يشبه أحدها ، كما نرىٰ ذلك نحن ويراه جماعة من المفكرين الإسلاميين ، وهكذا حال الامور في سائر الحقول التي يحتاج إليها الإنسان المعاصر ، كحقل الإجتماع وغيره .

وبعد هذين الأمرين يأتي دور الأمر الثالث وهو هل يتمكن المسلمون بعد وصولهم إلى الحكم أن يظهروا الإسلام المثالي بحيث يدخل الناس في دين الله أفواجاً ؟ .

إن الرسول «صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم» لما طبق الإسلام كان بحيث يستهوي الأفئدة ويجلب القلوب ، ولذا بمجرد أن عرف الناس الإسلام أخذوا يتهافتون عليه تهافت الفراش على النور ، فما هي كيفية تطبيق الإسلام في الحال الحاضر بحيث يجلب الجماهير في الشرق والغرب ، ويكون تطبيقه في عين الناس أفضل من تطبيق الديمقراطية في نظر الديمقراطيين ومن قوانين حقوق الإنسان في نظر الغربيين ، إلى غير ذلك ؟ حتى يأخذ الإسلام دوراً جديداً في العالم يكون في مقبض الزمام لا مشابهاً لقوانين العالم أو أسوأ .

ثم ان الغرب في أول بزوغ الإسلام لم يكن مسيحياً وإنما اتجاه إلى المسيحية حكام بني امية ، وبني العباس ، وبني عثمان ، حيث أنهم هربوا من ظلم هؤلاء وأشباههم إلى المسيحية لتكون سداً واقياً لهم ، ولما رأوا المسيحية بقيادة الكنيسة تظلم أيضاً هربوا من المسيحية العملية إلى المسيحية الإعتقادية فقط ، حيث لا ربط لها بشؤون الحياة إطلاقاً ، واحتموا بالعلمانية والحرية التي أشاعوهما بينهم .

فهل يكون إسلام اليوم كإسلام اولئك ، أو كإسلام رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم» وهذا يحتاج إلى جهود الوف المفكرين في مختلف الحقول ممن يعرفون الإسلام كاملاً ويعرفون العالم المعاصر كاملاً ، وإلاّ فكل يدعي وصلاً بليلى . . والله الموفق وهو المستعان .

التكاتف فيما بين القوىٰ الإسلامية :

مسألة: من أهم الأُمور في النهضة الإسلامية العامة العالمية التعاون بين جميع النشاطات الإسلامية ، من المرجعية ، والتنظيمية ، والثقافية ، والمصرفية ، والصحية ، وغيرها .

فإن في المجتمع قوتين :

قوة الدولة وقوة الشعب .

أما الدولة : فإنها قوة كبيرة متعاونة مع نظائرها ولها إشعاعات في الداخل والخارج ، مثلاً في حرب لبنان (وهي بلدة كانت لا تشتمل على أكثر من ثلاثة ملايين) تدخل الغرب والشرق ، والقوة المسيحية المتصارعة مع القوة الإسلامية كانت تعمل بالوكالة فهل بإمكان جهة أو حزب أو جماعة أن تقف أمام هذه الحرب .

وهكذا الكلام في سائر الحروب وفي سائر المناهج الكبيرة الإقتصادية أو السياسية أو الإجتماعية أو غيرها .

إن أمريكا خرجت من ڤيتنام لأن الشرق كان في قبالها ، لا لأن الڤيتناميين بمفردهم تمكنوا من إخراجها .

وقد كان يعمل في الصين مائتا مليون إنسان كل يوم ويعطون أرباحهم وأثمان أتعابهم للڤيتناميين ـ كما ورد في التقارير التي ذكروها في ذلك الوقت ـ أي سدس وارد ألف ومائتي مليون إنسان كان مساعدة للڤيتناميين في قبال الأمريكيين والإتحاد السوفيتي كان يعطي لهم المال ، بلا حساب ، ثم الإعلام والدبلوماسية لنصف العالم كانت أمام أمريكا ، فإذا كان العالم هكذا فهل بإمكان جهة منفردة مهما كانت قوية أن تحظىٰ بإقامة حكم الإسلام .

إن قوة الحكومات تقف في جانب ولا يقف أمامها إلاَّ قوة الشعوب إذا أمكن جمعها لتقف في جانب آخر ، وهناك يتدخل لطف الله ونصره لينقذ المسلمين ، والكل يذكر أنه في حرب المسلمين مع اليهود في فلسطين هددت

أمريكا العالم بالحرب الذرية ، فمعنىٰ هذا إن وراء هذا الخمّار الذي يبيع الخمر في بغداد أو القاهرة أو أنقرة مثلاً تفلق القنابل الذرية في كلّ من واشطن وموسكو والصين ولندن وباريس وغيرها .

وليس هذا تضخيماً للأمر ، بل حقيقة ، ولا أقصد بهذا الكلام إنا لا نتمكن من غلق حانوت خمّار أو غلق مائة حانوت ، إن ذلك ممكن وإنما الكلام حول قلع جذور الخمر في بلاد الإسلام ككل ، وهذا كما يصدق في الخمر يصدق في الربا وفي الزنا ومنع الحجاج من الحج ، إن المستطيع في بلد إسلامي لا تقف أمامه حكومة معينة ، وإنما تقف أمامه كل الأنظمة في البلاد الإسلامية ، وهؤلاء بدورهم تقف إلى جانبهم كل الأنظمة العالمية ، صحيح أن البعض يمكنه أن يرشي الموظف ويذهب إلى الحج (والرشوة هذه تعتبر حلالاً بالنسبة إلى الحاج وحراماً بالنسبة إلى الموظف) لكن الكلام في تحرير الحج بالمعنىٰ العام ليرجع إلى حالته قبل نصف قرن ، حتىٰ يذهب الحاج إلى الحج ويكن سيد نفسه ويكون نظام الحج نظاماً إسلامياً لا غربياً حسب أوامر (غلادستون) وهكذا الراعي في بلد آخر لا يتمكن من إنتاج الشاة لماذا ؟ لأن القانون يمنعه . انه يتمكن من رشوة الموظف حتى يسمح له بتربية شاة أو شياه لكن ليس الكلام في ذلك بل الكلام في أن حكومة ذلك البلد داخلة في حقل الشرق أو الغرب وكلاهما اتحدا على أن يحيطا المسلمين ويؤخراهم ، وه، بنود الإتفاق عدم انتاج المسلمين للّحم ، وتفشي البطالة فيهم لكي يحتا. ـ إلى الغرب والشرق ، لا في اللحم فقط بل في الأرز والسمن والحنطة وغيرها أيضاً ، وهذه الحكومة كسائر الحكومات تنفذ هذه الخطة بإيعاز من اولئك أو عمالة لهم فهل بالإمكان والحال هذه في كلّ أبعاد الحياة أن ينجو المسلمون المتشتتون ؟ .

نعم الواجب تجميع النشاطات ، والتجميع بحاجة إلى مليارات من النشاطات الإيجابية والسلبية ، فالامور الجزئية كهداية شخص وتأليف كتاب ـ أو ألف شخص أو ألف كتاب ـ لا يكفي إطلاقاً ، بل الأمر بحاجة إلى مليارات من النشاطات ، بأن يجلس سيل من البشر المنضمّين بعضهم إلى بعض ـ من مرجعية وتنظيم ونشاطات أخر ـ مع كل فرد ويقنعوهم بالعمل ، وأولئك الذين يتكلم

معهم يطمئنون بأن هؤلاء الجماعة الذين انخرطوا في تيار الخدمة قابلون لأن ينضوي الناس تحت لوائهم ، وهكذا وهلم جرا مما يحتاج إلى عشر سنوات أو عشرين سنة أو ما أشبه ذلك حتى يدخل ملايين من البشر في هذا التيار ، وحينذاك يأذن الله سبحانه وتعالىٰ بالنجاة ، وقد قال الإمام عليّ «عليه السَّلام» : (فلما علم الله منا الصدق أنزل علينا النصر) أما أن يبني جماعة مساجد ويصدروا مجلات ويفتحوا مدارس ويربوا خطباء وما أشبه ذلك، فذلك غير كاف في إعادة حكم الإسلام ، نعم إنهم مأجورون ومثابون على كل تلك الأعمال(فمن بنى مسجداً بنى الله له بكل شبر مدينة في الجنة)وهكذا ، لكن هذه الأمور شيء والحكومة الإسلامية العالمية المطبقة لقوانين الإسلام شيء آخر .

إن بلاد الإسلام تزخر بالنشاطات والثروات ، والمخلصون من المسلمين أكثر من الكثير ، لكن هل ينفع الإخلاص في من يعالج مريضاً صعباً وهو لا يعرف الطب وهل يشافي الله مريضه بينما نرى أن الله سبحانه أبىٰ أن يجري الأمور إلّا بأسبابها وفي القرآن الحكيم ﴿فاتبع سبباً﴾[1] .

أما الإبتداء في ربط الحركات والنشاطات والمرجعيات والحوزات وما أشبه فهو يكون بأن يقوم جماعة تربوا تربية إسلامية صحيحة بالتوعية بنشر ملايين الكتب التوعوية حتى ينشأ النشيء على هذا الأساس الفكري ، ثم يأخذوا في اللقاءات الفردية والخطابات الجماهيرية لأجل التقريب في وجهات النظر ، فيضموا حركة إلى حركة ومرجعاً إلى مرجع وخطيباً إلى خطيب ، ودار نشر إلى دار نشر ومجلة إلى مجلة ، وهكذا حتى يأتي الأمر بالنتائج المطلوبة بإذن الله تعالىٰ ، وهذا الشيء إذا حدث فسرعان ما يستجيب المسلمون له ، فقد سلب الإستعمار من بلاد الإسلام كل شيء لا من حيث الدين فحسب ، بل من حيث السياسة والإقتصاد والتربية والإجتماع ، وغيرها ، فإقتصاديات بلاد الإسلام منهارة ، والبلاد بعضها منفصمة عن بعض ، وكلها تعانى من المفاسد ، وهكذا وهلم جرا ، نعم يجب أن يأخذ هؤلاء القائمون في حسابهم تحرك الإستعمار وعملائه

---

(١) سورة الكهف : الآية / ٨٥ .

من جانب لضرب الحركة،والجهلة والحساد من جانب آخر لإطفاء هذه الشعلة وقد ذكرت فيما تقدم هنا وفي سائر الكتب المعنية بهذا الشأن : إن اللاعنف واللين والرفق وما أشبه كفيلة بتضعيف هذه الحركات المضادة ولا شك في أن لطف الله سبحانه وتعالىٰ مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

إذا ضاقت بك الأحوال يوماً ‏ ‏ فثق بالواحد الفرد العلي
توسل بالنبيّ فكل خطب ‏ ‏ يهون إذا توسل بالنبيّ
ولا تجزع إذا ما ناب خطب ‏ ‏ فكم للّه من لطف خفي

كما أنّ اللازم في هذا الإطار تكوين المؤتمرات التي تجمع كل الفئات ، مثلاً يعقد مؤتمر يجمع الخطباء ، ومؤتمر يجمع رؤساء الحركات ، ومؤتمر يجمع الصحفيين ، ومؤتمر يجمع دور النشر وهكذا ، ثم بعد ذلك مؤتمرات تجمع أصحاب المؤتمرات كلاً أو بعضاً ، فإن في المؤتمرات تصقل الأفكار وتتعدل الآراء ، وتظهر مواضعُ الخلل ، وهكذا المؤتمرات توجب تصاعد الحركة كماً وكيفاً ، وإنتشاراً أو تقلصاً ، مثلاً المرحلة القادمة بحاجة إلى ألف إنسان وإلىٰ الجامعيين وإلى مد الحركة إلى مدينة كذا أو قرية كذا ، أو تقليص الحركة من الموضع الفلاني إلى غير ذلك ، وهكذا يعطي المؤتمر بُعد الإكتفاء الذاتي قوة واندفاعاً ، مثلاً يعممون لزوم تربية الدواجن ، أو الإستغناء عن الكماليات ، أو استعمال الفخار بدل الأواني الأجنبية وهكذا ، والمؤتمر يبحث أيضاً عن إمكانيات تحصيل الثروة لأجل الحركة ، كما يجتمع في المؤتمر أصحاب المال وأصحاب الأقلام وأصحاب الفكر ، ويتعاون بعضهم مع بعض ، وكلما تصاعدت المؤتمرات ضعفت القوة التي في قبال الحركة ، حتى تكون الحركة تياراً عارماً من أقصىٰ الشمال إلى أقصىٰ الجنوب ، ومن أقصىٰ الشرق إلى أقصىٰ الغرب ، وهناك تكون المقدمة اللازمة للانقاذ قد تمت والله المستعان .

صفات قائد المسلمين :

نذكر الصفات الواردة في الروايات لمن يتولىٰ شؤون المسلمين حتى يعمل بها التيار الإسلامي الذي يهدف إلى إقامة الدولة الإسلامية بإذن الله سبحانه

وتعالىٰ ، سواء في شورىٰ المرجعية أو في سائر الرؤساء قبل الوصول إلى الحكم ، أو بعد الوصول إليه ، وما نذكره من الروايات وإن كانت بعضها في صفات الإمام المنصوب من قبل الله تعالىٰ إلّا أن مقتضى الأسوة الإتباع مهما أمكن ، فقد قال علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (لا يتحمل هذا الأمر إلاَّ أهل الصبر والبصر والعلم بمواقع الأمر)[1] .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» في صفة الإمام : (مضطلع بالإمامة عالم بالسياسة)[2] .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (ثلاثة من كن فيه من الأئمَّة صلح أن يكون إماماً اضطلع بإمامته إذا عدل في حكمه ولم يحتجب دون رعيته وأقام كتاب الله تعالىٰ في القريب والبعيد)[3] .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (يحتاج الإمام إلى قلب عقول ، ولسان فؤول وجنان على إقامة الحق مبؤول)[4] .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : في وصف أمثال هؤلاء (عقلوا الدين عقل عناية ورعاية لا عقل سماع ورواية ، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل)[5].

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه)[6] .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (لا يقيم أمر الله سبحانه إلاَّ من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع)[7] .

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٣٦ .
(٢) الكافي ج ١ ص ٢٠٢ ، البحار ج ٢٥ ص ١٧٢ عن مشارق الأنوار .
(٣) الوسائل ج ١٨ ص ١٥٦ ح ٢ ، التهذيب ج ٦ ص ٢٢٧ ح ٧ .
(٤) غرر الحكم ج ١ ص ٨٧٣ ح ٥ .
(٥) غرر الحكم ج ١ ص ٢١٧ ح ٣٢ .
(٦) البحار ج ٢ ص ٥٦ ، شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٢٢٠ .
(٧) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٢٧٤ .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه)[١] .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (على أئمة الحق أن يتأسوا بأضعف رعيتهم حالاً في الأكل واللباس ، ولا يتميزون عليهم بشيء لا يقدرون عليه ليراهم الفقير فيرضىٰ عن الله تعالىٰ بما هو فيه ويراهم الغني فيزداد شكراً وتواضعاً)[٢] .

وقال «عليه السَّلام» فيما كتب إلى محمد بن أبي بكر : (وإن تكن لهم حاجة يواسي بينهم في مجلسه ووجهه ليكون القريب والبعيد عنده على سواء)[٣] .

وقال «عليه السَّلام» : (وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلهم بجهله ، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الجائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق فيقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الأمّة)[٤] .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إن أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون في دينكم وصلاتكم)[٥] .

وفي رواية أُخرىٰ عنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (إن أئمتكم قادتكم إلى الله فانظروا بمن تقتدون في دينكم وصلاتكم)[٦] .

وفي رواية أُخرىٰ عنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (قال الله تعالىٰ لدواد «عليه السَّلام» : حرام على كل قلب عالم محب الشهوات أن أجعله إماماً للمتقين)[٧] .

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ٩ ص ٣٢٨ .
(٢) نهج السعادة ج ٢ ص ٤٩ .
(٣) نهج البلاغة صبحي الصالح ص ٣٨٣ .
(٤) البحار ج ٢٥ ص ١٦٧ ح ٣٦ ، نهج البلاغة ج ١ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .
(٥) البحار ج ٢٣ ص ٣٠ ح ٤٦ ، قرب الإسناد ج ٣٧ .
(٦) البحار ج ٢٣ ص ٣٠ ح ٤٦ ، إكمال الدين ص ١٢٨ .
(٧) تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٤٤ .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (قال الله عزّ وجلّ : لأعذبن كل رعية في الإسلام أطاعت إماماً جائراً ليس من الله عزّ وجلّ وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية)(١) .

وعن علي «عليه الصّلاة والسّلام» أنه قال : (إن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وضل به فأمات سنة مأخوذة وأحيا بدعة متروكة وإني سمعت رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» يقول : يؤتىٰ يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحىٰ ، ثم يهتبط في قعرها)(٢) .

وعن الباقر «عليه الصّلاة والسّلام» قال : (إن أئمّة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله والحق ضلوا بأعمالهم التي يعلمونها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) (٣) .

وعن علي «عليه الصّلاة والسّلام» قال : (إن حقاً على الوالي أن لا يغيره على رعيته فضل ناله ولا طول خص به وإن يزيده ما قسم الله له من نعمة دنواً من عباده ، وعطفاً على إخوانه ألا وإن لكم عندي أن لا أحتجز دونكم سراً إلاّ في حرب ولا أطوي دونكم أمراً إلاّ في حكم ولا أؤخر لكم حقاً عن محله ولا أقف به دون مقطعه ، وأن تكونوا عندي في الحق سواء ، فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة)(٤) .

وقال «عليه السّلام» : (فقد جعل الله سبحانه وتعالىٰ لي عليكم حقاً بولاية أمركم ولكم عليَّ من الحق مثل الذي لي عليكم)(٥) .

---

(١) البحار ج ٢٥ ص ١١٠ ح ١ ، ثواب الأعمال ص ١٩٨ ـ ١٩٩ ، المحاسن ص ٩٤ ، الكافي ج ١ ص ٣٠٧ ح ٤ .
(٢) نهج البلاغة نسخة صبحي الصالح ص ٢٣٥ .
(٣) البحار ج ٢٥ ص ١١٠ ح ٢ ، الوسائل ج ١ ص ٩٠ ح ١ ، الكافي ج ١ ص ١٤٠ ح ٨ ، المحاسن ص ٩٣ ، الكافي ج ١ ص٣٠٦ ح ٢ .
(٤) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ١٦ .
(٥) مثله نهج البلاغة ج ١١ ص ٨٨ .

وعن الرضا «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (في صفة الإمام:مضطلع بالإمامة عالم بالسياسة)[١] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (إن الإمام لا يستطيع أحد أن يطعن عليه في فم ولا بطن ولا فرج فيقال كذاب ، ويأكل أموال الناس وما أشبه هذا)[٢] .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (ثلاثة من كن فيه من الأئمّة صلح أن يكون إماماً اضطلع بإمامته : إذا عدل في حكمه ولم يحتجب دون رعيته وأقام كتاب الله تعالىٰ في القريب والبعيد)[٣] .

وعن الإمام الحسين «عليه الصَّلاة والسَّلام» في كتاب إلى أهل الكوفة في جملة ذلك قال : (فلعمري ما الإمام إلَّا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط الدائن بدين الحق الحابس نفسه على ذلك)[٤] .

وعن الباقر «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (للإمام علامات أن يكون أعلم الناس ، وأحكم الناس وأتقىٰ الناس وأحلم الناس وأشجع الناس وأسخىٰ الناس وأعبد الناس)[٥] .

وهذه الرواية وإن كانت في الإمام المعصوم «عليه الصَّلاة والسَّلام» المنصوب من قبل الله سبحانه وتعالىٰ إلَّا إنا ذكرنا في المقدمة أن الإنسان يلزم عليه أن يقتدي بهم «عليهم الصَّلاة والسَّلام» حسب الإمكان ، لأنهم أسوة .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (إن الله تعالىٰ فرض على أئمَّة الحق أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كي لا يتبين بالفقير فقره)[٦] .

---

(١) الكافي ج ١ ص ١٥٧ .
(٢) الكافي ج ١ ص ٢٨٤ .
(٣) الوسائل ج ١٨ ص ١٥٦ ح ٢ ، التهذيب ج ٦ ص ٢٢٧ ح ٧ .
(٤) البحار ج ٤٤ ص ٣٣٤ .
(٥) عن الرضا «عليه السَّلام» إحتجاج الطبرسي ص ٢٤٠ ، البحار ج ٢٥ ص ١١٦ ح ١ ، معاني الأخبار ص ٣٥ ، الخصال ج ٢ ص ١٠٥ ، عيون الأخبار ص ١١٨ .
(٦) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٣٢ .

وفي رواية أبي عطاء قال : خرج علينا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب «عليه السَّلام» محزوم يتنفس فقال : (كيف أنتم وزمان قد أظلكم تعطل فيه الحدود ويتخذ المال فيه دولاً ويعادى فيه أولياء الله ويوالى فيه أعداء الله ، قلنا : فإن أدركنا ذلك الزمان فكيف نصنع ؟ قال : كونوا كأصحاب عيسىٰ «عليه السَّلام» نشروا بالمناشير وصلبوا على الخشب ، موت في طاعة الله عزّ وجلّ خير من حياة في معصية الله)[1] .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» في تحريض الناس على تغيير الولاة الجائرين ـ إلى أن قال ـ : (أفلا تسخطون وتهتمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم والأشرار الأراذل منكم) [2] .

ماذا سيفعل الإسلاميون عند الوصول إلى الحكم :

الإسلاميون بماذا يعدون الناس إن وصلوا إلى الحكم ؟ .

هذا سؤال يريد أن يعرفه الناس ، سواء المسلمون منهم أم غير المسلمين .

أما المسلمون فلكثرة ما رأوا من ظلم الأمويين والعباسيين والعثمانيين باسم الإسلام ، فلذا يخشون إن وصل الإسلاميون إلى الحكم يكرروا نفس الدور خصوصاً وأنهم يرون أن بعض الكتاب الإسلاميين يشيدون بالخلافة ولزوم إعادتها .

وأما غير المسلمين فإنهم يعرفون ـ إلى حدٍ ما ـ عبادات المسلمين ومعاملاتهم حيث طالعوا في الكتب أو رأوا مسلمين يعبدون الله في صلاتهم وصيامهم وحجهم ورأوا تعامل المسلمين بيعاً وشراءاً ورهناً وإجارة إلى غير ذلك ، أما الحكم الإسلامي فإنهم لم يروه حتى يعرفوا ماذا هو ؟ بالإضافة إلى ما ملئت به الكتب من أعمال الخلفاء المذكورين ومن إليهم من القتل والسلب والنهب

---

(١) نهج السعادة ج ٢ ص ٣٦٩ .
(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٩٩ .

ومصادرة الحريات والكبر وملء القصور بالجواري إلى غير ذلك ، وكلتا الطائفتين تريد أن تعرف :

أن الإسلام إذا أخذ بالزمام فماذا سيفعل ؟ .

الثاني : لو فرض أن القانون الإسلامي قانون ملائم للحياة وتقدمي لكن ماذا يضمن إجراءه الصحيح ، حيث رأى الناس المبادىء المتعددة التي لم يعمل بها أصحابها لما وصلوا إلى الحكم ، كانت تلك المبادىء في ظاهرها ، فما هو ضمان الإجراء ؟ .

والجواب : إن الإسلام إذا وصل إلى الحكم فإن مبادئه تحتم على الحاكمين أن يطبقوا هذه البنود :

الأول : توفير الدور لكل الناس حتى لا يحتاج إنسان إلى استيجار دار إلّا نادراً ، أو أقل من النادر كما فعله الرسول وعليّ «عليهما الصَّلاة والسَّلام» .

الثاني : تكون هناك لكل دار حديقة على الأغلب ، وإن لم يكن ذلك لازماً ، لأن الأراضي الفسيحة تكون في اختيار الناس ، وقد أكد في الروايات على غرس الأشجار فالكلي يشمل مثل ذلك .

الثالث : اقتناء الحيوانات الأليفة في الدار وغيرها حيث أكد في الإسلام على إقتناء جملة من الدواجن كالطيور والدجاج وما أشبه وذلك مما يزيد بهجة الحياة .

الرابع : تهيئة الملابس الكافية للشتاء والصيف ، مما تقتضيه الحرية الإسلامية المستلزمة لذلك من ناحية ، ووجوب النفقة للكثير من الناس على كثير من الناس من ناحية ثانية ، وما دل على لزوم إعطاء بيت المال كفاية الناس الفقراء من ناحية ثالثة .

الخامس : توفير وسائل الحياة الكافية لما ذكرناه .

السادس : الضمان الإجتماعي ، فإن بيت المال نوع من الضمان الإجتماعي لم يسبق له مثيل ، ولم يلحق به مثيل .

السابع : أدوات النظافة والتجميل لكل إنسان ومجتمع وعائلة وما إلى ذلك ، حيث إن الله جميل يحب الجمال ، وإن النظافة من الإيمان ، وحيث الحرية وحيث توفر المال .

الثامن : الطعام الكافي لا هذا فحسب ، بل الرغد في الطعام مما تدل على ذلك الروايات الواردة عن الرسول «صلّى الله عليه وآله وسلّم» حيث أن الله سبحانه أمر عباده بالإستفادة مما أخرجته الأرض قال سبحانه : ﴿**قل من حرم زينة الله التي أخرَج لعباده والطيبات من الرزق**﴾[1] إلى غير ذلك من الأدلة .

التاسع : وسائل الترفيه والتنزه ، حيث أمر بذلك الإسلام في سفر أو غير سفر ، وقد كانوا «عليهم السَّلام» يستطيبون الأسفار ، وقال الصَّادق «عليه السَّلام» في حكمة داود «عليه السَّلام» إن على العاقل أن لا يكون ظاعناً إلَّا في ثلاث : تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة في غير محرم [2] .

وعنه عن آبائه «عليهم الصَّلاة والسَّلام» في وصية النبيّ لعليّ «عليهما الصَّلاة والسَّلام» قال : (يا عليّ لا ينبغي للرجل العاقل أن يكون ضاعناً إلَّا في ثلاث : مرمة لمعاش ، أو تزود لمعاد ، أو لذة في غير محرم - إلى أن قال - يا عليّ سر سنتين بر والديك ، سر سنة صل رحمك ، سر ميلاً عد مريضاً ، سر ميلين شيع جنازة ، سر ثلاثة أميال اجب دعوة ، سر أربعة أميال زر أخاً في الله ، سر خمسة أميال أجب الملهوف ، سر ستة أميال أنصر المظلوم ، وعليك بالإستغفار) [3] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (سافروا تصحوا ، سافروا تغنموا)[4] .

---

(١) سورة الأعراف : الآية / ٣٢ .
(٢) المحاسن ص ٣٤٥ ح ٥ باب ١ .
(٣) الوسائل ج ٨ ص ٢٤٨ ح ٣ باب ١ .
(٣) المحاسن ص ٣٤٥ ح ١ باب ١ .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» في حديث قال : (سافروا تصحوا وصوموا تؤجروا ، وأغزوا تغنموا وحجّوا لم تفتقروا)[١] .

وفي الديوان المنسوب إلى عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال :

تغـرّب عن الأوطـان في طلب العـلىٰ وسـافـر ففي الأسفـار خمس فـوائـد
تـفـرج هـم وإكـتسـاب مـعيشـة وعـلم وآداب وصـحـبـة ماجـدِ
فـإن قيـل في الأسفـار ذل ومحـنـة وقـطع الفيـافي وارتكـاب شـدائـد
فمـوت الفتىٰ خـير لـه من مـقـامـه بـدار هـو ان بـين واش وحـاسـد

إلى غيرها من الروايات :

العاشر : التعاون بين الناس ، فقد قال سبحانه : ﴿**وتعاونوا على البر والتقوىٰ ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾[٢] بالإضافة إلى الروايات الكثيرة الواردة بهذا الشأن مما قد ألمعنا إلى بعضها فيما سبق .

الحادي عشر : كثرة المؤسسات والحسينيات والمكتبات وما أشبه للتحريض عليها في الروايات وغيرها ، وقد قال سبحانه :﴿**قال الذين غلبوا علىٰ أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً**﴾ [٣] وتقدم في الروايات التحريض على إبقاء الصدقة الجارية .

الثاني عشر : المرافق الكافية كالحمامات وما أشبه ، وقد ورد في بعض التواريخ أنه كان في بغداد في أبان الإسلام أكثر من ستين ألف حمام وثلاثمائة ألف مسجد ، وهذا الأمر طبيعي ، حيث المال المتوفر والأراضي المباحة والناس أحرار في تصرفاتهم ، وقد تقدم أن الخلفاء وإن كانوا جائرين لكن النظام العام كان نظاماً إسلامياً، والناس كانوا يتمتعون بخيرات الإسلام وأحكامه .

الثالث عشر : قلة الأمراض حيث طبيعة المآكل والمشارب والمساكن وما

---

(١) المحاسن ص ٣٤٥ ح ٢ باب ١ .
(٢) سورة المائدة : الآية / ٢ .
(٣) سورة الكهف : الآية / ٢١ .

أشبه على المناهج التي قررها الإسلام .

الرابع عشر : رخص الأدوية ، حيث الأدوية من نفس البلاد ، وقد شاهدنا ذلك قبل خمسين سنة حيث أن الإنسان كان إذا مرض لا تتعدىٰ مصاريفه العلاجية قدر القوة الشرائية لعشرين قرص خبز مثلاً ، بالإضافة إلى رخص الطبيب ونحوه ، وقد رأيت أنا أن الأطباء في الزمان السابق ، قبل ما يقارب نصف قرن كان حالهم حال كاسب متوسط أو دون المتوسط .

الخامس عشر : إنعدام الفقر ، حيث أن الفقر يكون سبب عدم الكسب أو عدم الحرية أو عدم السفر أو عدم الحيازة للمباحات أو ما أشبه ذلك ، والكل ينفيها الإسلام بالإضافة إلى بيت المال الذي يقوم بحاجة الفقراء والمساكين ، وقد ذكرنا ان الإنسان لو اقترض لحاجاته ولم يتمكن من الرد فعلى الإمام أن يسدد دينه .

السادس عشر : تعميم العلم ، لأن الإسلام أوجب العلم على كل مسلم ومسلمة ، كما تقدمت جملة من الأحاديث الدالة على ذلك ، ولهذا كانت الصبغة العامة للمسلمين العلم ، والثقافة والتفوق في العلوم .

السابع عشر : تعميم الفضيلة ، حيث أن جملة كبيرة من الآيات والروايات تؤكد على هذه الأمور من الصدق إلى الأمانة إلى الوفاء إلى الحياء إلى الغيرة إلى المروة إلى ما أشبه ذلك .

الثامن عشر : الأمن العام ، لا بمعنىٰ أمن هذه الأيام الذي هو عبارة عن الإستخبارات وما أشبه ، بل بمعنىٰ أن كل إنسان آمن على نفسه وماله وعرضه ، وأنّ كلّ إنسان حر في كلامه وعمله فلا يخاف من الكلام أو ما أشبه ذلك .

التاسع عشر : كثرة الإحسان فإن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذي القربىٰ ، والإحسان غير التعاون فإن التعاون من الجانبين كما هو مقتضىٰ باب التفاعل ، بينما الإحسان من جانب واحد .

العشرون : القضاء العادل البسيط الذي لا مصرف له ، كما فصّلنا ذلك في بعض كتبنا الإسلامية ، فإن ذلك هو المستفاد من الروايات المتواترة ، وقد

كانت عادة المسلمين ذلك إلى قبل نصف قرن تقريباً .

الواحد والعشرون : كثرة البساتين والمروج والمزارع ونحوها ، حيث الأراضي المباحة ، والأنهار الوفيرة والعمل الحر .

الثاني والعشرون : إنعدام العنس ، فكل الرجال متزوجون وكل النساء متزوجات قال سبحانه : ﴿**وانكحوا الأيامىٰ منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم**﴾[١] وقد كان بيت المال يعين علىٰ هذا الأمر ، حتىٰ إنه ورد (أن أحداً استمنىٰ في زمان علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» فزوجه علي «عليه السَّلام» من بيت المال) ، كما ورد إن علياً «عليه الصَّلاة والسَّلام» لما ورد الكوفة زوّج العاهرة بزوج حتى يقطع جذور الفساد .

الثالث والعشرون : وجود دور الرضاعة .

الرابع والعشرون : وجود دور الحضانة ، لأن الإسلام يحرض على البر والخدمة ، ودور الرضاعة ودور الحضانة من أقسام البر والخدمة ، لكن لا توجد دور العجزة ، لأن كبار السن يجب أن يكونوا بين أهليهم (كما فعله الغرب من نبذهم في محلات خاصة بهم) فإن كبار السن لهم احترامهم من ذويهم ومن إليهم ، نعم توجد دور للمعاقين وذلك للترفيه عنهم وخدمتهم لو لم يتمكن الأهالي من القيام بشؤونهم ، فعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (ثلاثة لا ينظر الله إليهم : المنّان بالفعل ، وعاق والديه ، ومدمن خمر)[٢] .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من أحزن والديه فقد عقّهما)[٣] .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إياكم ودعوة الوالد فإنها ترفع فوق السحاب ، حتى ينظر الله إليها فيقول : إليّ حتى أستجيب له ، وإياكم ودعوة

---

(١) سورة النور : الآية / ٣٢ .

(٢) البحار ج ٧٤ ص ٨٤ ح ٩٤ .

(٣) الوسائل ج ١٥ ص ١٢٣ ح ٤ باب ٢٢ .

الوالد ، فإنها أحد من السيف)[١] .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (الجنة دار الأسخياء ، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة بخيل ، ولا عاق والديه ، ولا منان بما أعطىٰ) .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (إن أبي نظر إلى رجل يمشي مع أبيه الأبن متكىء على ذراع أبيه ، قال : فما كلمه علي بن الحسين «عليهما السَّلام» مقتاً له حتى فارق الدنيا)[٢] .

أقول : لا يبعد أن يكون الولد مستحقاً لذلك وليس لهذه الفعلة فقط .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (ثلاثة من الذنوب تعجّل عقوبتها ولا يؤخر إلى الآخرة : عقوق الوالدين ، والبغي على الناس ، وكفر الإحسان)[٣] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» : (ان رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» حضر شاباً عند وفاته فقال له : قل لا إله إلاّ الله ، قال : فاعتقل لسانه مراراً ، فقال لامرأة عند رأسه : هل لهذا أم ؟ قالت : نعم أنا أمه ، قال : أفساخطة عليه ؟ قالت : نعم ما كلمته منذ ست حجج ، قال لها : إرضي عنه ، قالت : رضي الله عنه برضاك عنه يا رسول الله ، فقال له رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قل : لا إله إلاّ الله ، قال : فقالها ، فقال له النبيّ «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : ما ترىٰ ؟ فقال : أرىٰ رجلاً أسود قبيح المنظر وسخ الثياب منتن الريح قد وليني الساعة يأخذ بكظمي ، فقال له النبيّ «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قل : يا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير ، إقبل مني اليسير واعف عني الكثير إنك أنت الغفور الرحيم ، فقالها الشاب ، فقال له النبيّ «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : انظر ما ترىٰ ؟ قال : أرىٰ رجلاً أبيض اللون حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب قد وليني وأرى الأسود قد تولى عني ، قال : أعد فأعاد

(١) البحار ج ٧٤ ص ٨٤ ح ٩٤ .
(٢) الكافي ج ٢ ص ٣٤٩ ح ٨ .
(٣) البحار ج ٧٤ ص ٧٤ ح ٦٤ .

قال : ما ترىٰ ؟ قال : لست أرى الأسود وأرىٰ الأبيض قد وليني ثم طفىء على تلك الحال)[1] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» في قول الله عزّ وجلّ : **﴿وبالوالدين إحساناً﴾** قال : (الإحسان أن تحسن صحبتهما ولا تكلفهما أن يسألاك شيئاً هما يحتاجان إليه ، وإن كانا مستغنيين ، أليس يقول الله **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾** ثم قال أبو عبد الله «عليه السَّلام» : وأما قوله : **﴿اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُف﴾** قال : إن اضجراك **﴿فلا تقل لهما أُف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً﴾** ، قال : يقول لهما : غفر الله لكما فذلك منك قول كريم ، قال : **﴿واخفض لهما جناح الذّل من الرحمة﴾** قال: لا تملأ عينيك من النظر إليهما ، إلاّ برحمة ورقة ، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ، ولا يديك فوق أيديهما ، ولا تتقدم قدامهما)[2] .

وقال «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (أفضل الكسب كسب الوالدين ، وأفضل الخدمة خدمتهما ، وأفضل الصدقة عليهما ، وأفضل النوم بجنبهما)[3] إلى غيرها من الروايات الكثيرة مما يدل على إلزام الإسلام احترام الكبار .

الخامس والعشرون : تعميم الثقة بين الناس ، حيث إن الفضيلة والتقوىٰ المتفشيتين بين الناس توجبان أكبر قدر من الثقة ، بالإضافة إلى أن الإسلام أمر بحمل فعل الناس على الصحة .

السادس والعشرون : إعطاء القرض للمحتاجين ، لتواتر الروايات بذلك وقد تقدمت بعض الروايات الدالة على ذلك .

السابع والعشرون : توفير وسائل الصحة الكافية كالمستشفيات والمستوصفات والأطباء والصيادلة والمخازن الصحية وما أشبه ، وذلك لما تقدم من الأدلة العامة ، فعن النبيّ «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (من قام على

---

(١) البحار ج ٧٤ ص ٧٥ ح ٦٧ .
(٢) البحار ج ٧٤ ص ٣٩ ـ ٤٠ ح ٣ .
(٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٦٣٢ باب ٧٧ ح ١٢ .

مريض يوماً وليلة بعثه الله مع إبراهيم خليل الرّحمان فجاز على الصراط كالبرق اللامع)[١] ، وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (من أطعم مريضاً شهوتة أطعمه الله من ثمار الجنّة) .

الثامن والعشرون : المدن النظيفة ، فإن النظافة من الإيمان.والنظافة عامة لكل الأمور ، لا خاصة ببعض الأمور دون بعض ، وأيضاً تكون المدن واسعة ، والشوارع متسعة ، والأنهار جارية والأشجار قائمة في الشوارع وما اشبه ، وقد ورد الحديث عن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه أجرىٰ في مسجده نهراً ، وتكون الشوارع مبلطة إلى غير ذلك مما هو من هذا القبيل .

التاسع والعشرون : حسن الجوار بالنسبة إلى الكل ، وقد ورد في ذلك جملة من الروايات ، فعن أبي عبد الله «عليه السّلام» قال : (قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : البر وحسن الجوار زيادة في الرزق وعمارة في الديار)[٣] .

وعن الصّادق عن آبائه «عليهم السّلام» قال : (سمعت رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» يقول ـ إلى أن قال ـ أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً ، وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مسلماً)[٤] .

وعن الرضوي «عليه السّلام» قال : (وأحسن مجاورة من جاورك فإن الله تعالىٰ يسألك عن الجار).وقد روي عن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال :(إن الله تبارك وتعالىٰ أوصاني بالجار حتى ظننت أنه يرثني)، وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال رجل من المسلمين : يا رسول الله إن لي جارين إلى أيها أهدي هديتي أولاً ، فقال : أقربهما منك باباً وأوجبهما عنك رحماً ، فإن استويا في ذلك فإلىٰ أحسنهما مجاورة)[٥] .

---

(١) البحار ج ٨١ ص ٢٢٥ ح ٣٥ .
(٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٧٩ باب ٧٣ ح ١ .
(٤) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٧٩ باب ٧٣ ح ٢ .
(٥) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٧٩ باب ٧٣ ح ٣ .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره فوق ما يكرم به غيره)[١] ، وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من غلق بابه خوفاً من جاره على أهله وماله فليس جاره بمؤمن ، فقيل له : يا رسول الله فما حق الجار على الجار ؟ فقال من أدنىٰ حقوقه عليه إن استقرضه أقرضه ، وإن استعانه أعانه ، وإن استعار منه أعاره ، وإن احتاج إلى رفده رفده ، وأن عاده أجابه ، وإن مرض عاده ، وإن مات شيع جنازته ، وإن أصاب خيراً فرح به ، ولم يحسده عليه ، وإن أصاب مصيبة حزن لحزنه ، ولا يستطيل عليه ببناء سكنه ، فيؤذيه بأشرافه عليه ، وسد منافذ الريح عنه ، وإن أهدىٰ إلى منزله أهدى له منها إذا علم أنه ليس عنده مثلها أو فليسترها عنه وعن عياله إن شحت نفسه بها ، ثم قال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : اسمعوا ما أقول لكم ، لم يؤد حق الجار إلاّ القليل ممن رحمه الله ، ولقد أوصاني الله بالجار حتى ظننت أنه سيورثه . الحديث)[٢] .

وقيل لرسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتتصدق وتؤذي جارها بلسانها قال : لا خير فيها هي من أهل النار ، وفلانة تصلّي المكتوبة وتصوم شهر رمضان ولا تؤذي جارها فقال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : هي من أهل الجنة)[٣] .

(وشكىٰ رجل إلى رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» جاره فأعرض عنه ، ثم عاد فقال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» لعلي وسلمان ومقداد أذهبوا ونادوا:لعنة الله والملائكة على من آذىٰ جاره)[٤] .

(وقال في غزوة تبوك:من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره)[٥] .

---

(١) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٧٩ باب ٧٣ ح ٥ .
(٢) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٧٩ باب ٧٣ ح ٧ .
(٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٧٩ باب ٧٢ ح ١٣ .
(٤) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٧٩ باب ٧٢ ح ١٢ .
(٥) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٧٨ باب ٧٢ ح ٦ .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (المؤمن من آمن جاره بوائقـه)[١] ، وعن أبي ذر عن النبيّ «صلىٰ الله عليه وآلـه وسلّم» قال : (إذا طبخت فـأكثر من المرق ، وأقسم على الجـيران ، ومن آذىٰ جاره فعليـه لعنة الله والمـلائكة والنـاس أجمعين)[٢] .

وعن عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (ليس حسن الجوار أن تكف أذاك عن جارك ، بل حسن الجوار أن تحتمل أذىٰ جارك)[٣] .

وعن النبيّ «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (ليس بمؤمن من خـاف جاره غوائله كائناً من كان الجار)[٤] .

وعن النبيّ «صـلّىٰ الله عليه وآلـه وسلّم» قال : (حـرمـة الجـار عـلى الجـار كحرمة الأمهات على الأولاد)[٥] .

وعنـه «صلّىٰ الله عليـه وآله وسلّم» قـال :(خـير الجـيران عنـد الله خـيرهم لجاره ، وخير الأصحاب عند الله خيرهم لأصحابه)[٦] .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (من شرائط الساعة سوء الجـوار ، وقطيعة الرحم ، وتعطيل الجهاد) [٧] .

وروي : (إنه جاء رجل إلى النبيّ «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» وقـال : (إن فـلاناً جـاري يؤذيني قال أصبـر عـلى أذاه ، وكف أذاك عنـه ، فـما لبث أن جـاء وقال : يا نبي الله أن جاري قد مات ، فقال كفى بالدهر واعظاً ، وكفى بـالموت مفرقاً) [٨] .

---

(١) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٧٩ باب ٧٢ ح ١١ .
(٢) عوالي اللئالي ج ١ ص ٢٥٦ ح ٢٣ .
(٣) مستدرك الوسائل ص ٧٨ باب ٧١ ح ١ .
(٤) مستدرك الوسائل ص ٧٨ باب ٧١ ح ٢ .
(٥) مستدرك الوسائل ص ٧٨ باب ٧١ ح٣ .
(٦) مستدرك الوسائل ص ٧٨ باب ٧١ ح٤ .
(٧) مستدرك الوسائل ص ٧٨ باب ٧١ ح ٥ .
(٨) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٧٨ باب ٧١ ح ٦ .

وعن النبيّ «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (إن مكارم الأخلاق صدق الحديث ـ إلى أن قال ـ : والتذمم للجار)[١] .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من كان يؤمن بالله فلا يؤذين جاره)[٢] .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (ليس يدخل الجنة من يؤذي جاره ومن لم يؤمن جاره بوائقه)[٣] .

وعن الصّادق «عليه الصّلاة والسّلام» قال : (ملعون ملعون من اذىٰ جاره)[٤] .

وعن النبيّ «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إنه من مات وله جيران ثلاثة كلهم راضون عنه غفر له)[٥] .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (من آذىٰ جاره بقتار قدره فليس منا)[٦] .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من خان جاره بشبر من الأرض طوقه الله يوم القيامة إلى الأرض السابعة حتى يدخل النار)[٧] .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من منع الماعون من جاره إذا احتاج إليه منعه الله فضله يوم القيامة)[٨] ، وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إذا ضربت كلب جارك فقد آذيته)[٩] .

---

(١) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٧٨ باب ٧١ ح ١٠ .
(٢) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٧٨ باب ٧٢ ح ١ .
(٣) مستدرك الوسائل ج٢ ص ٧٨ باب ٧٢ ح ٢ .
(٤) الوسائل ج ١١ ص ٥١٩ باب ٤١ ح ٧ .
(٥) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٧٨ باب ٧٢ ح ٥ .
(٦) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٧٨ باب ٧٢ ح ٧ .
(٧) الوسائل ج ١٣ ص ٢٤٧ باب ٥ ح ٣ .
(٨) الوسائل ج ٣ ص ٥٩٠ باب ٢٧ ح ١ . .
(٩) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٧٨ باب ٧٢ ح ١٠ .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (هل تدرون ما حق الجار ؟ ما تدرون من حق الجار إلّا قليلاً ، ألا لا يؤمن بالله واليوم الآخر من لا يأمن جاره بوائقه ، وإذا استقرضه أن يقرضه ، وإذا أصابه خير هنأه ، وإذا أصابه شر عزّاه ، ولا يستطيل عليه في البناء ويحجب عنه الريح إلّا بأذنه ، وإذا اشترىٰ فاكهة فليهد له فإن لم يهد له فليدخلها سراً ، ولا يعطي صبيانه منها شيئاً يغايظون صبيانه ، ثم قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : الجيران ثلاثة : منهم من له ثلاث حقوق : حق الإسلام ، وحق الجوار ، وحق القرابة ، ومنهم من له حقان : حق الإسلام وحق الجوار ، ومنهم من له حق واحد : الكافر له حق الجوار)[1] إلى غيرها من الروايات الكثيرة .

الثلاثون : الحريات الكثيرة الصحيحة التي يعطيها الإسلام لكل إنسان كحرية الزراعة إلى التجارة إلى الصناعة إلى العمارة إلى الكتابة إلى غير ذلك ، مما ذكرناه في كتاب (الصياغة) وغيره ويدل عليه بالإضافة إلى الآية الكريمة : **﴿يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾**[2] قوله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم، بالإضافة إلى أن المحرمات محصورة في أمور خاصة ذكرناها في كتاب الواجبات والمحرمات ، وهذه الأمور ليست من المحرمات .

الواحد والثلاثون : السفر لمن أراد السفر بدون الموانع من تأشيرة أو جواز أو هوية أو رسوم أو جمارك وما أشبه ذلك .

الثاني والثلاثون : الإقامة لمن أراد الإقامة في أي البلاد شاء فإن الإنسان حر ، لا المسلم فحسب بل غير المسلم حر أيضاً في أن يقيم في أي بلاد الله سبحانه وتعالىٰ .

الثالث والثلاثون : العقوبات في الإسلام قليلة جداً ذكرت في كتاب الحدود ، وما أشبه ، وقد ذكرناها ملخصاً في كتاب (الفقه الدولة) فإن القوانين

---

(١) روضة الواعظين ص ٣٨٨ .

(٢) سورة الأعراف : الآية / ١٥٧ .

الكابتة قليلة جداً في الإسلام ، وبهذه المناسبة تقل المخالفة ، فلا عقوبات كثيرة كما في القوانين الوضعية .

الرابع والثلاثون : المعاملات الصحيحة الواقعية لا الباطلة ولا الكاذبة مما فيه غش أو ربا أو خيانة أو ما أشبه ذلك مما ذكره الفقهاء في كتاب المعاملات .

الخامس والثلاثون : الأقليات لهم حقوقهم ، ولهم حرياتهم ، وفي نزاعاتهم لهم الحق في أن يراجعوا قضاتهم أو قضاة المسلمين كما ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب القضاء وغيره .

السادس والثلاثون : الأخوة الإسلامية ، فالمسلمون كلهم أخوة ، متساوية حقوقهم متكافئة دماؤهم في جميع أبعاد الحياة فلا مسلم أجنبي في كل بلاد الإسلام ، لا كما فرّق الغربيون وعملاؤهم بين المسلمين ، فالإيراني في العراق أجنبي والعراقي في الباكستان أجنبي، إلىٰ آخر هذه القائمة المطبقة علىٰ بلاد الإسلام بالحديد والنار ، وقد قال علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)[1] .

السابع والثلاثون : الصناعة المتينة ، فإن البلاد الإسلامية كانت مركز الصناعات حتىٰ جمدتها الدول المسيطرة على بلاد الإسلام وتقدم الغرب الصناعي فتخلفت بلاد الإسلام وإذا قام الإسلام من جديد استأنفت الصناعة .

الثامن والثلاثون : الزراعة الكافية لبلاد الإسلام وغير بلاد الإسلام كما كان سابقاً إبان العهد الإسلامي .

التاسع والثلاثون : الضرائب في الدولة الإسلامية قليلة جداً وكما ذكرناها في الكتب المعنية بهذا الشأن ، هي : الخمس ، والزكاة ، والجزية ، والخراج فقط .

الأربعون : ضمان المستقبل للعجزة ومن إليهم فإن بيت المال يجب أن

---

(١) نهج البلاغة ، الكتاب ٥٣ .

يعطيهم بقدر حاجتهم ، كما ذكرنا تفصيله في كتاب الإقتصاد في مسألة بيت المال .

الواحد والأربعون : كل الأراضي مزروعة أو معمورة كما تقدم بعض الأحاديث في باب الزراعة وغيرها .

الثاني والأربعون : الأنهار جارية ، لأن الإسلام يحرّض على ذلك ، وقد استخرج علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» عيوناً كثيرة حتى ذكر بعضهم أن العيون التي استخرجها علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» زهاء أربعمائة عين ، ومن المعلوم أن الأنهار تتكون من العيون ، وكذلك حال القنوات والسواقي وسائر وسائل الريّ .

الثالث والأربعون : الحياة رغيدة ، فإن الله سبحانه وتعالىٰ أراد للإنسان أن تكون حياته رغداً ، قال سبحانه بالنسبة إلى بني إسرائيل : ﴿**وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين**﴾[1] .

الرابع والأربعون : قلة الفساد إلى أبعد حد ، فإن الفساد إنما ينشأ من الفقر والمرض والجهل ، والإستبداد أو ما أشبه ، فإذا قلع الإسلام جذورها لا يكون الفساد إلاَّ نادراً جداً .

الخامس والأربعون : كثرة النسل ، فإن كثرة النسل توجب تعمير البلاد وتوسعة العمران ، ولذا قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (تناكحوا تناسلوا تكثروا فإني مباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط)[2] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال ان فلاناً (رجل سمّاه) قال : (إني كنت زاهداً في الولد حتى وقفت بعرفة ، فإذا إلى جنبي غلام شاب يدعو ويبكي ويقول : يا رب والدي والدي ، فرغبني في الولد حين سمعت ذلك)[3] .

---

(١) سورة البقرة : الآية / ٥٨ .
(٢) البحار ج ١٠٣ ص ٢٢٠ ح ٢٤ .
(٣) الوسائل ج ١٥ ص ٩٥ باب ١ ح ٢ .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (لما لقىٰ يوسف أخاه قال : كيف استطعت أن تتزوج بعدي ؟ فقال : إن أبي أمرني فقال : إن استطعت أن يكون لك ذرية تثقل الأرض بالتسبيح فافعل)[١] .

(وعن الصَّادق «عليه السَّلام» ان أمير المؤمنين «عليه السَّلام» كان يقرأ : ﴿واني خفت الموالي من ورائي﴾ يعني أنه لم يكن له وارث حتى وهب الله له بعد الكبر)[٢] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (أكثروا الولد أكاثر بكم الأُمم غداً)[٣] .

وعن أبي الحسن «عليه السَّلام» قال : سمعته يقول : (سعد امرؤ لم يمت حتى يرىٰ خلفاً من نفسه)[٤] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (تزوجوا فإني مكاثر بكم الأُمم غداً في القيامة حتى إن السقط يقف محبنطئاً على باب الجنة فيقال له : ادخل فيقول : لا أدخل حتى يدخل أبواي قبلي)[٥] .

وروي أن السجاد «عليه الصَّلاة والسَّلام» سمع إنساناً يقول : بئس الشيء الولد ، إن عاش كدني وإن مات هدني ، فبلغ ذلك زين العابدين «عليه السَّلام» فقال : (كذب والله ، نعم الشيء الولد ، إن عاش فدعاء حاضر ، وإن مات فشفيع سابق)[٦] .

وعن النبيّ «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (الولد كبد المؤمن ، إن مات

---

(١) الوسائل ج ١٤ ص ٥ باب ١ ح ٩ .
(٢) الوسائل ج ١٥ ص ٩٥ باب ١ ح ٤ .
(٣) الوسائل ج ١٥ ص ٩٦ باب ١ ح ٨ .
(٤) الوسائل ج ١٥ ص ٩٦ باب ١ ح ٩ .
(٥) مكارم الأخلاق ص ١٩٦ .
(٦) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٦١٤ باب ١ ح ٧ .

قبله صار شفيعاً ، وإن مات بعده يستغفر الله له فيغفر له)[١] .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (الولد الصالح أجمل الذكرين)[٢] .

وعن النبيّ «صلىّ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (رحم الله أبا البنات ، البنات مباركات محببات والبنون مبشرات وهنّ الباقيات الصالحات)[٣] .

السادس والأربعون : قلة المشاكل ، فإن المشاكل إنما تتولد من الفقر أو من المرض أو من الجهل ، أو من الفوضى أو من عدم الإيمان أو من سوء الأخلاق أو من الإستبداد أو ما أشبه ، وإذا قلع الإسلام جذور هذه الأمور قلت المشاكل كما رأينا ذلك قبل نصف قرن في العراق من قبل أن يستولي الإستعمار كلياً على تلك البلاد .

السابع والأربعون : رخص الأسعار ، فإن الأراضي إذا كانت لكل من يحييها والمباحات لمن سبق إليها وكانت الزراعة والتجارة والعمارة والصناعة ، وما أشبه حرة تكون الأسعار رخيصة كما كان في الزمان السابق وقد شاهدنا أواخرها قبل نصف قرن .

الثامن والأربعون : طيب الهواء وعدم التلوث ، فإن كثرة المياه وكثرة الأشجار وعدم تلوثها وسعة البيوت والشوارع وما أشبه ذلك توجب طيب الهواء ، وكل هذه الأمور أكدت عليها الشريعة الإسلامية ، وقد ورد بالنسبة إلى سعة المنزل روايات .

فعن الجعفريات بسند الأئمّة إلى عليّ «عليهم الصَّلاة والسَّلام» قال : (قال رسول الله «صلىّ الله عليه وآله وسلّم» : من سعادة المرء المسلم الزوجة الصالحة والمسكن الواسع والمركب الهنيء والولد الصالح)[٤] .

---

(١) عوالي اللئالي ج ١ ص ٢٧٠ ح ٧٨ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٧١ ح ٢٢٣٠ .
(٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٦١٥ باب ٣ ح ٣ .
(٤) البحار ج ١٠٤ ص ٩٨ ح ٦٤ .

وعن الرضوي «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (نروي كبر الدار من السعادة)[١] .

وفي رواية (ان أبا الحسن «عليه الصَّلاة والسَّلام» سئل عن أفضل عيش الدنيا ، فقال : سعة المنزل وكثرة المحبين)[٢] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (من السعادة سعة المنزل)[٣] .

وعنه «عليه السَّلام» قال : (ثلاثة للمؤمن فيها راحة ، دار واسعة تواري عورته وتستر حاله من الناس ، الحديث)[٤] .

وعن بشير قال سمعت أبا الحسن «عليه السَّلام» يقول : (العيش السعة في المنزل والفضل في الخدم)[٥] .

وفي وصية النبيّ لعليّ «عليهما الصَّلاة والسَّلام» : (يا علي العيش في ثلاثة ، دار قوراء ، وجارية حسناء ، وفرس قباء)[٦] .

وعنه «صلّى الله عليه وآله وسلّم» قال : (من سعادة المسلم سعة المسكن ، والجار الصالح ، والمركب الهني)[٧] .

وعنه «صلّى الله عليه وآله وسلّم» قال : (من سعادة المرء أن يتسع منزله)[٨] .

وعنه «صلّى الله عليه وآله وسلّم» قال : (من سعادة المرء المسلم المسكن

---

(١) مستدرك الوسائل ج ١ ص ٢٤٣ باب ١ ح ٢ .
(٢) المحاسن ص ٦١١ باب ٣ ح ٢٤ .
(٣) المحاسن ص ٦١٠ باب ٣ ح ٢٠ .
(٤) المحاسن ص ٦١٠ باب ٣ ح ١٨ .
(٥) البحار ج ٧٦ ص ١٥٢ ح ٢٨ .
(٦) البحار ج ٧٦ ص ١٤٨ ح ١ .
(٧) الوسائل ج ٣ ص ٥٥٨ باب ١ ح ٨ .
(٨) البحار ج ٧٦ ص ١٥٢ ح ٢٢ .

الواسع)[١] .

إن نظرة إلى قوانين الإسلام تعطى هذه الأُمور التي ذكرناها بإيجاز وقد ذكرنا تفصيلها في كتب السياسة والإقتصاد والإجتماع والسبيل والصياغة ونريدها حكومة إسلامية ، وإلى حكم الإسلام والحكم في الإسلام ، والحقوق والإدارة ، والدولة ، والممارسة ، وغيرها ، ولذا نوكل الأمر إلى تلك الكتب بدون الإستدلال على كيفية إعطاء الإسلام هذه الأُمور للذين ينضوون تحت لواءه ويلتزمون بأوامره ، وليس الأمر اعتباطاً ، بل الإسلام دقيق إلى أبعد حدّ ، فإن ميزانه في الأُمور كافة دنيا وآخرة ما ذكره سبحانه في القرآن الحكيم : **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾**[٢] ولذا نرىٰ الإسلام يراقب حتى القلب قال سبحانه : **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾**[٣] وإذا أراد إنسان أن يكتب تفصيل ما ذكرناه مما جعل الإسلام مناهجه مبنية عليه لاحتاج إلى مجلدات .

التاسع والأربعون : الإنتخابات حرة ، فإن رئاسة الدولة إنما تكون لمن يكون مرضياً لله سبحانه وتعالىٰ ومشتملاً على الشرائط المذكورة في كتاب (التقليد) بالإضافة إلى اختيار الناس له بكمال الحرية ، كما نشاهد الآن ان الناس ينتخبون مراجع تقليدهم كذلك ، ومرجع التقليد هو رئيس الدولة ، فإن كان واحداً منحصراً فهو ، وإلَّا فتكون رئاسة الدولة حسب شورىٰ المرجعية في زمان غيبة الإمام «عليه الصَّلاة والسَّلام» كما ذكرناه في جملة من الكتب .

الخمسون : اللاعنف في جميع مجالات الحياة .

ضمان التطبيق :

لو فرض ان القانون الإسلامي قانون ملائم للحياة وتقدمي ، لكن ماذا يضمن إجراءه الصحيح ، حيث رأىٰ الناس المبادىء المتعددة ، التي لم يعمل بها

---

(١) الوسائل ج ٣ ص ٥٥٨ باب ١ ح ٥ .

(٢) سورة الزلزلة : الآية / ٧ .

(٣) سورة النساء : الآية / ٦٥ .

أصحابها لما وصلوا إلىٰ الحكم ، فما هو ضمان الإجراء والتطبيق ؟ .

الجواب : أمران :

الأول : الوعي المتزايد عند المسلمين حتى لا يتمكن أحد من استغلالهم وتحريفهم .

الثاني : المؤسسات الدستورية الحافظة للإنتخابات الحرة ، حيث ذكرنا هذا الأمر أيضاً في الكتب السابقة فلا حاجة إلى الإعادة .

نعم لا شك أن المسلمين وغير المسلمين يلزم أن يلمسوا هذين الأمرين قبل وصول الإسلاميين إلى الحكم ، بمعنى أنه لا بد للإسلاميين قبل وصولهم إلى الحكم أن ينشروا ما لا يقل من مليار ونصف مليار من الكتب التوعوية ، وهذا أقل قدر من الثقافة التي يجب نشرها بين المسلمين ، بأن يكون لكل مسلم كتاب واحد ، بالإضافة إلى لزوم أن يقسموا القدرة قبل الوصول إلى الحكم ويقرروا التنافس الحر بينهم حتى لا يخشىٰ استغلال فئة الحكم والإستبداد إذا وصلوا إلى الحكم ، فإذا حصل هذان الأمران بإذن الله سبحانه وتعالىٰ تحقق في ذلك الوقت الأمل بقيام الدولة الإسلامية العالمية ذات الألف وخمسمائة مليون مسلم وهم بدورهم يتمكنون من إنقاذ العالم ولو بقدر والله المستعان .

على خطى الوحدة :

ولا يخفىٰ ان جمع الكلمة والإبقاء عليها بحاجة إلى تجنب السلبيات ويحتاج إلى الإيجابيات ، ولذا أكثرت في الروايات لزوم نصيحة المسلمين ، والاهتمام بأمورهم ، وإدخال السرور عليهم ، وقضاء حوائجهم ، والسعي في حاجاتهم ، وتفريج كربهم وإكرامهم ، والبر بهم وخدمتهم ، ومعونتهم بالجاه والمال ونصيحتهم وما إلى ذلك مما هي فوق التواتر ، وإليك جملة منها :

فعن الهاشمي عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (من لم يهتم بأُمور المسلمين فليس بمسلم)[١] .

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٣١ ح ١ .

وعن السكوني عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلّیٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من أصبح لا يهتم بأُمور المسلمين فليس بمسلم)[١] .

وعن عاصم الكوفي عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» عن النبي «صلّیٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (من أصبح لا يهتم بأُمور المسلمين فليس منهم ، ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم)[٢] .

وعن الجعفي عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (إن المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده فيهتم بها قلبه ، فيدخله الله تبارك وتعالىٰ بهمه الجنة)[٣] .

وعن السكوني عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلّیٰ الله عليه وآله وسلّم» : (أنسك الناس نسكاً أنصحهم جيباً وأسلمهم قلباً لجميع المسلمين)[٤] .

وعن أبي عبد الله «عليه الصَّلاة والسَّلام» في قوله عزّ وجلّ : **﴿قولوا للناس حسناً﴾** قال : (قولوا للناس حسناً ولا تقولوا إلَّا خيراً حتى تعلموا ما هو)[٥] .

وعن جابر عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال في قول الله عزّ وجلّ : **﴿وقولوا للناس حسناً﴾** قال : (قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يُقال لكم)[٦] .

وعن تميم الداري قال : قال رسول الله «صلّیٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من يضمن لي خمساً اضمن له الجنة ؟ قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال : النصحية لله عزّ وجلّ ، والنصيحة لرسوله والنصيحة لكتاب الله ، والنصيحة لدين الله

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٣١ ح ٥ .
(٢) الكافي ج ٢ ص ١٥٧ ح ١٤ .
(٣) الكافي ج ٢ ص ١٣١ ح ٢ .
(٤) الكافي ج ٢ ص ١٣٢ ح ٩ .
(٥) الكافي ج ٢ ص ١٣٢ ج : ١٠ .
(٦) مشكاة الأنوار ص ٣١٠ ، الوسائل ج ١١ ص ٥٩٥ ح ٧ ، مجالس ابن الشيخ ص ٥١ .

والنصيحة لجماعة المسلمين)[١] .

وعن أبي عبد الله «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : أعظم الناس منزلة يوم القيامة امشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه)[٢] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : الخلق عيال الله فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله وأدخل على أهل بيت سروراً)[٣] .

وفي رواية أُخرىٰ عن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» يقول : (سئل رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» من أحب الناس إلى الله ؟ قال : أنفع الناس للناس)[٤] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» (في قول الله عزّ وجلّ : **﴿واجعلني مباركاً أين ما كنت﴾** قال : نفَّاعاً)[٥] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (من كان وصولاً باخوانه بشفاعة في دفع مغرم ، أو جر مغنم ، ثبّت الله عزّ وجلّ قدميه يوم تزل فيه الأقدام)[٦] .

وعن الباقر «عليه السَّلام» قال : (الخلق عيال الله واحبهم إليه أحسنهم سعياً إلى عياله)[٧] .

ولا يخفىٰ انّ أمثال هذه الروايات يستفاد منها حسن الصنيع إلى جميع

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٦٦ ح ٥ ، وفي نسخة الكافي ج ٢ ص ٢٠٨ ، البحار ج ٧٤ ص ٣٥٨ .
(٢) الكافي ج ٢ ص ١٣١ ح ٦ ، الوسائل ج ١١ ص ٥٦٣ .
(٣) الكافي ج ٢ ص ١٣١ ح ٧ ، الوسائل ج ١١ ص ٥٦٣ ح ٢ .
(٤) الوسائل ج ١١ ص ٥٦٣ ح ٣ ، الكافي ج ٢ ص ١٣٢ ح ١١ .
(٥) الوسائل ج ١١ ص ٥٦٤ ح ٤ ، مجالس ابن الشيخ ص ٦٠ .
(٦) نحوه الوسائل ج ١١ ص ٥٦٦ ح ٩ ، قرب الإسناد ص ٥٧ .
(٧) البحار ج ٧٥ ص ٢٣ .

الناس مسلماً كان أو غير مسلم ، وفي الآية الكريمة وفي جملة من الروايات دلالة على ذلك ، وقد سقىٰ الحسين «عليه الصَّلاة والسَّلام» أعداءه الذين جاؤوا لقتله وقتلوه كما سقىٰ علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» أصحاب معاوية الماء مع العلم أنهم جاؤوا لقتله وقتل أصحابه وشق عصا المسلمين ، إلى غير ذلك مما هو مذكور في الروايات والتواريخ .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (خير الناس من انتفع به الناس) .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (سئل رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» من أحب الناس إلى الله ؟ قال : أنفعهم للناس)[١] .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (خير الناس من نفع ووصل وأعان)[٢] .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (ان أحب الناس عباد الله إلى الله تعالىٰ أنفعهم لعباده وأوفاهم بوعده)[٣] .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (ليكن أحب الناس إليك وأحظاهم لديك أكثرهم سعياً في منافع الناس)[٤] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (مشي الرجل في حاجة أخيه المؤمن يكتب له عشر حسنات ، وتمحى عنه عشر سيئات وترفع له عشر درجات ، قال : ولا أعلمه إلَّا قال : ويعدل عتر رقاب وأفضل من اعتكاف شهر في المسجد الحرام)[٥] .

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٣١ ح ٧ ، الوسائل ج ١١ ص ٥٦٣ ح ٢ .
(٢) انظر الفقيه ج ٢ ص ٢٩ باب ١١ فضل المعروف ، والوسائل ج ١١ ص ٥٢ أبواب فعل المعروف ، والبحار ج ٧٥ ص ٢٣ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) المصدر السابق .
(٥) الوسائل ج ١١ ص ٥٨٢ ح ١ ، الكافي ج ٢ ص ١٥٧ ح ١ ، المقنع ص ٢٥ .

وعن أبي الحسن «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (إن لله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس ، هم الآمنون يوم القيامة ، ومن أدخل على مؤمن سروراً أفرح الله قلبه يوم القيامة)[١] .

وعن أبي جعفر «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (من مشىٰ في حاجة أخيه المسلم أظله الله بخمس وسبعين ألف ملك ، ولم يرفع قدماً إلَّا كتب الله له بها حسنة ، وحط عنه بها سيئة ، ويرفع له بها درجة ، فإذا فرغ من حاجته كتب الله عزّ وجلّ له بها أجر حاج ومعتمر)[٢] .

وفي رواية عمر اليماني عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (ما من مؤمن يمشي لأخيه المؤمن في حاجة إلا كتب الله عزّ وجلّ له بكل خطوة حسنة ، وحط عنه بها سيئة ، ورفع له بها درجة ، وزيد بعد ذلك عشر حسنات ، وشفع في عشر حاجات)[٣] .

وعن الصَّادق عن آبائه عن رسول الله «صلوات الله عليهم أجمعين قال : (أوحىٰ الله إلى داود : ان العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة يوم القيامة فأحكمه في الجنة ، قال داود : يا رب وما هذا العبد الذي يأتيك بالحسنة يوم القيامة فتحكمه بها في الجنة ؟ قال : عبد مؤمن سعى في حاجة أخيه المسلم أحب قضاءها ، قضيت له أم لم تقض)[٤] .

وعن الجعفريات بسند الأئمَّة إلى علي بن أبي طالب «عليهم السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : المؤمنون أُخوة يقضون حوائج بعضهم بعضاً ، فإذا قضى بعضهم حوائج بعض قضى الله لهم حاجاتهم)[٥] .

---

(١) الوسائل ج ١١ ص ٥٨٢ ح ٢ ، الكافي ج ٢ ص ١٥٧ ح ٢ ، مصادقة الاخوان ص ٤٨ ح ٨ .
(٢) الوسائل ج ١١ ص ٥٨٣ ح ٣ ، الكافي ج ٢ ص ١٥٧ ح ٣ مصادقة الاخوان ص ٤٦ .
(٣) مصادقة الإخوان ص ٣٥ ح ٥ .
(٤) الوسائل ج١١ ص ٥٨٤ ح ١٠ باب ٢٧ .
(٥) الوسائل ج ١١ ص ٥٧٩ ح ١٣ باب ٢٥ .

وعن رسـول الله «صلىٰ الله عليـه وآلـه وسلّم» : (من ضمن لأخيـه المؤمن حاجة له لم نظر الله له في حاجة حتى يقضي حاجة أخيه المسلم)[١] .

وعن السلمي قـال : سمعت رسـول الله «صـلىٰ الله عليـه وآلـه وسلّم» يقول : (إن الله خلق خلقاً من رحمته لرحمته برحمته ، وهم الذين يقضون الحوائج للناس ، فمن استطاع منكم أن يكون منهم فليكن)[٢] .

وعن سدير انَّ أبا عبد الله «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال له : (يا سدير ، ما كـثر مال رجـل قط إلاَّ عظمت الحجـة لله عليه ، فـإن قدرتم أن تـدفعـوهـا عن أنفسكم فـافعلوا ، فقال لـه : يـابن رسـول الله بمـاذا ؟ قـال : بقضـاء حـوائـج أخوانكم من أموالكم)[٣] .

وعن الباقر «عليه السَّلام» : (من قضىٰ لمسلم حـاجة قـال الله عزّ وجـلّ : ثوابك عليَّ ، ولا أرضى لك ثواباً دون الجنة)[٤] .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّـلام» : (ما قضى مسلم لمسلم حـاجة إلاَّ ناداه الله : عليَّ ثوابك ولا أرضىٰ لك بدون الجنة)[٥] .

وعن جعفر بن محمد «عليهـما السَّلام» : (انـه ليعرض لي صـاحب الحاجـة فأبادر إلى قضائها مخافة أن يستغني عنها صاحبها)[٦] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (من أخلص النيـة في حاجـة أخيه المؤمن جعل الله نجاحها على يديه ، وقضىٰ له كل حاجة في نفسه)[٧] .

وعن النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (من قضىٰ حاجة لأخيه كنت

---

(١) انظر البحار ج ٧٤ ص ٢٨٣ باب ٢٠ ، قضاء حاجة المؤمنين .
(٢) الوسائل ج ١١ ص ٥٧٦ ح ٢ ، الكافي ج ٢ ص ١٥٤ ح ٢ .
(٣) انـظر البحـار ج ٧٤ ص ٢٨٣ بـاب ٢٠ ، الـوسـائـل ج ١١ ص ٥٨٢ بـاب ٢٧ و ٢٨ ، السعي في قضاء حاجة المؤمن .
(٤) نحوه عن الصَّادق «عليه السَّلام» الكافي ج ٢ ص ١٥٥ ح ٧ .
(٥) نحوه البحار ج ٧٤ ص ٣٢٦ .
(٦) البحار ج ٧٤ ص ٢٨٦ .
(٧) انظر البحار ج ٧٤ ص ٢٧٦ ، الوسائل ج ١١ ص ٥٨٢ ح ٩ .

واقفاً عند ميزانه ، فإن رجح وإلّا شفعت له)[١] .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : قـال رسول الله «صـلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من سعى في حاجة أخيه المؤمن فكأنما عبد الله تسعـة آلاف سنة صائماً نهاره وقائماً ليله)[٢] .

إلى غـيرها من الـروايات الكثـيرة المتفـرقـة في الأبـواب المختلفـة من كتب الحديث والتفسير والتاريخ وغيرها مما يصعب حصرها .

وعـلى أي حال فجمـع الكلمة الـذي هو من أوليـات النهوض بحـاجة إلى ألف مقوّم ومقوّم ، وليس المراد جمع كلمة الناهضين أو الأصدقاء ، بل جمع كلمة المسلمين ككل ، فإن من يفكر في النهضـة ولا يعمل لـذلك ليـل نهار فإن كـلامه عن نهضة المسلمين واستقـلالهم وحريتهم ورجـوع السيادة إليهم ووحـدة بلادهم ليس إلاّ لفظاً فارغاً ، إن من كان يـدخل مجلس رسـول الله «صلىٰ الله عليـه وآله وسلّم» كـان يرىٰ فيـه عبد الله بن مسعـود إلى جانب عبـد الله بن أُبي ، وعمار إلى جـانب حاطب ، والمخلص إلى جـانب المـرائي ، والـوصـولي إلى جـانب الهـدفي والمستقيم إلى جـانب الإنتهـازي ، أليس ذلـك دليـلاً عمليـاً عـلىٰ كيفيـة جمـع المسلمـين ، فان يكـون المنافق تحت لـوائك خـير من أن يكـون تحت لـواء غـيرك ويحاربك ، ولذا كان الرسول «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» يجمع حتى المنافقين كي لا يكونوا كفاراً .

وفي المثـل : ان أعقل النـاس من يجعل الأعـداء أصـدقـاء ، والأصـدقـاء أوفيـاء ، وإن اسفه النـاس من يجعل الأوفيـاء غـير أوفيـاء ، ويجعـل الأصـدقـاء أعداء .

وبهـذه الأخلاق الـرفيعة تمكن الـرسـول «صـلىٰ الله عليـه وآلـه وسلّم» من التقدم إلى الأمام ، وقد قال سبحـانه في حقـه : **﴿فبما رحمـة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فـاعف عنهم واستغفر لهم وشـاورهم**

---

(١) انظر البحار ج ٧٤ ص ٢٨٣ باب ٢٠ .
(٢) البحار ج ٧٤ ص ٣١٥ .

في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ .

ثم إن من اللازم ـ لأجل جمع الكلمة وجذب الأنصار للهدف والتقدم المطرد إلىٰ الامام ـ أن يلاحظ الإنسان الناهض الامور الصغيرة ويعطيها حقها ، كما يعطي الامور الكبيرة حقها ، فإن بعض الناس يشرع في العمل الصحيح وينتهي إلى العمل السقيم ، إن من يعطيك درهماً عاطفته مثل من يعطيك ألف دينار ، وإن من يتوقع في دارك كوباً من الشاي روحيته مثل من يتوقع منك داراً وان المساكين والفقراء في نفسياتهم كالكبار والأغنياء ، ولذا نرىٰ الأفراد الشعبيين يصلون ثم يبقون ، وأفضل مثال لذلك هو الرسول الأعظم «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» وعلي أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» في قصص مشهورة .

حرية الكلمة :

مسألة: علىٰ الناهضين الذين يريدون سلوك طريق النجاة فتح باب الفكر والنقاش والنقد الحر والبنّاء ، وذلك لأنه بالفكر والنقاش والبحث الحر يتقدم الإنسان ويظهر الصواب والخطأ ، ولذا نجد الأُمم المتقدمة علىٰ طول التاريخ تمتلك هذه السمة .

بينما الأُمم المتخلفة لها سمة الإستبداد ، وعدم النقاش ، وعدم حرية البحث ، وكأن أحدهم إله لا يسأل عما يفعل ، وقد كان شعار احدىٰ الأحزاب المرتبطة بالغرب نفذ ثم ناقش ، ولذا قرر الإسلام الشورىٰ ، وكان الرسول والأئمة «صلوات الله عليهم أجمعين» يُناقَشون لا في كبار الأمور فحسب ، بل حتىٰ في صغارها ، وكتب «الإحتجاج» المكتوبة كلها دليل علىٰ حضارة راقية قدمت المسلمين إلى الأمام أبان كانوا متمسكين بالإسلام ، فمن الرسول «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» إلى الإمام المهدي «صلوات الله عليهم أجمعين» كلهم كانوا يناقَشون ، أما الآن فشعار حكام المسلمين لاحقّ في النقاش ، بل السمع والطاعة العمياء .

وذات مرّة قلت لمثقف يعتنق ديناً خاصاً «وكان خريج جامعة» : ما دليلك

علىٰ صحة طريقتك المذهبية في الحياة ؟ قال : إني لا أباحث لأن ذلك محرم ، قلت : إذاً كل باطل حق لأنه يتمكن أن يحتمي بـ «لا أناقش» فما هو جوابك عن ذلك ؟ فلم يحر جواباً إلى أن قام وذهب .

كما أنه ذات مرّة ناقش أخ أخاه في مبدئه فقال الأخ لأخيه : إذا تكلمت حول هذا الموضوع فسيكون بيننا النزاع والإنقطاع والإنفصام .

نعم ان هذا وأمثاله يؤخرون الحياة ، لا حياة غيرهم فحسب بل حياة أنفسهم أيضاً ، فإن كل شيء لم يعرض علىٰ المناقشة والنقد والبحث يبقىٰ متخلفاً ، إن من يريد إقامة الإسلام لا بد وأن يجيب عن ألف سؤال وسؤال ، وأن يناقش ويباحث ألف مناقشة ومباحثة ، وينقد وينتقد حتىٰ يظهر صحة الكبريات والصغريات في كل مورد ، فإنه قد لا تكون الكبرىٰ كبرىٰ واقعية وإنما كبرىٰ خيالية أوْ خطابية أو ما أشبه مما ذكر المنطقيون في الصناعات الخمس ، وربما تكون الكبرىٰ صحيحة وإنما الصغرىٰ ليست بصغرىٰ هذه الكبرىٰ ، ولذا ينقل عن ابن سينا أنه كان إذا عرض عليه مطلب يحلله إلى الكبرىٰ والصغرىٰ ، حتىٰ يشكل القياس ثم ينظر هل صغراه صحيحة وهل كبراه صحيحة .

ولا يخفىٰ أن الأحكام الإسلامية ليست موضوعَ نقاش إطلاقاً لأنها نازلة من لدن حكيم عليم ، فلا مناقشة في أن صلاة الظهر لماذا هكذا وصلاة العصر لماذا هكذا ، وإنما هناك أسئلة وأجوبة حول الفلسفة والعلة كما ذكرها الصدوق في علل الشرائع ، والمجلسي في البحار ، وغيرهما في غيرهما ، أما هل الحكم هذا أو ذاك وهل الموضوع هذا أو ذاك فهو مما يلزم أن يناقش فيه ، وإلاّ فكل حزب بما لديهم فرحون .

والمناقشة التي نجدها في الرسائل ، والمكاسب ، والكفاية ، والجواهر ، والحدائق ، والمستند ، وسائر الكتب الفقهية والأصولية يلزم أن تجد سبيلها إلى سائر حقول الحياة الحاضرة ، كالإقتصاد بكل جزئياته : الزراعي ، الصناعي ، والسياحي ، والتجاري ، وغيرها ، وإلىٰ الإجتماع بكل شعبه وإلى السياسة بكل طرقها وإلىٰ التربية وإلىٰ غيرها وغيرها .

ومن الواضح أن المناقشة في هذه الحقول يلزم أن تكون من أهل المناقشة ، أي من الخبراء والأخصائيين ، لا من كل إنسان ، فإنه من أهم أسباب تأخر بلاد الإسلام في الحال الحاضر هو الإستبداد المطلق الذي يغلق منافذ العلم والنقد ، ويجعل جزاء المتكلم السجن والمصادرة والإعدام ، وهذا هو السبب لمنع الكتب في كثير من بلاد الإسلام الممنوعة إطلاقاً ، وكثير من أهل الكتب يودعون السجون بألف اسم واسم أو يقدمون للرمي .

وفي زمان قاسم أرادوا أن يعدموا أحد أصدقائنا لأنه كتب مقالة حول الإمام علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» وفي زمان عبد السَّلام عارف أرادوا أن يعدموا صديقاً آخر لأنه كتب كتاباً ، وعلىٰ أي حال فإن هؤلاء المستبدين لا يعلمون أنهم يسيئون الى أنفسهم قبل غيرهم ، ولهذا سقط قاسم، وسقط عبد السلام، كما سقط سائر المستبدين .

ثم ان تجميد النقاش يوجب تجميد الفكر ، لأن الفكر رياضة عقلية ملازمة للرياضة العملية ، فإن من لا يعمل لا يفكر ، ومن لا يفكر لا يعلم ، وقد ثبت علمياً أن كل واحد من الروح والجسد يؤثر في الآخر «ومرادنا بالروح أعم من العقل والنفس» فإن الذي يظهر من الأخبار والآثار إن في قبال الجسد ثلاثة أشياء :

العقل وهو كسائق السيارة .

والنفس كماكنة السيارة .

والروح كزيت السيارة .

وهذا من باب المثال لا من باب الدقة ، كما هو واضح ، ولذا نرىٰ أن الله خلق العقل فقال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له : أدبر ، فأدبر ، فقال له : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك ، بك آخذ ، بك أعطي ، بك أثيب ، وبك أعاقب ، وخلق الروح ، فقال سبحانه : ﴿**ونفخت فيه من روحي**﴾[1] وقد مدحهما الله سبحانه وتعالىٰ ، في مواضع مختلفة ، سواء في

---

(١) سورة الحجر : الآية / ٢٩ .

القرآن الحكيم ، أو على لسان أوليائه المعصومين «صلوات الله عليهم أجمعين» .

أما النفس فهي بين المدح والقدح ، قال تعالىٰ : **﴿ونفس وما سواها ، فالهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها﴾**(١) الا ان من مرض جسمه لا يتحمل الفكر والتدبر ، ولذا قالوا : العقل المريض وإن صح جسمه لا يتمكن من التفكر والتأمل وكذلك من سقم عقله بسبب دَين أو تهديد أو ما أشبه يؤثر ذلك في جسمه فيسهر ويمرض ويمتنع عن الأكل والشرب . لأنه لا يتمكن منهما أو يعسران عليه ، ومن صح عقله أثر في جسمه فينشط ويصح ، كل ذلك ثبت في علم النفس وعلم الطب وغيرهما .

وعلى أي حال ، فإن الدكتاتوريين يسقطون بسبب أنهم لا يستعدون لإجابة البحث فلا تستعد أنفسهم للفهم ، ولذا لا يفهمون الحياة ، ومن المعلوم أن من لا يفهم منهزم أمام من يفهم ، وقد كرر الله سبحانه في القرآن الكريم ذكر الفكر ونحوه ، فقد قال سبحانه : **﴿كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾**(٢) .

وقد كرر ذكر الفكر في سورة البقرة ، وآل عمران ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس ، ويوسف ، والرعد ، والحجر ، والنحل ، والمؤمنون ، والفرقان ، والنمل ، والعنكبوت ، والروم ، والمؤمن ، والسجدة ، والجاثية ، والذاريات ، والقمر ، والحشر ، والحاقة ، والمزمل ، والدهر ، وفي جملة من هذه السور ذكر مكرراً أو مرة واحدة فقط .

أما الروايات ، فهي متواترة حول الفكر وخصوصياته ، فعن الرسول الأعظم «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إن التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور يحسن التخلص ويقل التربص)(٣) .

وعن عطا قال : (انطلقت أنا وعبيد بن عمير إلىٰ عائشة وبيننا وبينها

---

(١) سورة الشمس ؛ الآية من : ٧ ـ ١٠ .
(٢) سورة البقرة : الآية / ٢١٩ .
(٣) البحار ج ٩٢ ص ١٧ .

حجاب ، فقالت : يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا ؟ فقال قول النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : زد غباً تزدد حباً ، وقال ابن عمير : أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : فبكت وقالت : كل أمره كان عجباً ، أتاني في ليلتي حتىٰ مس جلدي جلده ثم قال : ذريني أعبد لربي عز وجلّ ، فقام إلىٰ القربة فتوضأ منها ، ثم قام يصلّي ، فبكىٰ حتىٰ أتىٰ بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، فقال : يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : ويحك يا بلال ما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله عليّ في هذه الليلة : **﴿إن في خلق السّمٰوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأُولي الألباب﴾**(١) ثم قال : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها)(٢) .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (فاتقوا الله عباد الله تقية ذي لب شغل التفكر قلبه ، وأنصب الخوف بدنه)(٣) .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» في صفة المؤمن : (مشغول وقته ، شكور صبور ، ومغمور بفكرته)(٤) .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (فأفق أيها السامع من سكرتك ، واستيقظ من غفلتك ، واختصر من عجلتك ، وأنعم الفكر فيما جاءك علىٰ لسان النبي الأُمي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» مما لا بد منه ، ولا محيص عنه)(٥) .

وقال «عليه السَّلام» : (من تفكر أبصر)(٦) .

وقال «عليه السَّلام» : (رحم الله امرءاً تفكر فاعتبر ، واعتبر فأبصر ، فكأنما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن ، وكأنما هو كائن من الآخرة عما قليل

---

(١) سورة البقرة : الآية / ١٦٤ .
(٢) المحجة البيضاء ج٨ ص ١٩٤ .
(٣) نهج البلاغة خطبة ٨٣ .
(٤) نهج البلاغة حكم ٣٣٣ .
(٥) نهج البلاغة خطبة ١٥٣ .
(٦) نهج البلاغة كتاب ٣١ .

لم يزل)[١] .

وقال «عليه السّلام» : (إنما البصير من سمع فتفكر ، ونظر فأبصر ، وانتفع بالعبر ، ثم سلك جدداً واضحاً يتجنب فيه الصرعة في المهاوي)[٢] .

وقال «عليه السّلام» : (لا تخل نفسك من فكرة تزيدك حكمة ، وعبرة تفيدك عصمة)[٣] .

وقال «عليه السّلام» : (التفكر يدعو إلىٰ البر والعمل به)[٤] .

وعن الإمام الحسن «عليه الصّلاة والسّلام» : (التفكر حياة قلب البصير) [٥] .

وقال «عليه السّلام» : (أوصيكم بتقوىٰ الله وادامة التفكر ، فإن التفكر أبو كل خير وأُمه) [٦] .

وقال علي «عليه الصّلاة والسّلام» : (فضل فكر وتفهم أنجح من فضل تكرار ودراسة) [٧] .

وقال «عليه الصّلاة والسّلام» : (من أكثر الفكر فيما تعلم أتقن علمه ، وفهم ما لم يكن يفهم) [٨] .

وقال «عليه السّلام» : (لا علم كالتفكر) [٩] .

---

(١) نهج البلاغة خطبة ١٠٣ .
(٢) نهج البلاغة خطبة ١٥٣ .
(٣) غرر الحكم ج ٢ ص ٨١٠ ح ١٥٦ .
(٤) الكافي ج ٢ ص ٤٥ ح ٥ ، البحار ج ٧١ ص ٣٢٢ .
(٥) البحار ج ٧٨ ص ١١٥ ، الوسائل ج ٤ ص ٨٢٨ ، ح ١ وح ٣ .
(٦) تنبيه الخواطر ص ٤٣ .
(٧) غرر الحكم ج ٢ ص ٥١٧ ح ٣٦ .
(٨) غرر الحكم ج ٢ ص ٦٩٥ ح ١٢٥٦ .
(٩) البحار ج ٦٩ ص ٤٠٩ .

وقال «عليه السَّلام» : (الفكر مرآة صافية)[١] .

وقال «عليه السَّلام» : (فكر المرء مرآة تريه حسن عمله من قبحه)[٢] .

وفي فقه الرضا «عليه السَّلام» : (أروي التفكر مرآتك تريك سيئاتك وحسناتك)[٣] .

وقال الإمام الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (الفكر مرآة الحسنات وكفارة السيئات)[٤] .

وقال «عليه السَّلام» : (كان أكثر عبادة أبي ذر «رحمة الله عليه» التفكر والإعتبار)[٥] .

وفي رواية : إنه كان كذلك لقمان ، فكان أكثر عبادته التفكر . وقد سئلت أم أبي ذر عن عبادة أبي ذر فقالت : (كان نهاره أجمع يتفكر في ناحية من الناس)[٦] .

وقال علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (التفكر في آلاء الله نعم العبادة)[٧] .

وقال «عليه السَّلام» : (لا عبادة كالتفكر في صنعة الله عزّ وجلّ)[٨] .

وقال «عليه السَّلام» : (التفكر في ملكوت السماوات عبادة المخلصين)[٩] .

وقال «عليه السَّلام» : (تمييز الباقي من الفاني من أشرف النظر)[١٠] .

---

(١) غرر الحكم ج ١ ص ٣٢ ح ٩٦٩ ، البحار ج ٧١ ص ٣٢٨ .
(٢) غرر الحكم ج ٢ ص ٥١٦ ح ١٩ .
(٣) فقه الرضا «عليه السَّلام» ص ٣٨٠ ، البحار ج ٧١ ص ٣٢٥ .
(٤) الكافي ج ٢ ص ٤٥ ح ٤ ، فقه الرضا «عليه السَّلام» ص ٣٨٠ ، البحار ج ٧١ ص ٣٢٥ .
(٥) البحار ج ٧١ ص ٣٢٣ .
(٦) تنبيه الخواطر ص ٢٠٧ .
(٧) غرر الحكم ج ١ ص ٣٩ ح ١٩١ .
(٨) البحار ج ٧١ ص ٣٢٤ ، غرر الحكم ح ٢ ص ٨٢٩ ح ١٣ .
(٩) غرر الحكم ج ١ ص ٧٢ ح ١٨١٧ .
(١٠) غرر الحكم ج ١ ص ٣٤٨ ح ٣٤ .

وقال الإمام الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وقدرته) [١] .

لكن لا يخفى أن التفكر في ذات الله ممنوع شرعاً وعقلاً ، أما شرعاً فلتواتر الروايات الواردة في ذلك ، وأما عقلاً فإن الله سبحانه غير محدود ، والعقل محدود ، ومن غير المعقول إحاطة المحدود بغير المحدود .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (لا عبادة كالتفكر في صنعة الله عزّ وجلّ) [٢] .

وقال «عليه السَّلام» : (من تفكر في عظمة الله أبلس) [٣] .

وقال «عليه السَّلام» : (من كثر فكره في اللذات غلبت عليه) [٤] .

وقال «عليه السَّلام» : (من كثر فكره في المعاصي دعته إليها) [٥] .

وقال «عليه السَّلام» : (الفكر في غير الحكمة هوس) [٦] .

وقال «عليه السَّلام» : (من قل أكله صفا فكره) [٧] .

وقال «عليه السَّلام» : (كيف تصفو فكرة من يستديم الشبع) [٨] .

وقال «عليه السَّلام» : (فكر ساعة قصيرة خير من عبادة طويلة) [٩] .

وقال الصادق «عليه السَّلام» : (تفكر ساعة خير من عبادة سنة) [١٠] .

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٥ ح ٣ ، البحار ج ٧١ ، ص ٣٢١ .
(٢) غرر الحكم ج ٢ ص ٨٢٩ ح ١٣ ، البحار ج ٧١ ص ٣٢٤ .
(٣) غرر الحكم ج ٢ ص ٧٢١ ح ١٥٠٥ .
(٤) غرر الحكم ج ٢ ص ٦٦٤ ح ٩٠١ .
(٥) راجع غرر الحكم ج ٢ ص ٦٦٤ ، ح ٨٩٨ .
(٦) غرر الحكم ج ١ ص ٤٥ ح ١٣٢٥ .
(٧) غرر الحكم ج ٢ ص ٦٥٧ ج ٨٠٣ .
(٨) غرر الحكم ج ٢ ص ٥٥٣ ح ٢ .
(٩) غرر الحكم ج ١ ص ٤٥ ح ٢٣٢٥ .
(١٠) البحار ج ٧١ ص ٣٢٧ .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (فكر ساعة خير من عبادة سنة) [١] .

وقال الحسن الصيقل : قلت لأبي عبد الله «عليه السَّلام» : (تفكر ساعة خير من قيام ليلة ؟ قال : نعم ، قال رسول الله «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» : نفكر ساعة خير من قيام ليلة ، قلت كيف يتفكر ؟ قال : يمر بالدور الخربة ، فيقول : أين بانوك ؟ أين ساكنوك ؟ مالك لا تتكلمين) [٢] .

وقال علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (التفكر في ملكوت السماوات والأرض عبادة المخلصين) [٣] .

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال النبي «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» : (أعطوا أعينكم حظها من العبادة ، قالوا : وما حظها من العبادة يا رسول الله ؟ قال : النظر في المصحف ، والتفكر فيه ، والإعتبار عند عجائبه) [٤] .

ومن وصايا أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» لأبنه الحسن «عليه السَّلام» : (يا بني إني وان لم أك قد عمرت عمر من قبلي فلقد نظرت في أعمارهم ، وفكرت في أخبارهم ، وسرت في آثارهم حتىٰ عدت كأحدهم ، بل كأني بما أنتهىٰ إليَّ من امور قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم) [٥] .

الإستبداد :

مسألة: الإستبداد حرام شرعاً ، قبيح عقلاً ، منبوذ عرفاً ، معاقب عليه آخرة ، وقد قال عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (من استبد برأيه هلك) [٦] ، والسر انّه

---

(١) البحار ج ٧١ ص ٣٢٦ .

(٢) الكافي ج ٢ ص ٤٥ ح ٢ ، فقه الرضا «عليه السَّلام» ص ٣٨٠ ، البحار ج ٧١ ص ٣٢٥ .

(٣) غرر الحكم ج ١ ص ٧٢ ح ١٨١٧ .

(٤) المحجة البيضاء ج ٨ ص ١٩٥ .

(٥) تحف العقول ص ٧٣ ، نهج البلاغة ص ٣٩٣ السطر الأخير كتاب ٣١ ، البحار ج ٧٧ ص ٢٠١ .

(٦) نهج البلاغة ص ٥٠٠ ح ١٦١ ، غرر الحكم ص ٦١٨ ح ١٧٧ ، زَلَّ ، وص ٦١٦ ح ١٢٧ قنع بدل استبد .

يتدخل في كل شيء فيصرفه لصالح المستبد وجلاوزته فيخرجه عن طريقه الطبيعي ، ولذا فهو مفسد لكل شيء .

فعلى التيار الإسلامي الذي يريد إنهاض المسلمين وإعادة دولتهم أن لا يقع هو بنفسه في هذه الرذيلة ، وأن يعمل جاهداً ليل نهار لإخراج الإستبداد عن الميدان .

وربما يتساءل الشخص : كيف يفسد الإستبداد العقيدة والطهارة والصَّلاة وأمثالها مما سنذكرها ؟ .

والجواب : إن السياسة تجبر الناس على تغيير عقائدهم ومحاكم التفتيش في العصور السابقة ومحاكم التفتيش في العصور الإسلامية الآن وإن لم يسموها بمحاكم التفتيش أدل دليل على ذلك ، والطهارة مبنية على توفر الماء الحلال مثلاً والسياسة تحول دون توفر الماء لمنع الآبار والأنهر والقنوات وما أشبه ، أو تجعل الماء حراماً باغتصابه من هذا وذاك،والصَّلاة تكون في الأراضي الغصبية التي أخذتها السلطة السياسية من ملاكها وباعته للناس ، وكذلك بالنسبة إلى لباس المصليّ وغيره إلى غير ذلك ، وقد كتب جماعة من العلماء كتباً حول الإستبداد ونحن نذكر جملة منها ، فقد قالوا : لو كان الإستبداد رجلاً وأراد أن يحتسب وينتسب لقال : أنا الشر ، وأبي الظلم وأُمي الإساءة ، وأخي الغدر ، وأُختي المسكنة ، وعمي الضر ، وخالي الذل ، وإبني الفقر ، وإبنتي البطالة ، ووطني الخراب ، وعشيرتي الجهالة .

وقالوا : المال يتدخل في كل شيء ، فإن القوة مال والعقل مال والعلم مال والدين مال والثبات مال والجاه مال والجمال مال والإقتصاد مال ، والحاصل أن كل ماينتفع البشر بثمرته هو مال ، وكل هذه الأسباب وثمراتها معرضة لإفساد الإستبداد ومجلبة فيه للوبال .

قالوا : إن الإنسان قد يكفر بنعمة مولاه بسبب الإستبداد لأنه لم يملكها حق الملك ليحمد عليها حق الحمد ويجعله حاقداً على قومه لأنهم عون الإستبداد عليه ، وفاقداً وطنه لأنه غير آمن على الإستقرار ويود لو انتقل منه ، وضعيف

الحب لعائلته ، لأنه ليس مطمئناً على دوام علاقته معها ، ومختل الثقة في صداقة أحبابه لأنه يعلم أنهم مثله لا يملكون التكافؤ ، وقد يضطرون لأضرار صديقهم وقتله وهم باكون .

وقالوا : المستبد يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم ويحكم بهواه لا بشريعتهم ، ويعلم من نفسه أنه الغاصب المعتدي فيضع كعب رجله على أفواه الملايين من الناس يسدها عن النطق بالحق والتداعي .

وقالوا : العوام هم أُولئك الذين إذا جهلوا خافوا وإذا خافوا استسلموا .

وقالوا : الرعية العاقلة تقيد وحش الإستبداد بزمام الحزم والشورىٰ لإبقائه في يدها لتأمن بطشه ، فإن شمخ هزت به الزمام وإن صال ربطته .

وقالوا: المستبد يتجاوز الحد لأنه لا يرى حاجزاً ، فلو رأى الظالم على جانب المظلوم سيفاً ما أقدم على الظلم ، وكما قيل : الاستعداد للحرب يمنع الحرب ، وقالوا : إن البلية فقدُ أمةٍ الحرية . ولقد عرّف الحرية من عرّفها بأن يكون الإنسان مختاراً في قوله وفعله ، ومنها حرية التعليم وحرية الخطابة وحرية المطبوعات وحرية المباحثات العلمية وغيرها من الحريات ، حتى لا يخشىٰ إنسان من ظالم أو غاصب مختال .

وقالوا : أنفع ما بلغه الترقي في البشر هو إحكامهم أُصول الحكومات المنتظمة بجعلهم قوة التأطير في يد الأمة ، وبجعلهم المحاكم تحاكم السلطان والصعلوك على حد سواء ، وبجعلهم الأُمة يقظة ساهرة على مراقبة سير حكومتها ولا تغفل طرفة عين .

وهناك كلمات حكمية حول الإستبداد ، منها : الإستبداد نفاد ، ومنها : محاربة الإستبداد جهاد ، ومنها : الإستبداد لا يقبل الإجتهاد ، ومنها : مضادة الإستبداد سداد ، ومنها : إزالة الإستبداد بحاجة إلى استعداد ، ومنها : خلاف الإستبداد رشاد ، ومنها : المستبد ليس قابلاً للإعتماد ، ومنها : من استبد أباد وإستباد ، ومنها : بشّر المستبد بخزي ليس له نفاد ، ومنها : المستبد يفر منه حتى الأهل والأولاد .

ونحن نذكر في هذه المسألة مائة من مضرات الإستبداد ، عشرون بالنسبة إلى الدين والعقيدة ، وعشرون بالنسبة إلى الأخلاق والآداب ، وعشرون بالنسبة إلى الإقتصاد والمال ، وعشرون بالنسبة إلى السياسة والإدارة ، وعشرون بالنسبة إلى الإجتماع والمدينة .

أما بالنسبة إلى الدين والعبادة ، فالإستبداد يفسد العقيدة ، والطهارة ، والصَّلاة ، والصيام ، والحج ، والخمس ، والزكاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإرشاد ، وتعميم القرآن والعمل به ، والدعاء والمسجد ، والورع ، والتقليد ، والتولي ، والتبري ، ورجل الدين ، والزيارة والمزارات .

وأما بالنسبة إلى الأخلاق والآداب ، فالإستبداد يفسد الصدق والأمانة ، والوفاء والحياء ، والمروءة ، والصفا ، واحترام الكبار ، والعطف علىٰ الصغار ، والإطمئنان ، والآداب ، كما أنه يفشي بين الناس الكذب ، والنميمة والنفاق والبهتان ، والإسراف ، والتبذير ، والكبر ، والغرور ، والخدعة ، والمكر .

وأما بالنسبة إلى الإقتصاد والمال ، فالإستبداد يفسد المعاملات والزراعة ، والتجارة ، داخلياً وخارجياً ، والصناعة ، والكسب ، والعمل ، والبنوك ، والنشاط ، والغنى ، والإكتفاء الذاتي ، والسوق والذخائر المعدنية ، وغيرها ، والمعامل ويوجب التأميم الباطل ، والبطالة ، والرشوة ، والرأسمالية المنحرفة ، والشيوعية والإشتراكية .

وأما بالنسبة إلى السياسة والإدارة ، فالإستبداد يوجب إفساد الرئاسة والوزارة ، والسفارة ، والإدارات ، والمحافظات ، وما دون المحافظات ، والحزب والنظام ، والمنطقة ، والجمعية ، والجماعة ، والهيئة ، والإنتخابات ، والمؤسسات الدستورية ، والسلطة التنفيذية ، والسلطة التأطيرية (التشريعية) والأمن ، والحرية ، واتحاد الطلبة ، والشورىٰ في كل مكان من القرية إلى المدينة ، ومن المعمل الصغير إلى المعامل الكبيرة ، ومن المستوصفات إلى المستشفيات ، ومن إدارة القطارات إلى المطارات ، وإلى غيرها .

وأما إفساد الإستبداد للإجتماع والألفة ، فإنه يوجب إفساد القضاء ،

والشهادة ، والعائلة ، والعقوبات ، وحسن الجوار ، والثقة بين الناس ، والثقافة ، والمدارس ، والعمارة والنظافة ، والشوارع والحدائق ، والصحة والإعلام ، والتزاور ، والإذاعة ، والتلفزيون ، والصحف ، والنوادي والزواج .

ولذا ورد في المشورة بعض الآيات مثل قوله سبحانه : **﴿أمرهم شورىٰ بينهم﴾** (١) وقوله سبحانه : **﴿شاورهم في الأمر﴾** (٢) وقوله سبحانه : **﴿وتشاور﴾** (٣) وسيل من الروايات ، والتي جمعنا جملة منها في كتاب الشورىٰ في الإسلام ، ونحن نذكر هنا أيضاً جملة تتميماً للفائدة :

فقد قال علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالىٰ : (خلق الخلق على غير تمثيل ولا مشورة مشير ، ولا معاونة معين) (٤) .

وقال «عليه السَّلام» : (بعثني رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» على اليمن فقال وهو يوصيني : يا عليّ ما حار من استخار ، ولا ندم من استشار) (٥) .

وقال «عليه السَّلام» : (من استشار لم يعدم عند الصواب مادحاً وعند الخطأ عاذراً) (٦) .

وقال «عليه السَّلام» : (ما شاور ذوي العقول استضاء بأنوار العقول) (٧) .

وقال «عليه السَّلام» : (حق على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العقلاء ويضم إلى علمه علوم الحكماء) (٨) .

---

(١) سورة الشورىٰ : الآية / ٣٨ .
(٢) سورة آل عمران : الآية / ١٥٩ .
(*) سورة البقرة : الآية / ٢٣٣ .
(١) نهج البلاغة (صبحي الصالح) ص ٢١٧ سطر ٤ .
(٢) غرر الحكم ج ٢ ص ٧٣٦ ح ١ و ٢ .
(٣) غرر الحكم ص ٦٩٩ ح ١٢٩٤ ، بدل كلمة استشار (لزم المشاورة) .
(٧) غرر الحكم ص ٦٧٠ ح ٩٧١ .
(٨) غرر الحكم ج ١ ص ٣٨٤ ح ٥٣ .

وقال «عليه السَّلام» : (لا يستغني العاقل عن المشورة)[١] .

وقال «عليه السَّلام» : (إذا أنكرت من عقلك شيئاً فاقتد برأي عاقل يـزيل ما أنكرته)[٢] .

وقال «عليه السَّلام» : (شاور قبل أن تعزم ، وفكر قبل أن تقدم)[٣] .

وقال «عليه السَّلام» : (المستشير متحصن من السقط)[٤] .

وقال «عليه السَّلام» : (المستشير على طرف النجاح)[٥] .

وقال «عليه السَّلام» : (المشاورة راحة لك وتعب لغيرك)[٦] .

وقال «عليه السَّلام» : (الإستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنىٰ برأيه)[٧] .

وقال «عليه السَّلام» : (لا ظهير كالمشاورة)[٨] .

وقال «عليه السَّلام» : (إنما حض على المشاورة لأن رأى المشير صرف ورأي المستشير مشوب بالهوىٰ)[٩] .

وقال «عليه السَّلام» : (شاور في حديثك الذي يخافون الله)[١٠]، وقال «عليه السَّلام» : (شاور في امورك الذين يخشون الله ترشد)[١١].

---

(١) غرر الحكم ج ٢ ص ٨٤٢ ح ٢٥٦ .
(٢) غرر الحكم ج ١ ص ٣٢٦ ح ١٨٤ .
(٣) غرر الحكم ج ١ ص ٤٤٨ ح ١ .
(٤) غرر الحكم ج ١ ص ٤٢ ح ١٢٥٢ .
(٥) غرر الحكم ج ١ ص ٤٢ ح ١٢٦٢ .
(٦) غرر الحكم ج ١ ص ٧٧ ح ١٨٨٠ .
(٧) غرر الحكم ج ٢ ص ٥٢٨ ح ٥٣ .
(٨) الوسائل ج ٨ ص ٤٢٥ ح ٥ ، نهج البلاغة القسم الثاني ص ١٥٥ .
(٩) غرر الحكم ج ١ ص ٣٠٣ ح ٤٩ .
(١٠) الوسائل ج ٨ ص ٤٢٦ ح ٤ ، المحاسن ص ٦٠١ ح ١٩ .
(١١) الوسائل ج ٨ ص ٤٢٦ ح ٣ ، المحاسن ص ٦٠١ ح ١٧ .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (أفضل من شاورت ذوي التجارب) (١) .

وقال «عليه السَّلام» : (خير من شاورت ذي النهى والعلم وأُولوا التجارب والحزم) (٢) .

وقال «عليه السَّلام» : (استشر أعداءك تعرف مقدار عداوتهم ومواضع مقاصدهم) (٣) .

وقال «عليه السَّلام» : (استشر عدوك العاقل وأحذر رأي صديقك الجاهل) (٤) .

وعن النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (الحزم أن تستشير ذا الرأي وتطيع أمره) (٥) .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (ما من رجل شاور أحداً إلَّا هدىٰ إلى الرشد) (٦) .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (لا مظاهرة أوثق من المشاورة) (٧) .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» في وصيته لعليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (يا عليّ لا تشاور جباناً ، فإنه يضيق عليك المخرج ، ولا تشاور البخيل فإنه يقصر بك عن غايتك ، ولا تشاور حريصاً فإنه يزين لك شرها) (٨) .

وعن الحسن بن الجهم قال كنا عند الرضا «عليه السَّلام» فذكرنا أباه فقال «عليه السَّلام» : (كان عقله لا توازى به العقول ، وربما شاور الأسود من

---

(١) غرر الحكم ج ١ ص ٢٠٤ ح ٤٥٣ .
(٢) غرر الحكم ج ١ ص ٣٨٩ ح ٤٤ .
(٣) غرر الحكم ج ١ ص ١٢٨ ح ٢٣٦ .
(٤) غرر الحكم ج ١ ص ١٢٩ ح ٢٤٥ .
(٥) الوسائل ج ٨ ص ٤٢٤ ح ١ ، المحاسن ص ٦٠٠ ح ١٤ .
(٦) نور الثقلين ج ٤ ص ٥٨٤ .
(٧) الوسائل ج ٨ ص ٤٢٤ ح ٢ ، المحاسن ص ٦٠١ ح ١٥ .
(٨) الوسائل ج ٨ ص ٤٢٩ ح ١ باب ٢٦ ، الفقيه ج ٢ ص ٣٥٦ ، علل الشرائع ١٧٨ .

سودانه ، فقيل له : تشاور مثل هذا ؟ فقال : إن الله تبارك وتعالىٰ ربما فتح على لسانه) [١] .

وقال «عليه السَّلام» : (من ساء تدبيره تعجل تدميره) [٢] .

وقال «عليه السَّلام» : (حسن التدبير ينمي قليل المال وسوء التدبير يفني كثيره) [٣] .

وقال «عليه السَّلام» : (سوء التدبير مفتاح الفقر) [٤] .

وقال «عليه السَّلام» : (من ساء تدبيره كان هلاكه في تدبيره) [٥] .

وقال «عليه السَّلام» : (من تأخر تدبيره تقدم تدميره) [٦] .

وقال «عليه السَّلام» : (سياسة الدين بحسن الورع واليقين) [٧] .

وقال «عليه السَّلام» : (أعقل الملوك من ساس نفسه للرعية بما يسقط عنها حجتها وساس الرعية بما تثبت به حجته عليها) [٨] ، إلى غيرها من الروايات الواردة في السياسة والتدبير ونحوهما ، مما يجدهما المتتبع في الوسائل والمستدرك والبحار ونهج البلاغة وغرر الحكم ودرر الكلم .

الوحدة الإسلامية :

مسألة: من أهم ما يلزم على السالكين سبيل النجاة الحفاظ على الوحدة الإسلامية ، أما بالقول فهو سهل يسير ، وأما بالعمل فهو صعب عسير ، ولذا لا تجد حتى جماعة واحدة لا تُنادي بها وفي نفس الوقت لا تجد حتى جماعة واحدة

---

(١) الوسائل ج ٨ ص ٤٢٨ ح ٣ ، المحاسن ص ٦٠٢ ح ٢٣ .
(٢) غرر الحكم ج ٢ ص ٦٢٣ ح ٦٢٦ .
(٣) غرر الحكم ج ١ ص ٣٧٧ ح ٣٠ .
(٤) غرر الحكم ج ١ ص ٤٣٣ ح ٢٣ .
(٥) غرر الحكم ص ٦٨١ ح ١١٠٦ .
(٦) غرر الحكم ص ٦٣١ ح ٣٩٠ .
(٧) غرر الحكم ج ١ ص ٤٣٤ ح ٤١ .
(٨) غرر الحكم ج ١ ص ٢١١ ح ٥٢٥ .

تتحمل مسؤوليتها وتسلك طريقها إلى حيز الوجود ،عادة .

والوحدة لا تعني أن ترفع جماعة يدها عن معتقداتها ، أو لا تستعد للدفاع عنها ، بل معناها أن يكون المسلمون صفاً واحداً أمام الشرق والغرب وتطبيق المتفق عليه في الإسلام ، فالغرب والشرق لا يستعدان لتحمل حتى اتحاد السيك وتوحيد صفوفهم ، فكيف بالمسلمين الذين يظنون أنهم أعداؤهم منذ بزوغ فجر الإسلام ، ويرون أن تقدمهم ورفاههم وحفظ بلادهم وثروتهم رهين تفكك المسلمين وتشتتهم ومحاربة بعضهم لبعض ، وزرع الأعداء والعداء بينهم ، فإن تمكنوا من ذلك بالوسائل الجاسيوسية والدعائية والإغراء والتهديد وما اشبه فهو ، وإلّا جردوا سلاحهم لتنفيذ ذلك بالقوة .

والمستعمرون لا يزالون منذ أن وطئوا بلاد الإسلام يسعون في هذا السبيل ، وكلما قامت حركة إسلامية خاف الغرب منها وعمل لايقافها وإرجاعها إلى مؤخرة القافلة ، مما أدىٰ إلى حدوث خرق في العالم الإسلامي خلال احتلال الجزائر .

ثم امتداد نفوذه إلى المغرب مع معاهدة طنجة عام ألف ومائتين وستين ، ثمّ فرض الشروط الإستعمارية على مصر واحتلالها في عام ألف ومائتين وتسعة وتسعين كما أنه هزم الغرب الحركة المهدية في أُم درمان ، واقتطع الروس قبل مائتي سنة تقريباً جملة من بلاد إيران مما بقي إلى الآن تحت تصرفهم ، كما أن عملاء الغرب وصلوا إلى الحكم في جملة من بلاد الإسلام مما اضعفوا المسلمين أكثر فأكثر ، ففي إيران وصل البهلوي الأول إلى الحكم ، وفي تركيا وصل أتاتورك إلى الحكم ، وفي أفغانستان وصل أمان الله خان إلى الحكم ، وفي العراق وصل الملكيون إلى الحكم ، وكذلك كان الحال مع احتلال المغرب وليبيا سنة ألف وثلاثمائة وثلاثين والسودان ومصر إلى غيرها .

وفي الحرب العالمية الأُولىٰ اندلعت الثورات التحررية في كل من العراق ، وسوريا ، وفلسطين ، وإيران وتواصلت الثورات الإسلامية في سائر البلدان ، كما المعنا إليه في بعض كتبنا .

فالذين يريدون الخلاص يجب أن يأخذوا في ذهنهم هذا الموضوع ، ويدركوا القانون الذي اتسمت به العلاقة التي فرضها الغرب في بدايات القرن العاشر للهجرة حتى اليوم على شعوب العالم الإسلامي في آسيا ، وافريقيا والأمريكيتين وغيرها ، ففوق جماجم عشرات الملايين من الهنود الحمر استوطن الإستعمار الغربي الأمريكيتين رغم أنهم لم يكونوا مسلمين ، لكن طبيعة المستعمرين طبيعة واحدة ، سواء أمام المسلمين أو غير المسلمين ، وإن كانت الطبيعة أمام المسلمين أشد ، فبالسياط والرصاص قتل واستعبد المستعمرون الغربيون عشرات الملايين من سود أفريقيا ، وبالجيوش الجرارة حطموا الدولة العثمانية ، وبالأسطول والمدافع والمشانق سيطروا على ثورات الشعوب الإسلامية وفي الوقت الذي كانت فيه جيوش بريطانيا وفرنسا تسحق ثورات المسلمين من طنجة حتى العراق مروراً بالقدس كانت جيوش الثورة الشوعية الروسية تسحق ثورات الشعوب الإسلامية التي ضمت ديارها قسراً إلى الإتحاد السوفيتي الإشتراكية ، وكذلك فعل (ماو) مع ثررات المسلمين في الصين .

وقد رأينا نحن كيف أنهم فرضوا بالقوة التجزئة بين بنغلاديش وباكستان بعد أن كانتا دولة واحدة ، لأنها دولة إسلامية ، ولم يفعلوا ذلك بالهند مع أن الهند زهاء خمسة أضعاف باكستان ، وكذلك رأينا ماذا فعلت القوات الفرنسية البريطانية الإسرائيلية في عام ألف وثلاثمائة وستة وسبعين بمصر ، وفي لبنان رأينا كيف أن القوات الأمريكية تدخلت في الأمر ، وفي الأردن تدخلت القوات البريطانية في عام ألف وثلاثمائة وثمانية وسبعين ، وكذلك رأينا كيف فرضوا حرباً بين إيران والعراق ذهب ضحيتها أكثر من مليوني مسلم ، وهكذا جاء الاجتياح السوفيتي لأفغانستان في عام ألف وأربعمائة هجرية ، ليتأكّد أن مرحلة الإجتياح للبلاد الإسلامية بالجيوش الجرارة والسيطرة عليها بالعنف والقوة لم تذهب حتى مع اقتراب القرن العشرين ، ففي لبنان شنت إسرائيل حرباً على الشعب الأعزل الآمن في سنة ألف وأربعمائة وثلاثة من الهجرة .

إن الديمقراطية وحقوق الإنسان ومنظمات العفو الدولي وما إلى ذلك كلها جارية لهم لا لنا ، وإنما لنا القنابل والرصاص والصواريخ وما أشبه ذلك ، وقد

رأينا كيف أن الغرب والشرق أعطوا لصدام الصواريخ التي كانت تطلق على رؤوس الآمنين في المدن الإيرانية حتى في قُم المقدسة التي تعد مركزاً دينياً يحوي على ما يقارب العشرين ألف من طلاب العلوم الدينية ، ولم تكن قُم مركزاً للجيش أو للصناعة أو للدولة .

وعليه فاللازم أن يحسب الناهضون لإنقاذ المسلمين هذا الحساب ألف مرة ، ثم يدخلوا حقل التحرير .

وحيث لا يمكن التحرير بالسلاح يجب إتخاذ منطق اللاعنف والأخلاق وتوحيد الصفوف إلى آخر ما يتطلبه ذلك ، وهذا بحاجة إلى أكثر قدر من التعقل لحفظ الوحدة المستلزمة للتواضع ، والإستشارة ، والتعاون والتماسك ، بل ويلزم أن تكون العقوبات للمخالفين معقولة إلى أبعد حد ، ولذا لا يُقام الحد في أرض العدو ، وإذا فرض أن شورىٰ الفقهاء رأت أن المصلحة في أن يبدل الحد إلى عقوبة خفيفة ـ من باب الأهم والمهم ـ فإن ذلك يوجب تماسك الصفوف واتحادهم .

فعن الباقر «عليه السَّلام» قال : قال أمير المؤمنين «عليه السَّلام» : (لا يُقام على أحد حد بأرض العدو)[1] .

وفي رواية أُخرىٰ عن غياث عن جعفر عن أبيه عن علي «عليهم السَّلام» أنه قال : (لا أُقيم على رجل حداً بأرض العدو وحتى يخرج منها ، مخافة أن تحمله الحمية ، فيلحق بالعدو)[2] .

وفي رواية إسحاق بن عمار عن جعفر عن أبيه عن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» في حديث مثله .

وعن دعائم الإسلام عن أمير المؤمنين «عليه السَّلام» أنه قال : في قوم امتنعوا بأرض العدو وسألوا أن يعطوا عهداً لا يطالبون بشيء مما عليهم ، قال :

---

(١) الوسائل ج ١٨ ص ٣١٧ ح ١ باب ١٠ ، الكافي ج ٧ ص ٢١٨ ح ٤ .
(٢) الوسائل ج ١٨ ص ٣١٨ ح ٢ باب ١٠ ، العلل ص ٥٤٥ ح ١ باب ٣٣٤ .

(لا ينبغي ذلك لأن الجهاد في سبيل الله إنما وضع لإقامة حدود الله ، ورد المظالم إلى أهلها ، ولكن إذا غزىٰ الجندي أرض العدو فأصابوا أحداً استوفىٰ بهم ، إلى أن يخرجوا من أرض العدو ، فيقام عليهم الحد ، لأن لا تحملهم الحمية على أن يلحقوا بأرض العدو)[١] .

ولعل الرسول «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» لم يجر الحد والتعزيز على الفارين من الزحف مع أنه من الكبائر الشديدة ،

وعلى أمثال الذين اتخذوا مسجداً ضراراً ، والذين تركوا مواضعهم وانشغلوا بجمع الغنائم في (أُحد) مما سبب تلك الإصابة البليغة في صفوف المسلمين ، أبي لبابة ، وحاطب وكثيرين غيرهم مراعاة هذه الأمر .

كما أن علياً «عليه الصَّلاة والسَّلام» لم يجر في الكوفة الحد على تلك المرأة التي اشتكت زوجها ، وعلى اللائط الذي لم تحرقه النار ، وعلى السارق الذي وهبه لسورة البقرة ، وعلى القاتل الذي أقر على نفسه بالقتل بعد أن رأى غيره ابتلى بجنايته ، وعلى الزانية التي زوّجها ، وإلى غيرهم لعله لمراعاة ذلك أيضاً .

ولذا يجب الستر على المؤمن حتى لا تظهر عوراته مهما كلف الأمر .

فعن أبي حمزة عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (يجب للمؤمن أن يستر عليه سبعين كبيرة)[٢] .

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين «عليه السَّلام» قال : (أيها الناس من عرف من أخيه وثيقة في دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه أقاويل الرجال ، أما أنه قد يرمىٰ الرامي وتخطيء السهام ويحيئك الكلام ، وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد ، إلاّ أنه ما بين الحق والباطل أربع أصابع ، جمع أصابعه ، ووضعها بين أُذنيه وعينه ، ثم قال : الباطل أن تقول : سمعت ، والحق أن تقول : رأيت)[٣] . والمراد أن السماع يحتمل للباطل .

---

(١) الوسائل ج ١٨ ص ٣١٨ ح ٢ .
(٢) الوسائل ج ١١ ص ٥٩٣ ح ١ ، الكافي ج ٢ ص ١٦٥ ح ٨ .
(٣) الوسائل ج ١١ ص ٥٩٣ ح ٢ ، نهج البلاغة ص ٢٧٨ .

وقال «عليه السَّلام» : (ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن) (١) .

وقال «عليه السَّلام» : (لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محتملاً)(٢) .

وفي الجعفريات بسند الأئمّة إلى علي «عليهم الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (لو وجدت مؤمناً على فاحشة لسترته بثوبي . وقال «عليه السَّلام» بثوبه هكذا) (٣).

وفي رواية عبد الله بن جندب عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» أنه قال : (يابن جندب ان عيسىٰ بن مريم «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال لإصحابه : أرأيتم لو أن أحدكم مر بأخيه فرأى ثوبه قد انكشف عن بعض عورته أكان كاشفاً عن كلها أم يرد عليها ما انكشف عليه منها قالوا : بل نرد عليها ، قال : كلا بل تكشفون ، فعرفوا أنه مثل ضربه لهم ، فقيل له : يا روح الله وكيف ذلك ؟ قال : الرجل منكم يطّلع على العورة من أخيه فلا يسترها)(٤) .

وعن المفيد في الإختصاص عن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (من أطلع من مؤمن على ذنب أو سيئة فأفشىٰ ذلك عليه ولم يكتمها ولم يستغفر الله له كان عند الله كعاملها ، وعليه وزر ذلك الذي أفشاه عليه ، وكان مغفوراً لعاملها ، وكان عقابه ما أفشىٰ عليه في الدنيا مستور ذلك عليه في الآخرة ، ثم يجد الله أكرم من أن يثني عليه عقاباً في الآخرة) (٥) .

وفي رواية في سياق قصة عيسىٰ «عليه الصَّلاة والسَّلام» : ثمّ نزلت المائدة عليهم وأمر بتغطيتها وأن لا يأكل الرجل منها شيئاً حتى يأذن لهم ، ومضىٰ في بعض حاجته فأكل منها رجل منهم ، فقال بعض الحواريين : يا روح الله قد أكل

---

(١) الوسائل ج ١١ ص ٥٩٣ ح ٣ ، نهج البلاغة ص ٢٧٨ .
(٢) الوسائل ج ١١ ص ٥٩٣ ح ٤ ، نهج البلاغة ص ١٩٣ .
(٣) الكافي ج ٢ ص ٢٦٩ ح ٣ ، الوسائل ج ١١ ص ٥٣٩ ح ٤ ، نهج البلاغة ص ٢٣ .
(٤) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٤١١ .
(٥) تحف العقول ص ٣٥٢ .

منها رجل ، فقال الرجل : لا ، فقال الحوايون : بلىٰ يا روح الله ، فقد أكل منها ، فقال «عليه السَّلام» : (صدق أخاك وكذب بصرك)[١] .

وعن ابن إدريس في السرائر عن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً ، وأنت تجد لها في الخير محملاً)[٢] .

وعن عمر بن جميع قال : قال لي أبو عبد الله «عليه السَّلام» : (من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن والتفسير فدعوه ، ومن جاءنا يبدي عورة قد سترها الله فنحوه)[٣] .

وعن لب اللباب عن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال له النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (لو رأيت رجلاً على فاحشة ؟ قال : أستره قال : إن رأيته ثانياً ؟ قال : استره بأزاري وردائي إلى ثلاث مرّات ، فقال النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : لا فتى إلاّ علي)[٤] .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (استروا على أخوانكم)[٥] .

وعن الأمدي في الغرر عن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (استر عورة أخيك لما تعلمه فيك)[٦] .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (إن للناس عيوناً فلا تكشف ما غاب عنك ، فإن الله يحلم عليها ، واستر العورة ما استطعت يستر الله عليك ما تحب ستره)[٧] .

---

(١) نحوه الكافي ج ٢ ص ٢٦٥ ح ٢ .
(٢) البحار ج ٥ ص ٣٢٥ ، تفسير العياشي ج ٢ ، ص ٣٥٠ ، تفسير البرهان ج ٥ ص ٥١١ ، تفسير الصافي ج ١ ص ٤٩٩ .
(٣) البحار ج ٧٥ ص ٢٢٠ ، الغنية ٧٨ .
(٤) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٤١١ .
(٥) انظر الكافي ج ٢ ص ٣١٢ ح ٢ ، باب ستر الذنوب .
(٦) غرر الحكم ج ١ ص ٢٢٨ ح ١٢٩ .
(٧) غرر الحكم ج ١ ص ٤٤٦ ص ٦٣ .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (شر الناس من لا يغفر الزلة ولا يستر العورة)[١] .

الحضارة بين الأمس واليوم

الإسلام حضارة كاملة تشمل الماضي والمستقبل والحال وأيّة حضارة هذه التي تفكر في مليارات من السنوات التي يعيشها الإنسان بعد الموت ؟ وقد كان الإسلام سابقاً حضارة قائمة لا في المباديء فحسب بل في الممارسات العملية لغير الحكم ، فإنّ المسلمين كانوا داخل الحضارة الإنسانية ، وإن كان الحكام يعيشون خارج الحضارة ، فالإنسانية والتعاون والخدمة والرفاه والثقة المتبادلة والإطمئنان والحياة السعيدة والإكتفاء الذاتي والرخص والحوائج الجسدية والنفسية التي وفرها الإسلام للأمة كانت قد أدخلت المسلمين في إطار حضارة إسلامية إنسانية كاملة .

نعم حكام المسلمين كانوا خارج الحضارة في ظلمهم وتعسفهم وبغيهم وجورهم واستبدادهم وشهواتهم وتكالبهم على الحطام وبذخهم وترفهم ومجونهم وما أشبه ذلك ، فإنّهم صبوا اهتمامهم على حوائجهم الجسدية بدون أن يفكروا في الآخرة إطلاقاً ، أو في تقدم البشرية ، ولا في حفظ المسلمين ، فهل خليفة همه الصيد واللهو والخمر والفساد وما إلى ذلك يمكن أن يكون داخل الحضارة الإنسانية والإسلامية ! وهؤلاء الحكام هم الذين سببوا تأخر العالم لا المسلمين فحسب ، هذا حديث مضىٰ ولا ينفع ، وإنما النافع الإعتبار بالماضي .

نعم ضعف هؤلاء الحكام الذين حكموا باسم الخلفاء بلاد الإسلام أثر في ضعف العالم في الحال الحاضر أيضاً فالمستعمرون كما كانوا سابقاً خارج الحضارة الإنسانية الآن هم أيضاً خارج الحضارة ، والظلام الذي يلف كل العالم في الحال الحاضر لا عالمنا فحسب ، بل عالمهم أيضاً ليس إلاّ من جهة أنهم خارجون عن الحضارة في حال أنهم آخذون زمام العالم ، ولم يهدموا حضارتهم فحسب بل

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٣١ ح ٤ .

هدموا حضارة كل العالم ، بينما الخلفاء الذين كانوا في دائرة حضارة الإسلام في ذلك الزمان هدموا حضارة أنفسهم فقط لا حضارة الأمة ، فإن المسلمين كانت لهم حرية الزراعة والتجارة والصناعة والسفر والإقامة والحيازة وغيرها وغيرها ، ليس لهم فحسب بل لغير المسلمين الذين كانوا يعيشون في بلاد الإسلام أيضاً ، أما حكام اليوم فهم ينقسمون إلى قسمين :

الأول : حكام الشرق ، والذين هم امتداد لحكام الغرب ، وهؤلاء أخرجوا البشر عن دائرة الحضارة ، بل عن دائرة الحيوانية ، إن الحيوانات لها حرياتها في كل شيء بينما البشر الشرقي ليست له أيّة حرية في أيّ شيء .

الثاني : حكام الغرب ، وهؤلاء أخرجوا البشر عن دائرة الحضارة الإنسانية ، نعم صنعوا للبشر الآلة لكن البشر إنسان قبل أن يحتاج إلى الآلة ، ويتمكن أن يعيش بدونها كما عاش آلاف السنوات ، لكنه لا يتمكن أن يعيش بدون الحضارة الإنسانية ، ولذا نجد هناك الحروب والقلق والأمراض والإنتحار والعنس والهيبة وما إلى ذلك ، مما معناه انهدام الحضارة الإنسانية بالكامل ، ليس هذا فحسب ، بل أنهم هيأوا وسائل لتدمير العالم سبعين مرة ، كما تقوله التقارير ، بعد أن هدموا العالم مرتين خلال نصف قرن ، فهل هؤلاء متحضرون ؟ نعم انهم قبل حضارتهم هذه كانوا خارجين عن دائرة الحضارة الإنسانية ، وبعد حضارتهم هذه التي هم يسمونها بالحضارة خارجون عن دائرة الحضارة إطلاقاً .

والفرق بينهم وبين الخلفاء الأمويين والعباسيين والعثمانيين ومن إليهم : إن أولئك كانوا قد أخرجوا أنفسهم عن دائرة الحضارة لكن الأمة كانت في دائرة الحضارة ، أما هؤلاء فقد أخرجوا أنفسهم والشعوب التي سيطروا عليها عن دائرة الحضارة البشرية ، حيث فرضوا على الناس حضارتهم .

ولذا يعيش البشر في هذا اليوم أسوء مما كان العبيد يعيشون في الزمان السابق .

فهل كانت للعبيد أطواق في أعناقهم باسم الجنسية والهوية وما أشبه تحددهم في كل سفر وإقامة وزراعة وصناعة وتجارة وعمارة وحيازة للمباحاة وإكتساب وغيرها وغيرها ؟ .

ولنمثل بمثالين فقط من أمثلة عدم تحضرهم سابقاً وحالاً ، عن لسانهم أنفسهم، وذلك شحذاً لهمم المسلمين واستنهاضاً لهم لتجديد حضارة الإسلام، لا لكي يخلصوا أنفسهم من حضارة ما دون العبيد التي فرضها الغرب والشرق، بل لكي يخلصوا البشر الغربي والشرقي أيضاً من حضارة ما دون الحيوان ، وإنا نكتفي بالمثالين فقط ، مثالاً من السابق ومثالاً من الحاضر ، وإلاّ فذكر الأمثلة كلها يحتاج إلى مجلدات ومجلدات .

أما المثال من السابق : فقد ذكر في كتاب تراث الإسلام تأليف جمهرة من المستشرقين بإشراف سير توماس (آنولد) وهذا نصه (بتغيير يسير) قال :

[في أنواع المستشفيات تكامل تقسيم المستشفيات في العقد الثاني من فترة حكم الدولة العباسية فكان : مستشفيات للمجانين وأُخرىٰ سيارة عسكرية ومستوصفات تُقام بالقرب من المساجد حيث يقوم الصيادلة والأطباء بالعلاج وصرف الدواء مجاناً وكان ثَم مأوىٰ للعجزة والنساء ثُم وجدت المستشفيات الملحقة بالمدارس والسجون وعلى رأس هذه المعاهد تقوم المستشفيات العمومية الكبيرة وتشاد في العواصم عادة يعين لإدارتها الأطباء المهرة والإختصاصيون ، ويلحق بها كليات الطب والصيدلة والكحالة طب العيون والجراحة ، وتوقف عليها الأوقاف العظيمة لإدامة حياتها والمستشفىٰ الكبير في العادة يتألف من جناحين واحد للرجال وآخر للنساء ، ويلحق بهما جناح

الأمـراض العقلية وفي أغلبهـا ردهات مخصـوصة للتـوليد وجـبر الكسور والجـراحة والعيـون وفيهـا غرف خاصة للنقاهة وصيدلة مملوءة بكل صنـوف الأدوية التي توزع مجاناً وكان يقبل في المستشفيات الإسـلامية كـافة كـل شخص ، بغض النظر عن دينه أو لونه أو جنسيته أو طبقته ذكراً أم أُنثىٰ مهما بلغت مـرحلة مرضـه ، أمر قـد يستغرب منـه في عصرنـا الحـديث عصر المسـاواة وإليـك نتفـاً من وقفية المستشفىٰ المنصوري الـذي بناه منصـور بن قـلاوون في العـام ١٢٨٢ ألف ومـائتي واثنـين وثمانين المسيحي :

(وتقيم المـرضىٰ الفقراء من الـرجـال والنسـاء لمـداواتهم إلى حين بـرئهم وشفائهم ويفـرق عـلى القـوي والضعيف والغني والفقير والمأمـور والأمير والمـترف والصعلوك من غير اشـتراط بعـوض من الأعواض بل لمحض فضل الله الكريم) .

وإن الإهتـمام بمـراقبـة الأرزاق والجـرايـات وتوزيعها همُّ كل مسؤول وكان المتعهـد الغشاش يعاقب ويعزر كما فعل الـوزير عيسىٰ بن عـليّ مع مدير أرزاق المستشفىٰ العضدي بناءاً على شكوىٰ السـاعور العنيـد ثابت بن قـرة الطبيب المعـروف (عـرفني أكرمـك الله مـا النكتـة في قصـور المـال ونقصـانه في تخلف نفقـة البيمارستـان خاصـة مع الشتاء واشتداد البرد فاحتـل بكل حيلة لمـا يطلق لـه ويعمـل حتىٰ يـدفيء من في المستشفـىٰ من المـرضىٰ بالـدثـار والكسـوة والفحم وأعنى بـأمـر

المستشفىٰ أفضل عناية) وكانت الخفارة واجبة على الأطباء كبيرهم وصغيرهم رفيعهم ووضيعهم ، وقد تمتد إلى ثمان وأربعين ساعة ، كان المرضى قبل دخولهم المستشفىٰ يفحصون أولاً في القاعة الخارجية ، فمن خفت علته أسعف وكتب له العلاج ، وصرف له من صيدلية المستشفىٰ ، أما الباقون فكانوا بعد أن تقيد أسماءهم في سجل المرضى يدخلون الحمام ويغتسلون ثم يلبسون ثياباً مطهرة نظيفة ، أما ثيابهم التي جاءوا بها فتحفظ في المخزن حتى خروجهم ، والمرء لا يسعه إلاَّ أن يعجب أشد العجب لشدة حرص السلطات في ذلك الزمن على الإهتمام لتغذية المرضى . كانت علامة الشفاء عند الأطباء هو أن يأكل المريض رغيفاً ودجاجة كاملة في كل وجبة ، وكان المرضىٰ قبل خروجهم من المستشفىٰ يعطون بدلة ثياب ومبلغاً من المال لهذا تكثر حالات التمارض ، كما روىٰ صاحب الإفادة من أن شاباً عجمياً تظاهر بالمرض ، ولكن أمره لم يخف على الطبيب الفاحص ، فأدخله المستشفى رغم ذلك وأبقاه ثلاثة أيام وبعدها جاء إليه وقال ممازحاً : إن مدة الضيافة الإسلامية قد انتهت ، ويذكر ابن أصيبعة عن أساتذته في معرض تنويهه بدارسته . . وكان في الزمان في البيمارستان الشيخ رضي الدين الرحبي اشهرهم ذكراً ، وكان يجلس على دكة ويكتب لمن يأتي إلى البيمارستان ويستوصف منه للرضىٰ أوراقاً

يعتمدون عليها ويأخذون من البيمارستان الأشربة والأدوية التي يصفها ، والوصفات أما داخلية وهي التي يصرفها صيدلي المستشفىٰ الرسمي ويسجلها لمحاسبته عنها ، وإما خارجية وهي التي يحتفظ المريض بها لمراجعة الصيدليات الخاصة في المدينة ، وإنما تبتغي الإشارة إليه أن سائر الصيدليات الخاصة كانت خاضعة للتفتيش الحكومي الدقيق يتولاه مفتش الصيدليات الخاصة كانت خاضعة لتفتيش حكوميٍّ دقيقٍ يتولاه مفتش الصيدليات ، ولذلك كان يوجد قيد خاص بأسماء الصيادلة الثبت للإجازات والرخص لفتح هذه الدكاكين هذا عن المستشفيات الإسلامية ، أما عن المستشفيات الغربية والتي تعرف بالمقارنة فقد مرّ أكثر من ثلاثة قرون على اوروبا اعتباراً من زمننا هذا قبل أن يعرف للمستشفيات العامة معنىٰ في مدنها ولا نبالغ إذا قلنا بأنّه حتى القرن الثامن عشر سنة ١٧١٠ ألف وسبعمائة وعشرة مسيحية والمرضى يعالجون في بيوتهم أو في دور خاصة كانت المستشفيات الأوروبية قبلها عبارة عن دور عطف وإحسان ومأوىٰ لمن لا مأوىٰ لديه ، مرضىٰ كانوا أم عاجزين ، وأصدق مثال لذلك هو مستشفىٰ (أوتيل ديو) بباريس أكبر مستشفيات أوروبا في ذلك العصر ، وصفه كل من ماكس نورد وتينون بما يلي : يحتوي المستشفىٰ ألف ومائتين سرير ١٢٠٠ ، منها ٤٨٦ أربعمائة وستة وثمانين خصصت لنفر واحد ، أما الباقي ولم تكن

سعة الواحد منها تتجاوز خمسة أقدام ، فيوجد فيها عادة ما يتراوح بين ثلاثة مرضىٰ وستة ، وكانت الردهات الكبرىٰ عفنة كثيرة الرطوبة لا منافذ تهوية فيها ، مظلمة دوماً ترىٰ فيها في كل حين حوالي ثمانمائة مريض يفترشون الأرض وهم مكدسون بعضهم فوق بعض على الأرض أو على كوم من القش في حالة يرثىٰ لها . إنك لتجد في السرير ذي الحجم المتوسط أربعة وخمسة مرضىٰ متلاصقين ، وقدم أحدهم على رأس الثاني . نجد أطفالاً بجانب رجال تجد امرأة في المخاض مع طفل في حالة التشنج مصاب بالتيفوس يغرق في بحر الحمىٰ ، وكلاهما إلى جنب مريض بداء جلدي يحك جلده بأظفاره الدامية ، فيجري قيح البثور على الأغطية ، وطعام المرضىٰ من أحقر ما يتصور العقل ، يوزع عليهم بكميات قليلة للغاية في فترات متباعدة لا نظام فيها وقد اعتادت الراهبات أن يحابين المرضى الطائعين المنفقين على حساب الباقين ، فيسقينهم الخمور ويصلنهم بالحلوىٰ والمآكل الدسمة بما يتفضل به المحسنون في الوقت الذي هم أحوج إلى الحمية ، فيموت الكثير منهم بالتخمة ويفطس غيرهم جوعاً ، وكانت أبواب المستشفىٰ مفتوحة في كل وقت وحين ، لكل رائح وغاد ، وبهذا تنتشر العدوى بانتقالها وبالفضلات والهواء النتن الملوث ، وإن لم يتفضل المحسنون على المرضى ماتوا جوعاً كما يموتون أحياناً بالتخمة ، أو من فرط السكر ، البناية حافلة بالحشرات الدنيئة

وهواء الحجرات لا يُطاق لفساده حتى أن الخدم والممرضين لم يكونوا يقدرون على الدخول إلاّ بعد وضع إسفنجة مبللة بالخل على أنوفهم ، وتترك جثث الموتى أربعاً وعشرين ساعة على الأقل قبل رفعها من السرير المشاع ، وكثيراً ما تتفسخ الجثة وتتعفن وهي ملقاة بجانب مريض يكاد يطير صوابه ، وإليك حادثة أُخرى وقعت بعد هذا الوقت بحوالي مائة وخمسين عاماً في ميلان سنة(١٦٣٠) ألف وستمائة وثلاثين تدلنا على مبلغ الجهل العلمي المستحوذ ، وفي الصباح الأول من حزيران لوحظ رئيس صحة المدينة يسير في الشارع وهو يكتب من محبرة مثبتة بحزامه ، ويمسح بقع الحبر من أصابعه في حيطان البيوت أثناء سيره ، فسرت إشاعة بين الناس أنه يصم البيوت بقشع الطاعون ورفعت شكوى ضده إلى مجلس المدينة فقبض عليه وعذب إلى أن أقر بأنه كان ينشر الطاعون ، فطلب منه أن يعترف بشركائه فذكر اسم الحلاق (مورا) فقبض عليه ، وعذب حتى أقر بجرمه ، وأُتهم ابن قائد القلعة أيضاً ، فقبض عليه وعذب ونفذ حكم الموت بهم جميعاً بتمزيقهم على الأسياخ والكلاليب إلى غير ذلك من القصص الغريبة].

انتهى ما في كتاب تراث الإسلام .

أما المثال الثاني : فهو ما ذكرته بعض المجلات وهذا نصه :

[تركز أجهزة الإعلام الغربية جل عنايتها على مصير عدد محدود من رعايا الدول الغربية المخطوفين في بيروت الغربية ، الذين تعرضوا للخطف بسبب

أنشطتهم التجسسية أو لدواعي الإبتزاز أو للإنتقام من عمليات خطف تعرض لها أناس من مجموع الخاطفين ، أما مصير آلاف المسلمين المخطوفين فلا يلقى أي اهتمام بالمرة ، ويقول تقرير لبناني أخير أن عدد ضحايا الحرب الأهلية اللبنانية ـ التي اشعلها الكتائبيون سنة ١٩٧٥ ـ قد وصل إلى ٣١١،٥٢٦ شخصاً ، بين قتيل وجريح ومخطوف ، ومعظمهم مسلمون ، وبين هؤلاء ١٣،٩٦٨ شخصاً جرىٰ خطفهم خلال السنوات الأربع عشرة الماضية ، وتم إعدام نحو عشرة آلاف من هؤلاء في أعقاب خطفهم ، ولكن هؤلاء الضحايا يظهرون في مانشيتات الصحف الغربية . والحكومات الغربية ـ التي تقيم الدنيا وتقعدها على مصير رعاياها المخطوفين وتثير الضجة على حقوق الإنسان خارج بلدانها ـ تلتزم الصمت الكامل على هذا الجانب من المأساة اللبنانية التي شاركت فيها هذه الدول منذ البداية وخصوصاً خلال سنتي ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ حين أرسلت «القوات المتعددة الجنسيات» لتخليص الإسرائيليين وحلفائهم .

وكانت المليشيات المسيحية قد بدأت في أعقاب الحرب الأهليّة اللبنانية في التضييق على المسلمين في المناطق الخاضعة لها لإجبارهم على النزوح إلى مناطق أُخرىٰ ولإحداث رد فعل مماثل في المناطق الإسلامية ليجري تهجير المسيحيين القاطنين فيها إلى المناطق المسيحية ، وكان قتل المسلمين من فلسطينيين ولبنانيين من الأُمور العادية خلال المرحلة الأُولىٰ من الحرب الأهلية . وكانت الكتائب وميليشيات الأحرار التابعة للرئيس الأسبق كميل شمعون (وكلاهما جزء من القوات اللبنانية الآن) قد بدأت خطف الفلسطينيين والمسلمين اللبنانيين بصورة ملفتة للنظر في أغسطس/آب/١٩٧٦ في أعقاب التدخل السوري لصالحهم حين كان الموازنة على وشك الإنهيار الكامل ، وقام الكتائبيون وحلفاؤهم بذبح الفلسطينيين في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين التي سقطت بأيديهم مثل تل الزعتر والكرنتينا وجسر الباشا والمسلخ والنبعة ، كما جرىٰ أسر عدد كبير منهم ، وكان عدد الذين اختفوا من منطقة النبعة وحدها ـ وهي تقع في بيروت الشرقية ـ قد بلغ ١٢٠٠ شخص ، وكان من أهداف هذه المذابح وعمليات الخطف ترويع المسلمين لكي ينزحوا عن المناطق الخاضعة للميليشيات المسيحية .

وأقامت الميليشيات المسيحية حواجز ونقاطاً للتفتيش على كل الطرق الرابطة بين المناطق المسيحية والإسلامية وبدأت تخطف المسلمين لمجرد أن هوياتهم تقول بأنهم يدينون بالإسلام . وكانت أماكن خطف المسلمين المعتادة هي حواجز على الطرق التي تربط بيروت شمالاً بطرابلس ، وشرقاً بدمشق والبقاع ، وجنوباً بصيدا والجنوب اللبناني ، وتم قتل غالبية المخطوفين وألقيت جثثهم في البحر أو في الغابات أو دفنت في مقابر جماعية .

وطبقاً لمصدر بيروتي ، كانت «القوات اللبنانية» تعتقل ١٥٠٠ شخص بما فيهم ٢٠٠ امرأة (معظمهن فلسطينيات) في أوائل سنة ١٩٨٣ . وكان من الطبيعي أن يؤدي هذا إلى رد فعل في بيروت الغربية ـ أو الجزء الإسلامي من العاصمة اللبنانية ـ وإن كان رد الفعل هذا على نطاق صغير ، واضطر كثيرون من المسيحيين في المناطق الإسلامية إلى الإنتقال إلى بيروت الشرقية ـ أو الجزء المسيحي من العاصمة اللبنانية . وكان هذا الإستقطاب المؤدي إلى قيام وطن مسيحي خالص هو من الأهداف الأساسية للجرائم الكتائبية والقوات اللبنانية .

وهكذا كان الخطف قد تحول إلى ظاهرة معتادة في كل أنحاء لبنان سنة ١٩٨٥ ، فبدأ كل أطراف الحرب الأهلية يخطف الناس من الطرف الآخر لمقايضتهم بمخوفيه لدى ذلك الطرف .

وقد رفضت ميليشيات «القوات اللبنانية» السماح للصليب الأحمر الدولي بمعاينة سجونها الخاصة ، بينما سمحت الحكومة اللبنانية للصليب الأحمر بالدخول إلى عدد قليل من سجونها المعروفة ، وكانت القوات اللبنانية قد اعترفت في بدايه الأمر أن لديها معتقلاً (٦٠ سياسياً و ٦٠ مجرماً) ولكنها ظلت تخفض هذا العدد إلى أن أطلقت سراح ٣٣ معتقلاً في ٢٤ إبريل/نيسان ١٩٨٦ وسلمتهم لمفتي لبنان وادعت بعد ذلك أن ملف المعتقلين لديها قد اغلق ، وقامت جماعة من المسلمين بخطف عشرة مسيحيين في بيروت الغربية في ١٦ يونيو/حزيران ١٩٨٦ ، ثم أطلقت سراحهم بعد أربعة أيام ، وذلك لإحياء قضية المخطوفين المفقودين ، ويؤكد الذين أطلقت القوات اللبنانية سراحهم ، أو الذين تمكنوا من الهرب من قبضتها ، إن معتقلاتها تفيض

بالمخطوفين المسلمين . ومعظمهم معتقلون في سجون خاصة بالكرنتينا ومار عوكر وبكفيا . وحين فتحت القوات الإسلامية مدينة الناعمة سنة ١٩٨٣ ، لم يجدوا بسجنها إلاَّ جثث المخطوفين الذين قتلهم الكتائبيون قبل تقهقرهم ، وهكذا جرى اكتشاف مقبرة جماعية للمخطوفين على أيدي القوات اللبنانية في ٥ مايو/أيار ١٩٨٦ ببلدة برجين بأقليم الخروب ، وتعرف الأهالي على جثة شخص من سكان البلدة كانت القوات اللبنانية اعتقلته خلال احتلالها للمدينة .

وكانت الكتائب تخطف لمجرد كون الضحية مسلماً ويتضح هذا من مثال جنديين مسلمين من الجيش اللبناني كانا يعودان إلى الشوف من بيروت الشرقية بعد المشاركة في مراسم جنازة الرئيس المنتخب بشير الجميل في سبتمبر ١٩٨٢ ، وهما عماد محمد أبو مرعي وعلي قوبر . واختطفهما الكتائبيون عند حاجز من حواجزهم لمجرد كونهما مسلمين . وبعد فترة وجيزة توقف صرف راتبيهما لأسرتيهما من الجيش اللبناني - الذي كان الكتائبيون يسيطرون عليه الآن - بحجة غيابهما عن الخدمة .

واقترف كل من الكتائبيين (ثم القوات اللبنانية التي حلت محلهم) كل أنواع الجرائم من تعذيب وسوء المعاملة وتجويع في حق مختطفيهما . وتقوم عناصر القوات اللبنانية بهتك أعراض السجينات بصورة جماعية ، وتقول التقارير إن هناك ٢٠٠ امرأة فلسطينية في سجن أدونيس بالقرب من جونية التي هي عاصمة القوات اللبنانية ، كما أنها تستخدم عدداً من سجيناتها لإدارة بيت دعارة في بلدة بيت شباب المسيحية ترتاده عناصر القوات اللبنانية ، وتستخدم القوات اللبنانية الرجال من المخطوفين في خدمات السخرة مثل إقامة الحواجز في المناطق المكشوفة الخطرة وتعبيد الطرق وصيانتها . وتقول التقارير كذلك أن القوات اللبنانية تستخدم معتقليها كبنك لقطع الغيار البشرية ، فتنتزع منهم العيون والكلى والأرجل وغيرها من الأعضاء لزرعها في عناصر القوات المحتاجة إليها .

وفي حالات عديدة أطلق الكتائبيون سراح ضحاياهم لقاء مبالغ ضخمة ، ومن هؤلاء شخص يدعى محمد ، وفيما يلي شهادته .

«اختطفتني القوات الكتائبية في ١٩٨٣/٧/٦ بمنطقة بعبدا ، الضاحية الجنوبية الشرقية لبيروت ، أثناء وجودي هناك لزيارة أحد الأصدقاء وقد كنت كغيري من اللبنانيين مخدوعاً بشعارات الكتائب . وفور إعتقالي اقتادوني إلى منطقة «الحدث» حيث أخضعت لتعذيب شديد وضرب مبرح . ومن ثم نقلوني إلى منطقة الكرنتينا (المجلس الحربي الكتائبي) حيث تابعوا ضربي وتعذيبي بشكل وحشي ، ذكرني بالأساليب الصهيونية (كوني أمضيت ستة أشهر في معسكر أنصار) من الضرب على اليدين وإجباري على السير في طريق مغروسة بالمسامير والزجاج واستعمال الأدوات الكهربائية ، والتغطيس في الماء الحار . وبعد كل ذلك أخضعت لتحقيق دقيق حول ما يدور في المنطقة الغربية من بيروت ولم يتوصلوا إلى معرفة أي شيء لكوني لا أعرف شيئاً . وأمضيت أربعة أشهر في معسكرات التعذيب ثم أفرج عني لقاء مبلغ مائة ألف ليرة لبنانية «أي ما يساوي ٢٠ ألف دولار أميركي بسعر الصرف آنذاك» .

وأنشأت القوات اللبنانية لجنة المخطوفين المسيحيين في يناير/كانون الثاني ١٩٨٤ لإبطال مفعول الإحتجاجات الإسلامية ، وادعت أن هناك ١٤٠٠ مسيحي مفقود ، بينما الحقيقة هي أن معظم هؤلاء هم ضحايا القوات اللبنانية خلال حربها في جبل لبنان مع الميليشيات الإسلامية والدرزية .

وجن جنون الكتائبيين في أعقاب مقتل قائدهم العسكري بشير الجميل ، الذي كان قد انتخب رئيساً في ١٤ سبتمبر/أيلول ١٩٨٢ في ظل الدبابات الإسرائيلية فخرجوا يقتلون الناس في شوارع بيروت بصورة عشوائية . ثم أقدموا - بمساعدة إسرائيلية نشيطة - على ارتكاب افظع المذابح في التاريخ الحديث ، وهي مذابح مخيمي صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين فذبحوا الآلاف من الفلسطينيين واللبنانيين المسلمين خلال يومي ١٦ - ١٧ سبتمبر/أيلول وخطفوا ٦٠٠ شاب فلسطيني ولا يعرف شيء عن هؤلاء الشباب منذئذ ، ويعتقد أنه قد جرى إعدامهم ودفنهم في مقابر جماعية .

وكان الإسرائيليون قد اعتقلوا ١٥٠ ألف شخص في العاصمة اللبنانية التي احتلوها سنة ١٩٨٢ ، وقتلوا كثيرين من هؤلاء المعتقلين أو أفرجوا عنهم إلاّ أنهم

زجوا بعدد كبير منهم بمعسكر أنصار السيء السمعة . وكان الأسرائيليون وحلفاؤهم الكتائبيون يقتلون ويعتقلون المسلمين الفارين من حجيم بيروت الغربية إلى بيروت الشرقية خلال الحصار الإسرائيلي وضرب العاصمة اللبنانية المستمر بالصواريخ والقنابل ، وكان عدد المخطوفين في منطقة الشوف وحدها ٦٩٥ شخصاً خلال الغزو الإسرائيلي ، ولكن لن يمكن أبداً تحديد ضحايا الغزو الإسرائيلي بدقة .

ولم تقتصر معاناة المسلمين اللبنانيين على أنشطة الميليشيات المسيحية اللاشرعية وقوات الغزو الإسرائيلي وحدهما ، بل كان عليهم أن يواجهوا إرهاب دولتهم نفسها بعد أن استولىٰ عليها الكتائبيون في ظل الدبابات الإسرائيلية التي كانت قد ضمنت انتخاب أمين الجميل بعدمقتل أخيه إعادة ما سماه بـ «الأمن الشرعي» . وهكذا حاصر الجيش اللبناني ـ بضباطه الموارنة ـ الإحياء الإسلامية في بيروت الإسلامية خلال يومي ٢٠ ـ ٢١ سبتمبر/أيلول وبدأ يمشط المنطقة ويعتقل الأهالي . وخلال هذين اليومين ألقىٰ الجيش القبض على ٤٠٠ شخص ، واستمرت قوات الجيش تعتقل الأهالي خلال الأسابيع اللاحقة إلى جانب الكتائب التي كانت حرة طليقة الآن تفعل ما تشاء بعد أن اعتلىٰ ابن زعيمها سدة الرئاسة . واستمرت هذه الإعتقالات إلى ٦ فبراير/شباط ١٩٨٤ حين انتفض مسلموا لبنان يعبرون عن احتجاجهم وغضبهم على ممارسات الحكومة الكتائبية التي لم تكن تمثل إلاّ أقلية صغيرة في البلاد . وهزت هذه الإنتفاضة حكومة أمين الجميل ، ولم تتوقف الإعتقالات والملاحقات على أيدي الجيش والقوات اللبنانية بسبب هذه الإنتفاضة إلاّ أنها تتم منذئد في إطار ضيق .

وكان الجيش يعتقل الأهالي بدون مراعاة الإجراءات القانونية وكانت كتائب الجيش تأتي أحياناً لتعتقل أُناساً معينين حسب قائمة . أما بعد إعتقال المطلوبين فكان الضباط يضعون عصابات على عيون ضحاياهم ويقتادونهم إلى أمكنة مجهولة . وكان الجيش يعتقل الفلسطينيين في بداية الأمر ثم أخذ يتوسع ليعتقل المسلمين اللبنانيين وخصوصاً رجال الميليشيات المسلمة والجنود المسلمين ، الذين

كانوا يتصدون لمقاومة الإسرائيليين الغزاة . وفي مرحلة لاحقة أخذ الجيش يعتقل كل من يعارض نظام أمين الجميل . وتم استخدام الأمن الداخلي وإدارة المخابرات (المعرفة في لبنان بـ «المكتب الثاني») في هذه المرحلة الأخيرة للقبض على معارضي السلطة الذين كانوا مسلمين بصورة عامة .

ومن الجوانب الملفتة للنظر أن الخطف على أيدي الجيش خلال سنوات ١٩٨٢ ـ ١٩٨٤ كان يشتد في أعقاب بطولات المقاومة ضد قوات الإحتلال الصهيوني التي كانت لا تزال تعسكر جنوبي لبنان حينذاك . وبلغت الوقاحة بالمدعى العسكري أسعد جرمانوس أنه أصدر أحكام الإعدام غيابياً في حق ٨٦ شخصاً لإشتراكهم في الهجوم على دورية للجيش الإسرائيلي في منطقة غاليري سمعان سنة ١٩٨٣ وهكذا كان النظام يعتبر الأهالي الذين يقاومون القوات الأميركية المتعددة الجنسيات بأنهم مجرمون ، وكان يستخدم شتىٰ أجهزة الدولة للقبض عليهم والتنكيل بهم ! .

وكان الجيش قد اعترف في أكتوبر/تشرين الثاني ١٩٨٢ ، بعد أسابيع من بدئه ممارسة الخطف ، أنه قد اعتقل ١٤٤١ شخصاً للتحقيق معهم وأن ٩٧٢ من هؤلاء لا يزالون في السجون الحربية .

وارتفع عدد المعتقلين في سجون الجيش إلى ٢٥٠٠ شخص في بداية سنة ١٩٨٣ ، وكان قد جرىٰ اعتقال ٢٠٠٠ من هؤلاء بدون أوراق قضائية تسمح باعتقالهم ، وحسب الإعترافات الرسمية ، لا يزال هناك ٥٦٠ شخصاً معتقلاً لدى الجيش إلاَّ أنه لا يعرف شيئاً عن أماكن تواجدهم ، فلا يسمح لأحد بزيارتهم بما فيهم القضاة والمحامون وحتى مندوبوا الصليب الأحمر الدولي ، ومن الجوانب المريبة الأُخرىٰ في سلوك الجيش اللبناني أنه يتعاون ويتبادل المعتقلين مع القوات اللبنانية والإسرائيليين . ويقول تقرير بيروتي أن القوات اللبنانية نقلت ٩٢ من مخطوفيها سنة ١٩٨٢ إلى «إسرائيل» .

وظلت قضية المخطوفين حية طوال هذه السنوات بفضل نشاط أهاليها واحتجاجاتهم المستمرة . وكان أهالي المخطوفين قد قاموا بمظاهرة في بيروت ثم

اعتصموا بمكتب المفتي في ١٣ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٨٢ ، وانتهى الإعتصام بتكوين «لجنة أهالي المخطوفين» لمتابعة القضية ، وظلت أُسر المخطوفين تخرج إلى الشوارع في كل المناسبات والأعياد حاملة صور الآباء والأبناء والأزواج المخطوفين . وقد أعدت هذه اللجنة قائمة تضم أسماء ٢١١١ شخصاً مخطوفين منذ سنة ١٩٧٩ ، وتفاصيلها على النحو التالي .

٨٩٠ مخطوفاً لبنانياً ، ٨٥٠ فلسطينياً ، ٧٢ سورياً ، ٤ أردنيين ، ٦ مصريين ، إيرانيان و١٠٨ من جنسيات مختلفة . ولكن الرقم الحقيقي للمخطوفين منذ سنة ١٩٧٩ ، في رأي اللجنة ، يتجاوز أربعة آلاف مخطوف معظمهم مسلمون ، أما الرقم الإجمالي لكل المخطوفين والمفقودين منذ سنة ١٩٧٥ ـ وهي سنة إندلاع الحرب الأهلية ـ فيصل إلى أكثر من ٢٠ ألفاً في رأي هذه اللجنة ، وتقول التقريرات أن كل أُسرة لبنانية مسلمة قد فقدت واحداً أو أكثر من أعضائها الذكور خلال هذه الحرب الأهلية التي أشعلها الموارنة .

ثمّ واصلت لجنة أهالي المخطوفين تناشد بدون جدوى الهيات المحلية والعربية والدولية لتضع نهاية لمأساة المخطوفين . والسلطة اللبنانية ـ وهي نفسها ممن تلطخت أيديهم بجرائم الخطف والإعتقال العشوائي ـ لا تكترث مطلقاً بهذه المأساة . وكانت ثلاث لجان قد أنشأت خلال عهد رئيس الوزراء شفيق الوزان سنة ١٩٨٣ ، إلَّا أن مهام هذه اللجان محدودة بجمع المعلومات . والوزان بنفسه كان قد وقع على «المرسوم رقم ١٠» الذي يبيح للجيش اللبناني إعتقال أي شخص «يهدد أمن الدولة» وقد أساء الجيش استخدام هذا المرسوم أيما إساءة ، ثم خلفت وزارة رشيد كرامي الذي أصدر قراراً بإطلاق سراح كل المخطوفين ، ولكن وزارة كرامي لم تتمكن من تنفيذ هذا القرار بواسطة أجهزة الدولة التي يتحكم فيها الموارنه .

وكان الرئيس أمين الجميل قد تجاهل كل النداءات بإطلاق سراح المخطوفين ، وحين تعرض لضغط بشأن هذه القضية خلال مؤتمر لوزان في مارس/آذار ١٩٨٤ ، قال أنه يدعو إلى «إطلاق سراح المخطوفين الأحياء ، أما الأموات فيرحمهم الله» وكل هذا لم يؤدِ إلى أكثر من إطلاق القوات اللبنانية سراح ٣٣

شخصاً .

وتستمر عمليات الخطف إلى اليوم ، فقبل فترة وجيزة اختطف وزير الدفاع اللبناني عادل عسيران على أيدي القوات اللبنانية (في ١٣ سبتمبر/أيلول الماضي) ، ثم أطلق سراحه في اليوم نفسه حين أعلم الجيش حالة التعبئة الشاملة وأطلق النار فقتل عدداً من عناصر القوات] انتهى .

وفي مجلة الجيل (تشرين الأول إكتوبر ألف وتسعمائة وستة وثمانين) يقول التقرير الذي ننشره هنا إلى أن التطابق لم يكن في أهداف الصهيونية والنازية وحدها ، بل في الأساليب أيضاً بما في ذلك غرف الغاز الهتلرية التي استخدمتها الصهيونية ، ولا تزال كإحدى أهم حملاتها الإعلامية والسياسية : إن غرف الغاز تستخدم الآن في إسرائيل ليس ضد الفلسطينيين وحدهم ، بل حتى ضد المواطنين اليهود ، كما يؤكد الكاتب اليهودي ميشال في تحقيقه التالي :

[إن السجين الإسرائيلي هو لاجيء يهودي في دولة يهودية لكنه يعامل بأسوأ مما كان يعامل به النازيون نزلاء سجونهم هذا ما يقوله (ألف ياء ألف) وهو سجين يهودي إسرائيلي قضت عائلته خلال الحرب العالمية الثانية ، ويضيف : وهنا في الدولة اليهودية تستخدم الغازات ضد السجناء الإسرائيليين ويوضح (ألف ياء ألف) إن الغازات استخدمت ضده عشر مرّات برغم أنه لم يتورط في أيّ خلاف أو سجال وبأن الغازات تستخدم كعقوبة جماعية ، ويقول أن الغاز ينفث في أجنحة السجن وزنزاناته المغلقة ويتسبب في حروق بشعة وإغماءات وأمراض رئوية وفقدان مؤقت للبصر ، لقد دوّن (ألف ياء ألف) معاناته هذه في رسالة في تشرين الثاني نوفمبر ألف وتسعمائة وثلاثة وثمانين ثم نشرها في تقرير أصدرته ما تسمى

بالرابطة الإسرائيلية للحقوق المدنية وحقوق الإنسان في أوائل هذا العام ، ويشير إلى ما شجعه على الكتابة هو الصحف الإسرائيلية بنشر تقارير عن استخدام غاز الدموع ضد النسوة الفلسطينيات في سجن الرملة لكن شهادة (ألف ياء ألف) لم تكن الوحيدة ، فقد نشرت صحيفة معاريف الإسرائيلية صحيفة أخرى كشفت فيها معلومات لم تكن معروفة من قبل . . هناك صالة كبيرة في داخلها غرفة صغيرة في سجن رام الله يطلق عليها السجناء اسم غرفة الغاز ، وهذه الغرفة الزنزانة التي لا يتعدى حجمها ٧٥/ ١٥٠ سنتمتراً يحشر فيها السجين يغلق بابها بالمزاليق في حين يقف حارس على المدخل وهو يرتدي قناعاً واقياً ضد الغاز ، ثم يعمد إلى نفث الغاز ويغادر الزنزانة بعد إعادة إغلاق الباب بأحكام ، ان بعض السجناء يبقون في الزنزانة العابقة لمدة أربعة وعشرين ساعة فيما يبقى آخرون أياماً عدة ، وتقول المعلومات أنه يتم في بعض الأحيان تعرية السجناء ورشهم بالماء بعد تعريضهم للغاز ، وهذا المزيج من الماء والغاز يؤدي إلى تقشر الجلد وإلى حروق بشعة لقد أكد أحد حراس السجن الذين قابلتهم (معاريف) أن الغاز يستخدم لقمع الخلافات العنيفة والعراك بين العصابات في السجن ، لكنه أنكر معرفته بوجوده غرفة الغاز ، ويقول أن الغاز الذي يسميه الحراس (يعقوب السن) يجعل السجناء يبدون كالخفافيش المغمى عليها إذ يفقدون

الأحاسيس ، ثم يبدأون بالسعال والتقيؤ كما يعاني البعض منهم من انعكاسات الغاز لمدة طويلة ويضيف الحارس أنه صدف أن لامس مرة باب زنزانة استخدم فيها الغاز فشعر بحريق في وجهه وفقد بصره لمدة خمس وأربعين دقيقة ، واعترف بأنه لم يتكلم أبداً في السابق خوفاً أن لا يصدق أحد اموراً كهذه تحدث في دولة فيها الكثير من السكان الذين فقدوا أقاربهم في غرف الغاز النازية بأوروبا الهتلرية .

أما المعاملة الإسرائيلية للسجناء الفلسطينيين فثمة وثائق عدة حولها وقد أبانها تقرير منظمة العفو الدولية في نيسان أبريل الماضي ، لكن اللجنة الإسرائيلية للحقوق المدنية وحقوق الإنسان اختارت تكثيف تحركها حول السجناء الإسرائيليين اليهود الذين هم مواطنون إسرائيليون لا سجناء فلسطينيين أو لبنانيين من الأراضي المحتلة الذي يكون وضعهم حتماً أسوء بكثير ، ويفيد تقرير اللجنة الإسرائيلية عن شكاوى ضد وحشية الشرطة التي تدفع عدداً من السجناء إلى الجنون أو الإنتحار : فهناك مثلاً حالة أهارون الذي جنّ بسبب التعذيب في السجن واعتبر من المعاقين في دوائر الضمان الإجتماعي ويُقال : إن وحشية الشرطة شائعة ضد اليهود الشرقيين في أزقة إسرائيل وأحيائها الفقيرة وهي وحشية لا تحظىٰ بتغطية إعلانية بالمقارنة مع العناوين العريضة التي تنشرها

الصحف في حال تعرض مواطن محترم يهودي غربي إلى سوء ، وعندما سأل الأمين العام للجنة الإسرائيلية عما إذا اتخذت إجراءات قانونية ضد الشرطة أجاب هذا غير ممكن ، فهؤلاء الناس جد بؤساء ولا حول لهم ولا قوة ويشير التقرير إلى حالة (بني شيتريت) عشرين عاماً الذي حاول الإنتحار في مركز الشرطة بالقدس في عشرة حزيران يونيو ألف وتسعمائة وتسعة وسبعين ، فانكشفت الفضيحة وتمت إدانة ثلاث من رجال الأمن ، لكن النتيجة كانت أن بني شيتريت بات يتعرض إلى مضايقات دائمة من الشرطة ، وقد كتب الخادم (يشوع نيمان) من نيويورك إلى وزير الداخلية والشرطة الإسرائيلية يوسف بوزغ محتجاً على هذه الأمور قائلاً : إن تحول الشرطة إلى الإنتقام من حكم أصدرته المحكمة وذلك يثير السخرية من القضاء . إن هذا أمر مضحك لكنه قائم منذ سنتين ، ويشير تقرير اللجنة الإسرائيلية إلى تهديدات وجهها النظار العاملون في السجون الإسرائيلية ضد الصحفين وضد من يكشف الفظاعات التي تجري في السجون إن التعذيب الذي تمارسه الشرطة يحظى بتشييح النظام القانوني الإسرائيلي الذي يقبل باعترافات ابتزتها الشرطة في غياب قاض أو محام ، ويعتبرها إثباتات كافية للإدانة حتى في الحالات التي يسحب فيها المعتقلون اعترافاتهم التي تكون قد انتزعت منهم تحت التعذيب ، وتشكل قضية (دانيال هانوك) مثالاً صارخاً على ذلك فقد

اعترف بجريمة والداه ، لا بل أعاد تمثيلها أمام الشرطة وآلات التصوير ، وعندما ظهرت بعض الشكوك وتم إثبات براءته من التهمة التي اعترف بها تحت الضغط لم تتخذ أية إجراءات تأديبية بحق الشرطة ، غير أن استخدام الغاز لا يفيد الأهداف العملية كسحب الإعترافات مثلاً ، بل هو سلوك وحشي يمارس بذاته ولذاته ، والواقع أنه لم يرتفع أي صوت احتجاج غير صوت اللجنة الإسرائيلية ، برغم أن تقرير هذه الأخيرة وزع على أعضاء الكنيست ، وعلى أبرز المحامين ، فالتجاوب كان تحت الصفر تقريباً حتى لدىٰ القيادات الصهيونية التي نعتت نفسها باليسار والليبرالية ، ويقول رئيس اللجنة البروفسور إسرائيل شاهاك : إن الأحزاب الصهيونية اليسارية تقاطعنا كأننا وعلى عكس التشكيلات التي تعالج مشكلات حقوق الإنسان في إسرائيل لا تخبيء الغسيل القذر في الداخل ، بل أننا ننشر كل شيء في الخارج لقد فرضت الأحزاب الصهيونية اليسارية على نفسها مبدأ (توتاليتاريا) أسوأ من أية رقابة شكلية ، ولا تتكلم إلى غير اليهودية ، وهكذا فأنا لا أنتظر أي مساعدة منها ، ويعتقد شاهاك أن الوضع في إسرائيل تدهور بشدة خلال السنوات الخمس الأخيرة ، وهو ما يزال يتوقع المزيد من التدهور] .

وإذا كان هذا التقرير ، قد كشف عن المعاملة الوحشية التي يلقاها

الإسرائيلي من الإسرائيلي أمكننا تصور ما يلقاه العرب على أيدي وحوش الإحتلال الإسرائيلي .

الواقع الفعلي لا يدل على سقم المبادىء :

إن صحة المبادىء شيء وتطبيق الحالة الخارجية على تلك المبادىء شيء آخر ، وإذا لم يطبّق الإنسان أعماله على تلك المبادىء الصحيحة عاش حالة الدروشة ، وكثير من المسلمين صاروا في القرن الحاضر هكذا انهم دراويش أعمال وإن كانت عقائدهم صحيحة ، والدرويش لا يتمكن من التقدم ، فكيف وهو لا يتقدم إلاّ في المحيط الذي تصوره هو وبناه لنفسه ، انهم يعتقدون باصول الدين ويقومون بأداء العبادات ، لكن الإسلام لا يطبق كلاً من ألفه إلى يائه ، لا في النظافة ، ولا في النظام ، ولا في الامة الواحدة ، ولا في الاخوة الصادقة ، ولا في الإلفة ، ولا في الإكتفاء الذاتي ، ولا في النشاط ، ولا في العلو حسب (الإسلام يعلو ولا يُعلىٰ عليه) ولا في عدم اتخاذ الوليجة ، ولا في زواج بنيهم وبناتهم حسب السن الإسلامي والمهر الإسلامي ولا في الحج الجماهيري ، ولا في الأخلاقيات ، ولا في الآداب ، ولا في الإستفادة من خيرات الأرض ، ولا في العلم ، ولا في ألف شيء وشيء ، والحاصل لا يطبق الإسلام في القانون وإنما يطبق في الذهن والعبادة غالباً فقط ، أليست هذه حالة الدروشة ؟ فماذا يصنع الدرويش غير أنه يعتقد عقيدة معينة (علىٰ فرض صحة اعتقاده وعدم إنحرافها) ويعمل بالعبادات من صوم وصلاة وحج اذا كان مطابقاً للاسلام ، أما سائر الأمور فلا وربما يعمل ببعضها ، لكن ذلك العمل بالبعض لا يخرجه عن كونه درويشاً .

إن الإنسان إذا نظر في باب الفقه إلى كتاب الجواهر لا يرىٰ عمل المسلمين متطابقاً معه ، وإذا نظر في باب مطلق الأعمال إلى كتاب (الوسائل) لا يرىٰ عمل المسلمين منطبقاً عليه ، بل نقول : إذا نظر الإنسان إلىٰ القرآن الحكيم فهل يرىٰ إنطباق أعمال المسلمين عليه ، إن القرآن لم يتقدم في العالم إلاّ بالتطبيق ، واليوم لا يطبق بعضه ! .

وهل بعض الطائرة يطير أو بعض السيارة يسير أو بعض الباخرة تبحر بالماء ، أو بعض المعمل يتمكن من الإنتاج ؟ .

الضعف ليس في المبنىٰ . فالهندوكية والكونفشيوسية والبوذية والمسيحية واليهودية من الأديان التي يدّعي أصحابها ، إن ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، كلها أديان لكن لا بناء على تلك الأديان ، ولا صحة لتلك العقائد ، ولهذا لا تتمكن أن تتقدم في العالم ، وحتىٰ أن هؤلاء أصحاب الأديان تركوا الأديان في الحياة إلى القوانين التي ابتدعتها عقولهم .

أما المسلمون فضعفهم في البناء لا في المبنىٰ ، ولا يتوهم أن الإدعاء الفارغ والتهريج حول تطبيق الإسلام كما عملته فترة الباكستان وفترة السودان و . . يغير من الواقع شيئاً ، إن الإسلام ليس بهذا القدر الذي يعمل به المسلمون ، وإنما هو أوسع وأشمل ، وقد رأيت شيئاً منه قبل نصف قرن ، وما أراه الآن ليس حتى عشر ما رأيت ، وقد ذكرت بعض ما رأيت في كتاب (بقايا حضارة الإسلام كما رأيت) فهل يترقب أن يقوم هذا الإسلام ويأخذ بالزمام ، نعم انقسمت البلاد من جهة الحكم إلى علماني بالواقع وإسلامي بالإسم ، فلا العلماني يتمكن من النهوض ولا الإسم ينفع شيئاً .

إن تركيا زعمت أو أرادت أن تزعم أنها أدارت ظهراً للإسلام لتكون كالغرب في صناعتها وزراعتها وحريتها واستقلالها وما أشبه لكنها بعد خمسين سنة وجدت نفسها وقد أضاعت كلا السبيلين ، فلا الغرب قبلها ولا الإسلام أنقذها ، أما الأول فلأن الغرب ينظر إليها نظرة إلى عدو تقليدي ، وأما الثاني فلأنها حكومة خرجت عن ربقة الإسلام.والشعب المسلم يكتوي بهذه النار منذ نصف قرن ، اقتصاد محطم ، وتخلّف مشين والبلد سوق للبضائع الأجنبية ، وقاعدة للإستعمار ، وإذلال واستخفاف ، نعم أصبح السيد عبداً وسيده (الغرب) لا يعطيه حتى سهم العبيد .

وعلى أي حال ، فما لم يرجع المسلمون إلى الإسلام الموجود في الكتاب والسنّة لا يجدون حتى لقمة العيش ، وحتى احترام العبيد . أما الرفاه والسيادة

فلا يمكن أن يحلموا بها ولا أدل على ذلك من فلسطين ، قرن من الاحتلال ليس للمسلمين فيها إلاّ الدماء والدمار والذل والهوان ، ففلسطين لا تريد أن تنجو إرادة واقعية ، وإنما تريد أن تنجو كفلسطين أو كعرب وهل سعادة فلسطين وسيادتها كانتا بسبب فلسطين في أول الإسلام ، أو كانتا بسبب العرب حتى تعود السيادة إليها تحت شعار فلسطين ، أو تحت شعار العرب ، إنما أنقذ فلسطين الإسلام ، والإسلام وحدة . والإسلام مقصي اليوم بكل قوة من شؤون فلسطين ، فالأمة الواحدة والأخوة الإسلامية والقوانين الحيوية التي وردت على لسان الله ورسوله وأوليائه ، في القرآن الحكيم والسنّة المطهرة ، هي التي يمكن أن تنقذ فلسطين ، أما ما عدا ذلك فتعب وسير في الأشواك . وأخيراً إذا وصلوا إنما يصلون إلى السراب .

والغريب في الأمر أن المسلمين حتى المجاهدين منهم والذين يعطون الدم والمال وكل شيء يصرون على إقصاء الإسلام بكل قوة .

فلنأخذ مثلاً آخر : إن أفغانستان وإيران وسائر بلاد الإسلام كانت منذ دخول الإسلام بلداً واحداً ، ثم قبل قرنين من الزمان شطر المستعمرون إيران وأفغان إلى دولتين ، وفي هذه السنوات غزاها الروس بما أوجب قتل مليوني إنسان وتشريد خمسة ملايين ، وإدخال مليونين في عداد المعاقين أي تسعة ملايين من واحد وعشرين مليون ، أما الخراب والدمار والسجون والتعذيب وما إلى ذلك فحدث عنها ولا حرج ، وأخيراً خرج الروس عن أفغانستان وإذا بجماعة من الأحزاب شكلوا حكومة لهم ضاربين عرض الحائط بثلثي الأمة ، ثلث من الشيعة الذين حاربوا معهم وأعطوا ما أعطوا من الدماء والأموال ، وثلث من السنّة الذين حرموهم من المشاركة في الحكم ، فهل هؤلاء يريدون النجاح .

إن الجهاد في افغانستان كان إسلامياً مئة في المئة ، أما انتهاز الفرص والوثوب على الحكم ، فليس من الإسلام في قليل ولا كثير ، إنهم انتهزوا ما زعموه فرصة ، ولم تكن فرصة كما يكشف عن ذلك المستقبل ، إنتهزوها جاهاً ورئاسة ودنيا ومالاً ، مما يسميه الشرع اختيال الدنيا بالدين. إني لا أقول : إن جميعهم كانوا كذلك ، بل أقول : إن الصبغة العامة صارت هكذا ، وقد ورد في

الشرع أشد الذم لاختيال الدنيا بالدين ، ولمن وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره ، فعن يونس بن ظبيان ، قال : (سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» يقول : قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : إن الله عزّ وجلّ يقول : ويل للذين يختلون الدنيا بالدين ، وويل للذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، وويل للذين يسير المؤمن فيهم بالتقية ، أبي يغترون أم عليَّ يجترئون فبي حلفت لاتيحن لهم فتنة ، تترك الحليم منهم حيراناً)[١] .

وفي رواية أُخرىٰ عنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال في آخر خطبة خطبها : (ومن عرضت له دنيا وآخرة فاختار الدنيا وترك الآخرة لقى الله وليست له حسنة يتقي بها النار ، ومن أخذ الآخرة وترك الدنيا لقى الله يوم القيامة ، وهو عنه راض)[٢] .

وعن جعفر عن محمد عن أبيه «عليهما السَّلام» : (إن الله تبارك وتعالىٰ أنزل كتاباً من كتبه على نبي من أنبيائه وفيه أنه يكون خلق من خلقي يلحسون الدنيا بالدين ، يلبسون مسوك الضأن على قلوب كقلوب الذئاب أشد مرارة من الصبر وألسنتهم أحلىٰ من العسل ، وأعمالهم الباطنة أنتن من الجيف ، أفبي يغترون أم إياي يخادعون ، أم عليّ يجترئون فبعزتي حلفت لأتيحن لهم فتنة تطأ في خطامها حتى تبلغ أطراف الأرض تترك الحليم منهم حيراناً)[٣] .

وعن مفضل بن عمر أنه قال في وصيته لأصحابه ، لا تأكلوا بآل محمد «عليهم السَّلام» فإني سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» يقول : (افترق الناس فينا على ثلاث فرق : فرقة أحبونا بانتظار قائمنا «عليه السَّلام» ليصيبوا من دنيانا فقالوا وحفظوا كلامنا وقصروا عن فعلنا فسيحشرهم الله إلى النار ، وفرقة أحبونا وسمعوا كلامنا ولم يقصروا عن فعلنا ليستأكلوا الناس بنا فيملأ الله بطونهم ناراً يسلط عليهم الجوع والعطش ...)[٤] .

---

(١) البحار ج ٧٣ ص ٨٥ ح ٤٩ .
(٢) البحار ج ٧٣ ص ١٠٣ ح ٩٢ .
(٣) الوسائل ج ١١ ص ٢٨٦ ح ٣ باب ٥٢ .
(٤) البحار ج ٧٨ ص ٣٨٢ ح ١ .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (طلبة العلم ثلاثة فاعرفهم بأعيانهم وصفاته ، صنف يطلبه للجهل والمراء ، وصنف يطلبه للإستطالة والختل - إلى أن قال - : وصاحب الإستطالة والختل ذو خب وملق يستطيل على مثله من أشباهه ويتواضع للأغنياء من دونه ، فهو لحلوائهم هاضم ، ولدينه حاطم ، فأعمى الله على هذا خبره ، وقطع من آثار العلماء أثره)[1] .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (أشرار الناس من باع آخرته بدنياه ، وشر من ذلك من باع آخرته بدنيا غيره)[2] .

وعن عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (صن دينك بدنياك تربحهما ، ولا تصن دنياك بدينك فتخسرهما)[3] .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (صن الدين بالدنيا ينجيك ، ولا تصن الدنيا بالدين فترديك)[4] .

وعن أبي ذر «رضي الله عنه» قال : (من تعلم علماً من علم الآخرة ، يريد عرضاً من عرض الدنيا لم يجد ريح الجنة ، وفي كلمة أُخرىٰ له قال : الخاسر من عمر دنياه بخراب آخرته، والخاسر من استصلح معاشه بفساد دينه)[5] إلى غير ذلك من الروايات التي بهذا الصدد .

أما فمن وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره ، فقد وردت روايات كثيرة ، فعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (أشد أهل النار عذاباً من وصف عدلاً ثم خالف إلى غيره)[6] .

---

(١) الخصال ص ١٩٤ ح ٢٦٩ (بالمعنى) .
(٢) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٢٥ باب ٥٢ ح ٣ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٤٠ ح ٦٠ .
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٤٠ ح ٦١ .
(٥) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٢٥ باب ٥٢ ح ٥ .
(٦) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣١٠ باب ٣٨ ح ٤ .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» أنه قال في حديث : (وإن أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره) [١] .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» في قوله الله تعالىٰ : ﴿**فكبكبوا فيها هم والغاوون**﴾ قال : (فإنهم قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم ، ثم خالفوا إلى غيره) [٢] .

وعن أبي بصير عن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» في الآية المتقدمة قال : (يا أبا بصير ، قوم وصفوا عدلاً وعملوا بمخالفته) [٣] .

وفي رواية الرضوي : «عليه السَّلام» في الآية الكريمة قال : (هم قوم وصفوا بألسنتهم عدلاً ثم خالفوا إلى غيره ، فسأل عن معنى ذلك؟ فقال «عليه السَّلام» : إذا وصف الإنسان عدلاً ثم خالفه إلى غيره فرأى يوم القيامة الذي هو واصفه لغيره عظمت حسرته) [٤] .

عن عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (وإن أشد الناس ندامة وحسرة رجل دعا إلى الله فاستجاب له فأطاع الله ، ودخل الجنة وأدخل الداعي النار ، بترك عمله ، وإتباعه هواه وعصيانه لله) [٥] .

وعن خثيمة عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» في حديث أنه قال : (وإن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره) [٦] .

وعن معلى عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (إن أشد الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم عمل لغيره) [٧] .

---

(١) الوسائل ج ١١ ص ٢٣٥ ح ٥ باب ٣٨ .
(٢) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣١٠ باب ٣٨ ح ٥ .
(٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣١٠ باب ٣٨ ح ٦ .
(٤) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣١٠ باب ٣٨ ح ٧ .
(٥) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣١٠ باب ٣٨ ح ٨ .
(٦) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣١٠ باب ٣٨ ح ٩ .
(٧) الوسائل ج ١١ ص ٢٣٤ ح ٢ باب ٣٨ .

عن الأعشىٰ عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة من وصف عدلاً وعمل بغيره)[١] .

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» في قول الله عزّ وجلّ : ﴿**فكبكبوا فيها هم والغاوون**﴾ فقال : (يا أبا بصير ، هم قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم ثم خالفوه)[٢] .

وعن أبي جعفر «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال لخيثمة : (أبلغ شيعتنا أنه لن ينال ما عند الله إلاَّ بعمل ، وأبلغ شيعتنا إن أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم يخالفه إلى غيره) .

الصحة والأمن والغنىٰ :

الصحة منهارة في كلّ العالم ، والقلق آخذ بالأكظام ، والفقر ضارب بأطنابه في كل مكان والحروب والثورات قائمة على قدم وساق ، صحيح أن أمريكا وأوروبا لا حروب فيها ولا ثورات ، لكنها مبعث الحروب والثورات بصنعها الأسلحة وإلقائها الفتن بين الناس دائماً ومعنى ذلك أنها أيضاً داخلة في الحرب . ثم أليس تقسيم أوروبا إلى الشرقية والغربية ، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية من ويلات الحرب وآثارها ، ومعنى ذلك أن الحرب العالمية الثانية إلى الحال الحاضر أوقعت ثلاثمائة حرب ذهب ضحيتها أكثر من اثنين وسبعين مليوناً من البشر .

وأما الخراب والدمار في هذه الفترة فحدث عنها ولا حرج ، ثم العالم ككل يشتكي من عدم السكن لا للرجال ولا للنساء حيث كثرة هائلة من البنات التي لا أزواج لهن ، ومن البنين الذين لا زوجات لهم ثم الراحة معدومة بالنسبة إلى الكبير والصغير ، والغني والفقير ، والسيد والمسود ، والحديث العام عن المشاكل والازمات والتنمية والقروض وما أشبه ، معروف للجميع من غير فرق بين البلاد

---

(١) الوسائل ج ١١ ص ٢٣٤ ح ٣ باب ٣٨ .
(٢) الوسائل ج ١١ ص ٢٣٥ ح ٤ باب ٣٨ .

الصناعية وغيرها ، والكل يركض ليل نهار وراء الحلول ولا حلول فلماذا كل هـذه الأمور ؟ .

الجواب : إنها لأجل أمرين :

الأول : إنه لا إيمان بالله واليوم الآخر .

والثاني : انه لا تطبيق لأحكام الله سبحانه .

وقـد أشار القـرآن الحكيم إلى الأمر الأول بقـوله : **﴿ومن يؤمن بـالله يهـد قلبه﴾**(١) وقال : **﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾** (٢) .

وإلى الأمر الثاني بقوله سبحانه : **﴿ومن أعرض عن ذكري فـإن له معيشـة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمىٰ قال رب لم حشرتني أعمىٰ وقد كنت بصيـراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسىٰ﴾** (٣)وقال سبحانه : **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنّمـا يصّعّد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾** (٤) .

وعليه فاللازم على التيار الإسلامي السالك للنجاة أن يحاول معـالجة هـذين الأمرين ، ولو بقدر ، قبل وصوله إلى الحكم .

ثم إذا أخذ بالزمام يطبقهما على الكل حسب منـاهج الإسـلام . ولا يخفىٰ ان الأخذ بمناهج الله تعالىٰ حتى لمن لا يؤمن بالله تعالىٰ يخفف من ويلات الحياة ، مثلاً إن الله قرر **﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾** (٥) فمن عمـل بهذا الـدستور في أكله وشربه لا يُصاب بالأمراض التي يسببها كثرة الأكل والشرب إلى حد التخمـة وما أشبه ، سواء كان مؤمنـاً بالله أو لم يكن ، وهكـذا بالنسبـة إلى سائـر المناهـج الإسلامية التي قـررهـا في الحيـاة ، نعم إذا أراد الإنسـان أن لا يبتـلىٰ بـالـويـلات لا في

---

(١) سورة التغابن : الآية / ١١ .
(٢) سورة الرعد : الآية / ٢٨ .
(٣) سورة طه : الآية / ١٢٤ .
(٤) سورة الأنعام : الآية / ١٢٥ .
(٥) سورة الأعراف : الآية / ٣١٠ .

الـدنيا ولا في الآخـرة لا بد لـه من الأمرين معـاً ، الإيمان بـالله واتباع المنـاهج ، ولنشرح شيئاً من البنود التي ذكرناها في أول المسألة :

البند الأول : إن الصحة منهارة في كل العالم لماذا ؟ .

الجواب : لأن الله خلق الإنسان وخلق له أمراضاً وجعل للأمراض أسبـاباً وخلق للأمراض أدوية وخلق العلم الذي يعرف المرض ويعرف الدواء .

س : هل المرض من خلق الله ؟ .

الجواب : المرض على قسمين :

القسم الأول : الأمـراض الناشئـة من الأعدام ، بمعنى أن العـدم يـوجب نقصاً (من باب السالبة بانتفاء الموضوع لا من باب أن العدم سبب ، فـإن العدم ليس بشيء حتى يكون سبباً أو مسبباً أو موصوفاً أو وصفاً وهذا القسم ليس مخلوقاً لأنـه ليس بشيء حتى يكون مخلوقـاً . مثلاً إذا حـدث فاصـل في فقـرات الـظهـر أوجب آلامـاً ، كما أنـه إذا لم تكن الكهربـاء أوجبت ظلامـاً ، وبتعبـير أصـح إن الكهـرباء وجـود والظلام عـدم وكلما لم يكن الوجـود كان العـدم . وعـلاج هـذا القسم من المرض:الوجود أي التقريب بـين الفقرات حسب مـا قرره الله سبحـانه وتعالىٰ) .

الثاني : الأمراض الوجودية مثل تضخم القلب ، وهذا وجودٌوهـو من الله سبحانه ، إذ لا موجد إلاَّ إياه تعالىٰوّخلق الكون على قاعدة الاسباب والمسببات.

وللسـائـل أن يسـأل : إنكم قلتم إن العـدم ليس مؤثـر ولا بمتـأثـر فكيف تقولون في القسم الأول الذي هو عدم الإتصال وهو عدمي أنه يوجب آلاماً أليس معنى ذلك أن العدم صار مؤثراً ؟ .

الجواب : العدم لم يكن مؤثـراً بل الله سبحـانه وتعـالىٰ في وقت تحقق هذا العـدم جعل الأعضـاء تتألم ، فـالله يخلق الألم في حالـة عـدم الإتصـال كـما يخلق الخوف في الإنسان في صورة عدم النور ، أي حالـة الظلام بنـاءاً على أن الـظلام عدم لا أنه ضد وجودي للنور فتامل.

وكيف كان فمن أسباب الصحة الغذاء والكساء والمسكن والمشرب والزواج والعمل المناسب للإنسان ومـا إلى ذلك من الأُمـور الحيويـة ، ثم الرضـا بما عنـد الإنسان منها . وعدم الإيمان أو عدم الأخذ بمناهج الله يـوجب الإختلال في هـذه الأُمور ولذا يكثر المرض ، فمن ليست له الحوائج والأوليات يمرض ومن لا يعمل يمرض لأن العمل البـدني يوجب الصحـة . وإذا توفـر كل ذلـك للإنسـان ولكنه طلب المزيد ولم يرض بما عنده بل كان حريصاً أو حسوداً أو ما أشبه ذلـك ، فإنـه يمرض أيضاً كما ذكر في الطب ، ولذا جاء في الروايات تأكيـد بليغ عـلى اليقين ، والرضا وعدم الحرص ، وعدم الحسد وما أشبه ذلك .

مثلا في اليقين باب للـــرزق والعمـر والنفع والضرر ومـا إلى ذلك من لوازم الحياة وردت هذه الروايات :

فعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» كفى باليقين غنى وبالعبادة شغلاً)[١] .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» في خطبة له : (أيهـا الناس سلوا الله اليقين وارغبوا إليه في العافية وإن أجل النعمة العافية وخير مـا دار في العافيـة اليقين والمغبون من غبن دينه والمغبوط من غبط يقينه)[٢] .

وكان عليّ بن الحسين «عليه الصَّـلاة والسَّلام» (يـطيل القعـود بعد المغـرب يسأل الله اليقين)[٣] .

وعن صفوان قال : (سألت أبا الحسن الرضا «عليـه السَّلام» عن قـول الله لإبـراهيم «عليه السَّـلام» : **﴿أو لم تؤمن قال بـلىٰ ولكن ليطمئن قلبي﴾** أكـان في قلبه شك ؟ قال : لا ، ولكنه أراد من الله الزيادة في يقينه)[٤] .

أقول : اليقين مثل الشجاعة والكرم وسائر الصفـات النفسية لهـا مراتب ،

---

(١) البحار ج ٧٠ ص ١٧٦ ح ٣٢ .
(٢) البحار ج ٧٠ ص ١٧٦ ح ٣٣ .
(٣) البحار ج ٧٠ ص ١٧٦ ح ٣٣ .
(٤) البحار ج ٧٠ ص ١٧٦ ح ٣٤ .

فيمكن أن تزداد إلى حد بعيد .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : إن أُناساً أتوا رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» بعدما أسلموا فقالوا : يا رسول الله أيؤخذ الرجل منا بما عمل في الجاهلية بعد إسلامه ، فقال : (من حسن إسلامه وصح يقين إيمانه لم يأخذه الله بما عمل ، ومن سخف إسلامه ولم يصح يقين إيمانه أخذه الله بالأول والاخر) (١) .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال علي «عليه السَّلام» : (اعلموا أنه لا يصغر ما ضر يوم القيامة ولا يصغر ما ينفع يوم القيامة فكونوا فيما أخبركم الله كمن عاين) (٢) .

وعن النبيّ «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (يا عليّ إن من اليقين أن لا ترضىٰ بسخط الله أحداً ، ولا تحمد أحداً على ما آتاك الله ولا تذم أحداً على ما لم يؤتك ، فإن الرزق لا يجره حرص حريص ولا يصرفه كراهة كاره) (٣) .

وعن الجعفريات بسند الأئمّة إلى عليّ «عليهم الصَّلاة والسَّلام» قال : (قلت : يا رسول الله أخبرنا عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ ما ذلك الكنز الذي أقام الخضر عليه الجدار، فقال : يا علي لوح من ذهب مدفون مكتوب فيه : بسم الله الرّحمن الرّحيم الله الذي لا اله إلاّ هو أنا الله الواحد لا شريك لي ، محمد رسول الله عبدي اختم به رسلي ، عجباً لمن ايقن بالموت ثم هو يفرح ، عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم هو يطمئن إليها ، وعجباً لمن ايقن بالقدر ثم هو يأسف ، وعجباً لمن أيقن بالحساب غداً ثم هو لا يعمل) (٤) .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» كما يرويه عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» انه قال في حديث : (لا عبادة إلاّ بيقين) (٥) .

---

(١) البحار ج ٧٠ ص ١٧٧ ح ٣٧ .
(٢) البحار ج ٧٠ ص ١٧٨ ح ٣٩ .
(٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٨٤ باب ٧ ح ٩ .
(٤) الجعفريات ص ٢٣٧ .
(٥) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٨٤ باب ٧ ح ٨ .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (ما من شيء إلاَّ وله حدّ ، قلت : وما حد اليقين ؟ قال : ان لا تخاف شيئاً)[١] .

أقول : المراد الخوف الحقيقي مثل قوله تعالىٰ : **﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**[٢] أما الخوف العرضي من الظالم والجائر وما أشبه فذلك لا يسمىٰ خوفاً بالنسبة إلى الخوف الذي يكون في مجموع الدنيا والآخرة ، فهو من باب النفي المطلق باعتبار أن الموجود ليس بشيء إطلاقاً عند العرف ادعاءاً .

وعن جابر الجعفي عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» أنه قال : (يا أخا جعفي أن اليقين أفضل من الإيمان وما من شيء أعز من اليقين)[٣] .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (لا يجد أحد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه)[٤] .

وعن هشام أنه قال : (سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» يقول لحمران بن أعين : يا حمران،إلى أن قال : واعلم أن العلم الدائم القليل على اليقين أفضل من العمل الكثير على غير اليقين)[٥] .

وفي كلمات الإمام أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» (كما في الغرر) هذه الكلمات القصار : (أفضل الدين اليقين)[٦] ، (أفضل الإيمان حسن الإيقان)[٧] ، (إن الدين كشجرة أصلها اليقين)[٨] ، (إذا أراد الله بعبد خيراً

---

(١) البحار ج ٧٠ ص ١٨٠ ح ٤٦ .
(٢) سورة يونس : الآية / ٦٢ .
(٣) البحار ج ٧٠ ص ١٣٥ ح ١ .
(٤) البحار ج ٧٠ ص ١٤٨ ح ٩ .
(٥) البحار ج ٧٠ ص ١٧٣ ح ٢٨ .
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ١١٣ ح ٣٣٦ .
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ١١٣ ح ٣١٨ .
(٨) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ١٣٠ ح ١٥٢ .

فقهه في الدين ، وألهمه اليقين باليقين) (١) ، (عليكم بلزوم اليقين والتقوىٰ فإنهما يبلغـانكم الجنة المأوي) (٢) ، (أيقن تفلح) (٣) ، (لو صـح يقينك لما استبدلت الفاني بالباقي ولا بعت السني بالـدين) (٤) ، (ومن أيقن بالآخـرة لم يحرص عـلى الـدنيا) (٥) ، (من أيقن بـالمعـاد استكـثر الـزاد)(٦) ، (من حسن يقينـه حسنت عبادته)(٧) ، (من أيقن بالآخرة سلا عن الدنيا)(٨) ، (من أيقن بالقـدر لم يكترث بما نابه) (٩) ،(من لم يوقن قلبه لم يطعه عمله)(١٠)، (ما أعظم سعادة من بوشر قلبه ببرد اليقين)(٦) ، (ما غدر من أيقن بالمرجع)(١٢)، (لا إيمان لمن لا يقـين له)(١٣)، (لا يعمل بالعلم إلا من أيقن بفضل الأجر فيـه)(١٤)، (يستدل عـلى اليقين بقصر الأمل ، وإخلاص العمل والزهد في الدنيا)(١٥) .

وقد ورد في باب القناعة والرضا بـالكفاف جملة كبـيرة من الروايـات نذكـر منها ما رواه الطبرسي عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قـال : (اشتدت حـال رجل من أصحاب النبيّ «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» فقالت له امرأته : لو أتيت رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» فسألته فجاء إلى النبيّ «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم»

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ١٥٦ ح ٣٥ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٥٧ ح ١٩ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٨٥ ح ٢٦٥ .
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣٢٠ ح ٢٥ .
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣٣٥ ح ٤٠٢ .
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣٣٥ ح ٤٠٦ .
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣٤١ ح ٦١٣ .
(٨) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣٣٥ ح ٤٠١ .
(٩) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣٣٥ ح ٤٠٤ .
(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣٦٦ ح ١٤٨٦ .
(١١) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣٧٨ ح ٥١ .
(١٢) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣٨٣ ح ٢٠٥ .
(١٣) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٤٢٥ ح ٢٥ .
(١٤) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٤٣٥ ح ٤٢٤ .
(١٥) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٤٤٢ ح ٢٢ .

فلما رآه النبي قال : من سألنا أعطيناه ، ومن استغنىٰ أغناه الله) [١] ، وفي حديث آخر : (إن الرجل لم يسأله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» وإنما ذهب وعمل حتى حسن حاله) [٢] .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من أراد أن يكون أغنىٰ الناس فليكن بما في يدي الله أوثق منه بما في أيدي غيره) [٣] .

وعن عليّ بن الحسين «عليهما السَّلام» قال : (من قنع بما قسم الله له فهو من أغنىٰ الناس) [٤] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» أنه قال : (أغنىٰ الغنىٰ القناعة) [٥] .
وقال «عليه السَّلام» أيضاً لرجل كان يعظه : (اقنع بما قسم الله لك ، ولا تنظر إلى ما عند غيرك ، ولا تتمن ما لست نائله ، فإنه من قنع شبع ، ومن لم يقنع لم يشبع ، وخذ حظك من آخرتك) [٦] .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» عن رسول الله «صلىٰ الله عليه واله وسلّم» أنه قال:قال الله تعالىٰ : (إن من أغبط أوليائي عندي رجل خفيف الحال ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه في الغيب ، وكان غامضاً في الناس جعلتُ رزقه كفافاً فصبر عليه أجلت منيته مات فقل تراثه وقلت بواكيه)[٧] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» أنه قال : (إذا كان غروب الشمس وكّل الله تعالىٰ ملكاً بالشمس يقول أو ينادي : أيها الناس اقبلوا على ربكم فإن ما قل

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٣٩ ح ٧ .
(٢) البحار ج ٧٣ ص ١٧٧ ح ١٩ .
(٣) الكافي ج ٢ ص ١٣٩ ح ٨ .
(٤) الكافي ج ٢ ص ١٣٩ ح ٩ .
(٥) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٦٣٦ باب ٨ ح ٤ .
(٦) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٦٣٦ باب ٨ ح ٤ .
(٧) الكافي ج ٢ ص ١٤٠ ح ١ .

وكفى خير مما كثر وألهى)[١] ، (وملك موكّل بالشمس عند طلوعها يقول : يابن آدم لد للموت وابن للخراب واجمع للفناء)[٢] .

وعن الفقه الرضوي«ع» قال : (روي عن العالم «عليه السَّلام» انه قال يقول الله عزّ وجلّ : (إن من أغبط عبادي يوم القيامة عبد رزق حظاً من صلاحه قترت في رزقه فصبر حتى إذا حضرت وفاته قلّ تراثه وقلّت بواكيه)[٣]، وقال «صلّى الله عليه وآله وسلّم» : (من توكّل وقنع ورضى كفى الطلب)[٤] .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (من رضى بقسمه لم يسخطه أحد)[٥] إلى غيرها من الروايات الواردة في باب الرضا .

أسباب القلق :

البند الثاني : وهو القلق ، فإنه ناشيء من جملة أمور منها :

الحرص ، فإن حرص كل أحد على أن ينال ما ليس في مقدوره ولا يتمكن عليه حصل له القلق هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية القوانين الإستعمارية أوجبت عدم الإكتفاء الذاتي والتكافل الإجتماعي وما أشبه ، فكل أحد يقلق على مسيره ومصيره ، مثلاً الصيّادون كانوا سابقاً يصيدون الأسماك من غير مشكلة قانونية ، فينفقون على أنفسهم وعلى أهليهم ، أما الآن فالقانون يقف دون عملهم في البلاد غير المستعمرة ، وفي البلاد المستعمرة الإستعمار يقف دون ذلك فالصياد قلق على قوته وزواج ولده وما إلى ذلك .

ثم إنه سابقاً كان الناس يعرفون أنهم إذا وصلوا إلى مرحلة الشيخوخة ظلّ لهم الإحترام عند أهليهم ، أم الآن فالكبار مصيرهم إلى دار العجزة وذلك

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٤١ ح ٤ .
(٢) الكافي ج ٢ ص ١٣١ ح ١٤ .
(٣) البحار ج ٧٢ ص ٦٦ ح ٣٠ .
(٤) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٦٧ باب ٨ ح ١٨ .
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣٤٣ ح ٧١٣ .

يوجب أشد القلق حالاً ومستقبلاً .

ثم من أين يأكل العاطل عن العمل والذي لا يجد مالاً يصرفه في أوقات مرضه وشيخوخته واحتياجه ، وذلك يوجب أشد القلق ، بينما في الإسلام قرر بيت المال من ناحية وحرية حيازة المباحات من المعادن والكنوز والأنفال والأراضي وسائر المباحات ، كما ذكر في كتاب الخمس وكتاب إحياء الموات ومبحث الأرضين من كتاب الجهاد ومبحث الأنفال وغير هذه المباحث ، وقرر من ناحية ثانية احترام كبار السن مما يشمل الإنفاق عليهم أيضاً من ناحية ثالثة ...

فضح الشيوعية والقومية :

مسألة: يلزم على التيار الإسلامي التنبيه والتنبه على نقاط الضعف من الوحدة الشيوعية الأُممّية والتجزئة القومية التي جاءت إلى بلاد الإسلام من الغرب ، ونحن لا نريد تفصيل الكلام حولها وإنما نريد الإلماع فقط ، وإلاّ فالكلام فيهما طويل ، أما الشيوعية فهي عبارة عن عدم العقيدة إطلاقاً فهي تضرب شيئاً من أهم فطريات البشر ، وحيث لا عقيدة لا أخلاق،بينما الأخلاق من أهم فطريات البشر أيضاً .

وأما القومية فهي ضد الكفاءة ، والإنسانية ترىٰ كل القيم في الكفاءات فقط وفقط ، ومن غير المنطق أن يقول إنسان هذا طبيب من غير قومي ، أو من غير جغرافية قطري ، ولهذا لا اراجعه ، وإنما أدعو لشفائي شخصاً من قومي أو من وطني الضيق وإن كان جاهلاً وهكذا في كل أبعاد الحياة .

إن الذي يجب أن يحيى في المسلمين ما قال سبحانه : **﴿إنا خلقناكم من ذكر وأُنثىٰ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**[1] ، وما قاله الرسول «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (كلكم من آدم وآدم من تراب)، (لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأحمر على أسود إلاّ بالتقوىٰ) ، وما قاله علي «عليه السّلام» : (الناس صنفان اما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)،

---

(١) سورة الحجرات : الآية / ١٣ .

وهذه الحالة لا تكون في المسلمين إلاَّ بإرجاع الإسلام إلى الحياة .

والواقع إن الأفكار القومية والأوطان الجغرافية أو ما أشبه مما شاع في الغرب ثم جيء بها إلى بلاد الإسلام من أكبر أسباب ضعف المسلمين لا بما هم مسلمون فحسب ، بل بما هم بشر أيضاً ، وهما من أكبر عوامل الضعف في أية أمة وجدت ، وقد تنبه لهذا نفس الغرب الذي كان مولد هذه الأفكار ، وإليك ما قاله بعض مفكريهم ، يقول (أرنولد توين بي) في المحاضرات التي ألقاها في مصر عام ١٩٦٤ ألف وتسعمائة وأربعة وستين مسيحية ما نصه :

[إن (الإيدولوجيات) الغربية التالية للمسيحية وهي القومية أو الشيوعية أصبحت الآن أكبر خطر يهدد بناء الجنس البشري وهي خطر ، أفدح كثيراً من البكتيريا والفيروسات وأنها لكارثة على البشرية جمعاء أن تقتبس البلاد غير الغربية هذه الإيدولوجيات الغربية بحذافيرها والقومية نجدها بين هذه البلاد ، كما أن للشيوعية أنصاراً كثيرين . رأيي الخاص هو أن ما يلزمنا الآن هو أن نقتدي بروح شخص مثل المهاتما غاندي وبطريقته في السلوك ، فقد أثبت غاندي أن من الممكن عملياً إحداث تغيرات سياسية واجتماعية هائلة بطريقة سليمة ، ومن الممكن مقاومة المرء خصومة دون أن يكرههم ومن هنا فإن غاندي عندما كان يجد أن أتباعه في الهند قد بدأوا يكرهون الإنجليز (وهذه الكراهية أمر طبيعي إذ أنها شعور إنساني مألوف عند اناس يكرهون التحرر) فإنه كان يوقف حركة المقاومة حتىٰ يخمد الشعور بالكراهية ، وحتى يتخلص أتباعه منه ، وفي اعتقادي أن ما قام به غاندي في

هذا الصدد كفيل بأن يهدم الأساس الذي يرتكز عليه التعصب ، فقد دافع أنصار التعصب عن أنفسهم قائلين أن هذه الحالة العنيفة التي لا تعرف التسامح هي الوسيلة الوحيدة لإحداث تغيرات جبرية في الشؤون الإنسانية ، ولكن غاندي أثبت أن الحقيقة غير ذلك ـ إلى أن يقول ـ وأنها لتكون كارثة لو أن قلب الجنس البشري أصيب بهذا الداء في صورة الإيدولوجيات اللاحقة للمسيحية ، وهي القومية والشيوعية ـ إلى أن يقول ـ والنوع الوحيد من الوحدة الذي يعد مشروعاً من الوجهة الأخلاقية ، وممكناً من الناحية العملية في هذا العصر الذري الذي نعيش فيه ليس هو الوحدة الضيقة الأفق التي نفرضها قهراً على الآخرين بمحو كل الفوارق والإختلافات ، وإنما هي الوحدة التي تتحقق بالتسامح والصبر] .

انتهى ما أردنا نقله من كلامه .

ثم ان من الطبيعي أن الدولة القومية تكون :

أولاً : محطمة للكفاءات ، لأن الكفاءات الإنسانية إنما تنمو في جو الحرية، والقومية خلاف الحرية ، إنها تقول : قومي ولا تقول : الإنسان ، ولذلك تطرد الإنسانية وتعطي مكانها للقومية ، وإني أذكر كيف حطمت القومية الكفاءات في العراق منذ زمان القوميين،فالطبيب من أصل باكستاني أو هندي أو إيراني أو ما أشبه كان يطرد وإن كان أكفأ ، والطبيب العراقي كان يقرّب وإن كان غير كفوء ، وهكذا بالنسبة إلى المهندس والأستاذ في الجامعة وغيرهم . والمشكلة أن الأمر لا يقف عند هذا الحد ، بل كان القومي العراقي في سلم الأولويات ، يرىٰ مقدماً على المصري والسوري ، والحجازي ، وإن كان أولئك

أكفاء لأن هذا عراقي وأُولئك ليسوا عراقيين فالأمر كان خليطاً من القومية والحدود الجغرافية .

ثانياً : تكون القومية منكمشة على نفسها ، لأن القومية نوع من الكبرياء والإستعلاء والتجبر والتبختر،والمتكبر دائماً ينكمش على نفسه ، لأنه يرى نفسه فوق الآخرين ، فلا يتعاون معهم ، لأنه يعرف نفسه أعلىٰ والآخرون يرونه غير لائق ، فلا يتعاونون معه ، وبذلك يبقى القومي وحده ، وأخيراً يكون مصيره الخروج عن الحياة فإن الحياة بنيت على التعاون فلا مجال لغير التعاون فيها ، إن (هتلر) لم يحطم نفسه فقط وبلاد أوروبا بل حطم شعبه إلى اليوم ، وبعد أكثر من أربعين سنة من انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وفي إيران حيث البهلوي رفع لواء القومية الإيرانية ، وفي تركيا حيث أتاتورك رفع لواءاً مماثلاً حدث التأخر منذ نصف قرن ، وهذا هو حال سائر البلاد في العالم التي انضوت تحت لواء القومية ، أية قومية كانت ، ولذا ورد في الأحاديث الذم الشديد للعصبية :

فعن منصور بن حازم عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من تعصب أو تعصب له فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه)[١] ، ومراده «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» يتعصب له يعني أنه كان راضياً بذلك أو سبباً له .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من كان في قلبه حبة من خردل من عصبيّة بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهليّة)[٢] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (من تعصب عصبه الله بعصابة من نار)[٣] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (إن الملائكة كانوا يحسبون أن

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٣٢ ح ١ ، الوسائل ج ١١ ص ٢٩٦ ح ١ ، وح ٢ .
(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٣٣ ح ٣
(٣) الكافي ج ٢ ص ٢٣٣ ح ٤ ، الوسائل ج ١١ ص ٢٩٦ ح ٣ .

إبليس منهم وكان في علم الله أنه ليس منهم ، فاستخرج ما في نفسه بالحمية والغضب ، وقال : (خلقتني من نار وخلقته من طين) [(١)] .

وعن عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (إن الله يعذب ستة بستة:العرب بالعصبية (الحديث) [(٢)] .

أقول : هذا من باب المثال ، وإلاَّ فمن الواضح ان كل جماعة تعصبوا كانوا مصداقاً لهذا الكلي .

وعن الزهري قال : (سأل علي بن الحسين «عليهما السَّلام» عن العصبية فقال : العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل قومه خيراً من خيار قوم آخرين ، وليس منه العصبية أن يحب الرجل قومه ، ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم) [(٣)] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (من تعصب أو تعصب له خلع ربقة الإيمان من عنقه) [(٤)] .

وعن الجعفريات بسند الأئمَّة إلى عليّ بن أبي طالب «عليهم السَّلام» قال : قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من كان في قلبه مثقال خردل من عصبية جعله الله تعالىٰ يوم القيامة مع أعراب الجاهليّة) [(٥)] .

ولذا نجد أن الإسلام كان يصر على التساوي بين المسلمين ككل فكان رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» يساوي بين سلمان وأبي ذر وصهيب وبلال وبين سائر المسلمين العرب منهم والعجم وغيرهم على حد سواء وقد أخرج ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عن أبي إسحاق الهمداني قال : (إن امرأتين أتتا

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٣٣ ح ٦ ، الوسائل ج ١١ ص ٢٩٧ ح ٥ .
(٢) الخصال ج ١ ص ٣٢٥ ح ١٤ ، الوسائل ج ١١ ص ٢٩٧ ح ٦ .
(٣) الوسائل ج ١١ ص ٢٩٧ ح ٧ ، الكافي ج ٢ ص ٢٣٣ ح ٧ .
(٤) الوسائل ج ١١ ص ٢٩٦ ح ١ ، الكافي ج ٢ ص ٢٣٢ ح ١ .
(٥) الوسائل ج ١١ ص ٢٩٦ ح ٢ ، المجالس ص ٣٦١ مجلس٨٨ .

علياً «عليه السَّلام» احداهما من العرب والأُخرىٰ من الموالي فسألتاه فدفع إليهما دراهم وطعاماً بالسواء ، فقالت إحداهما : إني امرأة من العرب وهذه من العجم ، فقال «عليه السَّلام» إني والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق)[١] ، ومراده «عليه السَّلام» من بني إسماعيل:العرب ومن بني إسحاق:العجم .

وقال «عليه السَّلام» في بعض خطبه كما في الإختصاص (لأسوِّينَّ بين الأسود والأحمر ، والمراد بالأحمر الأبيض)[٢] لأن الإنسان الأبيض إذا لاحت عليه الشمس مالت بشرته إلى الحمرة .

و قد روى الشيخ المفيد «رحمه الله» في الإختصاص عن ابن دأب قال:ولّى عليّ «عليه السَّلام» بيت مال المدينة عمّار بن ياسر وأبا الهيثم بن التيهان فكتب بالمساواة بين جميع المسلمين في العطاء ، فأتاه سهل بن حنيف بمولىٰ له أسود فقال : كم تعطي هذا ؟ فقال له أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» : كم أخذت أنت ؟ قال : ثلاثة دنانير وكذلك أخذ الناس ، قال «عليه السَّلام» : (فاعطوا مولاه مثل ما أخذ ثلاثة دنانير) [٣] .

خرق القوانين الوضعية والعودة إلىٰ العلماء العدول :

مسألة: مما يلزم الإهتمام به على كل المسلمين فضلاً عن القائمين بالإنقاذ خرق القوانين الموضوعة في بلاد الإسلام ، سواء من قبل من سموا أنفسهم بالإسلاميين أو بالعلمانيين أو بسائر الاسماء ، فإنها كلها صيغة اخرىٰ عن قوانين الغرب والشرق صبغها الحكام باسم الإسلام تارة وباسم الشيوعية أو القومية أو البعثية أو الوطنية أو ما إلى ذلك تارة اخرىٰ ، فعباراتهم شتىٰ وقانونهم واحد ، وكل إلى تلك الحقيقة قاصد .

ولذا فمن أوجب الضروريات على كل مسلم يجب إعادة حكم الإسلام

---

(١) الاختصاص ص ١٥١ .
(٢) الاختصاص ص ١٥١ .
(٣) الاختصاص ص ١٥٢ .

وسيادة المسلمين وعزتهم وكرامتهم أن يخرق كل قانون ينافي الإسلام ، والمعيار في القوانين الإسلامية هو الأدلة الأربعة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل . والخبراء الذين يفهمون هذه المصادر الأربعة هم الفقهاء العدول الذين قال الرسول «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» عنهم : إنهم خلفاؤه ، كما رواه الشيعة والسنة عنه ، فقال :

قال «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» . (اللّهُمَّ ارحم خلفائي) قيل : يا رسول الله ومن خلفاؤك ؟ قال : (الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي وسنتي)[١] .

وإليك جملة من الأحاديث التي تشيد بالعلماء العدول ، وأنهم هم المرجع في كل شيء ـ وقد ذكرنا في جملة من الكتب الفقهية وغيرها : أنهم إذا أرادوا قيادة الأمة لزم أن يعملوا بالشورىٰ حسب ما قرره الإسلام ـ فعن الباقر «عليه السَّلام» قال : (من عمل من الناس بغير علم ولا هدىٰ من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه)[٢] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» : (أنهاك عن خصلتين فيهما هلك الرجال ، أنهاك أن تدين الله بالباطل وتفتي الناس بما لا تعلم)[٣] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» (يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذب به شيئاً من الجوارح ، فيقول : أي رب عذبتي بعذاب لم تعذب به شيئاً ، فيقال له : خرجت عنك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها ، فسفك بها الدم الحرام ، وانتهب بها المال الحرام ، وانتهك بها الفرج الحرام ، وعزتي لأعذبنك بعذاب لا أُعذبه شيئاً من جوارحك)[٤] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (الحكم حكمان : حكم الله عزّ وجلّ

---

(١) الوسائل ج ١٨ ص ٦٦ ح ٥٣ باب ٨ ، معاني الأخبار ص ٣٧٤ .
(٢) الوسائل ج ١٨ ص ٩ ح ١ ، الكافي ج ١ ص ٣٣ ح ٣ .
(٣) الوسائل ج ١٨ ص ١٠ ح ٢ ، الكافي ج ١ ص ٣٣ ح ١ .
(٤) الوسائل ج ١٨ ص ١٠ ح ٤ .

وحكم أهل الجاهلية ، فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية) [١] .

وعن أبي عبد الله «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله عزّ وجلّ ممن له سوط أو عصا فهو كافر بما أنزل الله على محمد «صلّى الله عليه وآله وسلّم») [٢] .

وفي رواية أُخرىٰ قال : (من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله عزّ وجلّ فهو كافر بالله العظيم) [٣] .

وعن الباقر «عليه السَّلام» قال : (من أفتىٰ الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم ، ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث أحل وحرّم فيما لا يعلم) [٤] .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» في ضمن حديث أنه قال : (إن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ، ولكن أتاه عن ربه ، فأخذ به) [٥] .

وروىٰ الصَّادق عن آبائه عن أمير المؤمنين «عليهم الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (في كلام له : الإسلام هو التسليم ـ إلىٰ أن قال ـ : إن المؤمن من اخذ دينه عن ربه ولم يأخذ عن رأيه) [٦] .

وفي رواية أُخرىٰ عن الصَّادق عن أمير المؤمنين «عليهما الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (لا رأي في الدين) [٧] .

وعن أبي بصير قال : قلت لأبي جعفر «عليه السَّلام» : ترد علينا مسألة لا نجدها في الكتاب والسنّة فنقول فيها برأينا فقال : (أما أنك إن أصبت لم تؤجر ،

---

(١) الوسائل ج ١٨ ص ١١ ح ٧ .
(٢) الكافي ج ٧ ص ٤٠٧ ح ١ .
(٣) الكافي ج ٧ ص ٤٠٨ ح ٢ .
(٤) الوسائل ج ١٨ ص ٢٥ ح ١٢ .
(٥) الوسائل ج ١٨ ص ٢٦ ح ١٤ .
(٦) الوسائل ج ١٨ ص ٢٧ ص ٢١ .
(٧) الوسائل ج ١٨ ص ٣٣ ح ٣٤ .

وإن أخطأت كذبت على الله) [١] .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : أنه قال : (من حكم قيمة عشرة دراهم فأخطأ حكم الله جاء يوم القيامة مغلولة يده ، ومن أفتىٰ بغير علم لعنته ملائكة السماء وملائكة الأرض) [٢] .

وعن جعفر بن محمد «عليهما السَّلام» أنه سئل عما يقضي به القاضي ؟ قال : (بالكتاب ، قال : فما لم يكن بالكتاب ؟ قال : بالسنّة ، قيل فما لم يكن في الكتاب ولا في السنّة ؟ قال : ليس من شيء هو من دين الله إلاَّ وهو في الكتاب والسنّة ، قد أكمل الله الدين فقال جل ذكره : ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ ثم قال «عليه السَّلام» : يوفق الله ويسدد ذلك من يشاء من خلقه وليس كما تظنون) [٤] .

أقول : قد عرفت أن الأدلة أربعة : الكتاب والسنّة والإجماع والعقل ، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب (الفقه الدولة) والفروع المستحدثة إنما ترجع إلى تلك الاصول ، وفي الروايات أنهم «عليهم الصَّلاة والسَّلام» يقولون الاصول وعلى الفقهاء التفريع .

وفي رواية عنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (إياكم وأصحاب الرأي ، فإنهم أعينهم السنن أن يحفظوها ، وقالوا في الحلال والحرام برأيهم فأحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله فضلوا وأضلوا)[٢] .

وعن محمد بن حكيم قال : (قلت لأبي الحسن موسىٰ بن جعفر «عليهما السَّلام» : جعلت فداك فقهتنا في الدين وأغنانا الله بكم عن الناس ، حتى أن الجماعة منّا ليكون في المجلس ما يسأل أحد صاحبه يحضره المسألة ويحضره جوابه مناً من الله علينا بكم ، فربما ورد علينا الشيء لم يأتنا فيه عنك ولا عن آبائك

---

(١) المحاسن ص ٢١٥ ح ٩٩ ، الوسائل ج ١٨ ص ٣٣ ح ٣٥ ، وص ٢٤ ح ٦ .
(٢) الوسائل ج ١٨ ص ٩ ح ١ .
(٣) انظر البحار ج ١ ص ١١١ باب ١٦ ، وص ١٧٢ باب ٢٣ وص ٢٨٣ باب ٣٤ .
(٤) انظر البحار ج ٢ ص ١١١ باب ١٦ وص ١٧٢ باب ٢٢ ، وص ٢٨٣ باب ٣٤ .

شيء فننظر إلى أحسن ما يحضرنا وأوفق الأشياء لما جائنا منكم فنأخذ به ، فقال : هيهات في ذلك هلك والله من هلك يابن حكيم الحديث)[١] .

وفي رواية اخرىٰ : إن محمد بن حكيم قال للصّادق «عليه الصّلاة والسّلام» : إن قوماً من أصحابنا قد تفقهوا وأصابوا علماً ويرووا أحاديث فيرد عليهم الشيء فيقولوا برأيهم ، فقال : (لا وهل هلك من مضىٰ إلاّ بهذا وأشباهه) [٢] إلى غيرها من الروايات الكثيرة .

القضاء علىٰ القوانين المنافية للإسلام :

مسألة: من اللازم على الذين يريدون إنقاذ المسلمين بسلوكهم طريق النجاة ان يهتموا لإزالة القوانين المنافية للإسلام ، وقد عرفت في البحث السابق أن أكثر القوانين في الحال الحاضر منافية للإسلام ، وما دام عملاء الإستعمار يقننون مختلف القوانين باسم الإسلام أو باسم العلمانية أو بأسماء أُخر لا يعود إلى المسلمين عزهم الغابر ، وسلطانهم الذاهب ، وسيادتهم الغاربة ، وتكون الإزالة بأمور :

الأوّل : فضح القوانين بمختلف الوسائل المرئية والمسموعة وغيرها،كل حسب قدرته .

الثاني : فضح القائمين بهذه القوانين تقنيناً وتنفيذاً ومساعدة .

الثالث : خرق القوانين بأنفسهم ، فلا يطبقون القانون بأنفسهم ، ويحرّضون الآخرين على خرقها ، فالقانون الذي يمنع عن تزويج البنت أو الشاب قبل سن الثامنة عشرة يخرق ويهتم المسلمون لتزويجهما حسب قانون الإسلام في البلوغ ، والقانون الذي يقول بالضرائب والجمارك يُهمل ويسعون لعدم إعطائها ، والقانون الذي يقول باحتياج فتح المحل والسفر والعمارة والإقامة والزراعة والصناعة وحيازة المباحات وما إلى ذلك إلى الرخصة يتركون ذلك ،

---

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق .

ويعملون حسب الحرية الإسلامية الممنوحة للإنسان في كل ذلك ، إلى غيرها وغيرها ، فإن العمل بهذه القوانين الحالية المخالفة للإسلام محرم شرعاً ، وهدم لبلاد الإسلام وإذلال للمسلمين ، وذلك أشد حرمة من شرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير وأشباهها من سائر المحرمات ، إذ العمل بتلك الأمور فردي لا يضر إلا المرتكب نفسه أو من أشبه أما بقاء القانون المجعول ومساعدته فهو عمل إجتماعي يضر كل المسلمين ، وإذا بقي الوضع على هذا المنوال لا سمح الله يكون المستقبل أسوأ ، وتشتت المسلمين وتفرقهم وذلتهم أكثر ، وتخلفهم أشد ، ولذا نشاهد أن الإسلام مع تشدده في اليمين الكاذبة فقد أباحها للفرار من الظالم ، وإليك جملة من الأخبار في كلتا الطائفتين .

فمن الطائفة الأولىٰ المتشددة حول الحلف الكاذب ، ما عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (إن في كتاب علي «عليه السَّلام» ان اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم تذران الديار بلاقع من أهلها ، وتثقل الرحم ، يعني انقطاع النسل)[1] .

وفي رواية عن الصادق «عليه السَّلام» قال : (إن يمين الصبر الكاذبة تترك الديار بلاقع)[2] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (إن اليمين الفاجرة تنغل في الرحم ، قلت : ما معنىٰ تنغل في الرحم ؟ قال : تعقر)[3] .

وفي رواية أُخرىٰ عن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (من حلف على يمين وهو يعلم أنه كاذب فقد بارز الله)[4] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٥٩ ح ٤ ، الخصال ج ١ ص ١٢٤ ح ١١٩ ، معاني الأخبار ص ٢٦٤ ح ١ .
(٢) معاني الأخبار ص ٢٦٤ ح ١ ، البحار ج ١٠٤ ص ٢٠٩ .
(٣) معاني الأخبار ص ٢٦٤ ح ١ .
(٤) الكافي ج ٢ ص ٢٥٩ ح ٤ ، الخصال ج ١ ص ١٢٤ ح ١١٩ .

وسلّم» : (إياكم واليمين الفاجرة ، فإنها تدع الديار من أهلها بلاقع)[١] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» : (اليمين الصبر الكاذبة تورث العقب الفقر)[٢] ، إلى غيرها من الروايات الكثيرة بهذه المضامين .

ومن الطائفة الثانية : ما رواه الأشعري عن أبي الحسن الرضا «عليه السَّلام» في حديث قال : (سألته عن رجل أحلفه السلطان بالطلاق أو غير ذلك ، فحلف ، قال : لا جناح عليه)[٣] .

وعن رجل يخاف على ماله من السلطان فيحلف لينجو منه ، قال : (لا جناح عليه ، وسألته هل يحلف الرجل على مال أخيه كما يحلف على ماله ؟ قال : نعم)[٤] .

وعن السكوني عن جعفر عن أبيه عن آبائه عن علي «عليهم السَّلام» قال : قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (احلف بالله كاذباً ونج أخاك من القتل)[٥] .

وعن مسعدة عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (ما آمن بالله من وفى لهم بيمين)[٦].

وعن زرارة قال : قلت لأبي جعفر «عليه السَّلام» : (نمر بالمال على العشار فيطلبون منا أن نحلف لهم ويخلون سبيلنا ولا يرضون منا إلّا بذلك ، قال : فاحلف لهم ، فهو أحلى من التمر والزبد)[٧] .

وقال الصَّادق «عليه السَّلام» بعد أن سئل عن الرجل يحلف لصاحب

---

(١) معاني الأخبار ص ٢٦٤ ، البحار ج ١٠٤ ص ٢٠٩ .
(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٥٩ ح ٤ ، الخصال ج ١ ص ١٢٤ ح ١١٩ .
(٣) البحار ج ١٠٤ ص ٢٠٩ .
(٤) الوسائل ج ١٦ ص ١٣٤ ح ١ ، التهذيب ج ٢ ص ٣٢٨ .
(٥) الوسائل ج ١٦ ص ١٣٤ ح ٤ ، التهذيب ج ٢ ص ٣٣٢ ، الفقيه ج ٢ ص ١٢٠ .
(٦) الوسائل ج ١٦ ص ١٣٤ ح ٥ ، التهذيب ج ٢ ص ٣٣٢ .
(٧) الوسائل ج ١٦ ص ١٣٥ ح ٦ ، الفقيه ج ٢ ص ١١٧ .

العشور يحرز بذلك ماله (قال : «عليه السَّلام» : نعم)[١] .

وقال «عليه السَّلام» : (اليمين على وجهين ـ إلى أن قال ـ فأما الذي يؤجر عليه الرجل إذا حلف كاذباً ولم تلزمه الكفارة ، فهو أن يحلف الرجل في خلاص امريء مسلم ، أو خلاص ماله من متعد يتعدى عليه من لص أو غيره)[٢] .

وعن الرضا «عليه السَّلام» في كتابه إلى المأمون ، قال : (التقية في دار التقية واجبة ، لا حنث على من حلف تقية يدفع بها ظلماً عن نفسه)[٣] .

وعن الحضرمي قال : (قلت لأبي عبد الله : رجل حلف للسلطان بالطلاق والعتاق ، فقال : إذا خشي سيفه وسطوته فليس عليه شيء ، يا أبا بكر إن الله عزّ وجلّ يعفو والناس لا يعفون)[٤] .

وعن أبي الحسن «عليه الصَّلاة والسَّلام» في رجل يستكره على اليمين فيحلف بالطلاق والعتاق وصدقة ما يملك أيلزمه ذلك فقال : لا ، قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلّم»:(وضع عن أُمتي ما أكرهوا عليه ، وما لم يطيقوا ، وما أخطأوا)[٥]

وعن معاذ قال : قلت لأبي عبد الله : (إنا نستحلف بالطلاق والعتاق فما ترى أحلف لهم ؟ فقال : أحلف لهم بما أرادوا إذا خفت)[٦] .

وعن الجعفي قال : قلت لأبي جعفر «عليه السَّلام» : أمر بالعشار ومعي المال فيستحلفوني ، فإن حلفت تركوني وإن لم أحلف فتشوني وظلموني ، قال : أحلف لهم ، قلت : إن حلفوني بالطلاق قال : فاحلف لهم ، قلت : فإن المال

---

(١) الوسائل ج ١٦ ص ١٣٥ ح ٨ ، الفقيه ج ٢ ص ١١٧ .

(٢) فقه الرضا «عليه السَّلام» ص ٢٧٣ س ٤ وس ١١ .

(٣) عيون أخبار الرضا «عليه السَّلام» ج ٢ ص ١٢٣ س ١ ، الوسائل ج ١٦ ص ١٣٥ ح ١٠ .

(٤) انظر البحار ج ٧٥ ص ٤١١ ، الوسائل ج ١٦ ص ١٣٥ ح ١١ ، المحاسن ص ٣٣٩ ح ١٢٣ .

(٥) الوسائل ج ١٦ ص ١٣٦ ح ١٢ ، المحاسن ص ٣٣٩ ح ١٢٤ .

(٦) الوسائل ج ١٦ ص ١٣٦ ح ١٣ ، المحاسن ص ٣٣٩ ح ١٣٥ .

لا يكون لي ، قال : تقي مال أخيك)[١] ، إلى غيرها من الروايات الكثيرة .

ثم إن الهجوم على القانون بما ذكرناه وتكوين الرأي العام ضده حتى تقلع جذور القانون غير الإسلامي عن بلاد الإسلام (فإن الرأي العام في المعنويات أشد قوة من السيل في الماديات) من أفضل أنواع الأمر بالمعروف ، ومن أحسن أنواع النهي عن المنكر ، وأي منكر أكثر سوءاً من تغيير أحكام الله سبحانه وإذلال المسلمين ، وأي معروف أهم من تطبيق قوانين الله سبحانه وتعالىٰ مما يوجب عزّ المسلمين ، وإليك جملة من الروايات بهذا الصدد، حيث أن المقام من صغرياتها :

فعن الرضا «عليه الصَّلاة والسَّلام» : كان رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» يقول : (إذا أُمتي تواكلت بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله)[٢] .

وعن الزهري عن أبي جعفر وأبي عبد الله «عليهما السَّلام» قالا : (ويل لقوم لا يدينون لله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[٣] .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (بئس القوم قوم يعيبون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[٤] .

وعن أبي الحسن الرضا «عليه الصَّلاة والسَّلام» كان يقول : (لتأمرن بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم)[٥] .

عن جابر عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم مراؤون ـ إلى أن قال ـ ولو أخرت الصَّلاة بسائر ما يعملون

---

(١) الوسائل ج ١٦ ص ١٣٦ ح ١٧ .
(٢) الوسائل ج ١١ ص ٣٩٤ ح٥ ، الكافي ج ٥ ص ٥٩ ح ١٣ .
(٣) الوسائل ج ١١ ص ٣٩٣ ح ١ ، الكافي ج ٥ ص ٥٦ ح ٤٥ .
(٤) الوسائل ج ١١ ص ٣٩٤ ح ٢ ، الكافي ج ٥ ص ٥٧ ح ٥ .
(٥) الوسائل ج ١١ ص ٣٩٤ ح ٤ ، الكافي ج ٥ ص ٥٦ ح ٣ .

بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمىٰ الفرائض وأشرفها : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هنالك يتم غضب الله عزّ وجلّ عليهم ، فيعمّهم بعقابه ، فيحرق الأبرار في دار الأشرار ، والصغار في دار الكبار ، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ، ومنهاج الصلحاء ، فريضة عظيمة بها تُقام الفرائض ، وتأمن المذاهب ، وتحل المكاسب ، وترد المظالم ، وتعمر الأرض ، وينتصف من الأعداء ، ويستقيم الأمر)[١] .

وعن الحسن ، قال : (خطب أمير المؤمنين «عليه السَّلام» فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنه إنما هلك من كان قبلكم عملوا بالمعاصي وأنهم لما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات ، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرلن يقربا أجلاً ولن يقطعا رزقاً)[٢] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال :(ما قدست أُمة لم يؤخذ لضعيفها من قويها غير متعتع)[٣] .

وعن النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (لا تزال أُمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وتعاونوا على البر ، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات ، وسلط بعضهم على بعض ، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ، ولا في السماء)[٤] .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله ، من نصرهما أعزه الله ، ومن خذلهما خذله الله)[٥] .

---

(١) الوسائل ج ١١ ص ٣٩٤ ح ٦ ، الكافي ج ٥ ص ٥٥ ح ١ .
(٢) الوسائل ج ١١ ص ٣٩٥ ح ٧ ، الكافي ج ٥ ص ٥٧ ح ٦ .
(٣) الكافي ج ٥ ص ٥٦ ح ٢ .
(٤) الوسائل ج ١١ ص ٣٩٨ ح ١٨ ، المقنعة ص ١٣٠ .
(٥) الوسائل ج ١١ ص ٣٩٨ ح ٢٠ ، الكافي ج ٥ ص ٥٩ ح ١١ .

وعن جعفر بن محمد عن آبائه «عليهم السَّلام» قال : (قال النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : إن الله يبغض المؤمن الضعيف الذي لا زبر له . وقال : هو الذي لا ينهي عن المنكر)[١] .

وعن الباقر «عليه السَّلام» قال : (يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم مراؤون يتقرؤون ويتنسَّكون ، حدثاء سفهاء ، لايوجبون أمراً بالمعروف ، ولا نهياً عن المنكر ، إلَّا إذا أمنوا الضرر ، يطلبون لأنفسهم الرخص ، والمعاذير ـ إلى أن قال ـ هنالك يتم غضب الله عليهم ، فيعمهم بعقابه)[٢] .

وفي رواية رويت في تحف العقول عن الحسن «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (ويروي عن عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله أولياءه من سوء ثنائه على الأحبار ، إذ يقول : **﴿لو لا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم﴾**[٣] وقال **﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل﴾** إلى قوله **﴿لبئس ما كانوا يفعلون﴾**[٤] وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة المنكر ، والفساد ، ولا ينهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم ، ورهبة مما يحذرون والله يقول **﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾**[٥] وقال **﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾**[٦] فبدأ الله بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها إذا أديت وأُقيمت استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها ، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعائم للإسلام ، مع رد المظالم ومخالفة الظالم ، وقسمة الفيء وأخذ الصدقات من مواضعها ، ووضعها في حقها[٧] إلى غيرها من

---

(١) الوسائل ج ١١ ص ٣٩٩ ح ٢٣ .
(٢) الوسائل ج ١١ ص ٣٩٤ ح ٦ .
(٣) سورة المائدة : الآية / ٦٣ .
(٤) سورة المائدة : الآية / ٧٨ .
(٥) سورة المائدة : الآية / ٤٤ .
(٦) سورة التوبة : الآية / ٧١ .
(٧) تحف العقول ص ٢٦٩ .

الروايات الكثيرة .

القانون ما جاء في الكتاب والسنة :

مسألة: من ضروريات المسلمين كافة أنه لا يجوز العمل إلاَّ بالكتاب والسنّة ، وما أخذ منهما ، والعقل أيضاً حجة باطنة ، كما أن الأنبياء حجة ظاهرة ، والإجماع أيضاً راجع إلى قول النبيّ والأئمّة «عليهم الصَّلاة والسَّلام» على ما ذكر في الإجماع ، وذكرنا تفصيله في كتاب (الدولة) وغيرها . أما القوانين السارية مثل:

الأول : قانون الزراعة ، فلكل أحد أن يزرع ما يشاء كما يشاء من دون رخصة أو إجازة .

الثاني : قانون التجارة الداخلية والخارجية ، فإنه يجب على المسلم أن لا يساعد القوانين الموضوعة لكبت التجارة ، وله أن يتاجر في الأشياء المحللة حسب الشريعة الإسلامية ، بدون مراعاة : عشور أو جمارك ، أو إجازة ، أو موازين استيراد أو ما أشبه ذلك .

الثالث : قانون الضرائب ، فإن الواجب على المسلمين عدم إعطاء الضرائب إطلاقاً ، فإنهم وضعوا الضرائب على كل شيء من الولادة إلى الموت ، وهذا ليس إلاَّ من قوانين الكفار الجارية في بلاد الإسلام .

الرابع : قانون الجنسية والهوية وما أشبه من القوانين المرتبطة بالإنسان وبالأعمال كافة ، وقد ذكر العلماء في إيران وفي العراق حين ظهور هذه القوانين بأن الغربيين فعلوا فعلهم ، وحطموا الإسلام كما شاؤوا في قصص ذكرناها في بعض الكتب المرتبطة بهذا الشأن .

الخامس : قوانين القوميات : فإن على المسلمين أن يخرقوا هذه القوانين ، فكل المسلمين أخوة يصاهر بعضهم بعضاً ، ويشارك بعضهم البعض في : التجارة والزراعة والصناعة والعمارة وفي كلّ شؤون الحياة ، كما أنهم يشتركون في المراسيم الدينية : كالصَّلاة ، والصوم ، والحج ، وغير ذلك .

السادس : قانون القضاء ، فلكل شخص جامع للشرائط أن يكون قاضياً

وأن يحكم بحكم الله سبحانه وتعالىٰ ، وكل قاض ليس بعادل ، أو ليس بعالم ، أو ليس يحكم بحكم الله ، فالواجب عدم المراجعة إليه ، ورفض قوانينه إطلاقاً .

السابع : قانون الماء والكهرباء والمواصلات والتلفون وما أشبه فاللازم خرق هذه القوانين ، فإنه لا يجوز مساعدة هؤلاء الحكام بأي شيء .

الثامن : قوانين الصناعة التي وضعوها لكبت الصناعة وخنقها ، فإن كل مسلم له أن يصنع ، ويجلب المعامل وينصبها ويعمل ، ويثمر وينتج ويبيع ، وكل ذلك بلا مراعاة أي قانون مربوط بهذه الأمور مما جعله حكام بلاد الإسلام،عمالة للغرب أو جهالة .

التاسع : قانون البنوك ، فإن البنوك يجب أن تكون بنوكاً إسلامية لا في الربا واللاربا ، فحسب ، بل في كلِّ معاملاتها من : الحوالة والكفالة ، والقرض ، والرهن ، وغير ذلك ، وما دامت هذه البنوك لا تعمل بهذه الأمور فاللازم عدم إطاعة قانون من قوانينها المخالفة للإسلام .

العاشر : قانون التواظيف ، فلا يلزم تقيد الموظف بما جعلوا أمامه من القوانين ، كما أنه يحرم على المسلمين الدخول في وظائف أمثال هذه الحكومات إلّا بقدر خدمة المسلمين مما أجازه العلماء في كتبهم الفقهية ، أخذاً من الروايات ، ثم إذا دخل في الوظيفة يجب أن لا يتقيد بالقانون ، بل يتقيد بضد القانون ، وإنما يتقيد بالشريعة الإسلامية فقط وفقط .

الروايات المانعة من معونة الظالمين :

فقد روى محمد بن عذافر عن أبيه ، قال:قال أبو عبد الله «عليه السَّلام» : (يا عذافر ، نبئت أنك تعامل أبا أيوب والربيع ، فما حالك إذا نودي بك في أعوان الظلمة ، قال : فوجم أبي فقال له أبو عبد الله «عليه السَّلام» : لما رأى ما أصابه أي عذافر ، إنما خوفتك بما خوفني الله عزّ وجلّ به ، قال محمد : فقدم أبي

فما زال مغموماً مكروباً حتى مات)[١] .

وعن أبي بصير قال : (سألت أبا جعفر «عليه الصَّلاة والسَّلام» عن أعمالهم ؟ فقال لي : يا أبا محمد ، لا ولا مدة قلم ، إن أحدهم لا يصيب من دنياهم شيء إلاَّ أصابوا من دينه مثله (أو حتى يصيبوا من دينه مثله).والوهم من ابن أبي عمير)[٢] .

وعن ابن أبي يعفور قال : (كنت عند أبي عبد الله «عليه السَّلام» إذ دخل عليه رجل من أصحابنا فقال له : جعلت فداك إنه ربما أصاب الرجل من الضيق والشدة فيدعي إلى البناء يبنيه ، أو النهر يكريه ، أو المسناة يصلحها ، فما تقول في ذلك ؟ فقال أبو عبد الله «عليه السَّلام» : ما أحب إني عقدت لهم عقدة ، أو وكيت لهم وكاءاً وأن لي ما بين لابتيها ، ولا مدة بقلم ، إن أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد)[٣] .

وعن جهم بن حميد ، قال : قال أبو عبد الله «عليه السَّلام» : (أما تغشىٰ سلطان هؤلاء ؟ قال قلت : لا ، قال : ولم ؟ قلت : فراراً بديني قال : وعزمت على ذلك ؟ قلت : نعم ، قال لي : الآن سلم لك دينك)[٤] .

وعن السكوني عن جعفر عن آبائه «عليهم السَّلام» قال : قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إذا كان يوم القيامة نادىٰ مناد : أين أعوان الظلمة ؟ ومن لاق لهم دواة ؟ أو ربط لهم كيساً ؟ أو مد لهم مدة قلم ؟ فاحشرهم معهم)[٥] .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (ما اقترب عبد من سلطان جائر إلاَّ تباعد من الله ، الحديث)[٦] .

---

(١) الوسائل ج ١٢ ص ١٢٨ ح ٣ ، الكافي ج ٥ ص ١٠٥ ح ١ .
(٢) الوسائل ج ١٢ ص ١٢٩ ح ٥ ، الكافي ج ٥ ص ١٠٧ ح٥ .
(٣) الوسائل ج ١٢ ص ١٢٩ ح ٦ ، الكافي ج ٥ ص ١٠٧ ح٧ .
(٤) الوسائل ج ١٢ ص ١٢٩ ح ٧ ، الكافي ج ٥ ص ١٠٨ ح ١٠ .
(٥) الوسائل ج ١٢ ، ص ١٣ ح ١١ ، ثواب الأعمال وعقابه ص ٢٦٠ .
(٦) ثواب الأعمال ص ٢٦٠ ، الوسائل ج ١٢ ص ١٣٠ ح ١٢ .

وفي رواية أُخرىٰ عنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إياكم وأبواب السلطان وحواشيها ، فإن أقربكم من أبواب السلطان وحواشيها أبعدكم من الله عزّ وجلّ ، ومن آثر السلطان على الله أذهب الله عنه الورع وجعله حيراناً)[١] .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (من تولىٰ خصومة ظالم ، أو إعانة عليها ، نزل به ملك الموت بالبشرىٰ بلعنه ونار جهنم ، وبئس المصير ، ومن خف لسلطان جائر في حاجة كان قرينه في النار ، ومن دل سلطاناً ، على الجور قرن مع هامان ، وكان هو والسلطان من أشد أهل النار عذاباً ، ومن عظّم صاحب دنيا وأحبه لطمع دنياه سخط الله عليه ، وكان في درجته مع قارون في التابوت الأسفل من النار ، ومن علق سوطاً بين يدي سلطان جائر جعلها الله حية طولها سبعون ألف ذراع ، فيسلطه الله عليه في نار جهنم خالداً فيها مخلداً، ومن سعىٰ بأخيه إلى سلطان ولم ينله منه سوء ولا مكروه أحبط الله عليه ، وإنْ وصل منه إليه سوء أو مكروه أو أذىٰ جعله الله في طبقة مع هامان في جهنم)[٢] .

في رواية عنه «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (من مشى إلى ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام)[٣] .

وعن صفوان بن مهران الجمال قال : (دخلت على أبي الحسن الأول «عليه السَّلام» فقال لي : يا صفوان ، كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً ، قلت : جعلت فداك أي شيء ؟ قال : اكراؤك جمالك من هذا الرجل ، يعني هارون الرشيد ، قال : والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ولا للعيب ، لا والله ، ولكني أكريته لهذا الطريق ، يعني طريق مكة ، ولا أتولاه بنفسي ، ولكن أبعث معه غلماني ، فقال لي : صفوان ، أيقع كراؤك عليهم ، قلت : نعم جعلت فداك ، قال : فقال لي : أتحب بقاءَهم حتى يخرج كراؤك ؟ قلت : نعم . قال

---

(١) ثواب الأعمال ص ٢٦٠ ، الوسائل ج ١٢ ص ١٣٠ ح ١٢ .
(٢) الوسائل ج ١٢ ص ١٣٠ ح ١٤ ، عقاب الأعمال ص ٤٥ و ص ٤٧ .
(٣) الوسائل ج ١٢ ص ١٣١ ح ١٥ ، تنبيه الخواطر ص ٥٤ .

من أحب بقاءهم فهو منهم ، ومن كان منهم فقد ورد النار ، قال صفوان : فذهبت فبعت جمالي عن آخرها ، فبلغ ذلك إلى هارون ، فدعاني فقال لي : يا صفوان بلغني أنك بعت جمالك ، قلت : نعم ، قال : ولم ؟ قلت : أنا شيخ كبير ، وإن الغلمان لا يفون بالأعمال،فقال : هيهات هيهات إني لأعلم من أشار عليك بهذا ، أشار عليك بهذا موسىٰ بن جعفر ، قلت : مالي ولموسىٰ بن جعفر ، فقال : دع هذا عنك ، فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك)[١] .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (من نكث بيعة ، أو رفع لواء ضلالة ، أو كتم علماً ، أو اعتقل مالاً ظلماً أو أعان ظالماً على ظلمه وهو يعلم أنه ظالم فقد برأ من الإسلام)[٢] .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» :(إياكم وأبواب السلطان وحواشيها ، فإن أقربكم من أبواب السلطان أبعدكم من الله ، من آثر سلطاناً على الله ، جعل المَيتة في قلبه ظاهرة ، وباطنة ، وأذهب عنه الورع وجعله حيراناً)[٣] .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من أرضىٰ سلطاناً بما أسخط الله خرج من دين الإسلام)[٤] .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (الفقهاء أُمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا ، قيل : يا رسول الله فما دخولهم في الدنيا ؟ قال إتباع السلطان ، فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على أديانكم)[٥] .

وفي حديث : انه دخل على الصَّادق «عليه السَّلام» رجل فمت له بالأيمان أنه من أوليائه ، فولىٰ عنه وجهه ، فدار وجهه إليه ، وعاود اليمين ، فولى عنه ، فأعاد اليمين ثالثة ، فقال «عليه السَّلام» : يا هذا من أين معاشك ؟ فقال : إني

---

(١) الوسائل ج ١٢ ص ١٣١ ح ١٧ ، رجال الكشي ص ٢٧٦ .
(٢) الوسائل ج ١٢ ص ١٣١ ح ١٥ .
(٣) الوسائل ج ١٢ ص ١٣٠ ح ١٣ ، ثواب الأعمال ص ٢٦٠ .
(٤) الوسائل ج ١٢ ص ١٣١ ح ١٥ .
(٥) البحار ج ٢ ص ٣٦ .

أخـدم السلطان ، وإني والله لـك محب ، فقـال «عليـه السَّـلام» روى أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (إذا كـان يوم القيامة نادىٰ مناد من السماء من قبل الله عزّ وجلّ : أين الظلمة ، أين أعوان الـظلمة ، أين من بـرىٰ لهم قلماً ، أين من لاق لهم دواةً ، أين من جلس معهم ساعة ، فيؤتىٰ بهم جميعاً ، فيؤمر بهم أن يضرب عليهم بسـور من نار ، فهم فيـه حتى يفرغ الناس من الحساب ، ثم يؤمر بهم إلى النار)[1] .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» انه قال لكميل : (يـا كميل ، لا تطرق أبواب الظالمين للإختلاط بهم ، والإكتساب معهم ، وإياك أن تعـظمهم ، وتشهد في مجالسهم بما يسخط الله عليك)[2] .

وعن يـونس بن يعقوب عن أبي عبـد الله «عليـه السَّـلام» قـال : (ملعـون ملعون عالم يؤم سلطاناً جائراً معيناً له على جوره)[3] .

وعن النبيّ «صـلىٰ الله عليه وآلـه وسلّم» انه قـال : (من تـرك معصيـة الله مخافة من الله أرضاه الله يوم القيامة ، ومن مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإيمان)[4] .

وعنـه «صـلىٰ الله عليـه وآلـه وسلّم» أنـه قـال : (من مشىٰ مـع ظـالم فقـد أجرم) .

وعن البـاقر «عليـه السَّلام» أنـه قال : (العـامل بـالـظلم ، والمعـين لـه ، والراضي به ، شركاء ثلاث)[5] .

---

(١) الكافي ج ٥ ص ١٠٧ .

(٢) تحف العقول ص ١٨٤ .

(٣) البحار ج ٧٥ ص ٣٨١ .

(٤) الـوسـائـل ج ١٢ ص ١٣١ ح ١٥ ، تنبيـه الخـواطـر ص ٥٤ .

(٥) الكافي ج ٢ ص ٢٥٠ ح ١٦ .

وعن الكابلي عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (من سود إسمه في ديوان بني شيصنان (أي بني العباس) حشره الله يوم القيامة مسوداً وجهه)[١] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» : (قال عيسىٰ بن مريم لبني إسرائيل : لا تعينوا الظالم على ظلمه فيبطل فضلكم)[٢] .

وعن النبيّ «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إنه رأى مكتوباً على الباب الرابع من أبواب الجنة ثلاث كلمات : أذل الله من أهان الإسلام ، أذل الله من أهان أهل البيت ، أذل الله من أعان الظالمين على ظلمهم للمخلوقين ، ورأى على الباب الخامس ثلاث كلمات : لا تتبعوا الهوىٰ ، فالهوىٰ يخالف الإيمان ، ولا تكثر منطقك فيما لا يعنيك فتسقط من رحمة الله ، ولا تكن عوناً للظالمين)[٣] .

وعن النبيّ «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال لكعب بن عجرة : (أعاذك الله من إمارة السفهاء ، فمن دخل عليهم فصدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ، ولست منهم ، ولن يرد علي الحوض يوم القيامة)[٤] .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (ينادى يوم القيامة أين الظلمة وأعوانهم حتى من لاق لهم دواةً أو برىٰ لهم قلماً ، يجمعون في تابوت فيلقون في النار)[٥] .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (ما من عالم أتىٰ باب سلطان طوعاً إلاَّ كان شريكه في كل لون يعذب به في نار جهنم)[٦] .

---

(١) الوسائل ج ١٢ ص ١٣٠ ح ٩ .
(٢) انظر البحار ج ٧٥ ، ص ٣٠٥ ، باب ٧٩ الظلم وأنواعه .
(٣) انظر البحار ج ٧٥ ص ٣٠٥ باب ٧٩ الظلم وأنواعه .
(٤) انظر البحار ج ٧٥ ص ٣٦٧ باب ٨٢ ، الركون إلى الظالمين .
(٥) الوسائل ج ١٢ ص ١٣٠ ح ١١ ، وص ١٣١ ح ١٦ ، تنبيه الخواطر ج ١ ص ٥٤ ، البحار ج ٧٥ ص ٣٧٢ .
(٦) انظر البحار ج ٢ ص ٣٦ نحوه .
(٧) ورد مؤداه في البحار ج ٩٢ ص ١٨٤ نحوه .

وعنه «صلّى الله عليه وآله وسلّم» قال : (من تعلم القرآن ثم تفقه في الدين ، ثم أتى صاحب سلطان تملقاً إليه وطمعاً لما في يديه خاض بقدر خطاه في نار جهنم)، إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة .

الحادي عشر : قانون الطب ، فإن حكومات بلاد الإسلام أجبروا الناس على مراجعة الطب الاتي من الغرب بكل خصوصياته ، بينما الطب السابق الذي أيده الإسلام يجب أن يكون حراً أيضاً ، له أطباؤه وصيادلته ، وغير ذلك ، مما ألمعنا إليه ، فاللازم خرق هذه القانون بإحياء الطب السابق المؤيد من قبل الإسلام في كثير من بنوده أيضاً .

الثاني عشر : قانون الخدمة العسكرية ، على الناس الفرار من هذا القانون ، لأن هذا القانون خلاف الإسلام جملة وتفصيلاً ، وقد ذكر بعض الكلام في كيفية الخدمة العسكرية في الإسلام في كتاب (نريدها حكومة إسلامية) وغيره .

الثالث عشر : القوانين التي لا تمنح الصلاحية لغير من له الشهادة الثانوية أو الجامعية أو ما أشبه ، فإن الشهادة ليست من الأمور التي يجب مراعاتها بالنسبة إلى الأمور الإجتماعية وغيرها ، بل اللازم ملاحظة الإيمان والكفاءة حسب قوانين الإسلام ، فاللازم خرق أمثال هذه القوانين .

الرابع عشر : قانون التجمعات ،والجمعيات ، والمنظمات والأحزاب ، وما أشبه فاللازم خرق القوانين المرتبطة بهذه الأمور[1]، فكل إنسان حُر في أن يعمل كيف ما يشاء منفرداً أو مجتمعاً مع الآخرين ، لكن يجب أن يكون حسب المقررات الإسلامية .

الخامس عشر : قانون الثقافة التي وضعتها الحكومات بالنسبة إلى دخول المدارس ، والخروج منها ، والإمتحان ، وغير ذلك ، فإنها كلها باطلة يجب خرقها ، وإنما التقيد بما قرره الإسلام في الأمور الثقافية .

---

(١) اذا كانت مخالفة للإسلام وللحريات الإسلامية.

السادس عشر : قانـون الزواج والـطلاق وما إلى ذلـك من الخلع ونحوه ، فإن كل القوانين الموضوعة في هذا الباب قوانين باطلة لا شأن لها ، فاللازم خـرق هذه القوانين والعمل على طبق ما ذكره الفقهاء في الرسائل العملية وفي غيرها .

السابع عشر : قانون المرور ، رواحاً ومجيئـاً ووقوفـاً وسرعة وبـطأً وما إلى ذلك ، فإن القوانين الموضوعـة من قبل الحكـومات الظالمة في الغالب قـوانين باطلة ، وإنما الواجب ملاحظة القوانين الإسلامية التي تعطي الحـرية لـلإنسان في رواحه ومجيئه وغير ذلك على شرط عدم الإضرار بالناس ، فإن القانون لا شأن له ولا قيمة له حتىٰ بمقدار نقير اذا كان مخالفاً للاسلام .

إلى غير ذلك من القوانين التي تضعها الحكومـات في الحال الحـاضر ، نعم إذا قامت الدولة الإسلامية الملتزمة بـ :

أولاً : شورىٰ المرجعية المكونة من مراجع التقليد .

وثانياً : تعدد الأحزاب الحرة المنتهية للمرجعية .

وثالثاً : الإنتخابات الحرة .

فإن مثل هذه الحكومة واجبة الإطاعة ، وحين ذلك لا يكون عنوان ثـانوي إلّا بالشورىٰ ، ويكون مؤقتاً بوقت العنوان الثانوي كسائر العناوين الثانوية ، على ما ذكرنا تفصيله في بعض كتب الفقه ، فإن العنوان الثانوي على قسمين :

الأول : العنـوان الثانـوي الشخصي ، مثل تضرر الشخص من الصـوم أو من القيام في الصَّلاة أو من الوضوء أو ما أشبه ذلك ، وهذا الشخص المتضرر هو المرجع فيه ، وقد كتب الإمـام «عليه الصَّـلاة والسَّلام» إلى من سـأله عن صـومه وأنه يحس مرضاً بما لفظه : بسم الله الرّحمٰن الـرّحيم : ﴿**بل الإنسـان على نفسـه بصيرة**﴾ وإذا لم يشخص هو فالمرجع أهل الخبرة .

الثاني : العنوان الثانوي الذي يُراد اجراؤه على الأُمة ، فذلك لا يكون إلّا بالشرطين المذكورين أي بأن تعيّن الشورىٰ أنه من العنـوان الثانـوي ، وأن يكون مؤقتاً بأمد الحكم الثانوي .

نعم يستثنىٰ مما ذكرنا من وجوب خرق القوانين إطلاقاً ومضادتها والقيام بخلافها قدر ما حرمه الإسلام من الضرر بالنفس أو بالغير وقدر ما قرره الإسلام من القوانين كحرمة بيع الكالي بالكالي ، وحرمة زواج المحرمات ، وحرمة الترف والسرف إلى غير ذلك ، مما حاصله أن الإنسان يجب أن يكون مقيداً بالقوانين الإسلامية فحسب ، أما القوانين غير الإسلامية فإنها باطلة يجب خرقها وعدم العمل بها .

وقد تقدم أن الخبراء الذين يجب الرجوع إليهم ، فيما هو قانون إسلامي ، وما هو ليس بقانون إسلامي هم الفقهاء العدول الذين هم مراجع الأُمة .

مقارنة بين قوة المسلمين وقوة المستعمرين :

أما قوة المسلمين الهائلة التي ذكرناها فهي عبارة عن :

أولاً : اعتقادهم بالله سبحانه وتعالىٰ اعتقاداً راسخاً وبالأنبياء والأئمة ع الذين رسّخوا فيهم معاني إنسانية نبيلة والخوف من اليوم الآخر .

ثانياً : تخلقهم بالتقوى والفضيلة والمثل الإنسانية .

ثالثاً : المباديء الصحيحة ، التي يعتقدون بها قلباً ، لكن من دون قالب بينما لغيرهم القالب دون القلب .

رابعاً : التاريخ المشرق ولا أقصد تاريخ الحكام بل تاريخ الأُمة .

خامساً : الأُمة الواحدة .

وسادساً : (يُضاف على كل ذلك) ثروتهم الهائلة .

أما القوىٰ الإستعمارية القليلة الفاعلة التي ذكرنا انها في الميدان ، فهي :

أولاً : القوىٰ الإحتيالية ، فإنهم يمسكون بلاد الإسلام والعالم الثالث بالإحتيال والمكر ، ومن المعلوم أن مثل هذه القوة ضعيفة جداً ، وفي المثل : (يتمكن الشخص من خداع بعض الناس في بعض الوقت ، لكنه لا يتمكن من خداع كل الناس وفي كل الوقت) ولذلك نرى الإستعمار يبدل زيه بين حين

وحين ، من الإستعمار العسكري إلى الثقافي ، إلى الإقتصادي ، إلى العملائي ، حيث يأتون بالعملاء إلى بلاد الإسلام ليخفوا وجوههم تحت أغطية اولئك ، وهذه القوة تبطل إذا تمكن المسلمون من كشف الزيف وإنارة الجو بواسطة العلم والمعرفة .

ثانياً : القوى السلاحية ، فإن المستعمر إذا ضاق به المجال أدخل سلاحه في الميدان ، كما شاهدنا ذلك في النصف الأخير من هذا القرن مرّات ومرّات ، سواء في لبنان ، أو العراق أو إيران ، أو مصر ، أو افغان ، أوالباكستان ، أو الخليج أو غيرها .

وقوّة السلاح يجب أن تبطل باللاعنف ، فإن سلاح الروح المتمثل في اللاعنف أقوى من سلاح المادة المتمثلة في أسلحة الغرب والشرق وقد ورد في روايات الإجتناب عن العنف (بنفس هذه اللفظ) .

ثالثاً : القوىٰ الإستبدادية المتمثلة في حكام بلاد الإسلام المرتبطين بهم إرتباطاً ظاهراً كما في البلاد ذات الحزب الواحد ، أو خفياً كما في البلاد ذات الأحزاب المتعددة ، ومثال الأول : عراق صدام ، ومثال الثاني عراق الملكيين ، نعم لا شك أن قوة الإستعمار في الأول أشد من قوته في الثاني ، وقاعدة المستعمرين : أنهم إذا رأوا الإنفجار بدلوا الحزب الواحد بالأحزاب المتعددة إمتصاصاً للنقمة ، وإذا رأوا الانفراج بدلوا الأحزاب المتعددة بالحزب الواحد كي لا ينفلت من أيديهم شيء حتى بقدر قليل مما تأتي به الحرية الأحزابية .

وهذه القوّة يمكن إبطالها بسبب الوعي ومقاطعة الامة لكلتا الحكومتين الحزبية أو الأحزابية .

ولا يخفى أن الإستعمار الحزبي من وسائله التنكيل والإرهاب والسجون والمشانق وما إلى ذلك .

الرابع : القوى السوقية أو الإقتصادية ، حيث أن القوى الإقتصادية أعم من القوى السوقية ، فإن القوة السوقية خاصة بالسوق بيعاً وشراءاً وما أشبه ، أما القوّة الإقتصادية فهي عبارة عن تحطيم اقتصاد البلد المستعمَر (بالفتح) حيث

يهيمن الإستعمار على البلاد المستعمرة ، فيجعلها سوقاً يشتري منها المواد الخام بأرخص ثمن ويبيع لهم المصنوعات بأغلى ثمن ، ومن هذا النوع من القوة قوة التدمير والتخريب والنهب ، مما هو قوة اقتصادية بالمعنى الأعم ، حسب ما ذكرناه ، ففي بعض البلاد النفطية حدثني بعض المشرفين على النفط : إن الأنابيب تفتح بدون عداد كل يوم ساعات وساعات وذلك نهب صريح ، قال ؛ وكلما نقول لرؤسائنا ذلك يكون جوابهم أصبروا ولا شأن لكم بهذا ! .

أما التخريب والتدمير فقد رأينا قصة افغانستان وقصة العراق وإيران ، كيف أن الروس دمروا أفغانستان ، وكيف أن الغرب دمر العراق وإيران بسبب الحربين اللتين أقاموها في هذه البلاد ، وهذه القوى يمكن ابطالها (بالإضافة إلى بعض البنود السابقة) بسبب التقشف والإكتفاء الذاتي الذي ذكرناه في بعض البحوث السابقة .

الخامس : قوة التجزئة ، فإن المستعمر قطّع بلاد الإسلام جزءاً جزءاً ، حتى يتمكن من إذلال المسلمين ونهبهم ، ويمكن تدارك هذه القوة بالوعي وبالحركة الواحدة وغيرهما مما ذكرنا جملة منها في البحوث السابقة .

وقد ذكر بعض الكتاب الإسلاميين بعض جوانب الإستعمار في بلادنا مما يؤيد ما ذكرناه ، فقال :

[هناك للفوضى في بلادنا جانب داخلي وجانب خارجي ، والجانب الخارجي هو الإستعمار وهو لا يظهر في صورة أسطورة تكف العالم الإسلامي عن التطور وأوهام تشله عن التغلب على المشاكل النفسية والإجتماعية فحسب ، بل يظهر أيضاً في صورة محسوسة وأعمال سالبة تهدف إلى طمس قيام الفرد وإمكانيات تطوره ، ويكون هذا الجانب أكثر ظهوراً حينما يكون الإستعمار مستبداً كما كان حاله في جملة من بلاد الإسلام ، هذان الجانبان ليسا منفصلين ، فهما يتداخلان ويختلطان

ولكنا ملزمون بفصل كل منهما عن الآخر ، ولا شك أن من الضروري تحديد مفهوم عبارة الإستعمار الإستبدادي في صورتين :

إحداهما : صورة الإستعمار المتحفظ ، لأنه لا يتدخل مباشرة في نواحي حياة المستعمر (بالفتح) جميعاً بل يطلق لأبناء المستعمر بعض مظاهر الحرية ، وعلى العكس من ذلك صورة الإستعمار الإستبدادي الذي يتدخل تدخلاً مباشراً في جميع تفاصيل الحياة ، حتى الدينية منها فتدخله يمتد إلى كل شيء ، بحيث يخصص لأبناء المستعمرات المدارس التي يستعمر بها عقولهم وإذا ما سمح المستعمر (بالفتح) بأن يدير مقهى لحسابه ألزمه أن يتخذ لمقهاه عنواناً تجارياً يسم تجاريته بسمة المستعمرين ، ولهذا الإستعمار مجاميع علمية تتبناه وتقوم على دراسته وتوجيهه ، وله خطته العامة ، وهي الميثاق الإستعماري الذي يتعدى تبعاً لظروف الموقف إلى الأحداث وهناك مؤتمرات دورية تخفي أغراضها بأسماء إستعمارية ، وهكذا يحدق الإستعمار بحياة المستعمَر من كل جانب ويوجهها توجيهاً ماكراً لا يغفل أتفه الظروف وأقل التفاصيل .

ومن الواضح : إن الإستعمار بصورته هذه يعتبر عنصراً جوهرياً في فوضى العالم الإسلامي ، فهو لا يتدخل فقط بمقتضى العلاقة المباشرة بين الحاكم والمحكوم ، وإنما يتدخل أيضاً بصورة خفية في علاقات المسلمين بعضهم ببعض ،

فحضوره يتدخل في أتفه تفاصيل الحياة اليومية وأبعدها عن الظن ، فالإستعمار ذو منهج ، وهو يخرج أعماله كلها إخراجاً فنياً خدّاعاً بحيث يصبغ البلاد المستعمرة بصبغة استعمارية ، وهو يذلل أي عقبة تعترض طريقه مستخدماً في ذلك علمه ومقدرته .

ومن أُصول الفن لديه : أن يقصي صفوة الناس عن أماكن القيادة لأنهم هم الذين يمثلون أسمىٰ فضائل شعبهم ، ثم يستخدم لتحقيق مآربه طائفة من خلصائه اصطفاهم ليمثل الشعب المستعمر (بالفتح) وكذلك يحول بين الشعب وبين إصلاحه نفسه ، فيضع نظاماً للإفساد والإذلال والتخريب يمحو به كل كرامة أو شرف أو حياء ، وهكذا يجد الشعب المستعمر نفسه محاصراً داخل دائرة مصطنعة يساعد كل تفصيل فيها على تزييف وجحود الأفراد ، وهذا التضليل العلمي يعتبر تقويضاً لكيان الشعوب ، يتعدل دائماً تبعاً للطوارىء ليقف في وجه كل محاولة أو طاقة جديدة ، فيحدها ويهدمها ، وذلك لإيقاف سير الحضارة في البلاد المستعمرة ، لذلك نجده يجند جموع المتخلفين المتهالكين لتقف في وجه دعاة التجديد ، حتى كأننا أما مشهد روائي .

فأمام الجهد الإصلاحي تقف موجة من القتام الصاخب تحيي موات الأشكال البالية ، والخرافات الدارسة ، وهذا الزعم الشاذ الذي لم

يخطر حتى بفكر جنكيزخان يعتبر اليوم الشكل السياسي لأحط ألوان الإستبداد الإنساني في القرن العشرين ، قرن الحضارة الأوروبية .

كثيراً ما برزت هذه المحاولة في أفعال المستعمرين ، وتختار الإدارة الإستعمارية دائماً شخوص المطعونين في خلقهم المروضين في أبدانهم لكي يمثلوا الشعب المسلم في الجمعيات السياسية .

ولم يحدث في عصر من العصور أن ارتد الإنسان إلى خصائص الحيوان ، كما حدث في هذا العصر ، وذلك بما تقدم معامله من نظريات تختمر على صور وأشكال ، وهي معامل مهيئة بما يلزمها من الوسائل المادية والنفسية معامل تأخذ صورة القوانين والبنوك والإدارات والصحف والسجون والمدارس وما إلى ذلك ، وبفضل هذه المعامل استوى على قمة المجتمع الإسلامي الحديث رعاع الناس ، بينما هبط إلى القاعة خيارهم وصفوتهم .

وما الحياة الفكرية في أي بلد مستعمر سوى تخمير يقصد به انتقاء أفكار يهتم المستعمر بها ، وحتى أنه يتدخل في تقرير حياة الأطفال في مدارسهم ، فما أن يبدأ التلميذ امتحانه في الشهادة الإبتدائية حتى يصبح دون أن يشعر هدفاً للجنة الممتحنين المحترمين التي تقدر درجاته ، فإذا بهم يتآمرون عليه كي لا يصبح متفوقاً على زملائه من الذين يريدهم الإستعمار ،

وهـذه الفكـرة نفسهـا هي التي تتحكم في حيـاة رجـال الجيش وسائـر الامـور الحيـويـة في البـلاد الإسـلامية ، سـواء بالنسبـة للتلاميـذ أو المثقفين المسلمين ، فليست الشهادة التي ينالها أو الـوظيفة التي يظفر بهـا حقاً من حقـوقه ، وإنمـا هي منحة ينعم بها عليه .

ولهـذا كان من المشكـوك فيـه أن تصلح هـذه العينات المحزنة من أبناء الصفـوة المسلمة لعمـل نافع ، وقد كانت ثماراً لمنح المستعمرين ، وهكذا يعـوق الحياة الفكـرية في البـلاد ، فيعوق بـالتالي تطورها ، والإستعمار يستخدم طبعاً نفس الطريقة في الميـدان الإقتصـادي والإجتـماعي فهـو يهـدم مقـومات البـلاد المستعمرة ، ويحـول بينهـا وبـين إعادة بنائها .

وحتى الحياة الدينيـة لا تنجو من الإستعـمار ، فإنه يفرض رقابته على الحياة الدينية فرضاً شديداً لعلمه بأن الدين وحده الوسيلة النهائيـة لتصحيح أخـلاق الأمة التي فقـدت في غمار أزمـة تاريخيـة كـل هم أخلاقي . والإدارة التي بيد المستعمـرين هي التي تعـين رجال الـدين كالمفتي والإمـام ، لا طبقاً لمشيئـة جماعة المسلمـين بل طبقـاً لهوىٰ المستعمـرين ، وحتى خطب المساجـد في أيام الجمـع يلزم أن تخرج من الدوائر الإستعمارية ، وبذلك تجمع في يديها أنفذ وسـائل الإفسـاد فاختيـار رجـل يـؤم النـاس في المسجـد لا يكون بنـاءاً على تميـزه بضمير حي أو

علم بأُصول العقيدة ، بل يُراعي في ذلك ما
يقدم للإدارة من خدمات ، حتى كأنه موظف
صلاة] .

انتهى ما أردنا نقله باقتضاب .

وقد رأيت أنا بنفسي كل ذلك الذي ذكره هذا الكاتب منذ نصف قرن في كل الحقول التي ذكرها ، بل أضعاف ما ذكره ، مما هدم حياة المسلمين دينهم ودنياهم وآخرتهم تارة تحت شعار الحضارة العلمانية وتارة تحت شعار الدين والإيمان ، والنتيجة أن البلد الإسلامي المجزَّأ ترجع كل خطوطه وخيوطه إلى يد جماعة باسم الحزب الواحد ، أو إلى يد جماعة باسم الأحزاب المتعددة ، وكلاهما يرجعان إلى شخص واحد بشكل نهائي ، أو ترجع بصراحة كل تلك الأمور إلى شخص واحد بدون حتى اسم الحزب ، أو الأحزاب ، والشخص الواحد (المرجع في كل الأقسام الثلاثة ، من البلاد) ألعوبة الإستعمار لهدم الإسلام وبلاده .

نعم في بلاد الإسلام المباحث كل شيء ، من غير فرق بين بلد الشخص الواحد أو الحزب الواحد ، أو الأحزاب المتعددة والمباحث بيد شخص واحد والشخص الواحد هو الحاكم المطلق الذي لم يوجد مثله حتى في أيام الحجاج ونيرون وستالين ، وهل اختلف عراق قاسم وعارف وبكر وصدام إلاَّ بالتدرج من الأشد إلى الأكثر شدة؟ .

لكن كل هذه المآسي ممكنة العلاج ، كما أنها شرعاً وعقلاً واجبة العلاج .

تاريخ الاحتلال الغربي للعالم الإسلامي :

تأريخ الإحتلال الغربي للعالم الإسلامي كما ذكره بعض الكُتّاب الإسلاميين كما يلي:

الأول : الإحتلال الفرنسي سنة ١٨٣٠ للجزائر ، وسنة ١٨٨١ لتونس ،

و١٨٨٢ للسنغال ، و١٨٨٢ لمدغشقر .

الثاني : الإحتلال الإيطالي عام ١٩١١ لليبيا ، و١٨٨٧ للصومال وارتريا .

الثالث : الإحتلال الاسباني عام ١٩١٤ الريف لم يتم احتلاله إلا عام ١٩٢٦ .

الرابع : الإحتلال الروسي ١٥٨١ لسيبيريا ، ١٦٥٤ لدولة أسيرخان ، و ١٦٧٠ لأراضي مسلمين أورال ، و ١٨٦٤ لجزيرة القريم بالبحر الأسود ، و ١٨٦٤ لبلاد القوقاز ، و ١٨٥٩ لطشقند ، و ١٨٨٢ لبخارىٰ ، وجنوة عام ١٨٨٤ .

الخامس : الإحتلال الهولندي عام ١٦٢١ لجزيرة جاوة ، و ١٨٧٤ لجزيرة سوم .

السادس : الإحتلال البريطاني ١٧٥٧ للبنغال ، و ١٨٤٩ للبنجاب ، و ١٨١٥ لنيجريا ، و١٨٨٢ لمصر ، و١٨٩٨ للسودان ، و١٩١٦ للعراق ، و ١٩٢٠ للأردن وفلسطين ، و ١٨٧٠ لزنجبار ، و١٨٧٨ لجزيرة قبرص .

أما ما كان احتلالاً بدون اسم فكثير ، والتي منها تشاد ، وإيران ، وبلاد المسلمين في الهند ، وتركيا وغيرها .

كيف تحطمت بلاد الإسلام ؟ ولماذا ؟

تركيا ومقاومة الغزو الغربي :

كانت دول أُوروبا قد أجرت عشرات المحاولات للسيطرة على تركيا وتمزيقها ، ضمّنها الوزير دجوفارا في كتاب له باسم «مائة مشروع لتقسيم تركيا» : قال فيه :

[إنه في خلال ستة قرون متتابعة كانت
الشعوب الأوروبية تهاجم الدولة العثمانية . وكان

الـوزراء ، ورجال السيـاسـة وأصحـاب الأقـلام يهيئون برامج تقسيم هذه السلطة «وقد أخذ هـذا العداء بين الدولة العثمانية ، والـدول الاوروبية ـ بحق أو بغـير حق ـ طـابـع عـداء بـين الإسـلام والمسيحيـة حتى كـان الاوروبيـون يـرددون دائـماً المـطالبة بعمـل مشترك لـدحر الإسلام علىٰ ـ حد تعبير دُجُوفَارا ـ . وبينما استطاع العالم الإسـلامي أن يحتضن الجـماعـات المختلفـة من أصحــاب الأديان والنحل ، والفرق والملل ، قاومت اوروبا المسلمـين عن طريق الأنـدلس (أسبانيـا المسلمة) وعن طريق البلقان (تركيا الإسـلامية) وقـد شهد الاوروبيـون شهـادة صريحـة بـالتسـامـح الـديني العــظيم ، الـذي أولاه المسلمــون للمسيحيـين والحرية الدينية التامة ، وكذلك الحـرية المـدرسيه التي أتاحت لهم النمو والرقي .

ولقد ظلت بريـطانيا وفـرنسا وروسيـا سنوات طـويلة تعمل للقضـاء على دولـة الرجـل المريض وتحول دون قيام نهضة أو قوة في العـالم الإسلامي من شـأنها أن تجدد شباب الأمبراطـوريـة أو تبني دولة جديـدة وذلك رغبـة في تمزيق كيـان الدولـة العثمانية والقضاء عليه ، وتفتيت أجزائها إلى دول صغيرة تقع تحت نفوذها ، وقد عمدت منـذ وقت باكر إلى استقطاع الجزائر وتونس ومصر ، وإقامة حكم خاص في لبنان ـ بعـد أن أثارت بـريطانيـا وفرنسا (الموارنة والـدروز) إلى معركـة دامية سنـة ١٨٦٠ كحلقة من حلقات هـذا التمزيق للدولـة

الإسلامية الكبرىٰ ـ .

وكانت أكبر أعمال التمزيق هي الوقيعة بين الأتراك والعرب باعتبارهما العنصرين الأساسيين الكبيرين في هذه الوحدة ، وكان للأقليات دور كبير في هذه المعركة الخطرة عن طريق الصحافة والمؤامرة وإثارة الخصومات ، وكان الهدف الذي ترمي إليه القوى التي كانت تهاجم الدولة العثمانية ، وتدعو إلى انفصال العناصر ، وقد انحرفت الدولة العثمانية عن الإسلام أيما انحراف ، فالضعف في الداخل والقوة في الخارج ، إتفقا على سقوط الدولة العثمانية .

وقد قادت جماعة «الدونمة» (اليهودية التي أسلمت كيداً) في سالونيك قيادة هذه المعركة تحت أسماء مختلفة أهمها حركة حزب الإتحاد والترقي ، واتخذت من مقرات المحافل الماسونية مراكز لها للعمل ، وخلقت في فترة طويلة تزيد عن أربعين عاماً حركة ضخمة . كما حملت هذه الحركة الشعوبية الضخمة ـ التي كانت مصر أكبر مراكزها ، حيث كان البريطانيون يفتحون الأبواب لجماعات مختلفة من الدعاة ، وأصحاب الصحف من مختلف الأجناس والأديان ممن يجمعهم العداء للإسلام ـ تحت لواء العمل لتحقيق أشياء كثيرة تحققت فعلاً قبل وبعد الحرب العالمية الاولىٰ .

أولاً : تمزيق الدولتين العثمانية والإيرانية التي كانتا تمثلان قوة إسلامية كبرىٰ ، وتجد لها في

مسلمي الهند وأندونيسيا ومختلف أنحاء العالم الإسلامي صدىً وتأييداً .

ثانياً : السيطرة على أجزاء الدولتين ووضعهما تحت سلطان الإحتلال البريطاني والفرنسي وغيرها .

ثالثاً : إقامة إسرائيل في فلسطين قلب العالم الإسلامي .

رابعاً : إقامة لبنان المسيحي كذلك .

خامساً : تمزيق إيران وجعلها دولاً .

ومن هنا فقد كانت خطة القضاء على الدولة العثمانية والإيرانية هدفاً أساسياً للقوىٰ الإستعمارية وللأقليات المختلفة الموالية للنفوذ الإستعماري الغربي والشرقي وهدفاً أساسياً أيضاً للحركة الصهيونية الوليدة .

وقد تحقق فعلاً في عام ١٩٠٨ «إعلان الدستور العثماني» وظن المسلمون أن الدولة العثمانية تواجه عصراً جديداً يتحقق فيه مزيد من الحرية والعدالة حسب المنهاج الإسلامي . بيد أن النظام الذي قام وتوطد ، إنما كان يمثل اتجاهاً مخالفاً للتيار الإسلامي ، ومعارضاً له ، فقد استهدف حزب الإتحاد والترقي الذي تولى السلطة منذ ذلك التاريخ إلى نهاية الحرب العالمية الأُولىٰ ، تنفيذ مخطط الجامعة الطورانية في محاولة لتتريك عناصر الدولة العثمانية ، ومن هنا فقد وقع الصدام بين العنصرين الكبيرين في المملكة

وهم : الأتـراك حكاماً ، والعـرب محكـومـين ، وتأججت حركة الدعـوة إلى العروبـة الجامعـة في مواجهة محـاولة إلغـاء الوجـود العربي عن طـريق فرض اللغة التركية في المحاكم والمدارس في نفس الـوقت الـذي انـتشرت فيـه الـدعـوة إلى إعـلاء تـاريخ طـوران والإنتقاص من تـاريـخ الإسـلام وبذلك تمـزقت الوحـدة العثمانيـة وانتهت الحرب بهزيمة تركيا ، واستيلاء بريـطانيا وحلفـاؤها عـلى الأجزاء العربية من الأمبراطـورية والتنكـر للعهود المعقودة بإقامة دولة عربية مستقلة .

وقـد كان من الـطبيعي أن يسقط النـظام كله بعـد هزيمـة تركيـا في الحرب العـالمية ، واحتـلال الحلفاء واليونان لأجزاء منها ، ولما كـانت الدولـة الأوروبية قد حققت بـذلك القضـاء على الـدولة العثمانية ، وتمزيق أوصالها ، فقد بلغت من ذلـك نهاية الشوط ، وهي تحويلها من دولة الخلافـة إلى دولـة علمانية لا دينيـة تتنكـر لكـل قيم الإسـلام ومفاهيمه وأنظمته ، وذلـك عن طريق الإنقـلاب العسكري الذي قام به مصـطفىٰ كمال ، وسيـطر بـه عـلى كـل مقـدرات تـركيـا وصفىٰ بـه جميـع النظم .

لقد مرت الدولة العثمانية بفترة جمود وتخلف في مجال الثقافة والمجتمع ، كان مصدرها متصلاً بالجبرية التي سـادت باسم الـدين ، ولكن هل كـان الإسلام في حقيقته مصدر التخلف والضعف والهزيمة ، أم كـان التخلف عن مفهوم الإسـلام الأصيل القادر على الحركة والقوة والحياة هو سبب الهزيمة ؟ .

لقد عزي إلى الإسلام ما أصـاب تركيـا من هزيمـة وتخلف وضعف ، ومن

الحق أن يُقال إن تركيا تخلفت عن مفاهيم الإسلام في القوة والعدل والحرية ، منذ سنوات طويلة ، يوم تجمدت في حركة التقليد والجبرية ، وعجزت عن مجاراة الغرب في تقدمه العلمي . وهذا التقدم الذي كان مصدره العالم الإسلامي أساساً ، وكان قادته المسلمون أنفسهم أولاً .

ولكن الإتهام وجه إلى الإسلام رغبة في تشويهه والقضاء عليه ، وخلق جو عام مسمم ضده في العالم الإسلامي ، وقد كان العثمانيون يرتكبون أبشع الجرائم باسم الإسلام ، من القتل والسجن والإستهتار بالقيم والإستبداد وسياسة التتريك وإذلال المسلمين ، وقد أسروا نساء العراق كأسارى الكفار ، كما حاربوا مدينة كربلاء والحلة بما لم يفعله حتى المغول ، وبعد أن استغربت تركيا لم تلتفت إلى جوانب القوة في الحضارة الغربية ، ولكنها عمدت إلى تقبل جوانب الخلل من الحضارة وحدها ، وكان أبلغ مظاهرها : تطبيق قوانين الأحوال الشخصية السويسري ، وفتح أبواب المراقص ، وزواج المسلمة بغير المسلم ، وإلغاء المظاهر الإسلامية كلها ، وإلغاء الحروف العربية للغة التركية ، واستبدالها بالحروف اللاتينية وكتابتها من اليسار ، وقد نفذت فعلاً مخططاً كان مرسوماً لها في المعاهدات التي عقدتها مع الدول الغربية ، والمعروف أن تركيا قبلت شروط الصلح الذي عقده الحلفاء معها في لوزان عام ١٩٢٣ . شروط كرزون الأربع وهي :

١ ـ قطع كل صلة بالإسلام .

٢ ـ إلغاء الخلافة .

٣ ـ إخراج أنصار الخلافة والإسلام من البلاد .

٤ ـ إتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم ، وقد استجاب مصطفى كمال لهذه الشروط ، ونفذها وذلك بتنفيذ المخطط الغربي كاملاً وذلك :

١ ـ اعتماد القانون المدني السويسري وقانون العقوبات الإيطالي والقانون التجاري الألماني بديلاً للشريعة الإسلامية وفصل الدين عن الدولة .

٢ ـ إلغاء الحروف العربية ، وكتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية وتصفية

اللغة من الكلمات العربية .

٣ ـ الأذان باللغة التركية ، وترجمة القرآن إلى التركية .

٤ ـ الأحد عطلة أُسبوعية بدلاً من الجمعة .

٥ ـ إلغاء الطربوش وحجاب المرأة .

٦ ـ إلغاء وزارة الأوقاف والمدارس الدينية .

٧ ـ إحلال التقويم الأُوروبي محل التقويم الإسلامي .

٨ ـ قبول نظم الحضارة بلا تحفظ .

٩ ـ الإتجاه نحو اوروبا والإنفصال كلية عن العالم الإسلامي وآسيا .

١٠ ـ إلغاء الخلافة .

وقد صاحب هذه الخطوات حملات عنيفة في الصحف التركية اتجهت أولاً إلى رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» نفسه وجرت عادة توجيه خطابات مفتوحة إلى النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» تحت عنوان (إلى حضرة محمد) . وهذا نموذج مما نشرته جريدة (كنج دوشوبخه لر) أي (الأفكار الفنية) بقلم قومندان أو غلي توفيق أول نوفمبر سنة ١٩٢٨ و٨ و ١٤ و ٢٢ .

قال في ٨ نوفمبر سنة ١٩٢٨ ما يأتي :

«أرأيت يا رسول الله كيف كنت لا تتحرج عن الإختصاص ببعض النسوة الأسيرات في كل غزوة تغزوها ، وإقرارات المشايخ والخلفاء على هذه الرذيلة ، بل كنت مصداقاً لعقود أنكحتهم بتواضع عاقد الأنكحة ، كيف لا . وقد كنت أمامهم والقدوة التي يتبعونها . فهذا الرجل الذي لا يملك قوت يومه يتزوج لعدة نساء . لأنك قلت له إن هذه سنة وصاحبه مأجور عليه ،

> فكنت بذلك سبب نكبة ملايين العائلات ، وانتشار ملايين الأطفال في الشوارع ، وأنت أنت وحدك (والخطاب للنبي) سبب تحولهم إلى جناة وأشقياء وأراذل وثرثارين . فهل تزتجف الكعبة كما ترتجف روحك من هول هذا ، فلا قيمة للكعبة عندي إلاّ والشيخ شلتوت ، والشيخ محمد المدني . من حيث أنها ركام من أحجار وتراب يتألف منها بناء عتيق ذو سقف أخنى عليه الدهر ولا أعتقد أنها ترتجف إلاّ بزلزلة أرضية .
>
> وكان ختام الخطاب . . . «لقد خلصنا منك» !.

وتناولت هذه الصحيفة موضوعات واتخذت عبارات أشد عنفاً وهذا المحامي المدافع عن الإنقلاب التركي لم يلبث أن ضبط متلبساً بتسليم خريطة حربية لدار سفارة أجنبية .

وكانت الدعوة من أتاتورك لم تقتصر على سفور المرأة التركية وبروزها ، بل شملت إندماجها في المجتمع واختلاطها على أوسع معاني الإندماج والإختلاط ، وقد أشار مؤرخ الغازي (محمد محمد توفيق) أنه كان يقيم حفلات الرقص ، ويدفع الضباط دفعاً إلى محاصرة الفتيات . فإذا تراجعن قال لهم إنما هي أوامر عسكرية ، وقد فتح أتاتورك المواخير والمراقص والحانات ، وأخذ هو ووزراؤه يعبثون بفتيات الناس ونسائهم حتى في المدارس .

أما لبس القبعة فإن الجميع مجبرون على إكتساء القبعة ، أما إتخاذ القانون المدني ، فقد كان له خطورته لاتصاله بحياة المجتمع التركي الإجتماعية والعائلية والشخصية والإقتصادية ، فقد هز الحياة هزّاً عنيفاً لقيامه على أُسس مغايرة للأُسس التي تقوم عليها الحياة الإجتماعية . وقد قضى منهاج حزب الشعب الذي ألفه الغازي عام ١٩٢٧ على أن العلمانية (اللائكية) هي ركن من أركان مبادىء

الحزب ، ثم نص هذا الركن في صلب الدستور . وفي عام ١٩٣٨ حذفت المادة التي تنص على أن الإسلام دين الدولة . وقد فسر معنى «العلمانية» على أن تقوم قوانين الدولة وأنظمتها على أساس ما يقرره العلم والفن ، ويتسق مع اصول الحضارة الحديثة ومقتضياتها ، واعتبر «الدين» أمراً وجدانياً خاصاً بالأفراد ، وأن فصل الدين عن امور الدنيا والسياسة أمر أساسي . كما دعا إلى صيانة اللغة القومية أي التركية عن تأثير اللغة والثقافة الأجنبية (أي اللغة العربية والفكر الإسلامي والثقافة العربية) .

ولم يكن مصطفىٰ كمال في حياته الخاصة ، مستقيم السلوك ، فقد عرفت عنه حياة مضطربة صارخة ، وعرف بالسهرات الصاخبة الحافلة بالخمر ، والقمار والجنس . ولذلك فقد كان مندفعاً إلى هذا الإتجاه بمزاج نفسي ، بالإضافة إلى الظروف السياسية حسب توقيع شروط كرزون في معاهدة لوزان . مضافاً إلى العمالة للغرب ، وقد اتخذ إيران البهلوي وأفغان أمان الله خان ، نفس الإتجاه مع فارق ، إن الأخيرين أسقطا هذا العبء عن كاهلهما ، ولكن بقيت تركيا إلى الحال ترزح تحت هذا الثقل .

وقبل مرور عام على إلغاء الخلافة وقعت الثورة الكردية (شباط ١٩٢٥) مطالبة بإعادة الإسلام ، يقول كرافشوفسكي :

> أُتهم النقاد مصطفىٰ كمال بأنه كان ثملاً بخمرة الحكم ، ونددوا بالأوباش الحقرين الذين أحاط بهم نفسه ، واستنكروا حلقات السكر التي كانت تعقد في منزله الكائن في خفايا من أرباض أنقره ، كما طالبوا بالحد من سلطته . وقد عمد إلى القضاء على المعارضة ، فأعلنت وزارته في صيف ١٩٢٦ اكتشاف مؤامرة لاغتياله ، وبادرت إلى اعتقال عدد لا يستهان به من شبان الأتراك السياسيين ومؤيدي السلطان المخلوع وبعض المارقين من حزب مصطفىٰ كمال نفسه وحكم

على جماعة من الذين اعتقلوا بالإعدام وفرضت عقوبة النفي على الجنرال كاظم قرة بكير (وهو الرجل الذي كان له الدور الفعلي في انتصار تركيا في معركة سقاريا مع اليونان) . . . وسحق مصطفىٰ كمال المعارضة وأصبح وحزبه سادة البلاد بلا منازع .

ثم لم تتوقف المعارضة ، وظهرت حركات أُخرىٰ تعلن رفض الشعب التركي لنظام مصطفىٰ كمال وإجراءاته ، وكانت هذه المعارضات تقابل بالقمع العنيف ، وفي عام ١٩٣٢ قضى على مجموعة كبرىٰ بلغت أكثر من ١٥٠ من أعلام الفكر ورجال الدولة في تركيا بالإعدام بحجة مقاومة الثورة الكمالية ، وكان الغازي قد ظن أنه ثبّت دعائم حركته فسمح بإنشاء حزب جديد ، فلم يلبث هذا الحزب أن ضم كل خصوم النظام القائم ، وبدأت معارضة واضحة لآرائه واتجاهاته حمل لواءها حزب النقشبندية وادت إلى صدام مسلح دفعه إلى إعادة ضم قبضته مرة أخرى .

وقد ذهب حكام أنقرة إلى القضاء على مختلف صور الإسلام في البلاد ، بل أنهم اسلموا جامع أيا صوفيا إلى بعض المهندسين الأجانب لإعادته إلى صورته الأولىٰ ، فأزالوا ما فيه من آيات قرآنية وأحاديث ، وكشفوا عما ستره المسلمون من القديسين والملائكة والصلبان ونحوها من نقوش المسيحية ، ولم يكن ذلك في نظر كثير من الباحثين والمعلقين إلاّ إنقاذاً للمنهاج الذي وضعوه ، وأنهم إنّما فعلوا ذلك تقرباً إلى أُوروبا النصرانية التي التزموا محاكاتها في كل شيء .

نعم فعل اتاتورك كل ذلك ، لكن الشعب المسلم التركي رفضه جملة وتفصيلاً ، كما يدل على ذلك أُلف الشواهد ، يقول محمد حسنين هيكل :

[عام ١٩٤٩ لم أشهد قوة الإيمان بالدين في بلد شرقي إسلامي كما شهدته في تركيا ، وربما كان سبب التعصب هو محاربة الحكومة التركية له ، بكل الطرق ، وليس هناك بلد شرقي

إسلامي لا يذكر أهله القرآن إلّا بقولهم «حضرة قرآن كريم» وإذا سمعوا القرآن في أجهزة الراديو أطفأوا السجائر ، وخلعوا الأحذية ، وتربعوا على مقاعدهم هذا كله برغم الحواجز والعراقيل والحرب التي أعلنت على الدين حتىٰ فرضت الحكومة أن يردد الأذان للصَّلاة باللغة التركية ـ يقول المؤذن «الله أكبر» باللغة العربية بالحروف اللاتينية ، والخطيب يلبس القبعة ويدخل بها المسجد ، . ثم يخلعها ويضع عمامة ، والمقاومة السلبية التي قام بها الشعب التركي لهذه السياسة مقاومة بديعة رائعة ، لا تدخل بيتاً في تركيا حتى تجد المصحف موضوعاً في أعلىٰ مكان فيه ، ولا تركب سيارة تاكسي يملكها مسلم أو يقودها حتى تجد آية قرآنية بخط عربي جميل ، ولا تدخل متجراً حتى تقابل نفس الشيء ، ولا تدخل مسجداً في استامبول (وفي إستامبول ألف مسجد) حتى تجد حلقات غاصة بالمصلين .

ثم بدأت المقاومة تأخذ شكلاً عملياً ، وكان خطباء المساجد يصعدون إلى المنابر ويبدأون الحديث . فإذا كل ما يقولونه ينصب على حكومتهم ووصفها بأنها حكومة كفار ، وبدأت روح التذمر . وإذا بمنشورات دينية توزع في الطرق ، ثم رأت الحكومة أنه من الخير أن تسمح بإصدار المجلات الدينية ، فبدأت ست عشرة مجلة دينية تظهر ، وبدأ الإكتتاب لبناء مسجد ، وفي أوساط الفلاحين في الأناضول :

سلطان الدين هو السلطان .

معظم الناس حتى الآن لا يستعملون الحروف اللاتينية ، بل العربية ، بها يكتبون ، وبها يقرأون حتى الأطفال الذين لا يزيد عمرهم على خمس سنوات .

وفي أنقرة تجد بيوتاً تنتظر موعد إذاعة القرآن من محطة إذاعة القاهرة ، وتجد حلقة كبيرة منعقدة حول الجهاز الذي ينبعث منه القرآن خافتاً مرتعشاً بتأثير ضعف محطة القاهرة] .

[ونوع آخر من المقاومة : ذهب أحد المسلمين إلى المجلس الوطني يوم إنعقاده وفجأة من شرف الزوار نهض أحدهم وصاح مؤذناً باللغة العربية بأعلىٰ صوته وهجم الحرس يلقون القبض عليه ، فنهض زميله ليكمل الأذان ، والقىٰ القبض عليه ، فاندفعت طائفة أُخرىٰ فأكملت الأذان .

وفي اليوم التالي شهدت شوارع إستانبول منظراً فريداً ، حيث ذهب عدد كبير من أئمّة المساجد والخطباء والمؤذنين ، وكان كل منهم يبحث عن جندي بوليس يعثر عليه فيقف أمامه ويصيح «الله أكبر» وتكرر المنظر في يوم واحد خمسين مرة ، وقدمت الحكومة الذين أذنوا إلى المحاكمة والسجن أربعين يوماً . أما هذا العدد الأكبر من الناقمين فأحيلوا إلى مستشفىٰ المجانين ، ورأت الحكومة أن الحالة ستطول وتتحول إلى حركة خطيرة ، فتقدم بعض النواب

بمشروع لإدخال التعليم الديني اختيارياً في المدارس الإبتدائية .

وكانت قد طمست بعض الآيات القرآنية باللغة العربية الباقية على بعض المستشفيات من عهد السلاطين فعادت ورفعت الطمس ، واظهرت الآيات ، جدّدتها بماء الذهب ، وكانت قد أغلقت قبور الأولياء ، حتى أن نوافذها سدت بألواح عريضة من الخشب ، فعادت أخيراً وفتحت النوافذ ، جاء هذا بعد أن ظهر جيلان أو ثلاثة أجيال على درجة مخيفة من الإلحاد .

إن الهوة التي تفصل الأجيال القديمة والأجيال الجديدة الملحدة هوة سحيقة وهي من أعقد مشاكل تركيا ، ومسجد أياصوفيا في تركيا تحول إلى كنيسة . . لقد جاءت الثورة التركية وقررت الحكومة أن لا يصبح مسجداً ، بل يصبح متحفاً ، لا تقام فيه الصلوات ، وكانت تغطي جدرانه الآيات القرآنية بالذهب ، وقد تبارىٰ السلاطين في إهدائه المنابر ، ثم تقدمت جماعة أمريكية وقال : إن متحف أيا صوفيا يخفي تحت الآيات القرآنية وتحت نقوشه الإسلامية أثاراً بيزنطية نادرة قديمة ، وأنها على استعداد للكشف عن هذه الآثار ، ووافقت حكومة تركيا فأزالت النقوش الإسلامية والآيات القرآنية ، وظهرت صورة تمثل أحد الأباطرة البيزنطيين يحمل في يده الصليب وفوقه مباشرة الآيات القرآنية وبعض أهالي تركيا المتدينين يقبلون على زيارة أيا صوفيا

«ليتنسموا» العهد القديم ، وبعضهم يحلو له أن يصلي الجمعة خلسة في هذا المتحف الغريب الذي تحول إلى كنيسة ، فإن البعثة الأمريكية أزالت نصف المعالم الإسلامية في مسجد أياصوفيا لتظهر الآثار البيزنطية لدرجة أن مدخل المسجد القديم أُزيل ما كان عليه من آيات قرآنية فظهرت تحتها صورة للعذراء المقدسة فوقها مباشرة الآية الكريمة ﴿إنما يعمر مساجدالله﴾ ولا يحتاج الزائر إلى حدة بصر غير عادية ليرىٰ الدموع في مآقيهم وأسىً وحسرة على المسجد الشهير في تاريخ الإسلام الذي تحول إلى كنيسة في ظل حكومة تحكم شعباً كاملاً من المسلمين] .

إيران ومقاومة النفوذ الأجنبي :

الإسلام قضى على نفوذ الدولة الساسانية وقوض العرش الكسروي ، غير أن فارس ظلت تقاوم انصهارها في العرب ثم استطاعت في ظل الدولة العثمانية أن تصبغ الحضارة والفكر بطابعها وأن تزيد نفوذها وتدعمه ، فقد قامت الدعوة العباسية في خُراسان بزعامة أبو مسلم الخراساني ، وأقامت عرشها في خُراسان ، ثم كان من علو أمر البرامكة في ظل الرشيد ، مما انتهىٰ بالقضاء عليهم ، وكان انتصار المأمون على الأمين تركيزاً للطابع الفارسي وضعفاً للعنصر العربي ، ثم تقلص هذا النفوذ في عهد المعتصم الذي استعان بالأتراك وقد أقام المسلمون عديداً من الدول : الصفوية والسامانية والبويهية .

وقد انضوت إيران تحت لواء التشيع من أول يوم ، كما أنها غيرت لغتها إلى العربية ، لكن لما رأت ظلم الأمويين والعباسيين رجعت إلى لغتها مع الإحتفاظ باللغة العربية بكاملها .

وفي إبان غزو التتار للعالم الإسلامي سيطر المغول على إيران ، ثم تركوها

نهباً للولاة إلى أن قامت الدولة الصفوية ١٤٩٩ م . واستمرت إلى ١٧٣٦ م . وكانت إحدى الدول الإسلامية الثلاث : العثمانية في تركيا ، والمغولية في الهند ، وقد وقع الصراع بين العثمانيين والصفويين عهداً طويلاً .

كان الشاه إسماعيل الصفوي على مذهب الشيعة ، وكان السلطان سليم يناصر السنة ، ومن هنا فقد أصبح الخلاف بين إيران وتركيا ، صراعاً بين المذهبين ، إضافة إلى الصراع السياسي .

وقد غزا السلطان سليم إيران ١٥١٤ . وهزم الإيرانيين ودخل السلطان سليم تبريز حاضرة إيران . ووالى الأتراك غزو إيران وارتدوا عنها ، ولكنهم تركوا في النفوس خصومة وصراعاً بعيدي المدىٰ ، وقد أفاد النفوذ الإستعماري الغربي الزاحف على العالم الإسلامي من هذا الصراع .

ومن ثم عاود السلطان مراد الرابع ١٦٣٥ زحفه على أذربيجان وملك تبريز وقصد إلى بغداد ليسترجعها من الإيرانيين فأخذوها عنوة وظل العراق في يد العثمانيين منذ ١٦٣٨ حتى استولىٰ عليها أخيراً الإنجليز ١٩٢٠ م ، كما أن العثمانيين حاربوا إيران في ديار بكر وقتلوا من الشيعة مقتلة عظيمة قدّرها بعضهم بستمائة ألف .

ثم سقطت إيران تحت حكم الأفغان الذي كانوا جزءاً من إيران أيام الصفويين وعادت مرة أُخرىٰ إلى حكم أبنائها . فقامت فيها دول الأفشار حتى ١٧٥٠ والدولة الزيدية إلى ١٧٩٤ والدولة القاجارية التي حكمت بين ١٧٩٤ إلى ١٩٢٥ حيث أحدث رضا خان أنقلابه العسكري ، واستولىٰ على حكم إيران .

وقد وقع في هذه المرحلة التدخل المزدوج من الروس والإنجليز في شؤون إيران ، وظل الصراع بين النفوذين مستمراً . وقد وقع حكام إيران تحت نفوذ بريطانيا وروسيا .

وكانت الحركة الإسلامية في إيران قد تأججت ١٨٩٠ حين منح الشاه شركة إنجليزية حق إحتكار تجارة التبغ مقابل نصيب من أرباحها ، فأفتى العلماء

برئاسة المجدد الشيرازي بتحريم التبغ ، وأضرب الأهالي عن التدخين ، فاضطر ناصر الدين شاه إلى إلغائه ، بعد أن دفع نصف مليون من الجنيهات تعويضاً للشركة ، ثم تأججت الثورة الإسلامية ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ ، للمطالبة بحكومة دستورية تقيد سلطة الشاه ، وكانت أول ثورة على النظام الإستبدادي في الشرق ، وكان بقيادة الآخوند الخراساني ، واضطر الشاه إلى إعطاء الشعب الحكم الدستوري ـ ١٥/٨/١٩٠٦ ـ وأعلن الدستور ٣٠ كانون الأول ١٩٠٦ غير أن روسيا وإنجلترا لم تلبثا أن اتفقتا فيما بينهما ١٩٠٧ على تقسيم إيران إلى منطقتي نفوذ تجاري ، حيث عقدت بريطانيا مع روسيا الإتفاق الودي الثلاثي باقتسام مناطق النفوذ في إيران ، حيث أصبح القسم الشمالي منها خاضعاً لنفوذ القيصر ، والقسم الجنوبي لنفوذ بريطانيا ولم يبق إلاّ جزء صغير ينحسر في طهران وما حولها . ووقعت على أثر هذا «الثورة الإسلامية الإيرانية ١٩٠٨» الثورة الدستورية في تركيا . وقررت خلع الشاه محمد علي ، وتولية الشاه أحمد بوصاية ، وأعيد الحكم الدستوري . وقد استمر التنافس بين النفوذين الروسي والإنجليزي حتى فبراير ١٩١٨ . حين رحلت القوات الروسية عن شمال إيران ، واستطاع الإنجليز الوصول إلىٰ بحر قزوين ، والسيطرة على إيران كلها . وثم بدأ نفوذهم منذ ١٩١٨ يزداد قوة ، حتى استطاعت بريطانيا عقد معاهدة ١٩١٩ التي أصبحت البلاد بموجبها تحت الحماية البريطانية ، غير أن الروس أخذوا في مراجعة بريطانيا من جديد ، حين توغلت قواتهم في شمال إيران ، وكان ذلك مقدمة لحركة في الجيش الإيراني بزعامة رضا خان الذي كان من عمّال بريطانيا . وقد اتسعت هذه الحركة حتى استطاعت خلع أُسرة قاجار عام ١٩٢٥ ، وبهذا بدأت إيران الحديثة حيث حكم رضا خان (١٩٢٦ ـ ١٩٤١) . وقد استطاع النظام الجديد أن يضرب الإسلام ضرباً كاملاً ، ويربط البلاد بالإستعمار الأجنبي البريطاني ثم الألماني ، فأغلقت المساجد ومنع الأذان ، وألزم بهلوي النساء بخلع الحجاب ، وغيَّر قوانين الإسلام إلى قوانين الغرب ، ومنع عمة العلماء ، وسيطر على المدارس الدينية ، وفتح المواخير والحانات ، وحطم اقتصاد إيران تحطيماً كاملاً ، حيث ربط البلاد بعجلة الأجنبي .

وفي ظل هذا النفوذ الأجنبي أدخلت إيران النظم العسكرية الأوروبية على جيشها وكان قد أنشأ ناصر الدين شاه أكاديمية العلوم والفنون عام ١٨٥٢ على أساس أوروبي ، وكان أساتذتها من الأوروبيين الذين يعلّمون علوم الغرب وثقافته وتاريخه ، وقد ترجموا إلى الفارسية كثيراً من الكتب في هذه العلوم ، وظلت هذه الأكاديمية مركزاً لثقافة الغرب وعلومه حتى القرن العشرين ، وفتح الفرنسيون والأمريكان والبريطانيون ، ثم الروس والألمان ، فيما بعد مدارس حملت مظاهر النفوذ العسكري لهذه الدول وتوزع عليها ولاء الإيرانيين .

وكان البترول أخطر العوامل التي أحاطت فارس بهذا التزاحم والصراع ، وقد بدأ ذلك عندما عقد وليم دارسي (١٨٠١) مظفر الدين امتيازاً لاستغلال البترول (٦٠ عاماً) مقابل عشرين ألف جنيه إنجليزي تدفع نقداً ، وحصة ضئيلة من محصول الشركة المستقلة تبلغ ١٦ في المائة من أرباحها كل عام . وقد بدأت مع هذه الإمتيازات قصة الصراع الكبرى بين الدول على هذا الإمتياز ، حيث استطاع الراهب روزنيلوم أن يحصل عليه من دارسي لحساب بريطانيا عن طريق تلك المؤامرة الرهيبة ، وقد تبيّن أن هذا الراهب ، وهو جاسوس يهودي (سكرني ريللي) . كان يعمل في دائرة المخابرات ، وكانت الدائرة قد عهدت إليه بالحصول على امتياز دارسي لشركة نفط بورما التي كانت تمدها إمارة البحر البريطانية بالعون ، والتي سميت في نفس العام ١٩٠٨ شركة النفط الإنجليزية الفارسية .

ومنذ ذلك التاريخ والبترول هو العامل الهام والخطير الذي يحرك الأحداث في إيران ، فقد تدخلت بريطانيا لتحول دون وقوع صفقة البترول الإيراني في أيد غير بريطانية ، حيث استطاعت تموين الأسطول البريطاني العامل في الباسفيك وبحار الصين ، والمحيط الهندي والبحر الأبيض . وفي عبادان : بنت أكبر مصفاة لتكرير البترول في العالم بالإضافة إلى مكانتها الإستراتيجية على خطوط المواصلات بين الشرق والغرب ، وجاءت الحرب العالمية الأولى فكان إنتاج مصفاة عبادان ٢٧٠ ألف طن من البترول ، زادت عام ١٩١٨ إلى تسعمائة ألف طن ، وبعد الحرب العالمية الأولى ، أصبحت إيران الدولة الرابعة في إنتاج البترول في العالم والدولة الثانية المصدرة للبترول بين دول العالم ، وفي عام ١٩٥١ حيث

قامت أكبر ثورة من أجل تاميم البترول ، كانت الآبار في عبادان تنتج اثنين وثلاثين مليوناً من أطنان البترول ، وفي ظل نفوذ البترول إبان الحرب العالمية الأولىٰ ، وقع شاه إيران معاهدة تمثل الحماية البريطانية المقنعة ، حيث تعهدت بريطانيا بتنظيم الجيش الإيراني ، ومنح إيران ما يلزمها من المال ، غير أن الحلفاء لم يلبثوا أن احتلوها ، ثم اتفقوا على إقتسام أسهم شركات البترول في إيران والعراق بين فرنسا وأمريكا وبريطانيا بحظوظ متعادلة .

وتجدد الحديث حول البترول عندما تولى رضا خان أمر إيران وبعد أن أنهىٰ حكم اسرة قاجار ، عام ١٩٢٥ ، حيث جرت المفاوضات لتعديل إتفاقية العمل في خطوة جريئة هي تأميم البترول ضد الشاه وبريطانيا .

ولا شك أن معركة النفط عام ١٩٥١ من أحداث العالمٰ الإسلامي الكبرىٰ بما آلت إليه من هزيمة للقوىٰ الإسلامية وانتصار للإستعمار ونفوذه وهي وإن انتهت هذه النهاية ، فقد تركت بصماتها في أحداث الشرق كله ، وما تزال تفعل الكثير ، ثم لم يلبث أن ظهر عامل جديد في الأمر . فبعد أن كان الصراع بين نفوذي بريطانيا وروسيا أصبح النفوذ ثلاثياً بين أمريكا وبريطانيا وروسيا .

وقد كشفت معركة تأمين البترول أن المفاهيم الإسلامية والثقافة الإسلامية ما تزال عاملاً هاماً في الحركة الوطنية والسياسية ، فقد قاد زعماء الشيعة حركة تأميم البترول بزعامة السيد الكاشاني . وكان رجال الكتلة الوطنية من أتباعهم ، وقد ظل النصر معقوداً لهم ، حتى إذا وقع خلاف بين الكاشاني ومصدق ، بدأت كفة الإستعمار ترجح .

ولمعت فكرة التأميم في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٤٧ حيث أصدر مجلس النواب الإيراني قراره برفض منح امتيازات جديدة لأي رأس مال أجنبي للبحث عن البترول في إيران ، وأضاف القرار العمل على مفاوضة شركة البترول الإنجليزية ـ الإيرانية ـ لرفع نصيب إيران من بترولها إلى ٣٠ في المائة ، غير أن لجنة البترول في مجلس النواب لم تلبث أن أصدرت قراراً مفاده أن خير عمل هو «تأميم البترول» وسقطت الوزارة ، وجاءت وزارة رزم آرا الذي اتفق الإنجليز

والأمريكان والشاه على أنه أقوى رجل في إيران لمواجهة الموقف ، في مقابل المسلمين الذين يريدون الإستقلال .

ولم يلبث رزم آرا في الحكم أكثر من أربعة شهور ، ثم دوت أربع رصاصات أردت رئيس الوزراء قتيلاً ، وقال قاتله (خليل طهماسبي) : نعم : قتلت رزم آرا ، ولم يكن لي شركاء في شرف قتل الخائن ، وأصدر نواب صفوي رئيس جمعية (فدائيان إسلام) بياناً قال فيه : إن البطل الذي قتل رزم آرا الخائن أدى واجبه ، وأصدر السيد الكاشاني الزعيم بياناً قال فيه : إن الرصاصات التي أردت رزم آرا قتيلاً قد أكسبتنا معركة البترول وسيؤمم البترول رغم أنف الخائن المضرج بدمه ، ووجدوا في جيب القاتل ورقة مكتوب عليها (الجنة تحت ظلال السيوف) ورفض جميع أئمّة المساجد في طهران ان يشتركوا في تشييع جنازة رئيس الوزراء .

وقد عرف السيد الكاشاني بعدائه الشديد للإنجليز ، وكانت له سابقة في الجهاد في العراق خلال ثورة الإمام الشيرازي ضد الإنجليز ، وكان له ولاء على الكتلة الوطنية وغيرهم من البرلمان .

وكان الكاشاني يردد دائماً صيحة واضحة : الإنجليز أضاعوا قرآننا ، وكان غلادستون يقول : لا طريق للإنجليز بين الأُمم الإسلامية ما دام فيها القرآن ، ليخرج الإنجليز من كل بلد إسلامي .

وفي هذين القرنين الأخيرين قاد رجال الدين في إيران وحدها أربع حملات ضد المستعمرين ، ابتداءاً من جهاد السيد محمد المجاهد ضد الروس في أيام القاجار ، ومروراً بثورة التنباك التي قادها المجدد الشيرازي ، وبثورة الدستور التي قادها الآخوند الخراساني ، وانتهاءاً بثورة السيد حسين القمي التي قادها ضد البهلوي الأول ، هذا بالغض عن الثورات المحلية الصغيرة ، ومن الثورة الأخيرة التي قادها الفقهاء المراجع ضد البهلوي الثاني ، وقد جرت منذ العهد السابق محاولة جمع الكلمة بين السنة والشيعة سياسياً لتعود الدولة الإسلامية الواحدة مع الغض عن الإختلاف المذهبي .

وقد جرت في العصر الحديث محاولات لذلك وما تزال ، وكان للنجف الأشرف ولقُم المقدسة والأزهر دور كبير فيها . فقد حدثت لقاءات متعددة بين علماء السنّة وعلماء الشيعة في مجالات مختلفة أهمها المؤتمرات الإسلامية الكبرى ، وفي طليعة من دعى إلى ذلك : الشيخ ميرزا محمد تقي الشيرازي قائد ثورة العشرين في العراق ، والسيد عبد الحسين شرف الدين ، والسيد حسين البروجردي ، والشيخ سليم البشري ، والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ، والسيد محسن الأمين ، والسيد محسن الحكيم ، ومن أشهر علماء السنّة الذي نبّهوا إلى قيمة الكنوز الدفينة في مذهب الشيعة : الشيخ محمد أبو زهرة والشيخ الباقوري والسنهوري ، والشيخ شلتوت ، والشيخ محمد المدني .

والشيعة نصف المسلمين تقريباً ، كما صرح بذلك الرئيس المصري السابق أنور السادات ، وهم موزعون في العراق وإيران والهند والباكستان وروسيا والأفغان ولبنان وأندنيسيا وسوريا والحجاز واليمن ومنهم مجموعات في الصين والتبت والصومال وجاوه وتركيا والبحرين والكويت ، وبقية الخليج خصوصاً الحجاز ومجموعات في البلاد الغربية .

وقد كان تدخل الإنجليز في أُمور إيران يتمثل في حجج مختلفة منها سياسة المحافظة والدفاع عن الهند ، وقد انتهز الإنجليز ضعف إيران خلال حكم أُسرة قاجار ، فوسّعوا نفوذهم في أطراف الخليج بحساب أنه باب الهند ، وكانت سياسة إيران تضطرها إلى عدم التعرض لرواد البحار والسفن التابعة للدولة الكبرى وتجارتها وبعثاتها الإستكشافية ، فقد أعطت الحرية التامة لتجارة الأجانب ، وعلى الأخص الإنجليز الذين اكتسحوا الأسبانيين والبرتغاليين من طريقهم . وقد مكّنت هذه السياسة بريطانيا من التلاعب في امور إيران الإقتصادية والسياسية ، بفرض الإمتيازات الهامة كالسكك الحديدية لجميع طرق إيران ١٨٨٩ . وامتياز تأسيس المصارف ١٩٠٧ وامتياز التبغ والتنباك ١٩٠٨ . وكانت حكومة قاجار مدينة مرهقة يحيطها النفوذ الأجنبي من مختلف إقطارها .

وقد وضع الإستعمار البريطاني الخطط لإثارة القبائل وتجهيز الطوائف المختلفة بالأسلحة وشد أزر الأُمراء والشيوخ ، ومحاولة تقسيم إيران إلى ولايات

ومناطق عشائرية . وكان إتصالها بأكبر القبائل والعشائر لإثارة الخلاف والإرتباط مع الأجانب ، وكان ذلك جرياً على القاعدة البريطانية والإستعمارية التي تقول : «إن الوظيفة الكبرىٰ للممثلين البريطانيين في البلاد الشرقية هي إضعاف الحكومات في كل شيء وبث التفرقة وتشجيع تعدد المذاهب وإيجادها وتشجيع الآراء والعقائد ثم تأليب فئة على الاخرىٰ ، وإشعال الحكومة والشعب على بعضهما بغية التدخل ، وسيطرة بريطانيا العظمىٰ على تلك الدول» . غير أن علماء الشيعة المسلمين لم يتوقفوا عن العمل في سبيل مقاومة النفوذ الأجنبي .

ولما منح الشاه امتياز التنباك إلى شركة بريطانية أصدر كبير المجتهدين المجدد الإمام السيد محمد حسن الشيرازي من مقره في (سر من رأى) فتوىٰ تحريم التنباك والدخان . تلك الفتوى التي سرت مسرى الكهرباء في جميع البلدان ، فأقفلت مخازن الدخان ، وأبى البائعون بيعه والمشترون شراءه . حتى لقد هشم رئيس خدم الشاه كل ما في القصر الملكي من نراجيل ، وأتلف ما فيه من دخان بدون أمر أو إستئذان ، وعندما عنّفه الشاه على فعلته . قائلاً : وهل استأذنتم قبل الإقدام على ذلك ، أجاب بشجاعة وسكون : «لقد أمر الشرع فلا حاجة بنا إلى إستئذان السلطان» .

وبرزت منذ تلك اللحظات حركة مقاومة للشاه ، تمثلت في إتحاد شامل ، وحاولت الحكومة أن تخفف من ضغط الأزمة فأعلنت أنها اتفقت مع شركة الإحتكار على ألا توظف في إدارتها أجنبياً ، ولكن إعلانها لم ينقص من حماسة الأُمة ولم يزد النار إلَّا ضراماً . «فهاجم الشعب محلات الشركة في كل مكان ، ومزق إعلاناتها» .

وأخيراً نزل الشاه على إرادة الأُمة ، وأعلن أن الإمتياز قد أصبح باطلاً .

وقد ثارت إيران مرة اخرىٰ عام ١٩٠٧ بعد توقيع المعاهدة الإنجليزية الروسية التي اقتسمت إيران وأملت عليها شورطها . ونظمت مخطط النفوذ الروسي والإنجليزي ، وتقاسمت مناطق النفوذ (شمال إيران لروسيا وجنوبها لإنجلترا) والمنطقة الوسطىٰ محايدة . وهذه المعاهدة شبيهة بالإتفاق الودي الذي

عقد بين فرنسا وإنجلترا عام ١٩٠٤ باقتسام النفوذ بين بريطانيا في مصر ، وفرنسا في تونس .

وقد أيقظ هذا التنافس الروح الوطنية في البلاد للتخلص من النفوذ الأجنبي .

وقاد الآخوند الخراساني من النجف الأشرف ثورة ضد الملوكية حتى أسقط الشاه وقرر الدستور .

أفغانستان :

أفغان كان جزءاً من الدولة الإسلامية الكبرىٰ منذ دخول الإسلام هذه البلاد ، ثم صارت جزءاً من إيران منذ إقتسام البلاد الإسلامية إلى أن قطعها البريطانيون عن إيران وجعلوها بلداً مستقلاً وسموها بأفغان باسم جزء منها ، وإلاّ فلم يكن في التاريخ موسوماً باسم أفغان ، وكان لأفغان شرف مقاومة الإستعمار الغربي مقاومة حاسمة اندحرت فيها بريطانيا في ثلاث معارك كبرىٰ امتدت على مدى قرنين .

ولما أراد (أمان الله) فرض الحضارة الغربية في أفغانستان ، كما فعله (مصطفىٰ كمال) في تركيا ، و (رضا خان) في إيران ، أسقطوه .

وكان رجال مشهورون في التاريخ من الشيعة والسنة من أفغان : كصاحب الكفاية ، وناصر خسرو العلوي ، وقد تعرض الشيعة بتخطيط الإستعمار لمجازر هائلة في هذا البلد فقد أمر أحد الحكّام جلاوزته بقطع رؤوس الشيعة ، فكانوا يقتلون الشيعة في كل مكان ويجعلون من رؤوسهم منائر يعرف أماكن تلك الرؤوس إلى الحال واطّلع على هذا الأمر السيد المجدد الشيرازي في سامراء ، فكتب كتاباً إلى ملك إيران القاجاري ليهدد عبد الرّحمٰن بالزحف عليه بجيش إيران إن لم يوقف المجازر ، وكتاباً إلى حكومة بريطانيا في لندن بهذا الشأن أيضاً ، وخافت بريطانيا من استمرار عميلها من تحرك يشابه تحرك التنباك ، كما وصل التهديد إلى عبد الرّحمٰن من شاه إيران فتوقفت المجازر بسبب هذا التحرك المرجعي .

الباكستان والهند :

الهند قارة كبيرة تضم إليها مجموعات بشرية تعود إلى أجناس مختلفة تتكلم بلغات متباينة ، وتدين بأديان غير متقاربة ، وإن المبدأ الذي تعتنقه أوروبا الديمقراطية لا يمكن تطبيقه بحال على الهند دون أن يسبق ذلك اعتراف بوجود المجموعات الطائفية ، وعلى هذا فمطلب المسلمين له ما يبرره تماماً ، وبودي أن أرى البنجاب وإقليم الحدود الشمالية الغربية والسند وبلوخستان قد توحدت وأصبحت دولة ، ويبدو أنه ليس أمام المسلمين سوى هدف واحد ، وهو تكوين حكومة ذاتية له ، إما داخل الأمبراطورية البريطانية وإما خارجها : دولة إسلامية هندية تقع في شمال غربي الهند .

فإذا ما أتيح لهذه الدولة
الإسلامية الحديثة أن تقوم فإنها ستكون المدافع الأكبر عن الهند ضد أي هجوم أجنبي عليها .

وإنا لهذا نطالب بتكوين دولة إسلامية موحدة ، وقيامها هذا سيكون في صالح الهند ، كما هو في صالح الإسلام ، لأنها ستعمل على محو الطابع الإستعماري الغربي الذي أجبر على طبعها به ، ولأنها ستسمح للقوانين والتعاليم الإسلامية أن تسود ، وللتعليم والثقافة أن يعملا جنباً إلى جنب في تعاون لإظهار الروح الإسلامية الحقة ، وإمكان تطبيقها في هذا العصر الحديث .

وفي ١٤ أغسطس ١٩٤٧ م تأسست الباكستان بقيادة محمد علي جناح وراجا محمود آباد .

وقد حكم المسلمون الهند ما يقرب من ألف عام ، وكان تاريخاً حافلاً بدأه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السَّلام» .

وقد قام الإنجليز بأعمال البطش الرهيبة التي قصروها على المسلمين في نفس الوقت الذي حرموهم فيها من التعليم والمناصب ، وافسحوا المجال والتأييد والولاء للهندوس إلى حد آذن بانفجار ثورة الهند الإسلامية الكبرى عام ١٨٥٧

فجأة والتي بدأت كحركة تمرد بين بعض وحدات الجنود الهنود في الجيش الأمبراطوري ، ثم انقلبت إلى حرب تحريرية قادها الأمراء والفقهاء المسلمون ، واشترك فيها المسلمون والهندوس والشيوخ والنساء والرجال ، واكتسحت شمال الهند ومراكز النفوذ البريطاني ، حتى أعلن بعض قواد بريطانيا الكبار أن كل شيء قد انتهى ، وأن كل ما بنته بريطانيا قد ضاع ، ولم تستطع بريطانيا استعادة نفوذها إلاَّ عن طريق الخيانة والرشوة .

وقد حمل الإنجليز المسلمين مسؤولية الثورة ، فقد أعلنت الثورة باسم (أمبراطور دلهي) وقاد معظم معاركها قادة مسلمون ، ونادى الفقهاء المسلمون بالجهاد ، وأعلنوا للهند كلها (دار حرب) حتى يباد الغزاة الغاصبون ، وصب الإنجليز كل حقدهم وانتقامهم على المسلمين ، وكان إنتقاماً مريعاً ، أعلنوا أنه لن يقف حتى يباد المسلمون عن آخرهم ، وتهدر دماؤهم، وأصبح من حق كل بريطاني أو مدني أن يقتل من يشاء من الهنود ، وأعدمت النساء والأطفال ، وأبعدت أُسر وعائلات بأكملها في مذابح جماعية لكي «يباد جنين الثورة في أي مكان من الهند» كما قال القائد البريطاني . ولم يسبق أن عرفت الهند أو عرف المسلمون رعباً ولا هولاً كالذي عرفوه يومئذ ، وسميت هذه المحنة الكبرى ولم ينسوها أبداً ، ثم بعد مدة قام حزب المؤتمر بقيادة غاندي وجناح خان عبد الغفار خان وغيرهم من الزعماء وعملوا طوال نصف قرن حتى أخرجوهم من الهند .

يقول أحد المؤلفين حول إستعمار الهند من قبل بريطانيا :

[ان المستعمر لا يريد أن يعلّم أبناء البلاد الخاضعة له ، وإذا اضطر أن يعلمهم ، علّمهم ما يضرهم ، أكثر مما ينفعهم ، من أجل ذلك لا نستغرب إذا علمنا أن الإنجليز لمّا غادروا الهند كان عدد الأُميين فيها قد أصبح ثماني وثمانين من المائة من مجموع أربعمائة مليون نسمة .

أما الذين يستطيعون قراءة شيء من لغاتهم

المحلية فكانوا نحو إثني عشر بالمائة والذين تعلموا شيئاً من الإنجليز اثنين بالمائة فقط ، ويستطرد فيقول : فالجهل هو أحد أوجه التراث الذي يخلفه الإستعمار في كل بلد ، هذا إذا اضطر إلى أن يغادر ذلك البلد] .

على أن الأُمية كانت أكثر تفشياً بين المسلمين منها بين غير المسلمين ، ولما استولىٰ الإنجليز نهائياً على الهند أخذوا يقضون على عناصر القوة ، وعلى مظاهر القوة في الهند ، ثم حاولوا أن يخضعوهم لمناحي حياتهم تماماً ، كما يفعل كل مستعمر ، وقضوا ما استطاعوا على الحركة الثقافية ، وفرضوا على الموالين لهم من أهل البلاد تعليماً إنجليزياً إستعمارياً .

وقد ابتعد المسلمون في الهند عن التعليم بعاملين :

أولهما : إن الإنجليز أخذوا يذودونهم عن العلم حتى يغمرهم الجهل ، فيغفلوا عن ماضيهم ، ويفقدوا إدراكهم بقيم الحياة الحرة ، والمسلمون في الهند كانوا أشد سكانها مقاومة للإنجليز .

ثانيهما : كان كره المسلمين أنفسهم للعلم الذي جاء به الإنجليز لأنه علم غربي أجنبي ، ولقد كان لهذه السلبية أسوأ الأثر في المسلمين فقد غرقوا في جهل بعيد القعر ، وخسروا الجزء الأوفر من نفوذهم السياسي ، ولكن سلبية المسلمين لم يكن مقدراً لها أن تطول ، فقد أخذوا بفتح المدارس وتكوين الطلاب وألفوا الكتب وفتحوا المكتبات حتى تمكنوا من التحرير .

قرار المقاطعة :

وشرعت الأُمة الهندية عقب ذلك في مقاطعة الحكومة وإظهار العصيان المدني فامتنعت عن دفع الضرائب والرسوم ، وتخلىٰ المحامون عن الدفاع أمام المحاكم ، وأعاد أصحاب الرتب النياشين والبراءات الحكومية ، وأحرق التجار المسلمون جميع ما في مخازنهم من البضائع الإنجليزية ، وترك الموظفون المسلمون مناصبهم في الحكومة ، فحل الهنادكة محلهم ، وهاجر عدد كبير من أكابر

المسلمين إلى الأفغان ، بعد أن تركوا أملاكهم وأرضهم في الهند واشتدت المقاطعة في البنغال اشتداداً عظيماً ليس له مثيل ، فقد امتلأت سجونها بالمقاطعين من المسلمين ، حتىٰ إذا أعيا الحكومة أمرهم صارت تقبض كل يوم على ألف شخص في الصباح وتطلقهم في المساء ، لأن السجون لم تعد تسع المعتقلين ، وخطب اللورد ريدنج (الحاكم العام) في كلكتا فقال : إنني شديد الحيرة من جراء هذه الحركة ، ولست أدري ماذا أصنع فيها ، ومن هذا السياق تستطيع أن تتصور قوة المسلمين في الحركة الوطنية وضعفها في الهندوكية .

وقد اجتمع الزعماء عام ١٩٢١ وأعلنوا استقلال الهند استقلالاً فعلياً ، وعينوا ولاة الولايات وحكام المقاطعات وقضاة المحاكم في جميع المدن ، فكان الوطنيون يرفعون قضاياهم أمامهم ، ويتجاهلون محاكم الحكومة ، وبسبب ذلك تعطلت أعمال الحكومة والبوليس ، وحدث إرتباك شديد في الدوائر العالية بالهند . غير أنها بدلاً من أن تستعمل القوة القاهرة لكفاح الشعب الأعزل لجأت إلى المناورات السياسية .

وقد كان على المسلمين في الهند أن يواجهوا حركتين : حركة الإستعمار وحركة التبشير ، وقد كان لأحدهما صلة بالآخر وثيقة ، وقد ذكر بعض الكتاب ضخامة مخطط التبشير في الهند عام ١٩٣٧ حيث كانت توجد ٣٧٧ إرسالية تضم (٣٦٣٤) مبشراً بالإضافة إلى ٥٠ كلية و ٣١٨ مدرسة ثانوية و ٤٢١ مدرسة إبتدائية و ٢٧٠ مدرسة منوعة أُخرىٰ بالإضافة إلى ١٧٠ جريدة وصحيفة ونشرة تدار كلها لحساب الإرساليات التبشيرية الغربية .

وقد بلغ حجم النفقات السنوية للإرساليات بالهند ٣٣١ و ٢٢٧ مليون روبية ، وكانت القوة الشرائية للروبية كبيرة جداً ، وقد واجه المسلمون هذه الغزوات بإنشاء جمعيات التبليغ بفروعها المختلفة الإسلامية في انحاء الهند ، وذلك لصيانة عقائد الضعفاء من المسلمين والدعوة إلى الإسلام .

أندونيسيا :

دخل الإسلام أندونيسيا عن طريق المسلمين الهنود والعرب الذين قدموا

إلى البلاد للتجارة وحملوا معهم الإسلام واللغة العربية ، فقد وفد المسلمون على سومطرة في القرن السادس الهجري وهبطوا جاوة في القرن التاسع الهجري ، وجاؤوا من الهند أولاً ، ثم تتابع سيلهم من حضرموت والبلاد العربية بعد القرن العاشر الهجري .

فقد نشر الحضارة الإسلام في أندونيسيا التي تمثل سلسلة من الجزر الهندية الشرقية تمتد إلى سيلان واليابان والصين وأهمها : جزيرتان هما : جاوه وسومطرة . وكان الأندونيسيون الأقدمون وثنيين ، ثم جاءت بعد ذلك البرهمية والبوذية فانتشرتا بينهم ، وبعدهما جاء الإسلام ، وقد دخل الأندونيسيون في الإسلام سراعاً واعتنقوه بأعداد هائلة حتى لم يبق على البرهمة والبوذية في الجزر إلَّا أقلية ضئيلة ، معظمهم يوجدون في جزيرة بالي . وقد تم اعتناق الإسلام في أندونيسيا بطريقة سليمة ، وبسرعة منقطعة النظير ، إذ أقبل الناس عليه ، ووجدوا في وضوح عقيدته وآدابه ونظامه وسماحته وتعاليمه ما انقذهم من الإضطراب النفسي والإنحراف العملي الذي كان يسيطر عليهم نتيجة العقائد المتضاربة ، فدخلوا في دين الله أفواجاً ، وما هي إلَّا فترة قصيرة حتى اكتسح الإسلام جميع الأديان الأخرىٰ التي كانت منتشرة هناك وسطع نور الإسلام في أرجاء الأرخبيل من أقصاه إلى أقصاه . بدأ الإسلام في جاوه ، ثم امتد إلى سومطرة ، ثم إلى سائر الجزيرة ، وحمله التجار العرب والهنود المسلمون الذين كانوا يتحركون بهمة فائقة عبر مختلف الموانيء بين الهند والصين ، ويرىٰ المؤرخون أن الفضل في ترسيخ أقدام الإسلام وتوطيد أركانه في كل من الملايو وأندونيسيا إنما يرجع إلى دخول «ملقا» في الإسلام وإطراد قوتها في شبه جزيرة الملايو بحسبان أنها مركز تجارة التوابل في الشرق ، وما لبث حكامها أن دخلوا في القرن التاسع الهجري ١٥٠٠ م ، وشجعوا إقامة علاقات ودية مع أهل جاوه ، فأدىٰ العمل إلىٰ دخول هؤلاء في الإسلام ، ومضىٰ مسلموا ملقا يعملون للدعوة الإسلامية في شبه جزيرة الملايو ، وعلى محاذاة ساحل جزيرة سومطرة .

وعندما فتح البرتغاليون ملقا (٩١٧ هـ ـ ١٥١١م) كان الإسلام قد انتشر واتسع في مختلف أرجاء الملايو وجزر أندونيسيا ولكنه لم يتوقف عن الإنتشار ثم

تبعهم البريطانيون والهولنديون ، وبذلك خضع مسلموا الملايو للسيطرة الأوروبية قبل غيرهم من أجزاء العالم الإسلامي ، والمعروف أن البرتغاليين بعد أن استعادوا الأندلس «أسبانيا الإسلامية» كانوا قد قطعوا على أنفسهم عهداً بشن حملة صليبية ضاربة على الإسلام ، ولما لم يتمكنوا من ضربه في مكان القلب ، فقد اتجه تفكيرهم إلى إجراء تطويق واسع ، وعندما بدأت أعمال التبشير الغربي في أرخبيل الملايو بدأت حركة هجرة كبرى من مسلمي الصين والهند إلى أندونيسيا كرد فعل للإسلام في جنوب شرق آسيا للعودة إلى المجتمع الأم لإنعاش الإسلام وفي أواخر القرن الخامس عشر جاءت البعثة الهولندية إلى ميناء بنتام بجزيرة جاوه سنة ١٥٩٦ م وأقامت شركتها (الشركة الهولندية لجزر الهند الشرقية سنة ١٦٠٢) فامتلكت الأراضي واتخذت الجيوش والأساطيل باسم التجارة ، ثم لم تلبث عام ١٦١٠ أن عينت حاكماً عاماً لها في مدينة جاكرتا .

وقد قاوم الوطنيون هذا النفوذ الجديد مقاومة عنيفة حتى أجبروا الشركة على الإنتقال إلى جاكرتا بعد أن عقدت معاهدة مع سلطانها ، ثم تنازلت الشركة عن أملاكها في أندونيسيا للحكومة الهولندية عام ١٨٠٠ ، ولم يتوقف الأندونيسيون عن المقاومة ، فتوالت ثوراتهم وفي مقدمتها ثورة الأمير ديبونجارا في جاوه الذي استمرت الحرب بينه وبين الهولنديين خمس سنوات كاملة (١٨٢٥ - ١٨٣٠) خسرت هولندا خلالها عشرات الملايين من الجنيهات ، ولم تتمكن من إخماد الثورة إلاّ بعد أن ألقت القبض على الأمير وهو جالس إلى مائدة المفاوضات ، وفي سومطره استمرت الحرب بين الهولنديين والوطنيين بقيادة علي الدين محمود شاه حتى يناير ١٨٧٤ وبقيادة تنكو عمر حتى قتل سنة ١٨٩٩ فتولت زوجته القيادة إلى أن استطاع المستعمرون بعد خسائر فادحة أن يخمدوا الثورة سنة ١٩٠٤ .

ولم تتوقف روح المقاومة ولم تنطفيء حيث بدأت مرحلة جديدة هي : مرحلة جهاد الهيئات الإسلامية وكفاح الأحزاب السياسية وفي مقدمتها (حزب شركة إسلام ، والحزب الوطني الأندونيسي) انتشر مبدأ المقاومة السلبية وعدم التعاون مع المستعمرين الذي حقق نجاحاً باهراً عام ١٩٢٢ . ثم اندلعت الثورة

عام ١٩٢٦ . واستمرت إلى عام ١٩٢٧ . ولم تستطع هولندا إخمادها إلاّ بعد أن استعانت بإنجلترا ، واستعملت أشد الأساليب الوحشية ، وتزعم الحزب الوطني ثورة جديدة ولم تلبث الأحزاب الأندونيسية أن تكتلت في جبهة واحدة عام ١٩٤١ مطالبة بالإستقلال . وفي مارس ١٩٤٢ استسلم الهولنديون في أندونيسيا للجيش الياباني بعد أن احتل الألمان هولندا ، واستأنف الأندونيسيون مقاومتهم لليابان ، وقاموا بثورات عدة ، وانهزم اليابان في الحرب العالمية واستسلموا في أندونيسيا ، هناك أعلن الشعب الأندونيسي استقلاله في ١٧ أغسطس سنة ١٩٤٥ م ، وقام الأندونيسيون في كل أنحاء وطنهم يهاجمون القوات اليابانية وينتزعون السلطة ، غير أن بريطانيا كانت تدبر لهم مؤامرة لإعادة سيطرة هولندا مرة أُخرىٰ علىٰ أندونيسيا ، وقاوم الأندونيسيون بريطانيا معاً ، وشنوا حرباً غير متكافئة . وفي سورابايا دارت أضخم معركة حيث هاجم البريطانيون المدينة الباسلة من الجو والبحر والبر ليلاً ونهاراً ، وجرت عام ١٩٤٦ مفاوضات للإعتراف بسيادة أندونيسيا ، ولكن الهولنديين سرعان ما غدروا بالإتفاق وشنوا هجوماً جديداً عام ١٩٤٧ . واستمرت المقاومة حتى عقدت الهدنة سنة ١٩٤٨ ولكن الهولنديين ما لبثوا أن غدروا مرة أُخرىٰ بشعب أندونيسيا الذي قاوم العدوان ببسالة حتى اعترف بالسيادة الكاملة لأندونيسيا عام ١٩٤٩ ، وإن بقيت (الأجزاء الغربية) محتلة بالقوات الهولندية ، وهكذا قاومت أندونيسيا المحتلين ثلاثة قرون كاملة ، وصارعت البرتغال والهولنديين والفرنسيين والإنجليز واليابان .

وقد تنبه المسلمون إلى خطرين أساسيين من أخطار الإستعمار الهولندي وهما : الإقتصاد والتعليم . ولذلك فإن الجماعة الأُولىٰ التي تكونت قد عمدت إلى التركيز على هذين الخطرين ، ولقد كان الإستعمار الهولندي حريصاً على القضاء على القوة المعنوية لأندونيسيا روحاً وعقيدة ولغة وثقافة ، مستهدفاً أن تصبح البلاد جزءاً من هولندا ، أو على حد قول المستشرق الهولندي جورنجيه : «أن تصبح أندونيسيا أُمة هولندية تعيش في الشرق بروح هولندية قلباً وقالباً فتبني مجد هولندا في ثقافتها ، وتستعمل لغتها ، وتتخلق بعاداتها وتقاليدها» .

وقد كان لظاهرة البعثات التبشيرية في أندونيسيا أثرها وخطرها فقد نشرت المدارس في مختلف الأنحاء ، واستطاعت أن تضم عدداً كبيراً من التلاميذ نظراً لفقر البلاد وعجزها عن إنشاء المدارس ، ومن ثم غلبت الثقافة الأجنبية واللغة الهولندية ، وظهر جيل يجهل أغلبه لغة قومه ودينه ، ولم تلبث أندونيسيا المسلمة التي غلبت البوذيه والهندوكية أن واجهت منافسة خطيرة من البعثات المسيحية .

فالإستعمار قد أدخل النصرانية إلى أندونيسيا ، واستطاع استغلال الظروف في إخضاع القلوب ، واعتمدت هولندا على غير المسلمين في تثبيت أقدامها ، واتخذت منهم جيشاً ، وكونت منهم أنصاراً وأصبحت منطقة (سولاويس) ملأى بالنصارىٰ وكانوا أنصار هولنده ويتحدثون باللغة الهولندية بطلاقة منذ ليونة أظفارهم ، ويمتزجون بالهولنديين في المعاشرة الزوجية حتى أطلقوا أسماء هولندية على أولادهم وبناتهم ، وتطبعوا بأخلاقهم وصفاتهم وعاداتهم .

في مواجهة هذا العمل التبشيري الواسع واجه الأندونيسيون مسؤوليتهم الإسلامية بقوة ، وتقدموا بأموالهم وتضحياتهم في سبيل الوقوف في هذه الموجة العاصفة ، وإذ كانت حركة المقاومة للإستعمار ، وحركة المقاومة للنفوذ الإستعماري في مجال الإقتصاد والتعليم والثقافة عملاً واحداً .

وقد أخذ الإستعمار في عرقلتها وتوقيفها ، حيث أصدرت قانون رقابة المدارس الأهلية الذي أطلقت عليه قانون (المدارس المتوحشة) ١٩٢٣ . ومظهر القانون حماية المدارس القومية ، ولكنه في مضمونه يقوم على عرقلة تلك الجهود والقضاء على إنطلاقة الحركة الإسلامية الأندونيسية في اختيار التعليم الذي يتفق مع عقائد الأندونيسي ووطنيته .

وقد كان من نتائج تنفيذ القانون أن أقفل الإحتلال أبواب المدارس الإسلامية بالقوة ، وشرد تلاميذها ، وزج مدرسيها في غياهب السجون .

ثم عمدت الحركة الإسلامية إلى تعديل أساليب التعليم الديني ، وإدخال العلوم الحديثة ، وكانت قد نجحت الفكرة وقامت مدارس «جمعية نهضة العلماء» ، وكان أبرز ما حققته هذه الحركة هي أنها جمعت بين العلوم الحديثة

والعلوم الإسلامية ، وقد قال أحد المشرفين على هذه المدارس «لا نريد من التعليم الحديث أن يكون على شاكلة تلك العلوم المدنية الحديثة التي تطبع الأجيال المقبلة بالطابع المادي وتجعلها عبيداً للمادة كما هي الحال في أوروبا اليوم ، وإنما نريد فوق ذلك جعل الدين الإسلامي الصحيح أساساً للتعليم القومي لإنقاذ الأجيال من التيار المادي الجارف ، وجعله ركناً من أركان قوى الشعب المعنوية التي لا يستغني عنها البشر في يوم من الأيام .

ومن خلال هذه الهيئات الإسلامية انبثقت الأحزاب التي تعددت وتنوعت ، حاملة لواء الدعوة إلى إقامة صرح الإسلام .

وقد واجهت حكومة الإحتلال الصحافة الوطنية والإسلامية بقوانين غاية في الصرامة والتضييق فأسقطت ٢٧ صحيفة في ساعة واحدة ، وسجنت الكثيرين ، وفرضت الرقابة عى الصحف ، ومنعت الإجتماعات . وقد استطاعت الحركة الإسلامية أن تثبت وجودها عن طريق صحف تتحدث عن عظمة الإسلام وحسن تعاليمه ، وتراجم رجالاته ، وما بذلوا من جهد في سبيل نشر تعاليمه ، وفيما يتعلق باللغة الأندونيسية فقد حصر النفوذ الإستعماري على أن يحول **(أولاً)** دون قيام لغة موحدة . **(ثانياً)** أن يحول دون إرتباطها باللغة العربية . لكن جهود الإستعمار باءت بالفشل ، نعم بقي على الأندونيسيين أن يثبتوا جدارتهم في منع الإستعمار الثقافي التبشيري .

افريقيا قارة الاسلام :

دخل الإسلام في أفريقيا من طرف شرق أفريقيا وغرب أفريقيا ، أما شرق أفريقيا فترجع إلى أتصال الموانيء الأفريقية بالجزيرة العربية ، ويمكن القول بأن الإسلام قد دخل أثيوبيا (الحبشة) قبل أي بلد أفريقي آخر ، وذلك عن طريق الهجرة الأولىٰ في عهد النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» ، حيث ذهب جعفر بن أبي طالب «عليهما السَّلام» وجماعة إلى هناك من مكة المكرمة ولم تلبث الدعوة الإسلامية أن انتشرت على أيدي القبائل التي هاجرت إلى أرتريا والصومال ، وأثيوبيا ، حتى أصبح الإسلام هو دين الغالبية في هذه المناطق ، والمعروف أن

هذا الساحل (شاطي الصومال) كينيا و (تنجانيقا) كان مجال التجارة العربية ، فلما جاء الإسلام واعتنقه العرب تحولت تلك إلى مراكز إسلامية على الشاطيء الشرقي الأفريقي تتحكم في طرق التجارة إلى داخل تنجانيقا ، وقلب الكونغو ، وتمتد إلى بحيرة فكتوريا ، وكان من نتيجة اتصال العرب بالأهالي أن ظهرت اللهجة السواحلية ، وهي تمتد من اللهجات المحلية الأفريقية التي يتحدث بها أغلب شعوب القارة وهي خليط من ألفاظ زنجية وعربية وفارسية وهندية .

أما منطقة غرب أفريقيا فقد انتشر الإسلام فيها عن طريق قبائل البربر المغربية التي اعتنقت الإسلام ، وعن طريق غرب السودان حيث يوجد خط القوافل التجارية المسافرة إلى غرب أفريقيا . ومن المغرب انتشر الإسلام في السنغال ومملكة غانا القديمة ، وامتد إلى داهومي الشمالية ، وكذلك نيجيريا وسائر غرب أفريقيا انتشر فيها الإسلام عن طريق المغرب ، ولم يلبث النيجيريون أن أصبحوا دعاة للإسلام في ترحالهم على الإقدام للحج سنوياً مخترقين قلب أفريقيا إلى غرب السودان فشرقه ، ثم عابرين البحر الأحمر ، ومن غرب أفريقيا وسّع الإسلام آفاقه وسط القارة .

وترجع أهمية التوسع الإسلامي في غرب أفريقيا إلى مقام دولة (المرابطين) في القرن الخامس الهجري ، حيث توصف هذه الفترة بأنها فترة انتعاش للإسلام ، وكان أبرز مظاهر هذه الحركة الإندفاع نحو الجنوب إلى جبال أدرار ، ثم إلى البلاد المعروفة باسم موريتانيا ، ثم إلى نهر السنغال ، حتى إذا كان القرن التاسع الهجري اتسعت حركة إنتشار الإسلام واللغة العربية في هذه المناطق ، ولم تلبث أن اتسعت في القرن العاشر الهجري حيث استطاع الإسلام أن ينتشر بين القبائل ، ويحل محل الديانات الوثنية في السنغال .

أقبلت بعد ذلك مرحلة الغزو الإستعماري الذي بدأته البرتغال وأسبانيا وتبعتها باقي الدول الأوروبية ، وقد استطاع المسلمون في أفريقيا مقاومة الغزو البرتغالي والأسباني المتقدم الذي بدأ في أوائل القرن التاسع الهجري ، بعد سقوط الأندلس . غير أن الإستعمار الفرنسي والبريطاني لم يلبث أن حل محل النفوذ البرتغالي والأسباني ، وقد استطاع هذا النفوذ أن يستمر طويلاً ويمكن القول بأن

العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر ، كانا أشد مراحل الغزو الأوروبي لأفريقيا قسوة وإندفاعاً . وكان للتجار المسلمين الوافدين من الخليج أثر وأضح في نشر الإسلام في كومور وجزر المحيط الهندي (مدغشقر ـ سيشل ـ البرلوتبون ـ موريس) .

وقد بدل الإسلام مظاهر الحياة في البقاع التي دخلها ، وأسبغ روح النظافة والنظام حيث يتميز المسلم عن بقية الناس بلباس فضفاض فضلاً عن تحريم لحم الخنزير وشرب الخمر . وقد انتشر الإسلام انتشاراً شاملاً بين عبّاد الأوثان والحيوان ، لأن شعائره مبسطة للغاية ، وترجع أهمية الإسلام في نظر الأفريقيين إلى أنه نظام إجتماعي كما هو دين ، يمنح المؤمن اعتقاده بالمساواة بين جميع المؤمنين .

ولقد أشار ولفرهامبتون في بحث له نشرته جريدة التيمس عام ١٨٨٧ نتائج إنتشار الإسلام فقال :

[إنه عندما تدين به أمة من الأمم الأفريقية تختفي من بينها في الحال ، عبادة الأوثان ، وتحرم أكل لحم الإنسان ووأد البنات ، وتضرب عن الكهانة وتأخذ أهلها في أسباب الإصلاح وحب الطهارة ، ويصبح عندهم قرى الضيف من الواجبات الدينية ، وشرب الخمور من الأمور الممنوعة ، ولعب الميسر محرمة ،والرقص قبيح ، ومخالطة النساء اختلاطاً دون تمييز منعدمة ،يرون عفة المرأة من الفضائل ،أماالغلو في الحرية والتهتك وراء الشهوات البالية فلا تجيزه الشريعة الإسلامية .

والإسلام هو الذي يعمم النظافات ويقمع النفس عن الهوى ، ويحرم إراقة الدماء والقسوة

في معـاملة الحيـوان والأرقّـاء ، ويحض عـلى الخيرات ، ويقول بـالإعتدال في عـدد الزوجـات والعـدل في الإسـترقـاق ، وزيـادة عـلى ذلـك فـالإسلام عفيف بـالكلية عن الشركـات الدينيـة والتجـاريـة ، وفي غنىً عنهـا بـالمـرة ، والتجـارة الأُوروبية تمهد وسائل المسكرات وتسوم الشعوب خسفاً وإذلالاً ، والإسلام نشر لواء المدنية القائلة بالإحتشام في الملبس والنـظافة والإستقـامة وعـزة النفس] .

لكن المستعمـرين أدخلوا نظمهم السيـاسية وقـواتهم العسكريـة الأُوروبيـة ومنظماتهم التبشيرية إلى أفريقيـا ، وقضوا عـلى السلطات الإسلاميـة ، أو سلبوهـا سلطانها ، ووضعوها تحت الـوصايـة ، وفرضـوا العزلـة على هـذه البلاد وقـطعوا صلاتها بالعالم الخارجي ، وطوقوا القارة الأفـريقية بـالقواعـد العسكريـة ، ونهبوا ثرواتها واستعبدوا أهلها وحاربوا الثقافة الإسلامية حرباً غـير متكافئـة ، ففرضـوا اللغات الأُوروبية عـلى أفريقيـة ، وأنشأوا المـدارس التي تبث ثقافتهم وأفكـارهم وخاض الإسلام في أفريقيا معركة حياة أو موت .

وقـد استهدف الإستعـمار الفرنسي والـبريـطاني في القضـاء عـلى مقـومـات المسلمـين في أفريقيـا ، وذلك بـوسائـل مختلفة أهمهـا القضاء عـلى اللغة العـربيـة والثقافة الإسلامية والتراث الإسلامي ، وكل ما يتصل بتاريخ الفترة المـزدهرة التي عاشها المسلمون قبل اتساع النفوذ الأجنبي ولذلك فـإن التركيـز الإستعماري كـان على الثقافة أساساً عن طريق : نشر المدارس والمؤسسات التبشـيرية والإرسـاليات والقضاء على المـدارس الوطنيـة ، وإعداد المـدارس التي تشرف عليها الحكـومة ، وإعداد الإرساليات ، وينصب عملها على نشر لغة المستعمر ودينه وتاريخه وتغـذية اللغات الإقليمية القومية وإيقاف اللغة العربية الأُم وتجميدها .

ويعمد البريطانيون إلى عزل مختلف المناطق الأفريقية عن الجو العربي الذي قد يكون موجوداً بين الافريقيين ، ومن ذلك أنهم حولوا أهالى شرق افريقيا (كينيا

وأوغندة وتنجانيقا وزنجبار) من كتابة اللغة السواحلية بالحروف العربية إلى كتابتها بالحروف اللاتينية .

كما يعمد الإحتلال البريطاني إلى السيطرة على الصحف ، وذلك بتحريك قضايا وشبهات من شأنها أن تثير الخلافات بين المذاهب المختلفة ، وتحول دون وحدة الأمة ، فهو يثير مشكلة الأقليات أحياناً والخلافات المذهبية أو السياسية أحياناً أو ينادي بانفصال مناطق معينة .

وقد كان للبلجيكيين ٧٢٠ مجموعة تبشيرية تضم حوالي (٦) آلاف مبشر معظمهم من الكاثوليك ، ولغة التعليم هي الفرنسية ، والغزو الإستعماري في أفريقيا لواء ثلاث عمليات خطيرة :

أولاً : عملية تجارة الرقيق حيث عمد إلى خطف أكثر من عشرين مليوناً من أهالي أفريقيا ، وأرسلهم إلى أمريكا . وقد مات منهم في الطريق عدد كبير ، وقد فعل هذا ، بينما كان يثير حملات عنيفة متّهماً التاجر المسلم المتنقل بين أرجاء أفريقيا بأنه يعمل في تجارة الرقيق .

ثانياً : عمليات التبشير حيث تدفقت البعثات التبشيرية الأوروبية المختلفة من الكاثوليك والبروتستانت لنشر المسيحية واللغات الأوروبية ، ومقاومة الإسلام ، والثقافة الإسلامية .

ثالثاً : إدخال جماعات بيضاء بأعداد ضخمة في كثير من المناطق للإستيلاء على الأراضي الخصبة ، وطرد أهلها الأفريقيين منها ، وخلق كيان أوروبي يجعل الوطنيين أقلية في بلادهم .

ثم ان المسلمين قبل قرن لما أحسوا بخطورة الإستعمار ، أخذوا يدعون إلى الجامعة الإسلامية أو الدولة الواحدة ، وقد أحس الأوروبيون بخطر ذلك فحاربوه بكل قوتهم ، بصحفهم ومؤتمراتهم وسائر قواهم ، كما تبين قوته وخطره إذا تحقق لذلك فقد اتخذوا لذلك عدة أعمال أساسية كان أهمها :

١ ـ تعميق الدعوات الإقليمية والخاصة بالوطنية والأمة والعرق .

٢ ـ خلق جو فكري عام لمحاربة الوحدة الإسلامية وتصفيتها .

وكـان ذلك من الأعـمال التي ركزت عليهـا مؤتمرات المبشرين وفي مقـدمتها (مؤتمر سبتمبر ١٩١١) الذي كان من أهم موضوعـاته الجـامعة الإسـلامية وكيفيـة مقاومتها . فقد أشار زويمر إلى هذا الأمر الخطير في نظرهم وقال :

[إن الإســلام تمخض في الســنــوات الخمس الأخـيرة من حـوادث خـارقـة لم يسبق لهــا نـظير هي :

١ ـ الإنقلاب الفارسي (بقيادة المراجع) .

٢ ـ الإنقـلاب العثـماني (بــالـدعــوة إلى نبـذ الدكتاتورية) .

٣ ـ امتداد خطوط السكة الحديدية .

٤ ـ تأسيس المجالس الثورية في الهند .

٥ ـ دخـول الأمور الإسـلامية في قـالب يلائم العصر .

٦ ـ إنتشار الإسلام في أفريقيا والهنـد الغربيـة والجزائر الجنوبية . وكـل هذا يحتم عـلى المبشرين أن يعملوا بحـزم وجد . وقـال : ان يقظة العـالم الإسـلامي ليست شيئـاً اختـرعـه المبشرون بـين ضفتي النيــل وشرقي أفـريقيــا وبــلاد النيجــر والكونغو] .

وكـان تركيـز الإستعـمار والنفـوذ العـربي عـلى العصبيـة الجنسيـة والتفـرقـة الجغرافية هو عمله الأكبر في سبيل القضاء على الجامعة الإسلامية .

وعـلى كل حـال ربما ظفـر الإسلام في افـريقيا اليـوم أعظم ظفـر بما لا قـاه المبشرون المسلمون حديثاً ، ففي بلاد التـتر الروسيـة ، وفي الصين وفي الهنـد وفي

جزائر الهند نهضات إسلامية رائعة ويرى كثير من الباحثين أن هناك عوامل كثيرة تقرب المسلمين الآن من النظر في فكرة الجامعة الإسلامية واعتناقها : أهمها ضياع بيت المقدس ، واستيلاء الصهيونية عليه ، ومنها ذلك الإنتعاش الإسلامي في تركيا ، وبروز الدول الإسلامية الجديدة في آسيا (الملايو وأندونيسيا والباكستان) بالإضافة إلى الدولة الأفريقية المسلمة الجديدة . هذا فضلاً عن أن فكرة الوحدة أخذت تتحرر من المفهوم الغربي ، وتعود إلى التماس مفهومها الفطري المستمد من مزاجها النفسي وروحها وعقليتها ، والقائم على الترابط بين أجزاء الإسلام وذلك لتنسيق روابطها والإنفتاح على دول العالم الإسلامي في أخوة وترابط ثقافي واقتصادي واجتماعي .

العـــراق :

للعراق تاريخ طويل ضد الإستعمار ، في هذا القرن الأخير ، فمنذ ما لا يقل من مئة عام تدخل الإستعمار البريطاني في شؤون العراق خفية ، حيث ضعفت السلطة العثمانية ، فكان المستعمرون يضربون القبائل بعضها ببعض ، يحركونهم ضد السلطة العثمانية من ناحية ، وضد من خالفهم في الدين والمذاهب من ناحية ثانية ، ويسببون عدم الأمن في الطرق من ناحية ثالثة ، وعملاؤهم من العشائر يهاجمون المدن ، ولذا كان الأهالي يضطرون إلى جعل الأسوار حول المدن ، فلا يتقدم العمران ، ولا تزدهر التجارة من ناحية رابعة ، ويعيثون في الأرض الفساد بفتح المواخير حتى في البلاد المقدسة ويروّجون الخمور من ناحية خامسة . إلى غير ذلك .

ضعف الدولة العثمانية المسيطرة من ناحية ، ومكر هؤلاء الأجانب من ناحية ثانية ، سبّبا وقوع العراق في أسوأ حالاته التاريخية ، وقد احتل البريطانيون العراق قبل نصف قرن رسماً ، وقرروا له القوانين الأجنبية .

ولذا قام المسلمون بقيادة الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي في مواجهة المستعمرين ، حتى تمكنوا من طردهم من البلاد ، لكنهم تمكنوا من تسميم القائد ، ودخولهم في البلاد من النافذة ، والحكومة التي نصبها البريطانيون في

شخص فيصل الأول ، أخذت تحارب الذين حاربوا بريطانيا بصورة خاصة .

ولذا سفّر مراجع المسلمين ؛ كالسيد الأصبهاني ، والميرزا النائيني ، والسيد الحجة ، والشيخ الخالصي ، والسيد الطباطبائي وغيرهم .

ثم ان الملكيين المرتبطين ببريطانيا ، لّما لم يتمكنوا من مواجهة الناصريين المرتبطين بأمريكا ، قام البريطانيون بانقلاب عسكري على يد قاسم ، وردّ الأمريكيون الإنقلاب بانقلاب مضاد قام به عارف ، ثم استرجع البريطانيون الكرة بانقلاب أحمد البكر البعثي ، والأمريكيون قاموا ضدهم بانقلاب صدام .

والعراق بعد في ملعب هاتين الدولتين إلى اليوم ، إلى أن يأتي يوم الإنقاذ بسبب المسلمين المخلصين ، بإذن الله تعالىٰ .

مصر :

كان المسلمون العرب يطالبون بحقهم ـ حق الأُمة ـ من خلال الرابطة الإسلامية والدولة العثمانية ، وكانت حركاتهم جميعاً تستهدف قيام نظام لا مركزي ، يقيم لهم حكومة مستقلة داخل اطار الدولة العثمانية ، وكانوا يؤمنون بالوحدة في مواجهة الغزو الزاحف ، فلما ضعفت الدولة العثمانية وغلب طابع الإتحاديين مستهدفاً تصفية الدولة العثمانية ، والقضاء على الرابطة الموحدة بين المسلمين عرباً وتركاً وغيرهم خدمة للنفوذ الأجنبي الرامي ، إلى تمزيق هذه الأواصر وابتلاع هذه الأجزاء ، اتجه المسلمون إلى إقامة حركة المقاومة من خلال وحدتهم كأُمة وهذا هو المفهوم الحقيقي للوحدة كما فهمها المسلمون الذين أحسوا بأن كيانهم الذاتي قد بدأ يصيبه خطر كبير نتيجة الدعوة التي حمل لوائها الإتحاديون وهي «الجامعة الطورانية» وهي جامعة تقوم على الجنس والدم وتحاول أن تجمع العناصر الطورانية في قومية واحدة ، كما أحس المسلمون بخطر يواجه كيانهم من حيث غزو اللغة لمجتمعاتهم في مجال الدراسة والتعليم والمحكمة والمجتمع . ومن خلال العمل الدائب على «تتريك العناصر» الداخلة في الدولة العثمانية .

وقد خدع جماعة منهم الأجانب بأنهم إن حاربوا العثمانيين أعطوهم دولة

عربية واحدة ، ثم لم يلبث الحلفاء إن نقضوا واحتلوا البلاد العربية الإسلامية وسيطروا عليها ، وأقاموا حكم الإحتلال والإنتداب والوصاية على هذه الأجزاء ، ووجد المسلمون أنفسهم قد وقعوا في براثن وضع استعماري أشد قسوة من الوضع الذي كانوا يشكونه في الدولة العثمانية .

وواجه الإستعمار بلاد المسلمين العرب بالتحدي ، فأثار في مختلف أجزائها دعوات إقليمية ضيقة سمّيت الأُمة المصرية ، والأُمة السورية ، والأُمة العراقية وحملت لواء الإرتباط بالماضي التاريخي الغامض البعيد السابق على ماضيها الإسلامي الحي ، فبشرت دعوات بالفرعونية في مصر ، والفينيقية في لبنان ، والبربرية في المغرب ، والبابلية في العراق ، وهكذا أُثيرت دعوات إقليمية خطيرة ، وفرضت قيود كبيرة تحول دون التقاء هذه الأجزاء العربية معاً .

وفي العراق والشام بأجزائه (فلسطين وسوريا ولبنان) كانت الدعوة تحمل طابع الماضي العربي ، ثم تذهب إلى مرحلة ما قبل تاريخ الإسلام ، فتحاول التفاخر بالفينيقية والأشورية والببلية ، وغيرها لكن فشلت هذه الدعوات جميعاً في العراق ومصر ، والشام والمغرب وغيرها ، واهتدى العرب إلى أن رابطتهم بالإسلام وتاريخه هي أقوى هذه الروابط . ومنها ينبعث كيانهم الحقيقي ووجودهم الواضح المؤصل . وكانت مسألة الإحتلال الفرنسي لسوريا ولبنان والجزائر ومراكش وتونس ، والإحتلال البريطاني لمصر والسودان والعراق والجنوب العربي والإحتلال الإيطالي لليبيا ، أوجب قيام المسلمين بالثوارت المسلحة الجهادية ، لكن الإستعمار بطول خبرته وكيده ، وتقدم بلاده صناعياً تمكن من إخماد كل هذه الثورات بوحشية فظيعة ، ثم أوجد الإستعمار تحسباً لنهضة الامة مرة ثانية الأحزاب المرتبطة به من : الحزب القومي والشيوعي والبعثي ، كما ملأ البلاد بالفساد كالمخامر والملاهي والمباغي وما إلى ذلك .

المعاهدات والإتفاقيات لصيانة المسلمين في الخارج :

وأخيراً فاللازم على من يريد تنظيم مسلمي الغرب أن يهتم بأن نقويهم بسلسلة من الإتفاقات والمعاهدات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية ونحوها ، فإن

البناء لا يبقى وحده في العواصف ، وإنما اللازم أن تكون له أُسس وجذور وأطراف حتى يُصان عند هبوب الرياح ، والغرب وما إليه بسببْ الحرية القليلة التي فيه يرحب الحياديون فيه بهذه الإتفاقات والمعاهدات .

ومن المعلوم أن العمالة شيء والإتفاق شيء آخر ، فيكون حال الإتفاق الذي لا يضر المسلمين بشيء حال معاهدات رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» مع اليهود وغيرهم ، حتى إذا فرض هبوب العواصف الإجتماعية أو الإقتصادية أو السياسية وما إلى ذلك يبقى البناء سالماً أو بأقل قدر من الضرر المحتمل ، لا أن يسقط البناء وهذا رهن قوة التنظيم وسعة فكره وعمق بصيرته الذي يريد مثل هذه المعاهدات حتى يأتي بالثمر المطلوب ، بإذن الله سبحانه .

آثار الإستعمار في البلاد الإسلامية :

مسألة: الحدود الجغرافية بين بلاد الإسلام من المحرمات ، وإسقاط الأُخوة الإسلامية بين المسلمين من المحرمات ، والقوانين ضد الإسلام الموضوعة في بلاد الإسلام من المحرمات ، وإسقاط الحريات الإسلامية من المحرمات .

فاللازم على الذين يعملون لنجاة المسلمين وبلادهم وإنقاذهم من براثن الشرق والغرب أن يهتموا بتبديل كل ذلك بالأُمور الإسلامية المقررة في الكتاب والسنة والإجماع ودليل العقل ، وإنما كانت هذه الأربعة من المحرمات : -

أما الأول : فلأن المسلمين أُمة واحدة كما ورد في الأدلة المنصوصة في الكتاب والسنة ، فلماذا يفصل بلد عن بلد ، وقد أزال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» بنفسه الحواجز بين البلدان حين استولى على تسع دول في منطق اليوم ، وكذلك لم تكن هذه البدعة في زمن الخلفاء الأولين ، فهل كانت الحدود الجغرافية في زمن الخلفاء الثلاثة أو في زمان أمير المؤمنين علي «عليه السَّلام» ؟ بينما كانت البلاد في زمانهم بأكبر قدر من السعة حتى كانت الدولة الإسلامية من ليبيا إلى داغستان في الإتحاد السوفيتي ، فلا عذر لأحد من الطائفتين في التمسك بالحدود الجغرافية .

ولكن في الحال الحاضر إذا أراد المسلم الحج أو زيارة قبر الرسول «صلّىٰ الله

عليه وآله وسلّم» أو الذهاب إلى أحد بلاد الإسلام الأُخرىٰ كالعراق أو الحجاز أو القدس أو مصر أو أي بلد آخر تقف أمامه حواجز جغرافية وقضايا الجواز والهوية وما أشبه ، أليس هذا من صنع المستعمرين وعملائهم في بلاد الإسلام المتزيين بمختلف الأزياء والتسميات حيث أرادوا إذلال المسلمين وتقديم الشرق والغرب حتى إسرائيل على المسلمين ، ومن ينادي منهم بسقوط إسرائيل ثم يتمسك بالحدود الجغرافية والجنسية والهوية وما أشبه ليس إلّا ناقضاً نفسه بنفسه ، إذ لا يمكن إزالة إسرائيل وورائها أكثر من مليار ونصف مليار من البشر في أُوربا وامريكا وغيرهما المجهزين بكل الوسائل بهذه الدويلات الصغيرة .

نعم إذا صار بلد الإسلام ذو المليار والنصف مليار مسلم بلداً واحداً امكن إزالة دولة إسرائيل .

ولا يخفى إنا لا نريد بالإزالة إلقاءهم في البحر أو قتلهم ، بل نريد أن يكونوا في بلد الإسلام كما كانوا منذ زمن الرسول «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» فإن الإسلام لا يمنع غير المسلم أن يبقىٰ في بلده إذا كان يتمتع بشرائط المواطنة الصالحة المقررة في الشريعة الإسلامية ، وكذلك حال المسيحين والصابئة وسائر الأقليات الدينية أو المذهبية من أهل الكتاب وغيرهم ، وقد ذكرنا ذلك مفصلاً في بعض كتب الفقه .

ولا يخفى أن الحاكم والمحكوم في بلاد الإسلام ـ التي صارت دويلات متقطعة ـ يعيش كلاهما في ضنك وتخلف بسبب هذه القوانين الحدودية والأنظمة المرتبطة بالهوية والجنسية ، وليست هذه الأُمور قضايا ضرورية فالهند ليس فيها حدود جغرافية ونفوسها حوالي تسعمائة مليون ، والصين ليس فيها حدود جغرافية ونفوسها حوالي ألف وثلاثمائة مليون ، وهكذا غيرها .

وعلى أيّة حال فاللازم إزالة هذه الحدود الجغرافية ، وتوحيد دولة الإسلام حتى يسافر المسلم من شرق البلاد إلى غربها ، ومن جنوبها إلى شمالها ، وبالعكس من دون أي عائق جغرافي أو قانوني من جواز أو تأشيرة دخول أو خروج ، وأن يكون لكل واحد في أي بلد جميع الحقوق المقررة في الإسلام ، من غير فرق بين العربي والأعجمي ، والأبيض والأحمر ، والغنى والفقير وإلى آخر مفردات العدل

والمساواة .

وأما الثاني : (الأخوة الإسلامية) فيجب أن تُعاد إلى الحياة كما قررتها الأدلة الأربعة ، فلماذا صار المسلم العراقي في الأردن أجنبياً وبالعكس ، والمسلم المصري في أندونيسيا أجنبياً وبالعكس ، والمسلم الباكستاني في الحجاز أجنبياً وبالعكس ، وإلى آخر القائمة ، أليس هذا خلاف صريح الإسلام عند جميع المسلمين ؟ ! ، أليس من أوجد هذه التفرقة وأخذ بها إلى اليوم هم المستعمرون وعملاؤهم ؟ .

وأما الثالث : فنصف حياة المسلمين بل الأكثر من النصف تضغط عليه القوانين المضادة للإسلام ، من غير فرق بين من يدعى منهم الإسلامية أو يدعي العلمانية ، وقد لاحظت كتاباً مربوطاً بالقضاء لبلد إسلامي فرأيت أكثر من نصف قوانينه ضد الإسلام ، كما طالعت كتاب قانون العقوبات البغدادي فرأيت أن أكثره مخالف للإسلام ، فهل بعد ذلك يمكن إدعاء الإستقلال لبلد إسلامي ، وما هو قانون هذا البلد المستقل ؟ .

مثلاً أخذ الضرائب ، فإنها شملت كل شيء باستثناء التنفس والإستفادة من شمس النهار وقمر الليل وما أشبه ، بينما لم يكن في الإسلام إلاّ أربع ضرائب فقط ، كما ذكرنا ذلك في الكتب الإقتصادية وغيرها ، وهذا بحث طويل نكتفي منه بهذا القدر .

وأما الرابع : فالحريات أغلبها سقطت وأخذ مكانها الإستبداد والإستعباد والخنق والكبت ، فكل شيء إلاّ التنفس ونحوه صار برخصة وإجازة وضريبة وقانون ووقوف ساعات طويلة أمام الإدارات مما ألمحنا إلى بعضه في : (الصياغة الجديدة) .

وأمثال هذه الأُمور الأربعة لم تحدث حتى في أشد عصور الإسلام ظلاماً كعصر المغول من الشرق والصليبيين من الغرب ، إنهما كانا يهتمان بالقتل والنهب والسلب ، وأما بعد ذلك لم يكونوا يتعرضون لكل شيء مرتبط بالعقيدة ، أو الشريعة ، أو الكسب ، أو الحركة ، أو الزراعة ، أو التجارة ، أو ما أشبه

ذلك ، كما لم تكن أمثال هذه الأمور حتى في أسوأ عصور الأمويين والعباسيين والعثمانيين ، فهل سمع أحد أنهم كانوا يجعلون الضرائب على كل شيء ، أو يقيدون السفر ، والإقامة ، والعمارة والزراعة ، والتجارة ، والعلم ، وكل شيء بألف قيد وقانون ؟! .

نعم إن عصرنا أسوأ العصور المظلمة ، ظلمات بعضها فوق بعض ، والأمور التي قد ذكرناها وإن كانت من بديهيات الإسلام وضروريات المسلمين إلاّ إننا نذكر جملة من الروايات في باب الأخوة من الأبواب الأربعة التي ذكرناها ، ليعلم كيف اهتم الإسلام بهذه الأمور والتي جرت بين المسلمين إلى حين دخول المستعمرين بلاد الإسلام ، قال سبحانه : ﴿**إنّما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**﴾[1] .

وفي رواية : (رب أخ لم تلده أمك)[2] . وفيما كتب العسكري «عليه السّلام» إلىٰ أهل قُم ، وآبة يقول العالم سلام الله عليه إذ يقول : «المؤمن أخ المؤمن لأمه وأبيه»[3].

وفي رواية : (إنّما المؤمنون إخوة بنو أب وأم ، فإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون)[4] .

وفي رواية : (المؤمن أخ المؤمن عينه ، ودليله ، لا يخونه ، ولا يظلمه ، ولا يغشه ، ولا يعده عدة فيخلفه)[5] .

وفي رواية : (المؤمن أخ المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكىٰ شيءٌ منه وجد ألم ذلك في سائر جسده ، وأرواحهما من روح واحدة)[6] .

---

(١) سورة الحجرات : الآية / ١٠ .
(٢) غرر الحكم ج ١ ص ٤١٨ ح ٨٤ .
(٣) البحار ج ٥٠ ص ٣١٧ .
(٤) البحار ج ٧٤ ص ٢٦٤ ، الكافي ج ٢ ص ١٣٢ ح ١ .
(٥) البحار ج ٧٤ ص ٢٦٨ ، الكافي ج ٢ ص ١٣٣ ح ٣ .
(٦) الكافي ج ٢ ص ١٣٣ ح ٤ ، البحار ج ٧٤ ص ٢٦٨ .

وفي رواية : (لكل شيء شيء يستريح إليه ، وان المؤمن ليستريح إلى أخيه المؤمن كما يستريح الطير إلى شكله) [١] .

وفي رواية : (إن المؤمن ليسكن إلى المؤمن كما يسكن قلب الظمآن إلى الماء البارد) [٢] .

وفي رواية : (المؤمنون إخوة ولا شيء آثر عند كل أخ من أخيه) [٣] .

وفي رواية : (المؤمن أخ المؤمن لأُمه وأبيه) [٤] .

وفي رواية : (المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ، يسعى بذمتهم أدناهم) [٥] .

وفي رواية : (من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها ومجلس يكرمه لم يزل في ظل الله عزّ وجلّ ممدوداً عليه بالرحمة ما كان في ذلك) [٦] .

وفي رواية : (من أتاه أخوه المؤمن فأكرمه ، فإنما أكرم الله عزّ وجلّ) [٧] .

وفي رواية : (من قال لأخيه مرحباً ، كتب الله له مرحباً إلى يوم القيامة) [٨] .

وفي رواية : (إنه من عظّم دينه عظّم إخوانه ، ومن استخف بدينه استخف بإخوانه) [٩] .

وفي رواية : (ما في أُمتي عبد ألطف أخاه في الله بشيء من لطف إلّا اخدمه

---

(١) البحار ج ٧٤ ص ٢٣٤ .
(٢) الكافي ج ٢ ص ١٩٢ ح ١ ، البحار ج ٧٤ ص ٢٨٠ .
(٣) البحار ج ٧٧ ص ٢٦٩ .
(٤) الكافي ج ٢ ص ١٣٣ ح ٧ .
(٥) امالي المفيد ص ١١٠ ، الخصال ج ١ ص ١٤٩ ح ١٨٢ .
(٦) الكافي ج ٢ ص ١٦٥ ، البحار ج ٧٤ ص ٣١٦ .
(٧) الكافي ج ٢ ص ١٦٤ ح ٣ ، البحار ج ٧٤ ص ٢٩٨ .
(٨) الكافي ج ٢ ص ١٦٤ ح ٢ .
(٩) الكافي ج ٢ ص ١٦٤ ح ٤ ، والبحار ج ٧٤ ص ٢٢٧ .

الله من خدم الجنة) [١] .

وفي رواية : (لا يعظّم حرمة المسلمين إلاّ من عظّم الله حرمته على المسلمين ، ومن كان أبلغ حرمة لله ورسوله كان أشد حرمة للمسلمين) [٢] .

وفي رواية : (إذا ضاق أحدكم فليعلم أخاه ، ولا يعين على نفسه) [٣] .

وفي رواية : (لا يكلف أحدكم أخاه المسألة إذا عرف حاجته) .

وفي رواية عن الباقر «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (أيجيء أحدكم إلى أخيه ليدخل يده في كيسه ليأخذ حاجته فلا يدفعه ؟ فقلت : ما أعرف ذلك فينا ، فقال أبو جعفر «عليه السَّلام» : فلا شيء إذاً ! قلت : فالهلاك إذاً ؟ فقال : إن القوم لم يعطوا أحلامهم بعد) [٤] .

وفي رواية : (قضاء حاجة الأخ المؤمن أشرف أعمال المتقين) [٥] .

وفي رواية : (الله في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون أخيه) [٦] .

وفي رواية : (من قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له يوم القيامة مائة ألف حاجة)[٧] .

وفي رواية : (إن لله حسنة ادخرها لثلاثة : إمام عادل ، ومؤمن حكّم أخاه في ماله ، ومن سعى لأخيه المؤمن في حاجته)[٨] .

وفي رواية : (من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض

---

(١) البحار ج ٧٤ ص ٢٢٧ .
(٢) البحار ج ٧٤ ص ٢٨٧ .
(٣) الكافي ج ٢ ص ١٣٩ ح ١٣ وأيضاً الكافي ج ٢ ص ١٧٤ .
(٤) البحار ج ٧٤ ص ٢٢٩ .
(٥) البحار ج ٧٤ ص ٣٢٢ .
(٦) البحار ج ٧٤ ص ٣٢٢ .
(٧) الكافي ج ٢ ص ١٩٣ ح ١ .
(٨) البحار ج ٧٤ ص ٣٩٩ .

أحواله ، فلم يجره بعد أن يقدر عليه ، فقد قطع ولايةَ الله عزّ وجلّ)[١] .

وفي رواية : (من أوصل إلى أخيه المؤمن معروفاً فقد أوصل إلى رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم») [٢] .

وفي رواية : (كفى بالمرء اعتماداً على أخيه أن ينزل به حاجته) [٣] .

وفي رواية : (ألق أخاك بوجه منبسط) [٤] .

وفي رواية : (كان رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» إذا فقد الرجل من أخوانه ثلاثة أيام سأل عنه ، فإن كان غائباً دعا له ، وإن كان شاهداً زاره ، وإن كان مريضاً عاده) [٥] .

وفي المحجة عن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل أحداهما الأخرىٰ ، وما التقىٰ المؤمنان قط إلّا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيراً) [٦] .

وعن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه خطب في مسجد الخيف فقال : (رحم الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ويبلغها إلى من لم يسمعها ، فرب حامل فقه وليس بفقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهم قلب امريء مسلم : إخلاص العمل لله ، والنصيحة لأئمة المسلمين ، واللزوم لجماعتهم ، وإن دعوتهم محيطة من ورائهم ، والمسلمون أخوة تتكافأ دماؤهم ، ويسعىٰ بذمتهم أدناهم ، فإذا أمن أحد المسلمين أحداً من المشركين لم يخفر ذمته)[٧] . إلى غيرها من الروايات الكثيرة التي تصعب على الحصر ونترك ذكر روايات الحرية ووحدة الأمة ولزوم القوانين الإسلامية لمجال آخر .

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٦٧ .
(٢) البحار ج ٧٤ ص ٣٩٩ .
(٣) البحار ج ٧٤ ص ٣٣٤ .
(٤) البحار ج ٧٤ ص ١٧١ .
(٥) البحار ج ١٦ ص ٢٣٣ .
(٦) انظر المحجة البيضاء ج ٣ ص ٢٨٤ .
(٧) الخصال ج ١ ص ١٤٩ ح ١٨٢ .

الحروب وأسبابها :

وأما الأمر الرابع : وهي الحروب ، فلها أسباب :

السبب الأول : عدم الإيمان بالله واليوم الآخر ، حيث لا قيمة للبشر عند حكام العالم المعاصر ، بينما الإسلام يحرم ذلك أشد التحريم ، قال سبحانه : **﴿من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾**[1] .

وعن أبي جعفر في تفسير الآية : قال : (له في النار مقعد لو قتل الناس جميعاً لم يرد إلاَّ ذلك المقعد)[2] .

وفي رواية أُخرىٰ عن أبي جعفر «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : في معنى قول الله عزّ وجلّ : **﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾** قال : قلت : كأنما قتل الناس جميعاً فربما قتل واحداً ؟ فقال : يوضع في موضع من جهنم إلى أن ينتهي شدة عذاب أهلها ، لو قتل الناس جميعاً لكان إنما يدخل ذلك المكان ، قلت : فإنه قتل آخر ، قال : يُضاعف عليه)[3] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» : (إن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» حين قضى مناسكه في حجة الوداع ـ إلى أن قال ـ : أي يوم أعظم حرمة فقالوا : هذا اليوم ، فقال : فأي شهر أعظم حرمة ؟ فقالوا : هذا الشهر ، قال : فأي بلد أعظم حرمة ؟ قالوا : هذا البلد ، قال : فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه ، فيسألكم عن أعمالكم ، ألا هل بلغت ، قالوا : نعم ، قال : اللّهُمَّ إشهد ، ألا من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من إئتمنه عليها ، فإنه لا يحل دم امرء مسلم ولا ماله إلاَّ بطيبة نفسه ، ولا تظلموا أنفسكم ولا ترجعوا بعدي كفاراً)[4] .

---

(١) سورة المائدة : الآية / ٣١ .
(٢) البرهان ج ١ ص ٤٦٣ ح ٢ .
(٣) البرهان ج ١ ص ٤٦٣ ح ١ .
(٤) من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٦٦ باب ١٩ ح ١ .

وعن علي بن الحسين «عليهما السَّلام» قال : قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (لا يغرنكم رحب الذراعين بالدم ، فإن له عند الله قاتلاً لا يموت قيل : يا رسول الله وما قاتل لا يموت ؟ فقال : النار)[١] .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (أول ما يحكم الله فيه يوم القيامة الدماء ، فيوقف إبنا آدم فيقضي بينهما ثم الذين يلونهما من أصحاب الدماء حتى لا يبقى منهم أحد ، ثم الناس بعد ذلك حتى يأتي المقتول بقاتله ، فيستشخب في دمه وجهه ، فيقول : هذا قتلني فيقول : أنت قتلته ، فلا يستطيع أن يكتم الله حديثاً)[٢] .

السبب الثاني : حب الجاه والسيطرة والإستعلاء والظلم والبغي ، بينما كل ذلك محرم في الشريعة الإسلامية خصوصاً على الأسلوب الذي يتبعه العالم في هذا العصر ، ويدل على ذلك متواتر الروايات :

فعن الصّادق «عليه السَّلام» قال : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر)[٣] .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر)[٤] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (الكبر رداء الله ، من نازع الله رداءه أكبه الله في النار)[٥] .

وفي رواية الجعفريات بسند الأئمّة «عليهم السَّلام» إلى رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إنه قال لإبليس كحولاً ولعوقاً وسعوطاً ، فكحله النعاس ولعوقه الكذب وسعوطه الكبر)[٦] .

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٦٦ باب ١٩ ح ٢ .
(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٦٩ باب ١٩ ح ١٦ .
(٣) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ص ٢٦٤ ح ٤ .
(٤) عوالي اللئالي ج ١ ص ٣٤ ح ١٣ .
(٥) الكافي ج ٢ ص ٣١٠ ح ٥ .
(٦) الجعفريات ص ١٦٣ باب الكبر .

وفي رواية عن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (اقبل رجل إلى النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» فقال : يا رسول الله أنا فلان ابن فلان حتى عد تسعة آباء فقال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أما أنك عاشرهم في النار)[١] .

وفي رواية أبي ذر قال : قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» (أكثر من يدخل النار المتكبرون ، فقال رجل : وهل ينجو من الكبر أحد ؟ قال : نعم ، من لبس الصوف وركب الحمار ، وحلب العنز وجالس المساكين ، يا أبا ذر من حمل بضاعته فقد بريء من الكذب يا أبا ذر من رقع ذيله وخصف نعله ، وعفر وجهه فقد بريء من الكبر)[٢] .

أقول : الرسول «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أراد التمثيل للأشياء التي توجب عدم الكبر وذهابه ، لا أن الأمر خاص بالأمور المذكورة في هذه الرواية .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» أنه قال لرفاعة بن موسى في حديث : (ألا أخبركم بأوفرهم نصيباً من الإثم قلت : بلى جعلت فداك قال : من عاب عليه أي على المؤمن شيئاً من قوله وفعله أو رد عليه احتقاراً له وتكبراً عليه)[٣] .

وفي رواية في قصة لقمان «عليه السَّلام» أنه قال فيما وعظ به إبنه : (يا بني أياك والتجبر والتكبر والفخر فتجاور إبليس في داره ، يا بني دع عنك التجبر والكبر ودع عنك الفخر واعلم أنك ساكن القبر ، يا بني إعلم أن من جاور إبليس وقع في دار الهوان ، لا يموت فيها ولا يحيىٰ ، يا بني ويل لمن تجبر وتكبر كيف يتعظم من خلق من طين وإلى الطين يعود ، ثم لا يدري إلى ما يصير إلى الجنة فقد فاز أو إلى النار فقد خسر خسراناً مبيناً وخاب)[٤] .

وفي رواية : (كيف يتجبر من قد جرى في مجرى البول مرتين)[٥] .

---

(١) البحار ج ٧٣ ص ٢٢٦ ح ١٩ .
(٢) أمال الطوسي ص ٥٤٩ ـ ٥٥٠ .
(٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٢٩ باب ٥٨ ح ٦ .
(٤) الإختصاص ص ٣٣٨ .
(٥) الاختصاص ص ٣٣٨ .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (الجهل في ثلاث : الكبر وشدة المراء والجهل بالله ، فأُولئك هم الخاسرون)(١) .

وفي رواية عن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (والمتكبر ملعون والمتواضع عند الله مرفوع إياكم والكبر فإنه رداء الله عزّ وجلّ فمن نازعه رداءه قصمه)(٢) .

وعن الكاظم «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال لهشام : (يا هشام إياك والكبر ، فإنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر ، الكبر رداء الله فمن نازعه رداءه كبّه الله في النار على وجهه إلى أن قال : يا هشام إياك والكبر على أوليائي والإستطالة بعلمك فيمقتك الله ، ولا تنفعك بعد مقته دنياك ولا آخرتك ، وكن في الدنيا كساكن الدار ليست له ، إنما ينتظر الرحيل)(٣) .

وعن الباقر «عليه السَّلام» قال : (إياك والكبر ، فإنه داعية المقت ، ومن بابه تدخل النقم على صاحبه وما أقل مقامه عنده وأسرع زواله عنه)(٤) .

وعن المسعودي إنه روى : (أوحى إلى داود «عليه السَّلام» كما أن أقرب الناس إلى الله يوم القيامة المتواضعون كذلك أبعد الناس من الله المتكبرون)(٥) .

وعن النبي «صلّى الله عليه وآله وسلّم» قال:يقول الله : (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في ناري) .

وقال «عليه السَّلام» : (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة الرجال يغشاهم الذل من كل مكان)(٦) .

---

(١) الاختصاص ص ٢٤٤ .
(٢) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٢٩ باب ٥٨ ح ٩ .
(٣) تحف العقول ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .
(٤) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٢٩ باب ٥٨ ح ١٣ .
(٥) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٢٩ باب ٥٨ ح ١٥ .
(٦) البحار ج ٧٣ ص ٢٢٠ ح ١١ (بالمعنى) .

قد روي عن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» في الغرر كلمات حول الكبر والتواضع ، فقال «عليه السَّلام» : (التواضع يرفع) [١] ، و (التكبر يضع) [٢] ، (التواضع يرفع الوضيع) [٣] ، و (التكبر يضع الرفيع) [٤] ، (التعزز بالتكبر ذلّ) [٥] ، (التكبر بالدنيا ذل) [٦] ، (الكبر مصيدة إبليس العظمىٰ) [٧] ، (الكبر خليقة مردية) ، (من تكثر بها قل) [٨] ، (الكبر يسارو القلوب مساورة السموم القاتلة) [٩] ، (استعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذون به من طوارق الدهر ، واستعدوا لمجاهدته حسب الطاقة)[١٠]، (وإياك والكبر فإنه أعظم الذنوب وألأم العيوب ، وهو حلية إبليس)[١١]، (أقبح الخلق التكبر)[١٢]، (شرُّ آفات العقل الكبر)[١٣]، (لو رخص الله سبحانه بالكبر لأحد من الخلق لرخص فيه لأنبيائه لكنه كره إليهم التكبر ورضي لهم التواضع)[١٤]، (ما اجتلب المقت بمثل الكبر)[١٥].

وفي الجعفريات بسند الأئمّة إلى علي «عليهم السَّلام» قال : قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من مشىٰ على الأرض اختيالاً لعنته الأرض

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٣ ح ٣٩٥ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٢ ح ٣٧٧ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٣ ح ٣٩٦ .
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٢ ح ٣٧٨ .
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص٢١ ح ٣٤٢ .
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٢ ح ٣٧٣ .
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٥٥ ح ١٦٩٦ .
(٨) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٥٥ ح ١٦٩٣ .
(٩) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٥٥ ح ١٦٩٧ .
(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٨٧ ح ٤٩ .
(١١) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٩٦ ح ٧٦ .
(١٢) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ١١٦ ح ٤٤١ .
(١٣) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٣٣ ح ٢١ .
(١٤) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣١٩ ح ٢٠ .
(١٥) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣٧٧ ح ٧ .

من تحته)[١] .

وعن عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (بينما رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» يمشي وأنا معه إذا جماعة فقال : ما هذه الجماعة ؟ قالوا : مجنون يخنث ، فقال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : هذا المبتلي ، ولكن المجنون الذي يخطر بيديه ويتبختر في مشيه ويحرك منخريه في موكبه يتمنىٰ على الله جنته وهو مقيم على معصيته)[٢] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (لا أحب الشيخ الجاهل ولا الغني الظلوم ولا الفقير المختال)[٣] .

وعن أمير المؤمنين «عليه السَّلام» قال في بعض خطبه : (إنّ الخيلاء من التجبر والنخوة من التكبر ، إن الشيطان عدو حاضر يعدكم الباطل)[٤] .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (يا عليّ ما للمختال الفخور خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو بين ذلك لا يدري ما يفعل به)[٥] .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (لن يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من الكبر ، فقالوا : يا رسول الله إن أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسناً وفعله حسناً قال : إنّ الله جميل يحب الجمال ولكن الكبر بطر الحق وغمض الناس)[٦] .

ومن هذا القبيل حب المال والشرف حباً موجباً للوقوع في العصيان ، فقد ورد عن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنّه قال : (يا أبا ذر حب المال

---

(١) الجعفريات ص ١٦٤ .
(٢) عن الباقر «عليه السَّلام» معاني الأخبار ص ٢٣٧ ، معنىٰ المجنون ، البحار ج ٧٣ ص ٢٣٣ .
(٣) نحوه عن الباقر «عليه السَّلام» ، الوسائل ج ١١ ص ٣٠٢ ح ١ ، الكافي ج ٢ ص ٢٣٥ ح ١٤ ، ثواب الأعمال ص ٢٢٢ .
(٤) ورد نحوه في باب التكبر ، الكافي ج ٢ ص ٢٣٣ باب الكبر .
(٥) مثله عن الباقر «عليه السَّلام» ج ١١ ص ٣٣٥ ح ٥ ، الكافي ج ٢ ص ٢٤٧ ح ٤ .
(٦) معاني الأخبار ص ٢٤١ ح ١ .

والشرف أذهب لدين الرجل من ذئبين ضاريين في زربة الغنم ، فأغـارا فيها حتىٰ أصبحا ، فماذا أبقيا منها) (١) .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال رسول الله «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» : (ما ذئبان جائعان في غنم قد فرقها راعيها أحدهما في أولها والآخر في آخرها بأفسد فيها من حب المال والشرف في دين المرء المسلم) (٢) .

وكذلك الظلم والبغي مما يوجب كره الناس للباغي والظالم ، فقد قال رسول الله «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» : (ما رفع الناس إلى شيء إلاَّ وضعه الله جلّ وعلا ولو بغىٰ جبل على جبل لجعل الله تعالىٰ الباغي منهما دكاً) (٣).

وعن عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (قال إبليس لجنده ألقوا بينهم البغي والحسد ، فإنهما يعدلان من الشرك)(٤) .

وعن الباقر «عليه السَّلام» قال رسول الله «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إنّ أسرع الخير ثواباً البر ، وأسرع الشر عقوبة البغي) (٥) .

وعن عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (فالله الله في عاجل البغي وآجل وخامة الظلم وسوء عاقبة الكبر ، فإنها مصيدة إبليس العظمىٰ ، ومكيدته الكبرىٰ التي تساور قلوب الرجال مساورة السموم القاتلة ، فما تكدى أبداً ولا تشوى أحداً ، لا عالماً بعلمه ، ولا مقلاً في طمره)(٦) .

---

(١) مثله عن الصادقين «عليهما السَّلام» ، الكافي ج ٢ ص ٢٣٨ ح ٢ و ٣ ، الوسائل ج ١١ ص ٣١٩ ح ١٠ باب ٦٥ .

(٢) الوسائل ج ١١ ص ٣١٩ ح ١ باب ٦٥ ، الكافي ج ٢ ص ٢٣٨ ح ٢ و ٣ .

(٣) الفقيه ج ٤ ص ٢٧٢ سطر ١١ وسطر ١٤ ، الوسائل ج ١١ ص ٣٣٣ ح ٨ ، عقاب الأعمال ص ٢٧٥ .

(٤) عن الصَّادق «عليه السَّلام» ، الوسائل ج ١١ ص ٣٣٢ ح ٣ ، الكافي ج ٢ ص ٢٤٦ ح ٢ .

(٥) الكافي ج ٢ ص ٣٣٢ ح ١ ، الوسائل ج ١١ ص ٣٣٢ ح ٥ ، عقاب الأعمال ص ٢٧٥ .

(٦) نهج البلاغة نسخة (صبحي الصالح) رقم الخطبة ١٩٢ ص ٢٩٤ .

وقال «عليه السَّلام» : (من سل سيف البغي قتل به)[١] ، وفي وصيته لولده الحسن (وَأَلْأَم اللؤم البغي عند القدرة)[٢] .

وعنه «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (ثلاث خصال لا يموت صاحبهن أبداً حتىٰ يرىٰ وبالهن : البغي وقطعية الرحم ، واليمين الكاذبة ، يبارز الله بها)[٣] .

وعن النبيّ «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (اجتنب خمساً : الحسد والطيرة والبغي وسوء الظن والنميمة)[٤] .

وعن النبيّ «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (الظلم ظلمات يوم القيامة)[٥] .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (ما انتصر الله من ظالم إلاَّ بظالم وذلك قوله الله : ﴿**وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون**﴾)[٦] .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (أفضل الجهاد من أصبح لا يهم بظلم أحد)[٧] .

وفي نهج البلاغة : (بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد)[٨] .

وقال «عليه السَّلام» : (يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم)[٩] .

وقال «عليه السَّلام» : (يوم العدول على الظالم أشد من يوم الجور علىٰ

---

(١) نهج البلاغة ص ٥٣٦ رقم ٣٤٩ .
(٢) غرر الحكم ج ١ ص ١٨١ ح ١٤٤ .
(٣) الخصال ص ١٢٤ ح ١١٩ .
(٤) ورد نحوه في الوسائل ج ١١ ص ٢٩٢ باب ٥٥ تحريم الحسد في الحديث .
(٥) الوسائل ج ١١ ص ٣٣٨ ح ٢ .
(٦) الكافي ج ٢ ص ٢٥١ ح ١٩ .
(٧) نحوه في الكافي ج ٢ ص ٢٤٩ ح ٧ ، ٨ .
(٨) البحار ج ٧٧ ص ٢٣٩ ، غرر الحكم ج ١ ص ٣٤٢ ح ٣٢ .
(٩) نهج البلاغة (صبحي الصالح) ص ٥١١ رقم ٢٤١ .

المظلوم) [١] .

وقال «عليه السَّلام» في وصيته لإبنه الحسن «عليه السَّلام» : (ظلم الضعيف أفحش الظلم) [٢] .

وقال «عليه السَّلام» في كلام له مع عقيل : (والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً وأجر في الأغلال مصفداً أحب إليَّ من أن ألقى الله سبحانه وتعالىٰ ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيء من الحطام ـ إلى أن قال ـ «عليه السَّلام» : والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت) [٣] .

وفي رواية : أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود «عليه السَّلام» : (قل للظالمين لا يذكروني فإنه حق علي أن أذكر من ذكرني وأن ذكري إياهم أن ألعنهم) [٤] .

وفي رواية سأل أمير المؤمنين «عليه السَّلام» : (أي ذنب أعجل عقوبة لصاحبه ؟ فقال : من ظلم من لا ناصر له إلّا الله وجاور النعمة بالتقصير وجار بالبغي على الفقير) [٥] .

ولا يخفىٰ أن الجور والبغي والظلم تطلق على شيء واحد باعتبارات ، فالبغي باعتبار أن الظلم يطلب ما ليس له ، والجور باعتبار ملازمة الظلم للجائر كأنه جاره ، والظلم باعتبار أنه ظلمات في مقابل الأنوار وربما يفرق بينهما بفروق أُخر .

ثم إن ما ذكرناه في هذه المسألة من أنه يلزم علاج انهيار الصحة والقلق والفقر والحروب وما أشبه ذلك بتلك المعالجات التي ذكرناها أمر لازم لإقامة الدولة الإسلامية ، وربما يحتمل صعوبة الأمر غاية الصعوبة لكن :

---

(١) نهج البلاغة ص ٥٣٤ رقم ٣٤١ .

(٢) تحف العقول ص ٨٣ ، نهج البلاغة ص ٤٠٢ .

(٣) نهج البلاغة ص ٣٤٦ رقم ٢٢٤ ، البحار ج ٧٥ ص ٣٥٩ .

(٤) البحار ج ٧٥ ص ٣١٩ .

(٥) البحار ج ٧٥ ص ٣٢٠ ، عن الاختصاص .

أولاً : إن الصعب يمكن علاجه بإيجاده ، أما المستحيل فهو الذي لا يمكن والشاعر يقول :

إذا لم تجد غير الأسنة مركباً   فما حيلة المضطر إلاّ ركوبها

وثانياً : الإنسان يأتي بالقدر الممكن من هذه الأُمور إذا لم يتمكن من الوصول إلى الهدف النهائي وقد قال سبحانه : ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿**لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها**﴾ (٢) وقال سبحانه : ﴿**لا يكلف الله نفساً إلاّ ما أتاها**﴾ (٣) .

وقد قال الشاعر ما تعريبه :

ولو أن مياه الأنهر لا يمكن استنفادها   لكن يمكن شربها بقدر رفع العطش .

هذا بالإضافة إلى وعد الله سبحانه وتعالىٰ بالنصر ، وقد قال تعالىٰ : ﴿**إن ينصركم الله فلا غالب لكم**﴾ فاللازم أن يشمر المصلحون عن ساعد الجهد لهذا الإصلاح .

السبب الثالث : من أسباب الحروب:الحسد والخوف ، فإنّه إذا رأت دولة تفوق دولة أُخرىٰ عليها صناعة أو ثقافة أو زراعة أو ما أشبه ذلك فإنّها تحاربها حسداً ، لإنزالها إلى مستوىٰ نفسها أو إنزالها من ذلك المستوىٰ خوفاً من أن تحظىٰ هذه الدولة باحترام أكبر من احترامها .

وقد ورد في الروايات ذم كبير للحسد :

فعن أبي جعفر «عليهما السَّلام» قال : قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» في خطبته يوم الغدير : (معاشر الناس إن إبليس أخرج آدم من الجنة بالحسد فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم وتزول أقدامكم ، فإن آدم أهبط إلى الأرض بخطيئة واحدة ، وإن الملعون حسده على الشجرة وهو صفوة الله عزّ وجلّ ،

---

(١) سورة التغابن : الآية / ١٦ .

(٢) سورة البقرة : الآية / ١٥٢ .

(٣) سورة الطلاق : الآية / ٧ .

فكيف بكم وأنتم أنتم)[١] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (بينما موسى بن عمران يناجي ربه ويكلمه إذ رأى رجلاً تحت ظل عرش الله فقال : يا رب من هذا الذي أظله عرشك ؟ فقال : يا موسىٰ هذا من لم يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله)[٢] .

وقال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» في حديث ذات يوم لأصحابه : (ألا أنه قد دب إليكم داء الأمم من قبلكم وهو الحسد ليس كحالق الشعر لكنه حالق الدين ، وينجو منه أن يكف الإنسان ويخزن لسانه ولا يكون ذا غمز على أخيه المؤمن)[٣] .

وعن الصَّادق عن أبيه «عليهما السَّلام» أن النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (لا تتحاسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب)[٤] .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (لا يجتمع الحسد والإيمان في قلب امرىء)[٥] .

وقال أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (الحسد يميت الإيمان في القلب كما يميت الماء الملح)[٦] .

وعن الكاظم «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال لهشام : (يا هشام أفضل ما تقرب به العبد إلى الله بعد المعرفة به الصَّلاة وبر الوالدين وترك الحسد والعجب والفخر)[٧] .

---

(١) روضة الواعظين ص ٩٥ س ٩ .
(٢) البحار ج ٧٣ ص ٣٥٥ عن العياشي .
(٣) الوسائل ج ١١ ص ٢٩٤ ح ١٥ ، مجالس ابن الشيخ ص ٧٣ .
(٤) الوسائل ج ١١ ص ٢٩٢ ح ٢ ، الكافي ج ٢ ص ٢٣١ ح ٢ .
(٥) ورد مؤداها في الوسائل ج ١١ ص ٢٩٢ باب تحريم الحسد ، والبحار ج ٧٣ ص ٢٥٢ .
(٦) المصدر السابق .
(٧) المصدر السابق .

وقال الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (إن أبغضكم إليَّ المترأسون المشّاؤون بالنمائم الحسدة لأخوانهم ليسوا مني ولا أنا منهم ـ إلى أن قال ـ : ثم قال : والله لو قدم أحدكم ملء الأرض ذهباً على الله ثم حسد مؤمناً لكان ذلك الذهب مما يكون به في النار)(١) .

وعن عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (ليس من أخلاق المؤمنين التملق والحسد إلاَّ في طلب العلم)(٢) .

أقول : الإستثناء بالنسبة إلى الأول يعني أن المؤمن يتملق في سبيل طلب العلم ، أو بالنسبة إلى الثاني أيضاً ، والمراد بالحسد الغبطة أي أنه يتنافس في العلم حتى لا يكون غيره فوقه ، والفرق بين الحسد والغبطة هو هذا ، فإن الغبطة عبارة عن أنه يرىٰ الناس فوقه فيعمل حتى يساويهم والحسد يريد أن ينزلهم عن مرتبتهم .

---

(١) تحف العقول ص ٤٥٥ س ١٤ وصيته لهشام .
(٢) تحف العقول ص ٣٥٨ س ١ ، وصيته لمحمد بن النعمان الأحوال .

الفصل الثاني
في
الشؤون الاقتصادية

عوامل التقدم والإزدهار :

مسألة: الماء والأرض والإنسان والزمن عوامل أربعة لتقدم الإنسان وإزدهار الحياة ، فاللازم ربط بعضها ببعض حتى تتقدم الزراعة ، والعمارة وغيرها ، وقد أباح الإسلام الماء إذا لم يكن ملكاً لأحد بأسباب الملك والتي تبدأ أول ما تبدأ بالحيازة بشروطها المقررة .

واللازم على المسلمين أن يهتموا بالماء بحفر الآبار ، وصنع الترع ، ومد القنوات ، وبناء الجسور وانشاء السدود ، إلى غير ذلك كل بقدر إمكانه ، ليصل الماء كل مكان ، ويستفاد منه في الزرع والضرع وفي العمارة وغيرها .

أما البحار فهي لا تفيد للزراعة وإنما تفيد لأغراض أُخر كالإتجار ، وإتخاذ الملح ، وصيد السمك ، وما أشبه ذلك ، نعم تفيد بعد التحلية ، لكن التحلية بحاجة إلى وسائل حديثة ، والمسلمون في طريق النجاة يجب أن يتجنبوها في الوقت الحاضر، حيث يستخدم في الاضرار بهم، في ظل اجواء اكراهية. كما فصلناه في (فقه الاقتصاد).

وربما يستشكل أن المرفوع في حديث الرفع ليس الجو الإكراهي بل الإكراه الفردي كما أن الإضطرار أيضاً كذلك ، فإذا كان كل أهل المدينة مضطرين إلى

التيمم دون زيد وجب عليه الـوضوء ، لأن الإضـطرار لا يتعدى منـه إلى غيره ، وكذلك الإكراه ونحوه والأشيـاء تقدر بقـدرها في المستثنى والمستثنى منـه ، كما هـو واضح .

والجواب : الجو الإكراهي يلازم :

أولاً : الإجحاف والإحتكـار والضرر والعسر والحـرج والغش والخـداع والغنى وما أشبه ذلك .

وثـانياً : كـون القـانـون بحيث يستلزم ذلـك خـلاف مـوازين الإسـلام ، فالإلتزام بهذا القانون محرم تكليفاً من جهة أنه حكم بغير مـا أنزل الله سبحـانه ، فله حرمة تكليفية مطلقاً ، وحرمة وضعية في كثير من الأحيان ، وحيث لم يـوضع هذا الكتاب لمثل هذا البحث نكتفي منه بهذا القدر .

نعم قد يكون استعمار بدون استثمار ، وقد يكـون استثمار بـدون استعمار ، وهما مادتا الإفتراق في العموم من وجه .

وعلى أي حال فاللازم الإستفادة من الماء بأكبر قدر من الإستفادة بالوسـائل الخـارجة عن نـطاق الإستعـمار والإستثـمار ، والتي منهـا السخـرة المنفيـة بـالأدلـة الأربعة . قال سبحانه : ﴿**إلاَّ أن تكون تجارة عن تراض منكم**﴾[١] .

وعن الحلبي عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : كان أمير المؤمـنين «عليه السَّلام» يكتب إلى عامله : (ألا لا تسخروا المسلمين ، ومن سألكم غير الفريضة فقـد اعتـدى فـلا تعـطوه ، وكـان يكتب يـوصي بـالفـلاحـين خيـراً ، وهم الأكارون)[٢] . وعن علي الأزرق قال سمعت أبا عبـد الله «عليه السَّلام» يقول : (وصى رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» عليـاً عند وفـاته فقـال : يا عـلي لا يظلم الفلاحون بحضرتك ، ولا يزاد على أرض وضعت عليها ، ولا سخرة عـلى مسلم (يعني الأجير))[٣] .

---

(١) سورة النساء : الآية / ٢٩ .

(٢) الوسائل ج١٣ ص ٢١٦ ح ١ باب ٢٠١ ، الكافي ج ٥ ص ٢١٦ باب ٢٠ .

(٣) الوسائل ج ١٣ ص ٢١٦ ح ٢ باب ٢٠١ ، الكافي ج ٥ ص ٢٨٤ ح ٢ .

وعن إسماعيل بن الفضل الهاشمي قال : سألت أبا عبد الله «عليه السَّلام» عن السخرة في القرى وما يؤخذ من العلوج والإكراه في القرى فقال : إشترط عليهم ، فما اشترط عليهم ، من الدراهم والسخرة وما سوى ذلك فهو لك ، وليس لك أن تأخذ منهم شيئاً حتى تشارطهم ، وإن كان كالمستيقن إن كل من نزل تلك القرية أخذ ذلك منه ، وسألته عن رجل بنى في حق له إلى جنب جار له بيوتاً أو داراً فتحول أهل دار جاره إليه ، أله أن يردهم وهم له كارهون ؟ فقال «عليه السَّلام» : (هم أحرار ينزلون حيث شاؤوا ، ويتحولون حيث شاؤوا)[١] .

وعن عبد الله بن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» يقول : (من زرع حنطة في أرض فلم يزل في أرضه وزرعه وخرج زرعه كثير الشعير فبظلم عمله في ملك رقبة الأرض ، أو بظلم زارعه وأكرته ، لأن الله تعالى يقول : ﴿**فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم**﴾[٢] .

وعن ابن مسلم عن أبي جعفر «عليه السَّلام» أنه قال ؛ كان علي «عليه السَّلام» يكتب إلى عماله: (لا تسخروا المسلمين فتذلوهم ، ومن سألكم غير الفريضة فقد اعتدى ، ويوصي بالأكارين وهم الفلاحون)[٣] .

وعن تفسير العياشي عن عبد الله بن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» يقول : (من زرع حنطة في أرض فلم يزك زرعه أو خرج زرعه كثير الشعير فبظلم عمله في ملك رقبة الأرض ، أو بظلم لمزارعيه وأكرته ، لأن الله يقول : ﴿**فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم**﴾ يعني لحوم الإبل والبقر والغنم)[٤].

---

(١) الوسائل ج ١٣ ص ٢١٦ ح ٣ باب ٢٠ ، والكافي ج ٥ ص ٢٨٣ ح ١ .
(٢) الكافي ج ٥ ص ٣٠٦ ح ٩ ، الوسائل ج ١٣ ص ٢١٧ ح ٤ باب ٢٠ .
(٣) مثله عن الصَّادق «عليه السَّلام» : الوسائل ج ١٣ ص ٢١٦ ج ١ باب ٣٠ ، الكافي ج ٥ ص ٢٨٤ ح ٣ .
(٤) تفسير العياشي ج ١ ص ٢٨٤ ح ٣٠٤ ، البحار ج ١٤ ص ٧٧٤ ، تفسير الصافي ج ١ ص ٤١٢ و ٢٧٧ ، تفسير البرهان ج ١ ص ٢٩٨ .

احترام أموال الناس ودمائهم وأعراضهم :

مسألة: على القائمين بعبء النهوض أن يحترموا غاية الإحترام أموال الناس ودماءَهم وأعراضهم، فإنه ليس شيء أشد على الناس من هذه الثلاثة ، ومن ينل منها شيئاً ينفض الناس من حوله ، فقبل الوصول إلى الحكم يوجب ذلك عدم الوصول ، وبعد الوصول يوجب الإنفضاض ، وعدم استقرار الحكم ، والعناوين البراقة والألفاظ الرنانة وما أشبه التي يصنعها الحكام تبريراً لأعمالهم العدوانية لا تبرر قصد السوء ، وعمل السوء منهم بالنسبة إلى هذه الأمور الثلاثة كما اعتادته الحكومات ، حيث أنهم يختفون وراء العناوين لنيل أغراضهم الدنيئة ، ولذا نراهم يسقطون الواحد منهم تلو الآخر ، وقد نرى أن أحدهم يأتي بشعبية كبيرة ثم لا يمر زمان إلاّ ويأخذ في الترنح ثم السقوط .

والمتعرض لأموال الناس ودمائهم وأعراضهم يفوت الهدف ، ويسبب زوال الحكومة إذا فرضت تحققها في الخارج . (بالإضافة إلى أن عمله محرم في الشريعة الإسلامية ومعاقب عليه كما هو معلوم لدى الجميع حتى أن من قتل إنساناً واحداً فكأنما قتل الناس جميعاً ، وإن درهماً من الربا كسبعين زنية كلها بذات محرم ، ومن أكل شيئاً من مال اليتيم ، فإنما أدخل في بطنه ناراً وسيصلى سعيراً ، وكذلك بالنسبة إلى سائر الأموال ، مما تواترت الآيات والروايات في ذم الفاعل وتهديده ، وهكذا بالنسبة إلى هتك العرض إلى غير ذلك مما لا حاجة إلى تفصيل الكلام فيها) .

فاللازم الإقتصار على الموارد المقررة شرعاً في الإستثناءات المالية والحدود المقررة حول العرض والدم ، ولذا نجد التفاف الناس حول الرسول وعلي «عليهما الصَّلاة والسَّلام» إلى اليوم ، أما الأمويون والعباسيون ومن إليهم من الحكام والأمراء فكانوا يعيشون في أشد حالات كره الناس ثم يسقطون ، إما بقتلهم ، أو بطردهم ، أو بزوال حكومتهم ، وقد صار اولئك الحكام لعنة التاريخ إلى اليوم ، ولم يكن ذلك إلاّ بسبب مدهم أيدهم إلى المحرّم من المال والعرض والدم ، وسنتعرض في المقام لنماذج من أفعالهم في المال فقط ، وإلاّ فالتفصيل بحاجة إلى مجلدات .

فقد ذكر المؤرخون : إنه في القرن الثالث الهجري أُنشيء ديوان خاص يسمى ديوان المواريث ، وذلك في عهد الخليفة العباسي المسمى بالمعتمد ، وكان هذا الديوان مجالاً واسعاً لظلم الناس ، والاعنات في مواريثهم ، وأخذ مالهم بغير ما جاءت به السنة النبوية ، فإن السنة التي أعلنها الرسول «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه إذا مات إنسان وله مال فماله لوارثه ، وإنه إذا مات إنسان وعليه كلٌّ أو عيال فعلىٰ الرسول «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» يعني بيت المال ، وفي الرواية أن بعد إعلان ذلك أسلم عامة اليهود هناك .

فأي دين حسن هذا ، إن الأموال للوارث وإن الدَّين والعيال الذين لا عائل لهم على بيت مال المسلمين .

وقد عين بعض الحكام أبا حسين علي بن عبد الملك الرقي قاضياً علىٰ حلب ، فكان هذا القاضي يصادر التركات ويقول : التركة للملك وليس لأبي الحسين إلاَّ أخذ الجعالة ، وقد ذكروا أيضاً ان كثيراً من الحكام كانوا يحاولون أن يعتبروا التركة من غير وارث ليستولوا عليها ، وكان هذا الشيء متعارفاً ومتفشياً عند الحكام ، حتى عد من محاسن أعمال عميد الجيوش حاكم بغداد في القرن الرابع الهجري أنه حمل إليه مرة مال كثير قد خلفه بعض التجار المصريين وقيل له ليس للميت وارث ، فقال لا يدخل خزانة السلطان ما ليس لها ، يترك إلى أن يصح خبره ، فلما كان بعد مدة جاء أخ للميت بكتاب من مصر بأنه مستحق للتركة ، فقصد باب عميد الجيوش وأوصل إليه الكتاب ، فقضى حاجته ولما وصل التاجر إلى مصر أظهر الدعاء له ، فضج الناس بالدعاء له والثناء عليه ، وبلغ عميد الجيوش الخبر فسّر به .

ولم يكن هؤلاء الحكام والخلفاء يفرقون بين المسلمين والكفار في أخذ أموالهم .

وفي التاريخ أن في القرن الثاني عشر الميلادي أعتل (ربي بتاحيا) وقال الأطباء : إنها علة الموت ، ولما كان المرسوم هناك في ذلك الوقت أن تستولى الحكومة على ما يخلفه كل يهودي غريب يموت هناك وكان (ربي بتاحيا) حسن

اللباس ، فقد قيل انه غني ، جاء عمال الحكومة لقبض تركته ، كأنه قد مات ، فإنه كثيراً ما كان يؤخذ جزء من مال الأغنياء في حياتهم وهذا كان من البدع في الأموال ، لأن الحكومات كانت تريد المال لأجل التباعي والتصفيق والتبذير والإسراف وما إلى ذلك مما ألمحنا إليه سابقاً ، ومن الواضح أن المقررات الشرعية في الأموال من الخمس والزكاة والجزية والخراج ما كانت تكفي تلك المصارف الإعتباطية الباهضة ، ولذا كثرت المصادرات وما أشبه .

ويحكى أن الوزير أبا علي بن مقلة كان يعادي أبا الخطاب ابن أبي العباس بن الفرات ولم يكن يجد إلى القبض عليه طريقاً ديوانياً ، لأنه كان ترك التصرف عشرين سنة ، ولزم منزله وكان يعيش على دخل ضيعته .

وكان أخشيد صاحب مصر يقوم بالمصادرات الكثيرة في هدوء من جانبه وبرود ، فكان يقبض على عماله وخاصته وثقاته ويصادرهم على المبالغ الكبيرة هم وأهلهم ومن يكون في دورهم يوم المصادرة ، وكان أحب الأمور إليه أن يأخذ غلمانهم بسلاحهم ودوابهم وثيابهم ، فيجعلهم بين يديه ، وكان إذا أفلت أحد من المصادرة حياً لم يسلم من أخذ أمواله بعد وفاته ، وكانت طريقة الأخشيد أنه إذا توفي قائد من قواده أو كاتب تعرض لورثته وأخذ منهم وصادرهم . وكذلك كان يفعل مع التجار الموسرين ، ففي زمانه توفي عفاف بن سليمان البزار من تجار مصر ، فأخذ الأخشيد من ميراثه نحو مائة ألف دينار .

ولما مات الوزير أبو محمد المهلبي بعد أن لبث في الوزارة ثلاث عشرة سنة فصادر حاكم العراق تركته ، وأموال عياله ومن دخل إليه يوم وفاته حتى الملاحين والمكارين الذين كانوا يخدمون حاشيته ، حتى استقبح الناس ذلك منه واستفضعوه .

وكذلك لما مات الصاحب بن عباد بعد أن كان وزير فخر الدولة أرسل هذا الأمير من أحاط على دار الصاحب وخزائنه ، ووجد له كيس فيه رقاع من مائة ألف وخمسين ألف دينار مودعة عندهم ، فطولبوا بذلك ونقل ما كان في الدار والخزائن إلى دار فخر الدولة ، ولذا كان أهل المال يستعملون جميع الوسائل

لإفساد خطة المصادرين ، فمن ذلك أنهم كانوا يودعون أموالهم عند ناس كثيرين ، ويلحنون أسماءهم ، ويكنون عن ألقابهم ، ولما أعتقل ابن العميد وأيقن أن القوم قاتلوه وأنه لا ينجو منهم وإن بذل ماله أخرج من جيبه رقعة فيها ثبت ما لا يحصىٰ من ودائعه وكنوزه وذخائره فألقاها في كانون نار بين يديه ، وقال للموكل به إصنع ما أنت صانع ، فوالله لا يصل من أموالي المستورة إلى صاحبك دينار واحد ، فما زال يعرضه على العذاب إلى أن تلف من غير أن يخبرهم بشيء .

ولما صح عند الخليفة المتقي قتل (بجگن) ركب المتقي إلى داره ، وحفر أماكن فيها فحصل له من مال (بجگن) ما يزيد على ألفي ألف عيناً وورقاً ، ثم أمر بغسل التراب ، فأخرج منه ستة وثلاثين ألف درهم ، ولكن ذكر المؤرخون بأن (بجگن) كان قد دفن أمواله في الصحراء ولم يقتصر على ما دفنه في البيوت فكان الناس يتحدثون في حياته بأنه يقتل من يعاونه في ذلك ، لأن لا يدل عليه في وقت آخر ، وبلغ (بجگن) ما يقوله الناس ، فأنكر ذلك ، وحكى عن سنان بن ثابت ما كان يفعله إذا أراد دفن مال في الصحراء كان يحضر إلى داره بغالاً عليها صناديق فارغة ، فيجعل المال في بعضها ويدخل من يريد أن يكون معه من المساعدين في البعض الآخر ، ويطبق عليهم ، ثم يأخذ مقود قطار البغال بنفسه ، ويسير إلى حيث يريد ، ثم يفتح عن الرجال فيحفرون ويدفن المال ، وبعد ذلك يرد الرجال إلى الصناديق ، يطبقها عليهم ويعود ، فلا يدري الرجال إلى أين ذهبوا من أرض الله ، ولا من أين أتوا ، وكان هو يجعل لنفسه علامات يهتدي بها ، وبهذه الطريقة استغنى عن القتل .

وفي زمان معز الدولة توفي خازنه أبو علي وكان رجلاً كثير التمويه ، متفاقراً يظهر الفقر والإقتصاد ، حتى كان معزّ الدولة يعتقد أنه بائس لا يملك شيئاً ، فاستأذن الوزير المهلبي معزّ الدولة في البحث عن أمواله ، واستعمل طريقة رجال الشرطة ، فقبض على غلمانه ، وكان يخلو ببعضهم ويرهبه ويرغبه حتى استطاع أن يعرف أن أبا عليّ الخادم طرف غلاماً مزيناً حبشياً من حجرة موسومة به وجعل في هذه الحجرة للخلوة أياماً ، فذهب الوزير المهلبي إلى دار أبي علي ، فالتمس حجرة المزين ، فحفر فيها فظفر بمال ، وكان في جملة المدفون آلة شبيهة بالميزان

من خشب الساج لا شيء فيه ، فعجب منها ، ثم قلبها فوجد عليها كتابة خط رديء ، فإذا هي أسماء قوم ورموز لا يفهم منها شيء فلم يشك الوزير أنها أسماء قوم مودعين ، وأن الرموز مبلغ ما عنده من المال ، ولم يزل يستعمل الدهاء والتخمين في فك الرموز ومعرفة المعاملين حتى صح له ذلك ، وبطش بمن اهتدى إليه حتى حصل منهم على المال .

وكان من جراء ذلك أن أحداً من الأغنياء إذا مات جر موته النكبة لأهله ، وبكل من يتصل به من الكتاب والجهابذة والأصدقاء فكانوا يهربون ويستترون ويمتنعون عن تسليم الوصيّة للحكومة ، حتى لا تهتدي إلى مكان التركة ووجوهها .

وقد حدث مثل هذا عند وفاة أحد الوجهاء إلى أن تقرر التصالح على التركة أخيراً على خمسين ألف دينار تحمل إلى الخزانة .

وإذا نظر الإنسان إلى التفاوت الفاحش بين قوله سبحانه : **﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاَّ أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾**[1] وما قاله الرسول «صلّیٰ الله عليه وآله وسلّم» في مسألة الميراث وبين هذه الأمور التي ذكرنا بعضها يعرف أن الإسلام لماذا تجمد ، ثم لماذا تأخر .

وكذلك إذا قاس الإنسان بين أخذ الرسول «صلّیٰ الله عليه وآله وسلّم» وعليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» الزكاة ، وبين أكل الأمراء والخلفاء الأمويين والعباسيين ومن إليهم الزكاة ، ظهر الأمر الذي ذكرناه مرة أخرى .

ففي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» في وصيته كان يكتبها لمن يستعمله عن الصدقات : انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ، ولا تروعنّ مسلماً ولا تجتازنّ عليه كارهاً ، ولا تأخذنّ منه أكثر من حق الله في ماله ، فإذا قدمت على الحي إنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ، ثم انظر إليهم بسكينة ووقار ، حتىٰ تقوم بينهم ، فسلم عليهم ، ولا تخدج التحية لهم ، ثم تقول : عباد الله أرسلني إليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في

---

(١) سورة النساء : الآية / ٢٩ .

أموالكم فهل لله في أموالكم من حق فتؤدونه إلى وليه ، فإن قال قائل : لا فلا تراجعه ، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه ، أو توعده ، أو تعسفه ، أو ترافقه ، فخذ ما آتاك من ذهب أو فضة ، فإن كانت له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلاَّ بإذنه ، فإن أكثرها له ، فإذا أتيتها فلا تدخلها دخول متسلط عليه ، ولا عنيف به ، ولا تفرف بهيمة ، ولا تفزعنها ، ولا تسوءنّ صاحبها فيها ، واصدع المال صدعين ثم خيّره ، فإن اختار فلا تعرضنّ لما إختاره ، ثم أصدع الباقي صدعين ، ثم خيّره فإن إختار فلا تعرض لما أختاره ، ولا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله ، فأقبض حق الله منه ، فإن استقالك فأقله ، ثم أخلطهم ، ثم اصنع مثل الذي صنعت أولاً ، حتى تأخذ حق الله في ماله ، ولا تأخذنّ عوراء ولا هرمة ، ولا مكسورة ولا مهلوسة ، ولا ذات عوار ، ولا تأمننّ عليها إلاَّ من تثق بدينه ، رافقاً بمال المسلمين ، حتى يوصلها إلى وليهم ليقسمه بينهم ولا توكل بها إلاَّ ناصحاً شفيقاً وأميناً حفيظاً غير معنف ، ولا مُجحفٍ ، ولا ملغب ، ولا متعب ، ثم أحضر إلينا ما اجتمع عندك نصيرّه حيث أمر الله.إلى آخر الحديث[1] .

وقس هذا مما في ديوان الإرث يقول ابن المعتز قرب أواخر القرن الثالث يشكو ما يجري على أصحاب المواريث .

وويل من مات أبوه موسراً	أليس هذا محكماً مشهراً
وطال في دار البلاء سجنه	وقيل : من يدري بأنه ابنه
فقال جيراني ومن يعرفني	فنتفوا سباله حتى فني
وأسرفوا في لكمه ودفعه	وانطلقت أكفهم في صفعه
ولم يزل في أضيق الحبوس	حتى رمى إليهم بالكيس
وتاجر ذي جوهر ومال	كان من اللّه بحسن حال
قيل له : عندك للسلطان	ودائع غالية الأثمان
فقال : لا واللّه ما عندي له	صغيرة من ذا ولا جليله
وإنما أربحت في التجارة	ولم أكن في المال ذا خسارة

(١) نهج البلاغة (صبحي الصالح) كتاب رقم ٢٥ ص ٢٨٠ .

فـدخـنـوه بـدخـان التـتـن وأوقـدوه بـثـقـال الـلين
حـتى إذا مـلَّ الحيـاة وضـجـر وقـال : ليس المال جمعـاً في سقـر
أعـطاهم مـا طلبـوا فـانـطلقـا يستـعمـل المشي ويمشي العنقـا
فـكـم وكـم مـن رجـل نـبيـل ذي هـيـبـة ومـركـب جـليـل
رأيـتـه يـعـتـل بـالأعـوان إلى الحـبـوس وإلى الـديـوان
حتى أُقيـم في جـحيـم المـاجـرة ورأسـه كـمـثـل قـدر فـائـرة
وجـعـلوا في يـده حـبـالاً مـن طنـب يـقـطع الأوصـالا
وعـلقـوه في عـلى الجـدار كـأنـه بـرادة في الـدار
وصفقـوا قـفـاه صفق الـطبـل نـصـب عـيـن شـامـت وخـل
إذا استغـاث مـن سعـير الشمس أجـابـه مـسـتـخـرج بـرقس
وصب سجـان عـليـه الـزيتـا فـصـار بعـد بـزة كـمـيـتـا
حـتى إذا طـال عـليـه الجـهـد ولم يـكـن ممـا أراد بـد
قـال : أئـذنـوا لي أسأل التجـارا قـرضـاً وإلا بـعـتـهـم عـقـارا
وأجـلـوني خمـسـة أيـامـاً وسـوقـوني مـنـكـم أنـعـامـاً
فـضـايقـوا وجـعلوهـا أربـعـة ولم يـأمـل في الـكـلام مـنـفـعـة
وجـاءه المـعـيـنـون الـفـجـرة وأقـرضـوه واحـداً بـعشرة
وكتبـوا صـكـاً ببيـع الضيعـة وحـلّفـوه بـيـمـين الـبـيـعـة
ثـم تـأدى مـا عـليـه وخـرج ولم يكن يـطمـع في قـرب الفـرج
وجـاءه الأعـوان يـسـألـونـه كـأنهم كـانـوا يـدلـلونـه
وإن تـلكـأ أخـذوا عـمامـتـه وحـرشـوا أخـدعـه وهـامتـه
فـالآن زال كـلّ ذاك أجمـع وأصبـح الجـور بعـدك يـقمـع

وما ذكره ابن جبير الرحال الأندلسي في القرن السادس الهجري مما عومل به في بعض مواضع نزوله ، قال ما نصه :

[فمن أول ما شاهدنا فيها يوم نزولنا أن أطلع أُمناء إلى المركب من قبل السلطان بها لتقييد جميع ما وجد فيه ، فاستحضر جميع من كان فيه من

المسلمين واحداً واحداً ، وكتب أسماءَهم وصفاتهم وأسماء بلادهم وسأل كل واحد منهم عما لديه من سلع أو نض ليؤدي زكاة ذلك ، دون أن يبحث عما حال عليه الحول من ذلك أو ما لم يحل ، وكان أكثرهم مشخصين لأداء الفريضة (الحج) لم يستصحبوا سوىٰ زاد طريقهم ، فألزموا أداء زكاة ذلك دون أن يسأل هل حال عليه الحول أم لا ، واستنزل أحمد بن حسان منا ليسأله عن أبناء المغرب وسلع المركب ، فطيف به مراقباً عليه السلطان أولاً ، ثم على القاضي ، ثم على أهل الديوان ، ثم عدل على جماعة من حاشية السلطان ، وفي كل يستفهم ثم يقيد قوله ، فخلىٰ سبيله وأمر المسلمون بتنزيل أسبابهم وما فضل من امتعتهم ، وعلى ساحل البحر أعوان من يتوكلون بهم ، وحمل جميع ما أنزلوه إلى الديوان ، فاستدعوا واحداً واحداً ، وأحضر ما لكل واحد من الأسباب ، والديوان قد غص بالزحام ، فوقع التفتيش لجميع الأسباب ما دق منها وما جلّ ، واختلط بعضهم ببعض ، وأدخلت الأيدي إلى أوساطهم بحثاً عما عسىٰ أن يكون فيها ، ثم استحلفوا بعد ذلك هل عندهم غير ما وجدوا لهم أولاً ، وفي أثناء ذلك ذهب كثير من أسباب الناس باختلاط الأيدي وتكاثر الزحام ، ثم أطلقوا بعد موقف الذل والخزي العظيم نسأل الله أن يعظم الأجر بذلك] انتهى كلام الرحالة المذكور .

نعم ذلك الإسلام النبوي كان يستقطب الناس . أما هذا الإسلام الذي نقله هذا الرحالة وغيره فذلك كان سبب نفور الناس وإلتفافهم حول من ينقذهم من هؤلاء الحكام الذين كانوا يحكمون باسم الإسلام ، ولو كان صليبياً غربياً ، أو مغولياً شرقياً ، ولذلك انفتحت البلاد أمامهم وتمكنوا من اكتساح بلاد الإسلام بلا أيّ مانع ولا دافع .

فبينما كان الرسول «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» يمتعض إذا بقي عنده أربعة دراهم ليلاً ولم يتمكن من تقسيمها بين المسلمين كما في قصة مشهورة ويموت «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» ويرحل عن الدار الدنيا ودرعه رهن عند يهودي لأجل أصوع من شعير لقوت عائلته .

وكان عليّ «عليه الصّلاة والسّلام» لا يأكل اللحم إلاّ مرّة في كل عام يوم الأضحىٰ ، لأنه يعلم أن في هذا اليوم يأكل كل المسلمين اللحم ، ويمتنع عن الشبع من الخبز ، لأنه لعل هناك بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالقرص ، ولا عهد له بالشبع .

بينما صار الخلفاء والأُمراء الأمويون والعباسيون والعثمانيون ومن إليهم يصرفون المال لأهوائهم وأغراضهم ، يجعلون أموال الله دولاً وعباده خولاً ، ودينه دخلاً ، لا هذا فحسب بل يجمعون الأموال الطائلة ليخلفوها من بعدهم لورثتهم .

وقد ورد في التاريخ أن هارون الرشيد خلف ثمانية وأربعين ألف ألف دينار ، وكان المعتضد يستفضل في كل سنة من سني خلافته بعض النفقات مما كان يحصل عليه بيت مال الخاصة ألف ألف حتى أجتمع في بيت المال تسعة آلاف ألف دينار ، وكان يريد أن يتمها عشرة آلاف دينار ثم يسبكها ويجعلها قطعة واحدة ، ونذر عند بلوغ ذلك بعض النذور ، وأراد أن يطرح السبيكة على باب العامة ليبلغ أصحاب الأطرف أن له عشرة آلاف ألف دينار وهو مستغن عنها ، فاخترمته المنية قبل بلوغ الأمنية .

ثم جاء المكتفي بعد المعتضد ، فأبلغ المدخر إلى أربعة عشر ألف ألف

دينار ، والأموال العامة إذا كانت تأتي إلى رئيس الدولة كان يخصص قسماً صغيراً منها للمسلمين عامة ، والقسم الأكبر لخزينته الخاصة ، فقد ذكروا : إن مال الخراج وضياع العامة الذي كان يرتفع من أعمال فارس وكرمان بعد إسقاط النفقات بلغ في كلّ سنة منذ عام مائتين وتسعة هجرية ، إلى عام ثلاثمائة وعشرين هجرية ثلاثة وعشرين ألف ألف درهم ، منها أربعة آلاف ألف درهم كانت تحمل إلى بيت مال العامة ، والباقي وهو تسعة عشر ألف ألف درهم إلى بيت مال الخاصة .

كما أنهم كانوا يأخذون العشور والرسوم وذلك مما حرمه نبي الإسلام «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» منذ أول يوم ، حتى قال عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» كما في نهج البلاغة : إن دعاء العشّار لا يستجاب ، بينما ذكر قبول أدعية الناس في وقت خاص من الليل ، مما يفهم منه أن دعاء العشار أسوء من دعاء الزاني ، والخمار ، والقاتل ، والسارق ، ومن أشبههم ، لكن الخلفاء والأمراء كانوا لا يعيرون إهتماماً خاصاً بالشرعية ، ولذا انسحب الإسلام عن الميدان وتدرج في الضمور والذوبان حتى وصل إلى الحالة التي نشاهدها في العصر الحاضر من التأخير والتقهقر .

وقد ذكر المؤرخون : أنه كان يؤخذ في (جدة) عن كل حمل من الحنطة نصف دينار وكيل من فرد الزاملة ، وعن سفط الثياب الشتوي ثلاثة دنانير ، وعن سفط الدبيقي ديناران ، وعن حمل الصوف ديناران ، وكان يؤخذ بـ (السويف) عن كل حمل درهم ، وكانت تفرض رسوم في الموانيء الإسلامية الأخرىٰ ، وكانت الضرائب تؤخذ على الراكب الآتي من الغرب وبـ (الفرما) على مراكب الشام وكان بعضهم يأخذ نصف دينار عن كل حمل ، وأكثرهم كان لا يأخذ عن الحمل إلاَّ درهماً أما العراق فكانت كثيرة المراصد في البر والبحر والنهر ، وكانت البصرة مشهورة بتفتيش صعب وأعمال منكرة .

وفي عهد المقدسي كان على باب البصرة عند حدود مملكة الخليفة من حدود بلاط القرامطة ديوان للقرامطة ، وديوان آخر للديلم ، حتى لقد كان يؤخذ على الغنمة الواحدة أربعة دراهم أي ضعف ثمنها ، وكان الديوان لا يفتح إلاَّ ساعة

من النهار ، وكان يؤخذ من كل حمل دخل (اليهودية) وهي القسم التجاري في أصفهان ثلاثون درهماً وكان الخراج في (طوران) يؤخذ عن الحمل ستة دراهم ، إذا دخل ، وكذلك إذا خرج ، ومن الرفيق اثني عشر إذا دخل ، وإن كان من نحو الهند فعشرون من الحمل ، وإن كان من قبل السند فعلى حسب القيم .

وربما يستشكل بأن الدولة في العصر الحاضر تحتاج إلى المال بما لا تكفي فيه الضرائب الأربع : الخمس ، والزكاة ، والجزية والخراج .

الجواب : هذه الضرائب تكفي إذا اقتنعت الدولة بأسلوب الإسلام المتطلب قلة الموظفين وعدم البذخ في الدوائر وكانت الحكومة إنتخابية بشورى المرجعية وتعدد الأحزاب الحرة ، وتفويض كل الأمور إلى الناس حسب ما قرر في الإسلام من حرية الناس في كلّ شيء إلاّ في المحرمات وإنما شأن الدولة الإشراف فقط ، كما ذكرنا كل ذلك في جملة من الكتب المعنية بهذا الشأن ، هذا بالإضافة إلى إمكان استفادة الحكومة من المباحات بدون أن تزاحم الناس .

ولسائل أن يسأل فإذا طرأ طاريء من سيل أو حرب أو زلزلة أو ما أشبه ذلك ، فماذا تفعل والحكومة تحتاج إلى مال جديد ؟ .

الجواب : إن الناس سوف يساهمون في المساعدة باختيارهم ، كما كانوا يساعدون الرسول «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» وعلياً «عليه الصَّلاة والسَّلام» في حروبهم بدون جبر من أحدهما على الناس في أخذ المال .

فإذا كانت الحكومة من الناس ديناً ودنياً ـ لا كما في الحال الحاضر حيث أن الحكومات أجنبية عنهم ديناً ودنياً بل تكون باختيار المستعمرين وبقوة السلاح كما هو واضح ـ فإن الناس يكونون راغبين آنذاك في إعطاء المال لهم لسد حوائجهم التي هي حوائج الناس .

لنفرض عدم كفاية بذل الناس باختيارهم المال الكافي لسد الحاجة الإضطرارية ، فماذا نصنع ؟ .

الجواب : في ذلك الوقت تأتي مسألة شورىٰ المرجعية لتجعل بأكثرية الآراء العنوان المؤقت لأخذ الناقص من الناس ، ويكون ذلك من الحكم الشرعي

الإضطراري المقدر بقدره ، وشورىٰ المرجعية تفعل ذلك بالتعاون مع الأحزاب الحرة الإسلامية والخبراء الإقتصاديين ونحوهم فيوزعون المال المضطر إليه على الناس على نحو عادل في التوزيع ، لا كالضرائب الفوضوية الموضوعة الآن في كل بلاد الإسلام لمجرد شهوة الحكام في السيطرة وبجهلهم ولإرادتهم كثرة المصفقين حولهم ، وتقصدهم حصول أكبر قدر من المال ليودعوه البنوك ، ويرفعوا رصيدهم بذلك ، بالإضافة إلى إرادتهم البذخ والترف والسرف والتجمل مما هو معروف .

الإهتمام بقضاء حوائج الناس :

وقد ورد سيل من الروايات في قضاء حاجة المؤمن وتنفيس كربته وما إلى ذلك ، نذكر جملة منها :

فعن جعفر بن محمد عن آبائه «عليهم السَّلام» قال : (يا علي أربع من كن فيه بنى له بيت في الجنة : من أوى اليتيم ، ورحم الضعيف ، وأشفق على والديه ، ورفق بمملوكه ، ثم قال : يا علي من كفى يتيماً في نفقته بماله حتى يستغني وجبت له الجنة البتة ، يا علي من مسح يده على رأس يتيم ترحّماً له أعطاه الله بكل شعرة نوراً يوم القيامة)[1] .

وعن الصَّادق عن آبائه «عليهم السَّلام» قال : قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (مرّ عيسى بن مريم بقبر يعذب صاحبه ثم مرّ به من قابل : فإذا هو ليس يعذب فقال : يا رب مررت بهذا القبر عام أول وهو يعذب ، فأوحىٰ الله جل جلاله إليه يا روح الله قد أدرك له ولد صالح ، فأصلح طريقاً ، وآوىٰ يتيماً ، فغفرت له بما عمل ابنه)[2] .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (دخل عبد الجنة بغصن من شوك كان على طريق المسلمين فأماطه عنه)[3] .

---

(١) الوسائل ج ١١ ص ٥٦٠ ح ١ ، الخصال ج ١ ص ٢٢٣ ح ٥٣ .
(٢) الوسائل ج ١١ ص ٥٦٠ ح ٢ ، المجالس ص ٣٠٦ .
(٣) الخصال ج ١ ص ٣٢ ح ١١١ ، الوسائل ح ١١ ص ٥٦١ ، البحار ج ٧٥ ص ٤٩ .

وعن علي «عليه السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : الصدقة شيء عجيب ، قال فقال أبو ذر الغفاري : أي الصدقة أفضل ؟ قال : أغلاها ثمناً . وأنفسها عند أهلها ، قال : فإن لم يكن مال ، قال : عفو طعامك - إلى أن قال - : فإن لم يفعل ؟ قال فينحي عن طريق المسلمين ما يؤذيهم) (١) .

وعن أبي قلابة قال : قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من أماط عن طريق المسلمين ما يؤذيهم كتب الله له أجر قراءة أربعمائة آية ، كل حرف منها بعشر حسنات) (٢) .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (لقد كان علي بن الحسين «عليهما السَّلام» يمر على المذرة في وسط الطريق ، فينزل عن دابته حتى ينحيها بيده عن الطريق) (٣) .

وعن النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (لا يرحم الله من لا يرحم الناس) .

وقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (الراحمون يرحمهم الرحمان ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)(٥) .

وعن النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (إن على كل مسلم في كل يوم صدقة ، قيل : من يقدر ذلك ؟ قال : اماطتك الأذى عن الطريق صدقة) (٦) .

---

(١) انظر البحار ج ٧٥ ص ٥٠ وج ٩٦ ص ١٨٣

(٢) البحار ج ٧٥ ص ٥٠ البحار ج ٧٧ ص ١٢١ .
(٣) البحار ج ٧٥ ص ٥٠ .

(٥) البحار ج ٧٧ ص ١٦٧ .
(٦) البحار ج ٧٥ ص ٥٠ وج ٩٦ ص ١٨٣ .

وعن الباقر «عليه السَّلام» أنه قال في حديث : (وأربع من كن فيه من المؤمنين أسكنه الله في أعلى عليين في غرف فوق الغرف في محل الشرف كل الشرف : من آوى اليتيم ونظر له وكان له أباً ، ومن رحم الضعيف وأعانه وكفاه ، ومن أنفق على والديه ورفق بهما وبرهما ولم يحزنهما ، ولم يخف بمملوكه وأعانه على ما يكلفه ، ولم يستسعه فيما لا يطيق)(١) .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (من حفر بئراً أو حوضاً في صحراء صلّت عليه ملائكة السماء وكان له بكل من شرب منه من إنسان أو طير أو بهيمة ألف حسنة متقبلة ، وألف رقبة من ولد إسماعيل ، وألف بدنة ، وكان حقاً على الله أن يسكنه حظيرة القدس)(٢) .

وروى الصدوق عن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (ومن بنى على ظهر طريق مأوى عابر سبيل أركبه الله يوم القيامة على نجيب من در وجوهر ووجهه يضيء لأهل الجمع نورا حتى يزاحم إبراهيم خليل الرّحمٰن في قبته ، فيقول أهل الجمع : هذا ملك من الملائكة لم نر مثله قط ، ودخل في شفاعته الجنة أربعون ألف ألف رجل ، ومن شفع لأخيه شفاعة طلبها نظر الله إليه وكان حقاً على الله أن لا يعذبه أبداً ، فإن هو شفع لأخيه شفاعة من غير أن يطلبها كان له أجر سبعين شهيداً ، ومن حفر بئراً للماء حتى استنبط ماءها فبذلها للمسلمين ، كان له أجر من توضأ منها وصلّىٰ ، وكان له بعدد كل شعرة لمن شرب منها من إنسان أو بهيمة أو سبع أو طير عتق ألف رقبة ، وورد يوم القيامة وقد دخل في شفاعته عدد النجوم حوض القدس ، فقلنا : يا رسول الله وما حوض القدس ؟ قال : حوضي ، حوضي ، ثلاث مرّات)(٣) .

أقول : ذكرنا في كتاب (الدعاء والزيارة وغيره وجه أمثال هذه المثوبات .

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين «عليه السَّلام» أنه قال لكميل بن زياد :

---

(١) الوسائل ج ١١ ص ٥٦١ ح ٤ ، ثواب الأعمال ص ١٣٣ .
(٢) نحوه الوسائل ج ١١ ص ٥٦٢ ح١ .
(٣) الوسائل ج ١١ ص ٥٦٢ ح ١ .

(يا كميل مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم ، ويدلجوا في حاجة من هو نائم ، فوالذي وسع سمعه الأصوات ما من عبد أودع قلباً سروراً إلّا وخلق الله من ذلك السرور لطفاً ، فإذا نزلت به نائبة جرى كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل عن حياضها)(١) .

وفي حديث النجاشي عامل الأهواز وفارس : إن أبا عبد الله «عليه السَّلام» كتب إليه مع بعض أهل عمله : (سر أخاك يسرك الله ؛ فلما أوصله الكتاب أدى عنه عشرين ألف درهم من الخراج ، وأمر له بمركب وجارية وغلام وتخت ثياب وبفرش البيت الذي كان فيه وأمره برفع حوائجه إليه ، ففعل ثم صار الرجل إلى أبي عبد الله «عليه السَّلام» فحدثه وقال له : كأنك قد سرك ما فعل بي قال : أي والله ، لقد سر الله ورسوله)(٢) .

وعن أبان بن تغلب قال : (سألت أبا عبد الله «عليه السَّلام» عن حق المؤمن على المؤمن ، فقال حق المؤمن على المؤمن أعظم من ذلك لو حدثتكم لكفرتم ، إن المؤمن إذا خرج من قبره خرج معه مثال من قبره يقول له : ابشر بالكرامة من الله والسرور ، فيقول له : بشرك الله بخير ، قال : ثم يمضي معه يبشره بمثل ما قال ، وإذا مر بهول قال : ليس هذا لك ، وإذا مرّ بخير قال : هذا لك ، فلا يزال معه يؤمنه مما يخاف ويبشره بما يحب حتى يقف معه بين يدي الله عزّ وجلّ ، فإذا أمر به إلى الجنة قال له المثال : أبشر ، فإن الله عزّ وجلّ قد أمر بك إلى الجنة ، فيقول له : من أنت يرحمك الله ـ إلى أن قال ـ فيقول : أنا السرور الذي كنت تدخله على أخوانك في الدنيا خلقت منه لأبشرك وأونس وحشتك)(٣) .

وعن أبي المعتمر قال سمعت أمير المؤمنين «عليه السَّلام» يقول : قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلّم» : (أيما مسلم خدم قوماً من المسلمين إلّا

---

(١) الوسائل ج ١١ ص ٥٧٤ ح ١٥ ، نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٠١ .
(٢) الكافي ج ٢ ص ١٥٢ ح ٩ ، الوسائل ج ١١ ص ٥٧٢ ح ١١ .
(٣) الكافي ج ٢ ص ١٥٢ ح ١٠ ، الوسائل ج ١١ ص ٥٧٣ ح ١٣ .

أعطاه الله مثل عددهم خداماً في الجنة)[١] .

وفي رواية أُخرىٰ عن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (إن الله فرض عليكم زكاة جاهكم كما فرض عليكم زكاة ما ملكت أيديكم)[٢] .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» أنه قال في حديث : (أقرضهم عمن عرضك ليوم فاقتك وفقرك)[٣] .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (خدمة المؤمن لأخيه المؤمن درجة لا يدرك فضلها إلاَّ بمثلها)[٤] .

وعن العلاّمة في الرسالة السعدية عن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (إن الله تعالىٰ ليسأل العبد في جاهه كما يسأل في ماله ، فيقول : يا عبدي رزقتك جاهاً فهل أعنت به مظلوماً ، أو أغثت به ملهوفاً)[٥] .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (إن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه)[٦] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (يسأل المرء عن جاهه كما يسأل عن ماله ، يقول : جعلت لك جاهاً فهل نصرت به مظلوماً ، أو قمعت به ظالماً ، أو أغثت به مكروباً)[٧] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (خياركم سمحاؤكم ؛ وشراركم بخلاؤكم ، ومن صالح الأعمال البر بالأخوان ، والسعي في حوائجهم ، وفي ذلك مرغمة للشيطان ، وتزحزح عن النيران ، ودخول للجنان ، يا جميل أخبر بهذا

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٦٦ ح ١ ، الوسائل ج ١١ ص ٥٩٣ ح ١ .
(٢) الوسائل ج ١١ ص ٥٩٤ ح ٣ ، تفسير القمي ص ١٤١ .
(٣) انظر الوسائل ج ٦ ص ٣٢٥ .
(٤) انظر البحار ج ٧٤ ص ٣٢٢ .
(٥) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٤١١ .
(٦) البحار ج ٧٤ ص ٤٢٢ .
(٧) الوسائل ج ٦ ص ٣٢٥ .

الحديث غرر أصحابك ، قلت : من غرر أصحابي ؟ قال : هم المبرون بالإخوان في حال العسر واليسر ، ثم قال : أما إن صاحب الكثير يهون عليه ذلك ، وقد مدح الله صاحب القليل وقال : **﴿يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون﴾**(١) .

الصناعات الوطنية العمود الفقري للإقتصاد :

مسألة: يلزم الإهتمام بالصناعات الوطنية مهما كانت صغيرة ، وإحياؤها وتعميمها في كل أجزاء الحياة ، وإني أذكر أنه حسبنا ذات مرّة قبل زهاء أربعين سنة في كربلاء الصناعات الوطنية فوصلت أعدادها إلى أربعمائة صناعة وطنية جعلت من كربلاء سوقاً رائجة لمختلف المدن من البصرة إلى الحدود العراقية الحجازية .

مثلاً كانت أكثر من ثلاثين من الصناعات تتخذ من النخيل ، من الحبل إلى المروحة ، إلى الحصران إلى أغطية الأواني ، وإلى غيرها من مائة قسم من المياه المقطرة كمياه مختلف الأزهار العطرية والطبية وما أشبه ذلك ، وهكذا كانت أنواع متعددة من المخللات والحلويات والجلال والسروج والأواني والقدور التي كان يصنعها الصفارون ومن إليهم ، وهكذا أنواع الآلات ومكائن الطبخ وغيرها .

ومن الصناعات التي يلزم إحياؤها الأواني الفخارية والكيزان والصحون والحباب والمطاحن والمشاجب والصناديق والكراسي والبسط والحصران والمنسوجات وما يرتبط بالنجارين والحدادين والصفارين والنساجين والعطارين والمخللين والجلالين وغيرهم مما هو كثير ، وقد كانت هذه الصناعات متوفرة في العراق بكثرة كبيرة فيما قبل الجمهورية التي أطاحت بحكم الملكيين قبل ما يقارب الثلاثين سنة ، حيث جاء العسكريون من عملاء الغرب باسم الجمهورية ، وفتحوا الباب لمن بعدهم من الهدامين الإنقلابيين بمختلف الأشكال والأسماء ، وإني أذكر أنه في الحرب العالمية الثانية حيث كانت الدنيا تحترق في أتون الإبادة البشرية لم نحتج نحن في العراق إلى البضائع الأجنبية إلاّ بأقل من عدد

---

(١) البحار ج ٧٤ ص ٣١٢ .

الأصابع ، لأن كل شيء كان من نفس البلاد ، وحتى لما صار السكر والقماش ببطاقة التموين قال والدي (رحمه الله) : إنا نستغني عنهما ، فكنا نشرب شاي الصباح بالدبس عوض السكر ، كما كنا نستخدم لأجل ظهارة البسط والوسائد القنب المصنوع من نفس العراق عوض الأقمشة المستوردة التي صارت خاضعة لبطاقة التموين .

أما الآن وبعد ثلاثين سنة من استيلاء الإنقلابيين العسكريين على الحكم في العراق فلا تجد من الصناعات الأربعمائة التي شاهدتها وأنا في العراق حتى العشر ، فقد حطم الإنقلابيون بألف اسم واسم كل الصناعات الوطنية ليستورد أمثالها بأضعاف أضعاف القيمة من بلاد أسيادهم الذين أتوا بهم .

نعم لقد حث الإسلام على هذه الصناعات ففي حديث أنه كانت الأواني التي اشتريت لجهاز فاطمة «عليها الصَّلاة والسَّلام» من الخزف ، وعن عمرو بن أبي المقدام قال : رأيت أبا جعفر «عليه السَّلام» وهو يشرب في قدح من خزف[1] .

وعن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (كان رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» يشرب في الأقداح الشامية التي يجاء بها من الشام وتهدى إليه)[2] ، وفي رواية اخرىٰ كان النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» يعجبه أن يشرب في القدح الشامي ، وكان يقول : (هي من أنظف آنيتكم)[3] .

وعن الطبرسي في مكارم الأخلاق عن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه كان يشرب في أقداح القوارير التي يؤتىٰ بها من الشام ، ويشرب في الأقداح التي تتخذ من الخشب ومن الجلود ، وروي في صفة مشربه «صلّىٰ الله عليه وآله

---

(١) المحاسن ص ٥٨٠ ، الوسائل ج ٣ ص ١٠٩٧ ح ٣ باب ٧٦ ، الكافي ج ٦ ص ٣٨٥ ح ٣ .

(٢) الكافي ج ٦ ص ٣٨٥ ح ١ ، الوسائل ج ٢ ص ١٠٩٦ ح ١ باب ٧٦ .

(٣) الوسائل ج ٢ ص ١٠٩٦ ح ٢ باب ٧٦ ، الكافي ج ٦ ص ٣٨٦ ح ٨ ، المحاسن ص ٥٧٧ ح ٣٨ .

وسلّم» (انه كان يشرب في الخزف)[١] .

وفي رواية ان أبا جعفر «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال لجاريته : (اسقيني ، فجاءته بكوز من أدم ، فلما صار في يده قال : الحمد لله الذي جعل لكل شيء حداً ينتهي إليه حتى أن لهذا الكوز حداً ينتهي إليه ، فقيل له وما حده ؟ قال : يذكر اسم الله عليه إذا شرب ، ويحمد الله إذا فرغ ، ولا يشرب من عند عروته ، ولا من كسرٍ إن كان فيه)[٢] .

وفي الصناعة روى عن أُم الحسن النخعية قالت مرّ بي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليهما السَّلام» : فقال : أي شيء تصنعين يا أُم الحسن ؟ قالت : أغزل ، قال:فقال : (أما أنه أحلّ الكسب)[٣] .

وفي رواية أُخرىٰ عن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» في جملة كلامه : (ونعم اللهو المغزل للمرأة الصالحة)[٤] .

وفي رواية أنه مرّ إبراهيم النخعي على امرأة وهي جالسة على باب دارها بكرة ، وكان يُقال لها : ام بكر ، وفي يدها مغزل تغزل به ، فقال لها : يا ام بكر ، أما كبرت ، أما آن لك أن تضعي هذا المغزل ، فقالت : وكيف أضعه ، وقد سمعت علي بن أبي طالب «عليه السَّلام» يقول : (هو من طيبات الكسب.)[٥] .

وعن الجعفريات بسند الأئمّة إلى علي «عليه السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : نعم شغل المرأة المؤمنة المغزل)[٦] .

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٣١ .
(٢) الوسائل ج ١٧ ص ٢٠٥ ح ٩ باب ١٤ ، رجال الكشي ص ١٤٣ .
(٣) الوسائل ج ١٢ ص ١٧٤ ح ١ باب ٦٤ ، الكافي ج ٥ ص ٣١١ ح ٣٢ .
(٤) الوسائل ج ١٢ ص ١٧٤ ح ٢ باب ٦٤ ، علل الشرائع ص ٩٤ .
(٥) الوسائل ج ١٢ ص ١٧٤ ح ٣ ب ٦٤ ، تفسير العياشي ج ١ ص ١٥٠ ح ٤٩٤ .
(٦) قريب منه الوسائل ج ١٢ ص ١٧٤ ح ٢ باب ٦٤ .

وفي حديث آخر عنه «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (وعلموهن الغزل) [١] .

وفي رواية اللهوف ، قال يزيد لعلي بن الحسين «عليهما السَّلام» : (إذكر حاجاتك الثلاث التي وعدتك بقضائهن ـ إلى أن قال ـ قال «عليه السَّلام» : والثانية أن ترد علينا ما أخذ منا ـ إلى أن قال «عليه السَّلام» ـ وإنما طلبت ما أخذ منا لأن فيه مغزل فاطمة بنت محمد «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم») [٢] .

وفي رواية قرأت عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده «عليهم السَّلام» قال : مرض الحسن والحسين «عليهما السَّلام» ـ إلى أن قال ـ فلما غاض الله الغلامين مما بهما إنطلق علي «عليه السَّلام» إلى جار له يهودي يُقال له شمعون بن حارى ، وقال له : يا شمعون أعطني ثلاث أصيع من شعير وجزة من صوف تغزله لك إبنة محمد «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» فأعطاه اليهودي الشعير والصوف ، فإنطلق إلى منزل فاطمة «عليها السَّلام» فقال لها : (يا ابنة رسول الله كلي هذا واغزلي هذا) [٣] .

الادلة الشرعية على اباحة الأرض

وهناك غير دليل العقل الموجب لحرية الأرض كحرية الشمس والماء والهواء آيات وروايات تدل على إباحة الأرض لكل أحد ، لكن في إطار «لكم» كما ذكرناه ، وهكذا سائر المباحات الإلهية كالغابات والأنهر والبحار والجبال والمعادن والأسماك والطيور والوحوش والآجام وسائر ما يستخرج من الأرض ، وفي فقه الإسلام كل ذلك مطلق ، كما يجده الطالب من كتب شيخ الطائفة إلى كتب الشيخ المرتضىٰ ، ومن كتب السيد المرتضى إلى كتب السيد الطباطبائي ، منذ ألف سنة ، في باب الأرضين ، وباب الخمس ، وباب إحياء الموات ، وسائر الأبواب .

---

(١) انظر الوسائل ج ١٢ ص ١٧٤ ح ٢ ب ٦٤ مثله .
(٢) اللهوف ص ٨٥ .
(٣) روضة الواعظين ص ١٦٠ .

فاللازم على مريدي النجاة إلغاء كل قانون يخالف الإسلام قولاً وعملاً ، والرجوع إلى الأدلة الأربعة ، وإليك جملة من النصوص في هذا الصدد :

فعن الباقر «عليه السَّلام» أنه سئل عن معادن الذهب والفضة والحديد والرصاص والصفر قال : (عليها جميعاً الخمس)[١] .

وعن أبي عمير : (ان الخمس على خمسة أشياء : الكنوز ، والمعادن ، والغوص ، والغنيمة ، نسي أبي عمير الخامسة ، ولعله كان أرباح المكاسب)[٢] .

وعن الباقر «عليه السَّلام» أنه قال: (في الركاز من المعدن والكنز القديم يؤخذ الخمس في كل واحد منها ، وباقي ذلك لمن وجده في أرضه وداره ، وإن كان الكنز مما ادعاه أهل الدار فهو لهم) .

وعن أمير المؤمنين «عليه السَّلام» : (ان رجلاً دفع إليه مالاً أصابه في دفن الأولين فقال «عليه السَّلام» : لنا فيه الخمس ، وهو عليك رد)[٣] .

وفي رواية عن زيد بن علي عن آبائه «عليهم السَّلام» : قال : (قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلّم» في حديث: في الركاز الخمس ، وفي رواية عن النبي «صلّى الله عليه وآله وسلّم» قال : في السيوف الخمس ، قال أبو عبيدة السيوف الركاز)[٤] .

وعن النبي «صلّى الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (كل ما لم يكن في طريق مأتي أو قرية عامرة ففيه وفي الركاز الخمس)[٥] .

أقول : لا يبعد أن يكون المراد بالطريق المأتي الطريق الخاصة .

وعن الباقر «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (في اللؤلؤ يخرج من البحر

---

(١) الوسائل ج ٦ ص ٣٤٢ ح ١ باب ٣ .
(٢) الوسائل ج ٦ ص ٣٣٩ ح ٢ باب ٢ .
(٣) مستدرك الوسائل ج ١ ص ٥٥٢ باب ٤ ح ٢ .
(٤) مستدرك الوسائل ج ١ ص ٥٥٢ باب ٤ ح ٤ ـ ٥ .
(٥) عوالي اللئالي ج ٣ ص ١٢٥ ح ٢ .

والعنبر يؤخذ من كل واحد منها الخمس ، ثم هما كسائر الأموال)[١] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» في الغوص قال : (فيه الخمس)[٢] .

وعن الرضوي «عليه السَّلام» قال : (قال عزّ وجلّ : ﴿**واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى**﴾[٣] إلى آخر الآية ، فتطول علينا بذلك امتناناً منه ورحمة إذ كان المالك للنفوس والأموال وسائر الأشياء الملك الحقيقي وكان في أيدي الناس عواري ، وأنهم مالكون مجازاً لا حقيقة له وكل ما أفاده الناس فهو غنيمة لا فرق في الكنوز والمعادن والغوص ومال الفيء الذي لم يختلف فيه ، وهو ما أدعىٰ فيه الرخصة وهو ربح التجارة ، وغلة الضيعة ، وسائر الفوائد من المكاسب والصناعات والمواريث وغيرها ، وان الجميع غنيمة وفائدة ، ورزق الله عزّ وجلّ فإنه روي : ان الخمس على الخياط من إبرته ، والصانع من صناعته ، وعلى كل من غنم من هذه الوجوه أموالاً فعلية الخمس ، فإن أخرجه فقد أدى حق الله عليه)[٤] . الحديث ، وذكر الإرث في عداد ما يجب فيه الخمس ذكره الفقهاء في إرث من كان عليه الخمس فلم يؤده لا مطلق الإرث .

وفي رواية عمران بن موسى عن موسى بن جعفر «عليهما السَّلام» قال : (قرأت عليه آية الخمس فقال : ما كان لله فهو لرسوله ، وما كان لرسوله فهو لنا ، ثم قال : والله لقد يسر الله على المؤمنين أرزاقهم بخمسة دراهم جعلوا لربهم واحداً وأكلوا أربعة أحلاء)[٥] .

وفي رواية عن العبد الصالح «عليه السَّلام» قال : (الخمس من خمسة أشياء : من الغنائم ، والغوص ، والكنوز ، والمعادن ، والملاحة)[٦] .

---

(١) البحار ج ٩٦ ص ٤٣ ح ١٤ .
(٢) الوسائل ج ٦ ص ٣٤٧ ح ١ باب ٧ .
(٣) سورة الأنفال : الآية / ٤١ .
(٤) البحار ج ٩٦ ص ١٩٢ ح ٩ .
(٥) الوسائل ج ٦ ص ٣٣٨ ح ٦ باب ١ .
(٦) الوسائل ج ٦ ص ٣٤٠ ح ٩ باب ٢ .

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (سألته عن معادن الذهب والفضة والصفر والحديد والرصاص فقال : عليها الخمس جميعاً)[١] .

وفي حديث قال : سألت أبا عبد الله عن الكنز كم فيه ؟ قال : (الخمس ، وعن المعادن كم فيها ؟ قال : الخمس ، وعن الرصاص والصفر والحديد وما كان في المعادن كم فيها ؟ قال : يؤخذ منها كما يؤخذ من معادن الذهب والفضة)[٢] .

وعن زرارة عن أبي جعفر «عليه السَّلام» : قال سألته عن المعادن ما فيها فقال : (كل ما كان ركازاً ففيه الخمس . وقال : ما عالجته بمالك ففيه ما أخذت من حجارته الخمس)[٣] .

وفي رواية أبي الحسن «عليه السَّلام» قال سألته عما يخرج من البحر من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد وعن معادن الذهب والفضة هل فيها زكاة ؟ فقال : (إذا بلغت قيمته ديناراً ففيه الخمس)[٤] .

وفي رواية عن أبي الحسن الرضا «عليه السَّلام» في حديث قال : (كان لعبد المطلب خمس من السنن أجراها الله له في الإسلام : حرم نساء الآباء على الأبناء ، وسن الديّة في القتل مائة من الإبل ، وطاف بالبيت سبعة أشواط ، ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس ، وسمى زمزم حين حفرها سقاية الحاج)[٥] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» : (في المال يوجد كنزٌ يؤدي زكاته قال : لا . قلت : وإن كثر ؟ قال : وإن كثر ، فأعدتها عليه ثلاث مرّات)[٦] .

وفي رواية الأزدي : إن إنساناً وجد كنزاً وكان ذلك ركازاً فأخذ أمير

---

(١) الوسائل ج ٦ ص ٣٤٢ ح ١ باب ٣ .
(٢) الوسائل ج ٦ ص ٣٤٢ ح ٢ باب ٣ .
(٣) الوسائل ج ٦ ص ٣٤٣ ح ٣ باب ٣ .
(٤) الوسائل ج ٦ ص ٣٤٣ ح ٥ باب ٣ .
(٥) الوسائل ج ٦ ص ٣٤٦ ح ٤ باب ٥ .
(٦) الوسائل ج ٦ ص ٣٤٦ ح ٥ باب ٥ .

المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» منه خمسة فقط قائلاً له : (إن الخمس عليك)[١] .

وفي باب الأنفال عن الرضوي «عليه السَّلام» : رُوي عن العالم أنه قال : (ركز جبرائيل «عليه السَّلام» برجله حتى جرت خمسة أنهار ولسان الماء يتبعه الفرات ودجلة والنيل ومهران ونهر بلخ فما سقت وسقي منها فللإمام والبحر المطيف بالدنيا)[٢] .

وعن أبي بصير عن أبي جعفر «عليه السَّلام» أنه قال : (ولنا الصفى قال : قلت له : وما الصفىٰ ؟ قال : الصفى من كل رقيق وابل يبتغي أفضله ثم يضرب بسهم ، ولنا الأنفال قال : قلت له : وما الأنفال ؟ قال المعادن منها الآجام وكل أرض لا رب لها ، ولنا ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ، وكانت فدك من ذلك)[٣] .

وفي رواية محمد بن مسلم عن أبي جعفر «عليهما السَّلام» قال سمعته يقول : (إن الفيء والأنفال ما كان من أرض لم يكن فيها هراقة دم أو قوم صالحوا أو قوم أعطوا بأيديهم ، وما كان من أرض خربة أو بطون الأودية فهذا كله من الفيء ، وهذا للّه وللرسول ، فما كان للّه فهو لرسوله يضعه حيث شاء ، وهو للإمام من بعد الرسول)[٤] .

وفي رواية ابن سنان : (هي القُرىٰ التي قد جلا أهلها وهلكوا فخربت ، فهي لله وللرسول)[٥] .

وفي رواية أُخرىٰ قال : (من مات وليس له مولى فماله من الأنفال)[٦] .

---

(١) الوسائل ج ٦ ص ٣٤٦ ح ١ باب ٦ .
(٢) البحار ج ٩٦ ص ١٩١ ح ٩ .
(٣) مستدرك الوسائل ج ١ ص ٥٥٣ باب ١ ح ١ .
(٤) البحار ج ٩٦ ص ٢٠٩ ح ٦ .
(٥) البحار ج ٩٦ ص ٢١٠ ح ١٠ .
(٦) البحار ج ٩٦ ص ٢١١ ح ١٠ .

وفي رواية زرارة عن الباقر «عليه السَّلام» قال : (هي كل أرض جلا أهلها من غير أن يحمل عليهم خيل ولا ركاب ، فهي نفل لله وللرسول)[١] .

وفي رواية عن الباقر «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (ما كان من أرض لم يوجف عليها المسلمون ، ولم يكن فيها قتال ، أو قوم صالحوه ، أو أعطوه بأيديهم ، أو ما كان من أرض خراب ، أو بطون أودية ، وذلك كله لرسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» يضعه حيث أحب ، وهو بعده للإمام ، وقوله : لله ، تعظيماً له والأرض وما فيها لله جل ذكره ولنا في الفيء سهم ذوي القربىٰ ، ثم نحن شركاء الناس في ما بقي)[٢] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» سمعت أبا جعفر «عليه السَّلام» يقول : (أيما قوم أحيوا شيئاً من الأرض وعمّروها فهم أحق بها ، وهي لهم)[٣] .

وعن جماعة من الفضلاء عن الباقر والصَّادق «عليهما السَّلام» قالا : قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من أحيا أرضاً مواتاً فهي له)[٤] .

وعن زرارة عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» ، (من أحيا أرضاً مواتاً فهي له)[٥] .

وعن الصدوق ، قال : (قد ظهر رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» على خيبر فخارجهم على أن تكون الأرض في أيديهم يعملون فيها ويعمرونها ، وما بأس لو أشتريت منها شيئاً)[٦] .

وفي رواية حماد عن العبد الصالح «عليه الصَّلاة والسَّلام» في حديث قال : (والأنفال كل أرض خربة قد باد أهلها ، وكل أرض لم يوجف عليها بخيل ولا

---

(١) البحار ج ٩٦ ص ٢١١ ح ١٠ .
(٢) مستدرك الوسائل ج ١ ص ٥٥٤ ح ٩ باب ١ .
(٣) الوسائل ج ١٧ ص ٣٢٦ ح ١ باب ١ .
(٤) الوسائل ج ١٧ ص ٣٢٧ ح ٥ باب ١ .
(٥) الوسائل ج ١٧ ص ٣٢٧ ح ٦ باب ١ .
(٦) التهذيب ج ٤ ص ١٤٦ ح ٢٩ باب ٣٨ .

ركـاب ، ولكن صالحـوا صلحاً ، وأعـطوا بأيـديهم على غـير قتال ، ولـه رؤوس الجبال وبطون الأودية والآجام ، وكل أرض ميتة لا رب لهـا ، وله صـوافي الملوك ما كان في أيديهم من غير وجـه الغصب ، لأن الغصب كان مـردود ، وهو وارث من لا وارث له ، يعول من لا حيلة لـه ، وقال «عليـه السَّلام» : إن الله لم يـترك شيئـاً من صنوف الأمـوال إلاّ وقد قسمـه ، فأعـطى كـل ذي حق حقـه ـ إلى أن قـال ـ : والأنفال إلى الـوالي ، كل أرض فتحت أيـام النبي «صلىٰ الله عليـه وآله وسلّم» إلى آخر الأبد ، وما كان افتتاحاً بدعوة أهل الجور وأهل العدل ، لأن ذمة رسـول الله «صلىٰ الله عليـه وآله وسلّم» في الأولـين والآخرين ذمـة واحدة ، لأن رسول الله «صلىٰ الله عليـه وآله وسلّم» قـال : المسلمون أخـوة تتكافـأ دماؤهم ، يسعى بذمتهم أدناهم)(١) .

وعن عمـر بن يزيـد قال: (سمعت رجـلاً من أهل الجبـل يسـأل أبـا عبـد الله «عليه السَّلام» عن رجل أخذ أرضـاً مواتـاً تركهـا أهلها ، فعمّـرها ، وكـرى أنهارها ، وبنىٰ فيها بيوتاً ، وغـرس فيها نخـلاً ، وشجراً ، قـال : فقال أبـو عبد الله «عليه السَّلام» : كان أمير المؤمنين «عليه السَّـلام» يقول : من أحيـا أرضاً من المؤمنين فهي له ، وعليه سقيها ، يؤديه إلى الإمام)(٢) .

وعن محمـد بن مسلم قال : (سـألته «عليـه السَّـلام» عن الشراء من أرض اليهود والنصارىٰ ، قال : ليس به بأس ـ إلى أن قال ـ : أيمـا قوم أحيـوا شيئاً من الأرض أو عملوه فهم أحق بها ، وهي لهم)(٣) .

وعن سليـمان بن خالـد قـال : (سمعت أبـا عبـد الله «عليـه السَّـلام» عن الرجل يـأتي الأرض الخربـة فيستخرجهـا ويجري أنهارهـا ويعمرهـا ويزرعهـا ماذا عليه ؟ قال : عليه الصدقة)(٤) .

أقول : أي الزكاة .

---

(١) الوسائل ج ٦ ص ٣٦٦ ح ٤ باب ١ .
(٢) الوسائل ج ٦ ص ٣٨٢ ح ١٣ باب ٤ .
(٣) التهذيب ج ٧ ص ١٤٨ ح ٤ باب ١١ .
(٤) الوسائل ج ١٧ ص ٣٢٩ ح ٣ باب ٣ .

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (أيما قوم أحيوا شيئاً من الأرض أو عمّروها فهم أحق بها)[١] .

وعن محمد بن مسلم قال : (وأيما قوم أحيوا شيئاً من الأرض وعمروها فهم أحق بها ، وهي لهم)[٢] .

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (سئل وأنا حاضر عن رجل أحيا أرضاً مواتاً فكرى فيها نهراً وبنىٰ فيها بيوتاً وغرس فيها نخلاً وشجراً ؟ فقال : هي له وله أجر بيوتها ، وعليه فيها العشر فيما سقت السماء أو سيل واد ، أو عين وعليه فيما سقت الدوالي والغرب نصف العشر)[٣] .

وعن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله «عليه السَّلام» عن شراء الأرضين من أهل الذمة ؟ فقال : (لا بأس بأن يشتريها منهم إذا عملوها وأحيوها فهي لهم ، وقد كان رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» حين ظهر على خيبر وفيها اليهود خارجهم على أن يترك الأرض في أيديهم يعملونها ويعمرونها)[٤] .

وعن محمد بن سنان عن أبي الحسن «عليه السَّلام» قال سألته عن ماء الوادي فقال : (إن المسلمين شركاء في الماء والنار والكلاء)[٥] .

وعن أبي عن جعفر عن أبيه عن عليّ «عليه السَّلام» أنه قال : (لا يحل منع الملح والنار)[٦] .

وعن سعيد الأعرج عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : سألته عن الرجل يكون له الشرب مع قوم قناة فيها شركاء فيستغني بعضهم عن شربه أيبيع شربه ؟ قال : (نعم إن شاء باعه بورق وإن شاء بكيل حنطة)[٧] .

---

(١) التهذيب ج ٧ ص ١٤٩ ح ٨ باب ١١ .
(٢) التهذيب ج ٧ ص ١٥٢ ح ٢٠ باب ١١ .
(٣) الوسائل ج ١٧ ص ٣٢٧ ح ٨ باب ١ .
(٤) التهذيب ج ٧ ص ١٤٨ ح ٦ باب ١١ .
(٥) الوسائل ج ١٧ ص ٣٣١ ح ١ باب ٥ .
(٦) الوسائل ج ١٧ ص ٣٣١ ح ٢ باب ٥ .
(٧) الوسائل ج ١٧ ص ٣٣٢ ح ١ باب ٦ .

وعن عبد الله بن الكاهلي قال : سأل رجل أبا عبد الله «عليه السَّلام» وأنا عنده عن قناة بين قوم لكل رجل منهم شرب معلوم ، فاستغنى رجل منهم عن شربه فيبيعه بحنطة أو شعير؟ قال : (يبيعه بما شاء ، هذا مما ليس فيه شيء)[١] .

وعن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (من أحيا أرضاً ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق)[٢] .

وعن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (موات الأرض للّه ورسوله ، فمن أحيا منها شيئاً فهو له)[٣] .

وعن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (من أحاط حائطاً على أرض فهي له) .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (من سبق إلى ما لم يسبقه إليه أحد فهو أحق به)[٥] .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (بَوادي الأرض لله ولرسوله ثم هي لكم مني ، فمن أحيا مواتاً فهي له)[٦] .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (من أحيا أرضاً ميتاً فله فيها أجر ، وما أكلت الدواب فهو له صدقة)[٧] .

وعن الباقر «عليه السَّلام» : (ومن أشترىٰ أرض اليهود وجب عليه ما يجب عليهم من خراجها ، وأي أرض ادعاها أهل الخراج لا يشتريها المشتري إلاَّ

---

(١) الوسائل ج ١٧ ص ٣٣٢ ح ٢ باب ٦ .
(٢) غوالي اللئالي ج ٣ ص ٤٨٠ ح ٢ .
(٣) غوالي اللئالي ج ٣ ص ٤٨٠ ح ١ .
(٥) قطعة منه في الكافي ج ٥ ص ٢٨٠ ح ٦ ، الوسائل ج ١٧ ص ٣٢٨ ح ١ باب ٢ .
(٦) قطعة منه في الكافي ج ٥ ص ٢٧٩ ح ٣و ٤ .
(٧) انظر البحار ج ١٠٤ ص ٢٥٣ باب ٢ ، والوسائل ج ١٧ ص ٣٢٦ إحياء الموات .

برضاهم) [١] .

وعن النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» (إنه نهى عن بيع الماء والكلأ والنار)[٢] .

وعن ابن عباس أن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (الناس شركاء في ثلاث : النار والماء والكلأ) [٣] .

إلى غيرها من الروايات الواردة في الأبواب المتفرقة من الفقه كالجهاد والتجارة وإحياء الموات والخمس وغيرها ، وقد ذكرناها على الأغلب في كتب الفقه المعنية بتلك الشؤون مع ذكر المسائل الفقهية المرتبطة بها وإنما أردنا الإلماع إليها هنا .

التجــارة :

التجارة حرة داخلياً وخارجياً ، فإن التجارة في الإسلام حرة بما للكلمة من معنىٰ ، وإنما تستثنىٰ المحرمات كالربا والغش وما أشبه ، والروايات بالتحريض على التجارة وذم تركها كثيرة :

فعن الصّادق «عليه السّلام» في قول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**﴾ قال : (رضوان الله والجنة في الآخرة والسعة في المعيشة ، وحسن الخلق في الدنيا)[٤] :

وقال «عليه الصّلاة والسّلام» في تفسير الآية : (رضوان الله في الدنيا توسعة المعيشة وحسن الصحبة وفي الآخرة الجنة)[٥] .

وعن أبي عبد الله عن آبائه عن أمير المؤمنين «عليهم السّلام» : (إن رسول

---

(١) نحوه الإستبصار ج ٣ ص ١١٠ ح ٤ .
(٢) نحوه الوسائل ج ١٧ ص ٣٣١ ح ١ باب ٥ وص ٣٣٣ ح ١ ، ٢ ، ٣ .
(٣) انظر الوسائل ج ١٧ ص ٣٣١ ح ١ باب ٥ وص ٣٣٣ ح ٢٢١ ، ٣ .
(٤) الوسائل ج ١٢ ص ٣ باب ١ ح ١ .
(٥) البرهان ج ١ ص ٢٠٣ ح ٩ .

الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : إذا أعسر أحدكم فليضرب في الأرض ويبتغ من فضل الله ولا يغم نفسه)[١] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» إن رجلاً سأله أن يدعو الله أن يرزقه فقال : (أدعو لك ، ولكن أطلب كما أمرت)[٢] .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه مرّ في غزوة تبوك بشاب جلد يسوق أبعرة سماناً فقال أصحابه : يا رسول الله لو كانت قوة هذا وجلده وسمن أبعرته في سبيل الله لكان أحسن ، فدعاه رسول الله «عليه السَّلام» فقال : أرأيت أبعرتك هذه أي شيء تعالج عليها ، فقال : يا رسول الله لي زوجة وعيال فأنا أكسب بها ما أنفقه على عيالي وأكفهم عن الناس وأقضي ديناً عليّ ، قال : لعل غير ذلك ، قال : لا فلما انصرف قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (لئن كان صادقاً إن له لأجراً مثل أجر الغازي وأجر الحاج وأجر المعتمر)[٣] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» : (إنه قال لرجل من أصحابه انه بلغني أنك تكثر الغيبة عن أهلك ، قال : نعم جعلت فداك ، قال : أين ؟ قال : بالأهواز وفارس ، قال : في ماذا ؟ قال : في طلب التجارة والدنيا ، قال : فانظر إذا طلبت شيئاً من ذلك ففاتك فاذكر ما خصك الله به من دينه وما منّ به عليك من ولايتنا وما صرفه عنك من البلاء فإن ذلك أحرىٰ أن تسخو نفسك به عما فاتك من أمر الدنيا)[٤] .

وعن الصدوق عن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (من لزم التجارة استغنىٰ عن الناس)[٥] .

---

(١) دعائم الإسلام ج ٢ ص ١٣ باب ١ ح ١ .
(٢) دعائم الإسلام ج ٢ ص ١٤ باب ١ ح ٣ .
(٣) دعائم الإسلام ج ٢ ص ١٤ باب ١ ح ٧ .
(٤) دعائم الإسلام ج ٢ ص ١٥ باب ١ ح ١١ .
(٥) الكافي ج ٥ ص ١٤٨ ح ٣ .

وعن رسـول الله «صلىٰ الله عليـه وآله وسلّم» قـال : (الخـير عشرة أجـزاء أفضلها التجارة ، إذا أخذ الحق وأعطىٰ الحق)[١] .

وعنـه «صلىٰ الله عليـه وآلـه وسلّم» أنـه قـال : (تسعـة أعشـار الـرزق في التجارة)[٢] .

وعن رسـول الله «صلىٰ الله عليـه وآلـه وسلّم» أنـه قـال : (لتجهـدوا فـإن مواليكم يغلبكم على التجارة ، يا جماعة قريش إن البركة في التجارة ولا يفقـر الله صاحبها إلاَّ تاجراً حالفاً)[٣] .

أقول : كأن النبيّ «صلىٰ الله عليه وآلـه وسلّم» أراد أن يجعل التنـافس بين قريش وبين العبيد حتى يعملا لزيادة التجارة والربح .

وعن أمـير المؤمنين «عليـه الصَّلاة والسَّـلام» في حديث أنـه قيل لـه : وبـم الإفتخار ؟ قال : (بإحدىٰ ثـلاث : مال ظـاهر ، أو أدب بـارع ، أو صناعـة لا يستحي المرء منها)[٤] .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنـه قال : (تحت ظـل العرش يوم لا ظل إلاَّ ظله رجل خرج ضـارباً في الأرض يـطلب من فضل الله يكف بـه نفسه ، ويعود على عياله)[٥] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» أنه سـأل بعض أصحابـه عما يتصرف فيـه فقـال : جعلت فـداك إني كففت يـدي عن التجـارة قـال : (ولم ذلـك ؟ قـال : انتظاري هذا الأمـر ، قال : ذلـك أعجب لكم يذهب أمـوالكم ، لا تكفف عن التجارة والتمس من فضل الله وافتح بابك وابسط بساطك واسترزق ربك)[٦] .

---

(١) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٤١٤ باب ١ ح ٩ .
(٢) الكافي ج ٥ ص ١٤٨ ح ٣ .
(٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٤١٤ باب ١ ح ١١ .
(٤) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٤١٤ باب ١ ح ١٣ .
(٥) دعائم الإسلام ج ٢ ص ١٥ باب ١ ح ٨ .
(٦) دعائم الإسلام ج ٢ ص ١٦ باب ١ ح ١٤ .

وعنه «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (لا تترك التجارة فإن تركها مذهبة للعقل)[١] .

وعن ابن عباس عن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه كان إذا نظر إلى رجل فأعجبه قال : له حرفة ؟ فإن قالوا لا . قال : سقط من عيني ، قيل : ولم ذاك يا رسول الله ؟ قال : (لأن المؤمن إذا لم يكن له حرفة يعيش بدينه)[٢] .

وعن هشام بن سالم قال في حديث قال رجل لأبي عبد الله «عليه السَّلام» : والله إنا لنطلب الدنيا ، فقال له أبو عبد الله «عليه السَّلام» : (تصنع بها ماذا ؟ قال : أعود بها على نفسي وعلى عيالي وأتصدق منها وأصل منها وأحج منها ، فقال أبو عبد الله «عليه السَّلام» : ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الآخرة)[٣] إلى غيرها من الروايات التي هي بهذا الصدد إيجاباً وسلباً .

الكسب بالجهد البدني :

ولا يخفىٰ ان من أنواع كسب اليد إجارة الإنسان نفسه للعمل حتى ينتفع بكسبه .

فعن ابن سنان عن أبي الحسن «عليه السَّلام» قال : سألته عن الإجارة فقال : صالح لا بأس بها إذا نصح قدر طاقته ، فقد آجر موسىٰ «عليه الصَّلاة والسَّلام» نفسه واشترط فقال : إن شئت ثماني وإن شئت عشراً ، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه : **﴿ان تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك﴾**[٤] .

وعن أبي الجارود عن أبي عبد الله «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (سألته عن قول الله جل اسمه : **﴿الذين يلمزون المطوّعين من المؤمنين في الصدقات﴾**[٥]

---

(١) الوسائل ج ١٢ ص ٦ باب ٢ ح ٤ .
(٢) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٤١٥ باب ٢ ح ٤ .
(٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٤١٦ باب ٥ ح ٤ .
(٤) سورة القصص : الآية / ٢٧ .
(٥) سورة التوبة : الآية / ٧٩ .

قال : ذهب أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» فآجر نفسه على أن يستقي كل دلو بتمرة مختارها ، فجمع مداً فأتىٰ به النبي «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» وعبد الرّحمان بن عوف على الباب فلمزه ووقع فيه)[١] .

وفي رواية كان سلمان يسف الخوص وهو أمير على المدائن ويبيعه ويأكل منه ، ويقول : لا أحب أن آكل إلاَّ من عمل يدي ، وقد كان تعلم سف الخوص من المدينة ، وفي رولية : أنه قال للثاني : (لأكل الشعير وسف الخوص والإستغناء به عن الناس في المطعم والمشرب وعن غصب مؤمن ادعاء ما ليس له بحق أفضل وأحب إلى الله عزّ وجلّ وأقرب للتقوى ، ولقد رأيت رسول الله «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» إذا أصاب الشعير أكله وفرح به ولم يسخطه)[٢] .

وفي رواية : ان أحدهم رأى علياً «عليه الصَّلاة والسَّلام» ومعه تمر يحمله قال الراوي : فسلمت عليه وقلت له : أعطني هذا التمر أحمله ، قال «عليه السَّلام» : (أبو العيال أحق بحمله)[٣] .

الكسب في الوطن حصانة للعائلة من الضياع :

مسألة: الإكتفاء الذاتي أن يجعل الإنسان كسبه في بلده ، فإنّه لا تضيع عائلته ويكون هو القيم عليهم ، وقد ورد في ذلك روايات متعددة :

فعن علي بن الحسين «عليهما السَّلام» : (إن من سعادة المرء أن يكون متجره في بلاده ، ويكون خلطاؤه صالحين ، ويكون له ولد يستعين بهم)[٤] .

وفي رواية أُخرىٰ عن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (قال ثلاثة من

---

(١) تفسير العياشي ج ٢ ص ١٠١ ح ٩٣ ، البحار ج ٩ ص ٣٣٣ ، البرهان ج ٢ ص ١٤٨ الصافي ج ١ ص ٧١٩ .

(٢) انظر البحار ج ١٠٣ ص ١ ، أبواب المكاسب ، الوسائل ج ١٢ ، ص ٥٢ ، أبواب ما يكتسب به .

(٣) انظر البحار ج ٤١ ص ٥٤ ، تواضع أمير المؤمنين «عليه السَّلام» .

(٤) الخصال ج ١ ص ١٥٩ ح ٢٠٧ ، الكافي ج ٥ ص ٢٥٧ ح ١ .

السعادة : الزوجة المؤاتية ، والأولاد البارّون ، والرجل يرزق معيشه ببلده يغدو إلى أهله ويروح)[١] .

وعن الطائي قال : قلت لأبي عبد الله «عليه السَّلام» ، إني اتخذت رحى فيها مجلسي ويجلس إليَّ فيها أصحابي ، فقال : (ذلك رفق)[٢] .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (خمسة من السعادة ـ إلى أن قال ـ : ورزق المرء في بلده)، وفي رواية اخرىٰ عنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (من أعطىٰ خمساً لم يكن له عذر في ترك عمل الآخرة ـ إلى أن قال ـ : ومعيشته في بلده)[٣] .

أقول فاللازم أن تنظم الحياة بحيث يكون الأمر كذلك فالمدارس وساحات التدريب ، والكسب ، والتعليم ، والمعامل ، والمصانع ، وغيرها تنظم لكل بلد إلّا بقد الإضطرار ، فإن ذلك يوجب حفظ النفس وحفظ الأهل وسهولة الحياة مهما أمكن .

الهجرة لطلب الرزق :

نعم مع الإضطرار يستحب الإغتراب في طلب الرزق .

فعن عمر بن أُذينة عن الصَّادق «عليه السَّلام» أنه قال : (إن الله تبارك وتعالىٰ ليحب الإغتراب في طلب الرزق) .

وفي رواية أخرىٰ قال «عليه السَّلام» : (اشخص يشخص لك الرزق)[٤] .

وفي رواية عن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه أوصىٰ إلى ولده الحسن «عليه السَّلام» فقال فيما أوصىٰ به ـ (يا بني لا فقر أشد من الجهل ـ إلى أن

---

(١) الكافي ج ٥ ص ٣١٠ ح ٢٦ .
(٢) مثله البحار ج ١٠٣ ص ٥ ، وص ٧ وص ٨٦ ، البحار ج ١٠٤ ص ١٠٢ .
(٣) الوسائل ج ١٢ ص ٥٠ ح ١ و ٢ باب ٢٩ ، الفقيه ج ٣ ص ٩٥ ح ٦ و ٧ .
(٤) تحف العقول ص ٢٢٣ ح ١٩ .

قال ـ وليس للمؤمن بد من أن يكون شاخصاً في ثلاث : مرمة لمعاش ، وخطوة لمعاد ، ولذة في غير محرم)[١] .

وعن أبي عبد الله عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين «عليهم السَّلام» : (ان رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلّم» قال : إذا أعسر أحدكم فليضرب في الأرض يبتغي من فضل الله ولا يغم نفسه)[٢] .

مقايضة السلع بالسلع :

مسألة: من اللازم على الناهضين لإحياء الإسلام واستقلال المسلمين ورجوع شوكتهم ودولتهم تعميم المقايضات ، فإنها من أهم بنود الإكتفاء الذاتي ، بحيث تكون السلع تباع وتشترى في مقابل السلع الاخرىٰ وفي مقابل الأعمال ، كما كان الحال كذلك في الامم قبل ظهور النقد ، وفي القرىٰ والأرياف البعيدة إلى الحال الحاضر ، حيث يعطي أحدهم الصوف الأسود مقابل الصوف الأبيض أو مقابل ما يحتاجه من الأرز والسمن والحنطة والدجاج والخروف ونحوها ، أو يجعل البناء قبال أخذه النسيج أو النجارة قبال أخذه الفخار إلى غير ذلك ، فإن فيه فوائد :

الاولى: تبادل السلع اليدوية والعملية عوض سلع الأجانب ، فإن الأجنبي لا يعطي ثلاجة أو برادة أو مدفأة أو طيارة أو سيارة قبال الصوف والحنطة والنعم وما أشبه غالباً .

الثانية: انسحاب قدر كبير من النقد الذي يسيطر عليه الأجنبي عن الميدان ، وذلك مما يقلل سيطرة الأجنبي على بلاد الإسلام .

الثالثة: تشجيع السلع الوطنية والعمل اليدوي ، وذلك من أهم بنود الإكتفاء الذاتي .

الرابعة: عدم الإسراف والتبذير ، مثلاً التمليذ الذي انتقل من الصف

---

(١) تحف العقول ص ٢٢٣ ح ١٩ .
(٢) نحوه : الوسائل ج ١٢ ص ١٢ ح ١٢ باب ٤ .

الـرابع إلى الصف الخـامس إذا أعطىٰ كتبـه ، وأخذ كتب الصف الخـامس كـان معناه أنه لم يجعل كتبه السابقة معطلة بلا فائدة وحكراً بلا نتيجة ، كما أنه لم يبذل ثمناً لاجل كتب الصف الخامس. ويبقى السؤال ان المعطي لكتب الخامس لاتفيده كتب الصف الرابع، وهكذا، فلماذا يبادل؟

والجواب : أن أخاه مثلا في المدرسة محتاج إلى كتب الصف الرابع في قبـال كتب الصف الخامس التي لا يحتاج إليهـا هو ، لأنـه ينتقل هـذه السنة إلى الصف السادس وهكذا .

كما أن اللازم أيضـاً الإستغناء عن المؤسسـات الأجنبية في بـلاد الإسلام ، سواء كانت مؤسسات أجنبيه قلباً وقالباً أو قلباً لا قالباً ، فقد ملأ الغربيون بـلادنا بالمدارس والكنائس والمستشفيات والمكتبات والشركات والصحف وما إلى ذلك .

ومن المعلوم أن كل ذلك من أدوات الإستعمار في بلاد الإسـلام ، والغالب أنها مراكز لتخريج النخبـة التي يوصلونها إلى الحكم ، أو إلى المنـاصب العاليـة في الدولة والمـراكز الحسـاسة في المجتمـع ليسهلوا لهـا طريق الإستعـمار المباشر وغـير المباشر .

وقـد رأينا كيف مـلأ المسيحيون بغـداد ونحوهـا بالمـدارس والكنائس ودور الصحة والمكتبات ونحوها قبل وصول عفلق إلى الحكم .

إن وصـول عفلق إلى الحكم لم يكن وليد سنـة أو حتى عشر سنوات ، بـل كان وليد أمرين :

إيجابي وسلبي .

فقد جهد المستعمـرون بمختلف أجهـزتهم أكـثر من نصف قـرن عـلى أقـل تقدير ، وذلك كان يرتكز على بنود :

الأول : تأسيس الحزب الشيـوعي الذي كـان يقوده اليهـود ، فإنهم كـانوا يهيئون الأجواء للغرب تحت غطاء الشيوعية ، والحزب البعثي والحزب القـومي ، ومـا إلى ذلك ، ولا يخفى عـلى الباحث أنـه كيف كان يقـود كـل هـذه الأحـزاب

الغرب تحت مختلف الشعارات واللافتات .

الثاني : سيل من المبشرين الذين كانوا يعملون ليل نهار بلا كلل ولا ملل ، ويفتحون الكنائس والمكتبات والمدارس ونحوها للتأثير على المسلمين ، وإسقاط فاعليتهم .

وقد وضع أحدهم طفلته البالغة السادسة من العمر في مدرسة مسيحية في بغداد ، وبعد أن قضت الطفلة أيام دراسة المدرسة (لأنها كانت من القسم الداخلي) طوال ثلاثة أشهر ورجعت إلى البيت استقبلها الأقرباء بالأفراح واجتمعوا حولها وسألتها أحداهن عن ربها سؤالاً عفوياً فقالت البنت : سيدنا المسيح «عليه السّلام» ورسمت على صدرها وجبهتها علامة الصليب بعد تقبيل يدها قبل الرسم وبعد الرسم .

الثالث : نشر كمية كبيرة من الكتب المسيحية ، وكتب التحلل والكتب المشيدة بالغرب والمهينة للإسلام والمسلمين تحت مختلف الشعارات والأسماء ، أمثال كتاب : (الخوارق اللاشعورية) و (وعاظ السلاطين) وما أشبه ، وذات مرة قبل خمس وثلاثين سنة كنت في سيارة أريد عبور الجسر في بغداد ووقفت السيارة للاشارة وإذا بشخص أمامه عربة مليئة بالكتب ، يأخذ حفنات منها ويقذفها في السيارات الواقفة في الصف ، وقد صار نصيبي منها ما يقارب سبعة كتب .

الرابع : التكثير من فتح المخامر والمقامر والمباغي والملاهي والمراقص والسينمات الداعرة ، والأفلام المنحرفة وما أشبه ، كما قرأنا مثله في قصص استلابهم للأندلس في العهد السابق .

الخامس : ما كانت تنشره إذاعاتهم ، من الشرق والغرب حول إيجابيات وسلبيات الإسلام بصورة صريحة أو ملتوية ، ومن قرأ كتاب(التبشير والإستعمار) . وكتاب (عبد الجبار أيوب) الذي أعدمه عبد الكريم قاسم وكتاب (السيف) الذي هرب كاتبه إلى إيران خوفاً من عقاب الحكومة العراقية ، ومدح الشاه في كتابه ، بل وعشرات الكتب وغيرها يرى شيئاً من الأسس التي يجعلها الغرب والشرق في بلادنا أولاً ثم يبني عليها .

السادس : سن كثير من القوانين التي شلت فاعلية الإسلام والمسلمين ، وأحيت قوانين مضادة لقوانين الإسلام في كافة مرافق الحياة ، وأقل نظرة إلى كتاب : (قوانين العقوبات البغدادي) والقوانين الأُخرىٰ تعطي صورة إجمالية لهذه الحقيقة ، وحيث اكتمل بناء الغرب في العراق بنوا عليه الفوضىٰ منذ أكثر من ثلاثين سنة ، أبان مجيء الجمهوريين ، وقتل ما لا يقل عن ثلاثة ملايين مسلم بمختلف الأسماء ، بما في ذلك حرب الشمال ، والحرب العراقية الإيرانية وسجن ما لا يقل عن مليون إنسان ، في ظرف هذه الثلاثين سنة ، وتسفير ما لا يقل عن ثلاثة ملايين ، وحرق ما لا يقل عن أُلوف القرىٰ ، وتحطيم الإقتصاد تحطيماً كاملاً ، وإبادة ما لا يقل عن مئات المليارات من المال إلى غيرها وغيرها ، هذا كان شيء من الجزء الإيجابي الغربي في بلاد العراق .

أما الجزء السلبي ، فقد كان غفلة المسلمين غفلة تامة عن كل المجريات ، نعم كانت هناك بعض الجماعات اليقظة والواعية ، إلَّا أن السيل الجارف لا تقف أمامه سدود قليلة ، والتفصيل في هذه الأُمور يحتاج إلى مجلد ضخم مما لم نقصد منه هنا إلَّا الإلماع .

ولعل الروايات الواردة في عدم مضاهاة أعداء الله بالملابس والمطاعم ونحوها تشير إلى امور منه ما ذكرناه .

فقد روى السكوني عن جعفر عن أبيه عن آبائه «عليهم السَّلام» قال : (أوحى الله إلى نبي من الأنبياء : أن قل لقومك : لا تلبسوا لباس أعدائي ، ولا تطعموا مطاعم أعدائي ، ولا تشاكلوا مشاكل أعدائي ، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي)[١] .

وعن إسماعيل بن مسلم عن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (انه أوحى الله إلى نبي من أنبيائه قل للمؤمنين : لا تلبسوا لباس أعدائي ، ولا تطعموا مطاعم أعدائي ، ولا تسلكوا مسالك أعدائي ، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي)[٢] .

---

(١) نحوه الوسائل ج ٣ ص ٢٧٩ ح ٨ .
(٢) الوسائل ج ٣ ص ٢٧٩ ح ١ ، الفقيه ج ١ ص ٨١ ، العلل ص ١٢٣ .

وعن الهروي عن الرضا عن آبائه «عليهم السَّلام» قال : قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (لا تلبسوا لباس أعدائي ، ولا تطعموا مطاعم أعدائي ، ولا تسلكوا مسالك أعدائي ، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي)[1].

علىٰ طريق الإكتفاء الذاتي :

ومن الإكتفاء الذاتي الذي يتبناه الناهضون لأجل إعادة حكم الإسلام الإقتناع بأقل قدر ممكن من المنتوجات الغربية والشرقية وحذفها تدريجياً في جدول زمني حسب الألزم فالألزم ، والأهم فالأهم .

إن منتوجات الغرب والشرق قد تغلغلت في حياة المسلمين بشكل عميق مما يحتاج للتخلص منها إلى أكبر قدر من اللباقة والصبر والتعقل والتخطيط والقناعة بما عند المسلمين أنفسهم .

واللازم أن يلاحظ في هذا الأمر وحدة بلاد الإسلام ، فالمنتوجات المصرية في إيران والعراقية في الخليج ، والباكستانية في بنغلادش واحدة وهكذا يكون من الإكتفاء الذاتي ، لأن بلاد الإسلام واحده والأمة واحدة والمسلمون إخوة .

ثم لدى الإضطرار إلى السلع الأجنبية صنعاً أو مصنعاً يقتنع بالأقل ضرراً فالأقل ، مثلاً لو اضطررنا إلى استعمال المروحة الكهربائية فيجب أن نستعمل المروحة الكهربائية التي صنعت في بلاد الإسلام ، وإن كان معملها جاء من الغرب ، لا المروحة الكهربائية التي جاءت من الغرب مباشرة ، فإن الأول أقل ضرراً من الثاني ، والضرورات تقدر بقدرها ، واللازم أن يكون هناك مكتب مقاطعة البضائع الأجنبية كما هو الحال بالنسبة إلى بعض البلاد ، حيث جعلت مكتب مقاطعة البضائع الإسرائيلية .

خطة الباقر «عليه السَّلام» في العملة :

ولقد أرسىٰ الإسلام أساس هذا الأمر ، كما نجده في قصة الإمام

---

(١) الوسائل ج ٣ ص ٢٧٩ ح ٨ ، عيون الأخبار ص ١٩٣ .

الباقر «عليه الصَّلاة والسَّلام» وضرب السكة وإليك القصة :

فقد ذكر الدميري الشافعي في حياة الحيوان[1] في ترجمة عبد الملك بن مروان قصة جرت بينه وبين ملك الروم ، وفيه أن الملك هدده في كتابه إليه ، ولآمرن بنقش الدنانير والدراهم ، فإنك تعلم أنه لا ينقش شيء منها إلا ما ينقش في بلادي (ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت في بلاد الإسلام) فينقش عليها شتم نبيك إلى أن قال : فلما قرأ عبد الملك الكتاب صعب عليه الأمر وغلظ وضاقت به الأرض ، وقال أحسبني أشأم مولود ولد في الإسلام لأني جنيت على رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» من شتم هذا الكافر ما يبقى غابر الدهر ، ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب إذ كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم ، فجمع أهل الإسلام واستشارهم فلم يجد عند أحد منهم رأياً يعمل به ، فقال له روح بن زنباع : إنك لتعلم المخرج من هذه الأمر ، ولكنك تتعمد تركه ، فقال : ويحك من ؟ فقال : عليك بالباقر من أهل بيت النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» وقال : صدقت ، ولكن أرتج على الرأي فيه فكتب إلى عامله بالمدينة أن اشخص إلى محمد بن علي بن الحسين «عليهم السَّلام» مكرماً ، ومتعه بمائة ألف درهم لجهازه ، وثلاثمائة ألف درهم لنفقته ، وأرح عليه في جهازه وجهاز من يخرج معه من أصحابه ، وحبس الرسول قبله إلى موافاة محمد بن علي «عليهم السَّلام» فلما وافاه أخبر الخبر ، فقال له محمد «عليه السَّلام» : لا يعظم هذا عليك ، فإنه ليس بشيء من جهتين إحداهما : أن الله عزّ وجلّ لم يكن ليطلق ما يهدد به صاحب الروم في رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» والأخرىٰ وجود الحيلة ! فقال : وما هي ؟ قال «عليه السَّلام» : تدعو هذه الساعة بصناع فيضربون بين يديك سككاً بالدراهم والدنانير ، وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أحدهما في وجه الدرهم والدينار والأُخرىٰ في الوجه الثاني ، وتجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه ، والسنة التي تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير ، وتعمد إلى وزن ثلاثين درهماً عدداً من الأصناف الثلاثة التي عشرة منها

(١) حياة الحيوان ج ١ ص ٦٣ .

وزن عشرة مثاقيل ، وعشرة منها وزن ستة مثاقيل ، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل ، فتكون أوزانها جميعاً أحداً وعشرين مثقالاً ، فتجزئها من الثلاثين ، فتصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل ، وكانت الدراهم في ذلك الوقت إنما هي الكسروية التي يُقال لها اليوم بغلية ، لأن رأس البغل ضربها لعمر بسكة كسروية في الإسلام مكتوب عليها صورة الملك وتحت الكرسي مكتوب بالفارسية (نوش خور) أي (كل هنيئاً) وكان وزن الدرهم منها قبل الإسلام مثقال من الدراهم التي كان وزن العشرة منها ستة مثاقيل ، هي السمرية الخفاف ، ونقشها نقش فارس ، وأمر محمد بن علي بن الحسين «عليهم السَّلام» : أن يكتب السكك في جميع بلدان الإسلام ، ويتقدم إلى الناس في التعامل بها ، وأن يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير وأن تبطل غيرها وترد إلى مواضع العمل حتىٰ تعاد إلى السكة الإسلامية ففعل عبد الملك ذلك ، إلى آخر ما قال .

أقول : لا يخفى أن أول من ضرب السكة في الإسلام حسب بعض الكتب هو علي بن أبي طالب «عليه الصَّلاة والسَّلام» فضرب السكك الإسلامية ، وقبل ذلك كانت السكك الرائجة كسروية ، أو قيصرية ، والمطلب في ذلك طويل .

خطوات مهمة :

مسألة: يجب أن يكون الذين يديرون المكتب من أفضل العلماء بالدين والدنيا مجتمعين بالتعاون بعضهم مع البعض حتى لا يوجب الأمر خبالاً أو هزة إقتصادية أو إجتماعية ضرها أقرب من نفعها ، مثلاً المكتب يعمم في الناس حفر آبار المياه في البيوت ، ويعمم اقتناء الدواجن ، واستعمال الخشب والعود المصنوع في البلاد بدل الحديد ، وزراعة مساحات واسعة للإكتفاء بالحبوب ،واستعمال الأقلام القصبية ، والغزل والنسج بالمغازل اليدوية والمعامل القديمة للنسيج ، واستعمال العقاقير الطبية الوطنية بدلاً من العقاقير المستوردة ، وهكذا تدريجاً وبكل تعقل .

القناعة أساس الإكتفاء :

مسألة: ولكي يتم الإكتفاء الذاتي يجب أن يعمم أُسلوب القناعة ، وقد ورد في الروايات تأكيد شديد على القناعة ، حيث ان القناعة تجعل من الضعيف قوياً ، ومن الفقير غنياً ، وإليك جملة من تلك الروايات :

فعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (من رضي من الله باليسير من المعاش رضي الله منه باليسير من العمل)[١] .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (إياك أن يطمح بصرك إلى من هو فوقك ، فكفى بما قال الله عزّ وجلّ : ﴿**فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم**﴾[٢] وقال : ﴿**لا تمدنّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا**﴾[٣] فإن داخلك شيء فاذكر عيش رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلّم» فإنما كان قوته الشعير ، وحلواه التمر ، ووقوده السعف إذا وجده)[٤] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» عن رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلّم» قال : (من سألنا أعطيناه ، ومن استغنى أغناه الله)[٥] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : كان أمير المؤمنين «عليه السَّلام» يقول : (ابن آدم ، إن كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فإن أيسر ما فيها يكفيك ، وإن كنت تريد ما لا يكفيك فإن كل ما فيها لا يكفيك)[٦] .

وعن الرضا «عليه السَّلام» قال : (من لم يقنعه من الرزق إلاّ الكثير لم يكفيه من العمل إلاّ الكثير ، ومن كفاه من الرزق القليل فإنه يكفيه من العمل القليل)[٧] .

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١١١ ح ٣ .
(٢) سورة التوبة : الآية / ٥٥ .
(٣) سورة الحجر : الآية / ٨٨ .
(٤) الكافي ج ٢ ص ١١١ ح ١ .
(٥) الكافي ج ٢ ص ١١١ ح ٢ .
(٦) الكافي ج ٢ ص ١١٢ ح ٦ .
(٧) الكافي ج ٢ ص ١١٢ ح ٥ .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (مكتوب في التوراة : ابن آدم كن كيف شئت ، كما تدين تدان ، من رضي من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه القليل من العمل ، ومن رضي باليسير من الحلال خفت مؤونته ، وذلَّ مكسبه ، وخرج من حد الفجور)[١] .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلَّى الله عليه وآله وسلّم» (من أراد أن يكون أغنىٰ الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يد غيره)[٢] .

وعن أبي حمزة عن الباقر والصّادق «عليهما السَّلام» قال : (من قنع بما رزقه الله فهو من أغنىٰ الناس)[٣] .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (من رضي من الدنيا بما يجزيه كان أيسر ما فيها يكفيه ، ومن لم يرض من الدنيا بما يجزيه لم يكن فيها شيء يكفيه)[٤] .

وعن علي بن الحسين «عليهما السَّلام» قال : (من قنع بما قسم الله له فهو من أغنىٰ الناس)[٥] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» أنه قال : (اغنى الغنى القناعة)[٦] .

وقال «عليه السَّلام» أيضاً لرجل يعظه : (أقنع بما قسم الله لك ، ولا تنظر إلى ما عند غيرك ، ولا تتمن ما لست ناقله ، فإنه من قنع شبع ، ومن لم يقنع لم يشبع ، وخذ حظك من آخرتك)[٧] .

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١١١ ح ٤ .
(٢) الكافي ج ٢ ص ١١٢ ح ٨ .
(٣) الكافي ج ٢ ص ١١٢ ح ٩ .
(٤) الكافي ج ٢ ص ١١٣ ح ١١ .
(٥) تحف العقول ص ٣١٨ .
(٦) مثله في البحار ج ٦٩ ص ٣٩٩ ، ونهج البلاغة حكم ٣٧١ .
(٧) الكافي ج ٨ ص ٢٤٣ ح ٣٣٧ .

وفي رواية : انه شكى رجل إلى أبي عبد الله «عليه السَّلام» آنه يطلب فيصيب ولا يقنع وتنازعه نفسه إلى ما هو أكبر منه ، وقال : علمني شيئاً أنتفع به . فقال له أبو عبد الله «عليه السَّلام» : (إن كان ما يكفيك يغنيك فأدنىٰ ما فيها يغنيك ، وإن كان ما يكفيك لا يغنيك فكل ما فيها لا يغنيك)(١) .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (الدنيا دول ، فما كان منها لك أتاك على ضعفك ، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك ، ومن انقطع رجاه مما فات استراحت نفسه، ومن قنع بما رزقه الله قرت عيناه)(٢) .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (ما هلك من عرف قدره ، وما يبكي الناس على القوت إنما يكون على الفضول ، ثم قال : فكم عسىٰ أن يكفي الإنسان) (٣) .

وعن موسى بن جعفر «عليهما السَّلام» أنه قال في حديث : (يا هشام من أراد الغنىٰ بلا مال ، وراحة القلب من الحسد ، والسلامة في الدين ، فليتضرع إلى الله عزّ وجلّ في مسألته ، بأن يكمل عقله ، فمن كمل عقل قنع ما يكفيه ، ومن قنع بما يكفيه استغنىٰ ، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى)(٤) .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» : (ومن قنع بالمقسوم استراح من الهم والكرب والتعب ، وكل ما أنقص من القناعة زاد في الرغبة ، والطمع في الدنيا أصل كل شر وصاحبها لا ينجو من النار إلَّا أن يتوب ، ولذا قال النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : ملك القناعة لا يزول ، وهي مركب رضا الله تعالىٰ تحمل صاحبها إلى داره ، فأحسن التوكل في ما لم تعطه ، والرضا بما أعطيت ، واصبر على ما أصابك ، فإن ذلك من عزم الامور)(٥) .

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١١٣ ح ١٠

(٢) تحف العقول ص ٤٢ ح ٣٣ .

(٣) فقه الرضا «عليه السَّلام» ص ٣٦٤ باب القناعة .

(٤) تحف العقول ص ٤٥٢ .

(٥) مصباح الشريعة ص ٢٠٢ و ٢٠٣ .

وعن الرضوي «عليه السَّلام» قال : (أروي عن العالم «عليه السَّلام» قال : انه قال : من أراد أن يكون أغنى الناس فليكن واثقاً بما عند الله جلّ وعزّ [١] .

(وروي فليكن بما عند الله أوثق منه مما في يديك ، وأروي عن العالم «عليه السَّلام» انه قال : قال الله سبحانه «أرض بما آتيتك تكن من أغنىٰ الناس» ، واروي من قنع شبع ومن لم يقنع لم يشبع ، واروي أن جبرائيل «عليه السَّلام» هبط إلى رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : إن الله عزّ وجلّ يقرأ عليك السَّلام ويقول لك : إقرأ ﴿**بسم الله الرّحمٰن الرّحيم**﴾ ﴿**لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم**﴾[٢] فأمر النبيّ « صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم » منادياً من لم يتأدب بأدب الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات.ونروي من لم يرض من الدنيا بما يجزيه لم يكن شيء منها يكفيه ، ونروي ما هلك من عرف قدره وما ينفر الناس عن القوت إنما يتكبر عن العقول ، ثم قال : وكم عسىٰ يكفي الإنسان ؟ ونروي من رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل ، ونروي أن دخل نفسك شيء من القناعة فاذكر عيش رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم»)[٣] وجاء رجلٌ إلىٰ رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» ليسأله فسمعه يقول : من سألنا أعطيناه ، ومن استغنىٰ أغناه الله فانصرف ولم يسأله ، ثم عاد إليه فسمع مثل مقالته ، فلم يسأله حتى فعل ذلك ثلاثاً ، فلما كان في اليوم الثالث مضى واستعار فأساً وصعد الجبل فأحتطب وحمله إلى السوق فباعه بنصف صاع من شعير ، فأكله هو وعياله ، ثم دام على ذلك حتى جمع ما اشترى به فأساً ، ثم اشترى بكرين وغلاماً ، فأيسر ، فصار إلى النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» فأخبره فقال «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (أليس قد قلنا من سألنا

---

(١) فقه الرضا «عليه السَّلام» ص ٣٦٤ باب ٩٨ باب القناعة ، نحوه الكافي ج ٢ ص ١١٢ ح ٨ ، مشكاة الأنوار ص ١٣٠ و ١٣١ .

(٢) سورة الحجر : الآية / ٨٨ .

(٣) فقه الرضا (ع) ص ٣٦٤ باب القناعة ، الفقيه ج٤ ص ٢٨٥ ح ٣٤ ، الكافي ج٢ ص ١١٣ ح ١١ .

أعطيناه ومن استغنى أغناه الله)[١] .

وعن رسـول الله «صلىٰ الله عليـه وآله وسلّم» أنـه قال : (القناعة مـال لا ينفذ)، وقال : (القناعة كنز لا يفنىٰ)[٢] .

وعن أبي حمزة قال سمعته «عليه السَّلام» يقول : (قـال الربّ تعـالىٰ : إذا صلّيت ما افترضت عليك فأنت أعبـد الناس عنـدي وإن قنعت بما رزقتـك فأنت أغنى الناس عندي)[٣] .

وعن أبي ذر قال : قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (يـا أبا ذر استغن بغنى الله يغنـك الله ، فقلت : ما هـو يا رسـول الله ؟ قـال : غـداء يـوم وعشاء ليلة ، فمن قنع بما رزقه الله يا أبا ذر فهو أغنىٰ الناس)[٤] .

وعن الصَّـادق «عليه الصَّـلاة والسَّـلام» أنـه قـال لعبـد الله بن جنـدب في وصيته إليه : (واقنع بما قسمه الله لك ، ولا تنظر إلاَّ إلى ما عندك ، ولا تتمن ما لست تناله ، فإن من قنع شبع ومن لم يقنع لم يشبع)[٥] .

وعن الـرضـا «عليـه السَّـلام» أنـه قـال : (لا يسلك طـريق القنـاعـة إلاَّ رجلان : اما متعبد يريد أجر الآخرة أو كريم يتنزه عن لئام الناس)[٦] .

وعن علي بن الحسين «عليهما السَّلام» قال : (كنا عنده فرفع رأسه فقـال : خذوه مني ـ إلى أن قال ـ فمن قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس)[٧] .

وفي روايـة الأئمَّـة إلى عـلي «عليـه الصَّـلاة والسَّـلام» قـال : قـال رسـول

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١١١ ح ١ و ٢ و ٣ وص ١١٢ ح ٧ .
(٢) نهج البلاغة ص ٤٧٨ .
(٣) انظر البحار ج ٧٣ ص ١٦٨ باب ١٢٩ فضل القناعة .
(٤) مكارم الأخلاق ص ٤٦٩ وصية النبي لأبي ذر .
(٥) تحف العقول ص ٣٥١ س ٨ .
(٦) البحار ج ٧٨ ص ٣٤٩ .
(٧) تحف العقول ص ٣١٨ ح ٥ .

الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من توكل وقنع ورضي كفي الطلب)[١] .

وعن علي «عليه السَّلام» في (الغرر) قال : (القانع غني ، وإن جاع وعرى[٢] ، وقال : كل قانع غني[٣] ، وقال : كل قانع عفيف[٤] ، وقال : كيف يستطيع صلاح نفسه من لا يقنع بالقليل)[٥] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (إذا كان غروب الشمس وكّل الله تعالىٰ ملكاً للشمس يقول أو ينادي : أيها الناس اقبلوا علىٰ ربكم ، فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهىٰ ، وملك موكّل بالشمس عند طلوعها يقول : يابن آدم لد للموت وابن للخراب واجمع للفناء)[٦] .

أقول لعل المراد طلوعها وغروبها على المعمورة أو ما أشبه.

وعن عدي بن حاتم أنه رأىٰ أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» وبين يديه ستة فيها قراح ماء وكسرات من خبز الشعير وملح ، فقال : إني لا أرىٰ لك يا أمير المؤمنين لتظل نهارك طاوياً مجاهداً وبالليل ساهراً مكابداً ثم يكون هذا فطورك ، فقال «عليه السَّلام» :

علل النفس بالقنوع وإلّا طلبت منك فوق ما يكفيها

وعن علي بن الحسين «عليهما السَّلام» سئل عن أفضل الأعمال ؟ فقال : (هو أن يقنع بالقوت ، ويلزم طول السكوت ، ويصبر علىٰ الأذية ، ويندم على الخطيئة)[٧] .

وفي الغرر عن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (إذا طلبت

---

(١) انظر البحار ج ٧٣ ص ١٦٨ باب ١٢٩ فضل القناعة .
(٢) غرر الحكم ج ١ ص ٥٢ ح ١٤٤٦ .
(٣) غرر الحكم ج ٢ ص ٥٤٤ ح ٥ .
(٤) غرر الحكم ج ٢ ص ٥٤٦ ح ٥٧ .
(٥) غرر الحكم ج ٢ ص ٥٥٣ ح ٦ .
(٦) انظر البحار ج ٧٣ ص ١ باب ١٢٢ حب الدنيا .
(٧) انظر البحار ج ٧٣ ص ١٦٨ باب ١٢٩ فضل القناعة .

الغنى فاطلبه بالقناعة)[١] ، وقال «عليه السَّلام» : (إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه القناعة فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف) [٢] ، وقال «عليه السَّلام» : (من قنع شبع ومن عقل قنع) [٣] ، وقال «عليه السَّلام» : (من قنع بقسمه استراح) [٤] ، وقال «عليه السَّلام» : (من قنع لم يغتم ، ومن توكل لم يهتم) [٥] ، وقال «عليه السَّلام» : (من قنع حسنت عبادته) [٦] ، وقال «عليه السَّلام» : (من قنع قل طمعه) ، وقال «عليه السَّلام» : (من قنع بقسم الله استغنى ، ومن لم يقنع بما قدر له تعنّى) [٧] ، وقال «عليه السَّلام» : (من رضي بالمقدور اكفى بالميسور) [٨] ، وقال «عليه السَّلام» : (من عدم القناعة لم يغنه المال) [٩] ، وقال «عليه السَّلام» : (من رضي بقسمه لم يسخطه أحد)[١٠] ، وقال «عليه السَّلام» : (من قنع برزق الله استغنى عن الخلق[١١] ، وقال «عليه السَّلام» : (من قنع كفي مذلة الطلب)[١٢] ، وقال «عليه السَّلام» : (من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا بالكفاف)[١٣] ، ومن قنعت نفسه أعانته على النزاهة والعفاف)[١٤]، وقال «عليه السَّلام» : (الرضا بالكفاف يؤدي إلى العفاف)[١٥]

---

(١) غرر الحكم ج ١ ص ٣١٤ ح ٨٣ .
(٢) غرر الحكم ج ١ ص ٣٢٢ ح ١٦٣ .
(٣) غرر الحكم ج ٢ ص ٦١٣ ح ٦٦ .
(٤) غرر الحكم ج ٢ ص ٦١٤ ح ٩٥ .
(٥) غرر الحكم ج ٢ ص ٦١٦ ح ١٣٠ .
(٦) غرر الحكم ج ٢ ص ٦١٧ ح ١٥٣ .
(٧) غرر الحكم ج ٢ ص ٦٣٢ ح ٤٠٩ و ٤١٠ .
(٨) غرر الحكم ج ٢ ص ٦٣٤ ح ٤٣٦ .
(٩) غرر الحكم ج ٢ ص ٦٣٥ ح ٤٥٥ .
(١٠) غرر الحكم ج ٢ ص ٦٣٩ ح ٥٢٦ .
(١١) غرر الحكم ج ٢ ص ٦٥٥ ح ٧٧٥ .
(١٢) غرر الحكم ج ٢ ص ٦٥٦ ح ٧٩٢ .
(١٣) غرر الحكم ج ٢ ص ٦٧٢ ح ٩٩٩ .
(١٤) غرر الحكم ج ٢ ص ٦٧٢ ح ١٠٠٠ .
(١٥) غرر الحكم ج ٢ ص ٦٧٨ ح ١٠٧٣ ، وغرر الحكم ج ١ ص ٥٧ ح ١٥٤٩ .

الإقتصار على الوسائل البدائية في سبيل الإستغناء : اذا توقف الامر في نجاة

المسلمين يمكن حصر وسائل الطعام والشراب واللباس والمسكن ونحوها بالأمور البدائية التي استفاد منها البشر من ألوف السنوات ، مثل حصر وسائل الطعام والشراب بالأواني الفخارية ، فإنها بالإضافة إلى نظافتها وصحتها توجب العمل اليدوي والإكتفاء الذاتي وما لا يمكن إنجازه بالفخار كالطبخ أكثر من سائر الأواني يصنع من الحجر ، ولدى الإضطرار من النحاس ونحوه ، كما أن الحبل وأغطية الأواني والسابل والخوان والحصران وعشرات الأشياء الأخرى يمكن صنعها من خوص النخل .

أما الفرش ، ففي الصيف من النخيل وفي الشتاء من الجلد المغطى بالصوف كجلود الأغنام ونحوها ، أما البيوت فتبنى بالطين والتبن والآجر والجص والفخار والأخشاب التي تصنع في نفس البلاد بلا حاجة إلى الوسائل الحديثة إطلاقاً ، وكذلك تبنى المساجد والمدارس والحسينيات والمستوصفات والمستشفيات والحمامات والدكاكين وسائر الأبنية بهذه الوسائل التي لا تحتاج لا إلى المعامل ولا إلى الطلب من الخارج والإستيراد من البلاد الأجنبية .

والشوارع ترصف بالبلاط المصنوع من المرمر والآجر ونحوهما ، كما كان في الزمن السابق وقد تقدمت مسألة الألواح ، الخشبية ، والحبر الدخاني ، والقلم القصبي لأجل الكتابة ، وهكذا يصنع الصابون من الزيت والزيتون المحلي وفرشاة الأسنان من شجر الأراك كما تقدم اقتناء الدواجن لأجل الطعام والبيض ومشتقاتها ، وجعل الحدائق في البيوت لأجل الحبوب والخضر والفواكه ، كما يمكن حفر الآبار للماء غير المشروب ويمكن تحصيل مياه الشرب بواسطة القرب والسقائين والدواب ، ثم يصب في الحباب الفخارية إلى غير ذلك من سائر وسائل الإكتفاء الذاتي . هذا كله فيما لو اقتضى الامر ذلك و لم يمكن صنع الوسائل الحديثة في البلاد الإسلامية.

الإسـراف :

مسألة: ثم اللازم الوقوف بشدة أمام الإسراف ، حيث أنه محرم شرعاً ، قبيح عقلاً ، مذموم عرفاً ، وعدم الإسراف من بنود الاكتفاء الذاتي ، والاقتصاد

الوطني ، وقد ورد في ذلك سلباً وإيجاباً روايات كثيرة .

فمن الروايات الإيجابية : ما جاء عن محمد بن مروان عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (إن في حكمة آل داود : ينبغي للمسلم العاقل أن لا يرىٰ ضاعناً إلَّا في ثلاث : مرمة لمعاش ، أو تزود لمعاد ، أو لـذة في غير ذات محـرم ، وينبغي للمسلم العاقل أن يكـون له سـاعة يسـتريح بهـا إلى عمله فيمـا بينه وبـين الله عزّ وجلّ ، وساعة يلاقي أخوانه الذين يفاوضهم ويفاوضونه في أمر آخرته ، وسـاعة يخلي نفسه ولذتها في غير محرم ، فانّها عون على تلك الساعتين)[١] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال :(إصلاح المال من الإيمان)، وفي رواية أُخرىٰ عنه «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (عليك بإصلاح المـال ، فإن فيـه منبهة للكريم ، واستغناء عن اللئيم)[٢] .

وعن أبي جعفـر قال : قـال رسول الله «صلىٰ الله عليـه وآلـه وسلّم» (من المروءة استصلاح المال)[٣] .

وعن أبي عبـد الله «عليه الصَّـلاة والسَّلام» أنـه قال لعبيـد : (يـا عبيـد إن السرف يورث الفقر ، وان القصد يورث الغنىٰ)[٤] .

وقـال : الإمام «عليـه الصَّـلاة والسَّـلام» في روايـة أُخـرىٰ : (ضمنت لمن اقتصد أن لا يفتقر)[٥] .

وعن ذريـح المحاربي عن أبي عبـد الله «عليه السَّـلام» قـال : (إذا أراد الله بأهل بيت خيراً رزقهم الرفق في المعيشة)[٦] .

---

(١) الوسائل ج ١٢ ص ٤٠ ح ١ ب ٢١ ، الكافي ج ٥ ص ٨٧ ح ١ .
(٢) الـوسائـل ج ١٢ ص ٤٠ ح ٢١٢ ، الفقيـه ج ٣ ص ١٠٢ ح ٥٢ ، الكـافي ج ٥ ص ٨٧ ح ٣ .
(٣) الوسائل ج ١٢ ص ٤٠ ب ٢١ ، الفقيه ج ٣ ص ١٠٢ ح ٥١ .
(٤) الوسائل ج ١٢ ص ٤١ ح ١ ب٢٢ ، الفقيه ج ٣ ص ١٠٧ ح ٩٤ .
(٥) الوسائل ج ١٢ ص ٤١ ح ٢ ب ٢٢ ، الفقيه ج ٣ ص ١٠٢ ح ٥٧ .
(٦) الوسائل ج ١٢ ص ٤٢ ح ٧ ب ٢٢ ، الكافي ج ٥ ص ٨٨ ح ٥ .

وعن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (من علامات المؤمن ثلاث : حُسن التقدير في المعيشة ، الصبر على النائبة ، والتفقه في الدين) ، وقال : (ما خير في رجل لا يقتصد في معيشته ما يصلح لا لدنياه ولا لآخرته)(١)

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله «عليه الصَّلاة والسَّلام» في قول الله عزّ وجلّ : ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك**﴾(٢) قال : (فضم يده وقال : هكذا : ﴿**ولا تبسطها كل البسط**﴾ قال : فبسط راحته وقال : هكذا) (٣) .

وعن الحرث الأعور قال : قال أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» للحسن ابنه : (يا بني ما المروءه ؟ فقال : العفاف واستصلاح المال)(٤) .

وفي نهج البلاغة في وصيته للحسن «عليهما السَّلام» : (وحفظ ما في يدك أحب إليَّ من طلب ما في يد غيرك) (٥) .

وفي رواية الجعفريات بسند الأئمّة إلى رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (وما عال آمرؤ في اقتصاد) . وفي رواية أُخرىٰ قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إذا أراد الله بأهل بيت خيراً فقّههم في الدين ، ورزقهم الرفق في معايشهم ، والقصد في شأنهم) (٦) .

وفي رواية عن عيسى بن موسى قال : (قال الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» : يا عيسى المال مال الله جعله الله ودائع عند خلقه وأمرهم أن يأكلوا منه قصداً ويشربوا منه قصداً ، ويلبسوا منه قصدا ، وينفقوا منه قصداً ويركبوا منه قصداً ، ويعودوا بما سوىٰ ذلك على فقراء المؤمنين ، فمن تعدىٰ ذلك كان

---

(١) الوسائل ج ١٢ ص ٤٢ ح ٨ ب ٢٢ .
(٢) سورة الإسراء : الآية / ٢٩ .
(٣) الوسائل ج ١٢ ص ٤٢ ح ٩ ب ٢٢ .
(٤) نحوه الوسائل ج ١٢ ص ٤٠ ب ٢١ ، الكافي ج ٥ ص ٨٧ ، باب إصلاح المال .
(٥) نهج البلاغة ص ٤٠٢ .
(٦) نحوه الوسائل ج ١٢ ص ٤٢ ح ٧ ، الكافي ج ٥ ص ٨٨ ح ٥ .

ما أكله حراماً، وما شرب منه حراماً ، وما لبسه منه حراماً ، وما انكحه منه حراماً ، وما ركبوا منه حراماً)[١] .

وعن حماد بن عيسى عن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : قال لقمان لابنه في حديث : (وكن مقتصداً ، ولا تمسكه تقتيراً ، ولا تعطه تبذيراً)[٢] .

وفي كلمات قصار عن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» نقلها الأمدي في الغرر قال : (الإقتصاد ينمي القليل ، الاقتصاد ينمي اليسير ، الإقتصاد نصف المؤنة، لم يهلك من اقتصد ، ليس في الإقتصاد تلف ، ومن لم يحسن الإقتصاد أهلكه الإسراف ، من اقتصد خففت عليه المؤنة، من اقتصد في الغنىٰ والفقر فقد استعد لنوائب الدهر ، من صحب الاقتصاد دامت صحبة الغنى له ، من المروءة أن تقتصد فلا تسرف وتعد فلا تخلف)[٣] .

ومن الروايات الناهية عن الإسراف والتي عبرنا عنها بالسلبية : (ما رواه عامر بن جذاعة ، قال : دخل على أبي عبد الله «عليه السَّلام» رجل فقال : ياأبا عبد الله قرضاً إلى ميسرة ، فقال أبو عبد الله «عليه السَّلام» : إلى غلة تدرك ، فقال : لا والله فقال : إلى تجارة تؤدي ؟ فقال : لا والله ، قال : فإلى عقدة تباع ؟ فقال : لا والله فقال : فأنت إذاً ممّن جعل الله له في أموالنا حقاً ، فدعا أبو عبد الله «عليه السَّلام» بكيس فيه دراهم فأدخل يده فناوله قبضة ، ثم قال : اتقِ الله ، ولا تسرف ، ولا تقتر ، وكن بين ذلك قواماً ، إن التبذير من الإسراف ، قال الله تعالىٰ : ﴿**ولا تبذر تبذيراً**﴾[٤] ان الله لا يعذب على القصد)[٥] .

وفي رواية علي بن حذعة قال : سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» يقول :

---

(١) البحار ج ١٠٣ ص ١٦ ، مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٤٢٣ ، البحار ج ٧٩ ص ٣٠٤ مثله .

(٢) إرشاد الديلمي ص ١١١ ، وصية لقمان لأبنه .

(٣) راجع غرر الحكم ص ٩٨ .

(٤) سورة الإسراء : الآية / ٢٦ .

(٥) انظر البحار ج ٧١ ص ٣٤٤ ، الاقتصاد وذم الإسراف .

(إتق الله ولا تسرف ، ولا تقتر ، وكن بين ذلك قواماً ، إن التبذير من الإسراف ، قال تعالىٰ : ﴿ولا تبذر تبذيراً﴾ إن الله لا يعذب على القصد ، إلى غيرها من روايات الإسراف)[١] .

بل ربما يعد من الإسراف أن يتفوق الإنسان على متعارف الناس ، ففي رواية عن حماد بن عثمان ، قال : أصاب أهل المدينة قحط حتى أقبل الرجل الموسر يخلط الحنطة بالشعير ، ويأكله ويشتري ببعض الطعام ، وكان عند أبي عبد الله «عليه السَّلام» طعام جيد قد اشتراه أول السنة ، فقال لبعض مواليه : (اشترِ لنا شعيراً فاخلطه بهذا الطعام أو بعه ، فإنا نكره أن نأكل جيداً ويأكل الناس رديئاً)[٢] .

وعن معتب قال : قال أبو عبد الله «عليه السَّلام» : (وقد زيد السعر بالمدينة ، كم عندنا من طعام ؟ قال : قلت : عندنا ما يكفينا أشهراً كثيرة ، قال أخرجه وبعه ، قال قلت له : وليس بالمدينة طعام قال : بعه ، فلما بعته قال : اشترِ مع الناس يوماً بيوم ، وقال : يا معتب اجعل قوت عيالي نصفاً شعيراً ونصفاً حنطة ، فإن الله يعلم أني واجد أن أطعمهم الحنطة على وجهها ، ولكني أحببت أن يراني الله قد أحسنت تقدير المعيشة)[٣] .

بل في الروايات أنه لا يستجاب دعاء من أسرف بصورة ما ولو بصورة اعطاء الدين بدون الكتابة مما سبب ذلك ماله وذلك لوضوح أنه نوع من السرف والتلف والتبذير .

فعن حماد الحارثي عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : خمسة لا يستجاب لهم : رجل جعل الله بيده طلاق امرأته فهي تؤذيه وعنده ما يعطيها ولم يخلِ سبيلها ، ورجل أبق مملوكه ثلاث مرّات ولم يبعه ، ورجل مر بحائط مائل وهو يقبل إليه ولم يسرع المشي حتى

---

(١) انظر البحار ج ٧١ ص ٣٤٤ ، الإقتصاد وذم الإسراف .
(٢) الكافي ج ٥ ص ١٦٦ ح ١ .
(٣) الكافي ج ٥ ص ١٦٦ ح ٢ .

سقط عليه ، ورجل اقرض رجلاً مالاً لم يشهد عليه ، ورجل جلس في بيته وقال : اللَّهُمَّ أرزقني ولم يطلب)(١) .

وفي رواية الإمام العسكري «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (قال أمير المؤمنين «عليه السَّلام» : سمعت رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» يقول : ثلاثة لا يستجيب الله لهم بل يعذبهم ويوبخهم : أما أحدهم فرجل ابتلىٰ بامرأة سوء فهي تؤذيه وتضاره وتعيب عليه دنياه ويبغضها ويكرهها وتفسد عليه آخرته فهو يقول : اللَّهُمَّ يا رب خلصني منها ، يقول الله : يا أيها الجاهل خلصتك منها وجعلت طلاقها بيدك والتخلص منها طلاقها وانبذها عنك نبذ الجورب ، الخلق المذق ، والثاني رجل مقيم في بلد واستوبله ولا يحضر له في كل ما يريده وكل ما ألتمسه حرمة يقول : اللَّهُمَّ يا رب خلصني من هذا البلد الذي استوبلته ـ أي وجدته وبيلاً ـ يقول الله عزّ وجلّ : يا عبدي قد خلصتك من هذا البلد فقد أوضحت لك طُرق الخروج منه ومكنتك من ذلك فاخرج منه إلى غيره فاجتلب عافيتي وآسترزقني ، والثالث رجل أوصاه الله تعالىٰ بأن يحتاط لدينه بشهود وكتاب فلم يفعل ودفع ماله إلى غيره ثقة بغير وثيقة فجحده أو بخسه فهو يقول : اللَّهُمَّ رد عليَّ ، قال الله عزّ وجلّ : قد علمتك كيف تستوثق لمالك ليكون محفوظاً لأن لا يتعرض للتلف فأبيت وأنت الآن تدعوني وقد ضيعت مالك وأتلفته وخالفت وصيتي فلا أستجيب لك)(٢) .

أقول: لعل الاختلاف في الروايات في العدد من باب المهم بالنسبة إلى الطرف . والمراد بعدم استجابة الدعاء الاقتضاء لا العلية التامة كما ذكرناه في كتبنا مكرراً .

وفي رواية عن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (أربعة لا يُستجاب لهم دعاء : رجل جالس في بيته يقول : يا رب ارزقني فيقول له : ألم آمرك بالطلب ، ورجل كانت له امرأة فدعا عليها ، فيقول له : ألم اجعل أمرها

---

(١) الخصال ج ١ ص ٢٩٩ ح ٧١ ، الوسائل ج ١٥ ص ٢٧٠ ح ٥ ب ٣ .

(٢) قطعة منه عن الصادق (ع) في الخصال ص ١٦٠ ح ٢٠٨ ، والوسائل ج ١٥ ص ٢٧٠ ح ٤ ب ٣ .

بيدك ، ورجل كان له مال فأفسده فيقول : يا رب ارزقني ، فيقول له : ألم آمرك بالإقتصاد . ألم آمرك بالإصلاح ثم قرأ : ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**﴾[١] ورجل كان له مال فأدانه بغير بينه ، فيقول : ألم آمرك بالشهادة)[٢] .

ولا يخفىٰ أن الأعداد من باب المثال ، وإلاّ فالإنسان المريض الذي لا يراجع الطبيب ويقول : اللّٰهُمَّ اشفني أيضاً داخل هذا الأمر وكذلك الذي يسير في الطريق على غير هدىً وفيها لص أو حيوان فيقول : اللّٰهُمَّ خلصني ، وكأن الروايات إشارة إلى أن الله سبحانه وتعالىٰ إذا جعل طريقاً إلى شيء فلم يسلك الإنسان ذلك الطريق وطلب من الله النتيجة بدون السلوك يُقال له : ذلك ، فإن ملاك هذه الروايات موجود في تلك الكلية التي ذكرناها .

وعلى أي حال يدل على لزوم الإكتفاء الذاتي ، والاقتصاد ، وإصلاح المال ، مرمة المعاش ، وعدم السرف ، والترف ، والتضييع جملة من الروايات الواردة حول اشتراء الحنطة أو الدقيق والخبز فإنها تدل على لزوم أن يكون للإنسان في داره تنور ورحى ، يشتري الحنطة فيطحنها بنفسه ، يخبزها ، ويعملها بنفسه وعائلته ، لا أن يشتري الدقيق أو الخبز ، وملاكه آت في سائر الأمور ، كطعام السوق وطعام الدار ، ولباس السوق ، ولباس الدار ، وفراش السوق وفراش الدار ، إلى غير ذلك ، فاللازم على الإنسان أن ينظم حياته على هذا المنوال ، وبعد ذلك ينظم حياته على ما يوجد في البلد وبعد ذلك ينظم حياته على ما يوجد في سائر البلدان الإسلامية ، حتى لا تصل النوبة إلى البلاد الأجنبية .

فعن عباد بن حبيب قال : (سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» يقول شراء الحنطة ينفي الفقر ، وشراء الدقيق ينشيء الفقر ، وشراء الخبز محق ، قال قلت له : أبقاك الله فمن لم يقدر على شراء الحنطة ؟ قال : ذلك لمن يقدر ولا يفعل)[٣] .

---

(١) سورة الفرقان : الآية / ٦٧ .

(٢) الوسائل ج ٤ ص ١١٥٩ ح ٢ ب ٥٠ ، الكافي ج ٢ ص ٣٧٠ ح ٢ .

(٣) الكافي ج ٥ ص ١٦٦ ح ١ ، الوسائل ج ١٢ ص ٣٢٢ ح ١ ب ٣٣ .

وعن أبي الصباح الكناني قال : قال لي أبو عبد الله «عليه السّلام» : (يا أبا الصباح شراء الدقيق ذل وشراء الخبز فقر ، فنعوذ بالله من الفقر) .

وعن بعضهم عن الصّادق «عليه الصّلاة والسّلام» قال : (من مر العيش النقلة من دار إلى دار وأكل خبز الشراء)[١] .

أقول : من الواضح أن المراد بالجملة الأولىٰ في الحديث أن يكون للإنسان دار لنفسه ، لا أن تكون داره دار إيجار ، وهذا أيضاً من الإكتفاء الذاتي .

وعن محمد بن الفضيل عن أبي عبد الله «عليه السّلام» قال : (إذا كان عندك درهم فاشتر به الحنطة فإن المحق في الدقيق)[٢] .

وعن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبي الحسن «عليه السّلام» قال : (من اشترىٰ الحنطة زاد ماله ، ومن اشترىٰ الدقيق ذهب نصف ماله ، ومن اشترىٰ الخبز ذهب ماله)[٣] .

ولا يخفىٰ أن من هذا الباب أيضاً ما ورد من استحباب المماكسة والتحفظ من الغبن ، فعن الحسين بن يزيد قال : (سمعت أبا عبد الله «عليه السّلام» وقد قال له أبو حنيفة ؛ عجب الناس منك أمس وأنت بعرفة تماكس ببدنك أشد مماكسة، قال فقال له أبو عبد الله «عليه الصّلاة والسّلام» : وما لله من الرضا أن أغبن في مالي)[٤] .

وعن الصدوق (رحمه الله) قال : (قال أبو جعفر «عليه الصّلاة والسّلام»ماكس المشتري فإنه أطيب للنفس وأن أعطى الجزيل ، فإن المغبون في بيعه وشرائه غير محمود ، ولا مأجور)[٥] .

---

(١) الكافي ج ٥ ص ١٦٧ ح ٣ ، والوسائل ج ١٢ ص ٣٢٢ ح ٢ ب ٣٣ ، الفقيه ج ٣ ص ١٧٠ ح ٨ .
(٢) الوسائل ج ٢ ص ٣٢٣ ح ٤ باب ٣٢ .
(٣) الكافي ج ٥ ص ١٦٧ ح ٢ .
(٤) الوسائل ج ١٢ ص ٣٣٥ ح ١ ب ٤٥ ، فروع الكافي ج ١ طبع قديم ص ٣١٤ .
(٥) الوسائل ج ١٢ ص ٣٣٥ ح ٢ ب ٤٥ ، الفقيه ج ٣ ص ١٢٢ ح ٢٦ .

وفي رواية عن الرضا عن آبائه «عليهم السَّلام» قال : (المغبون لا محمود ولا مأجور) [١] .

وفي صحيفة الرضا عن آبائه «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (المغبون لا محمود ولا مأجور) [٢] .

الإكتفاء الذاتي في وسائل النقل :

مسألة: اذا توقف الامر في نطاق النجاة، يمكن الاستفادة من الخيل والبغال والحمير ومن القوارب الشراعية ، ومن العربات التي تجرها الخيول في الأسفار وكذلك في حمل المتاع ونحوه ، وذلك ليس بمعنىٰ عدم تقدير الوسائل الحديثة حق قدرها ، فإنها من أحسن الآلات في الحمل والنقل والركوب ونحوها التي منحها الله سبحانه للإنسان ، قال تعالىٰ : ﴿**ويخلق ما لا تعلمون**﴾ [٣] وقد فسرها البعض بالوسائل الحديثه وليس ذلك بعيداً كل البعد ، حيث ان كلّ شيء في الحياة من خلق الله تعالىٰ إمّا بدون سبب إنسان ، أو بسبب إنسان ، قال سبحانه : ﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمىٰ**﴾ [٤] بل ما ذكرناه بمعنىٰ الرجوع إلى الإكتفاء الذاتي اذا توقف الامر عليه الى حين الاستقلال الكامل ثم نبدأ بالإستفادة من الوسائل الحديثة في نطاق الأمة الواحدة والدولة الواحدة ، والنظام الإسلامي المطبق ، والحريات المتوفرة التي منحها الله للإنسان ، مما ألمحنا إليها في الصياغة وغيرها ، إن كلّ خطوة من خطوات الإبتعاد عن الغرب والشرق معناها ، خطوة إلى الإستقلال والحرية والدولة الإسلامية ، وقد ورد في الأحاديث طائفة كبيرة في مدح هذه الحيوانات .

وهنا سؤال : وهو هل إنا نمنع الناس من الوسائل الحديثة ؟ .

---

(١) الوسائل ج ١٢ ص ٣٣٥ ح٣ ب ٤٥ ، عيون الأخبار طبعة قديمة ص ٢١١ .

(٢) صحيفة الرضا ص ١٠٢ ح ٤٧ ، عيون الأخبار ج ٢ ص ٤٧ ، ح ١٨٤ ، البحار ج ١٠٣ ص ٩٤ ح ١٢ .

(٣) سورة النحل : الآية / ٨ .

(٤) سورة الأنفال : الآية / ١٧ .

والجواب : لا ، فإنه خلاف ما ندعو إليه ، من الحريات الإسلامية أولاً ، وخلاف ما نريده من استقطاب الكل حول الحرية الإسلامية ثانياً ، بل إنا ندعو من يريد الإنخراط في سلك الإنقاذ إلى ذلك بمحض إرادته ، ومن الواضح أن التيار الإسلامي العام إذا تحرك لا يضرّهُ عدم استجابة كثير من الناس للتخطيط المذكور ، هذا بالإضافة إلى أن البلاد تختلف في الإستجابة،والمتبع ما قاله سبحانه وتعالىٰ لنبيه : ﴿**حسبك الله ومن إتبعك من المؤمنين**﴾[١] .

وإليك جملة من الروايات الواردة في باب الحيوانات مما نحن بصدده : فعن عبد الله بن سنان عن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (اتخذوا الدابة ، فإنها زين ، وتقضى عليها الحوائج ، ورزقها على الله)[٢] .

وعن علي بن رئاب قال : (قال ابو عبد الله «عليه السَّلام» إشتر دابة ، فإن منفعتها لك ورزقها على الله عزّ وجلّ)[٣] .

وعن محمد بن مروان عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (من سعادة المؤمن دابة يركبها في حوائجه ، ويقضي عليها حقوق إخوانه)[٤] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (تسعة أعشار الرزق مع صاحب الدابة)[٥] .

وعن داود الرقي عن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (من اشترىٰ دابة كان له ظهرها وعلى الله رزقها)[٦] .

---

(١) سورة الأنفال : الآية / ٦٤ .
(٢) الوسائل ج ٨ ص ٣٣٩ ح ١ ب ١ ، الفقيه ج ٢ ص ١٨٩ ح ٣ ب ٩١ ، المحاسن ص ٦٢٦ ح ٨٩ .
(٣) الكافي ج ٦ ص ٥٣٩ ح ٤ ، الوسائل ج ٨ ص ٣٣٩ ح ٢ ب ١ ، ثواب الأعمال ص ١٩١ س ١ ، المحاسن ص ٦٢٥ ح ٨٦ .
(٤) المحاسن ص ٦٢٦ ج ٨٨ ، الوسائل ج ٨ ص ٣٣٩ ح ٣ ب ١ ، الكافي ج ٦ ص ٥٣٦ ح ٧ .
(٥) الكافي ج ٦ ص ٥٣٦ ح ٥ ، الوسائل ج ٨ ص ٣٤٠ ح ٥ ب ١ .
(٦) الوسائل ج ٨ ص ٣٤٠ ح ٧ ، الكافي ج ٦ ص ٥٣٦ ح ٦ .

وعن يونس بن يعقوب قال : قال لي أبو عبد الله «عليه السَّلام» : (اتخذ حماراً يحمل رحلك ، فإن رزقه على الله ، قال : فاتخذت حماراً وكنت أنا ويوسف أخي إذا تمت السنة حسبنا نفقاتنا فنعلم مقدارها فحسبنا بعد شراء الحمار نفقاتنا فإذا هي كما كانت في كل عام لم تزد شيئاً)[١] .

وعن ابن سنان عن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (اتخذوا الدابة فإنها زين ، وتقضىٰ عليها الحوائج ، ورزقها على الله)[٢] ، وفي رواية قال «عليه السَّلام» : (عجباً لصاحب الدابة كيف تفوته الحاجة)[٣] .

وبسند الأئمَّة إلى علي «عليه السَّلام» قال قال رسول الله «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إن الله وملائكته يصلون على أصحاب الخيل من اتخذها وأعدها لعدو في دينه ، أو مشرك) .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (ان رجلاً من خرش كان مع رسول الله «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» ومع الخرشي فرس ، وكان رسول الله «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» يستأنس إلى فرسه ففقده ، فبعث إليه النبي «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» فقال ما فعل فرسك ، قال اشتد شغنه فاخصيته ، فقال : مه ده مثلت به الخير معقود في نواصيها إلى يوم القيامة ، وأهلها معانون عليها أعرافها أدفائها ، ونواصيها جمالها ، وأذنابها مذابها)[٤] .

وعن النبي «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (الخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة)[٥] .

وعن علي «عليه السَّلام» ان رسول الله «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» قال :

---

(١) الكافي ج ٦ ص ٥٣٧ ح ٩ ، الوسائل ج ٨ ص ٣٤٠ ح ٧ ب ١ ، الوسائل ج ٨ ص ٣٤١ ح ١٠ .
(٢) انظر الوسائل ج ٨ ص ٣٤٠ ح ٨ .
(٣) انظر الوسائل ج ٨ ص ٣٤١ ح ١٠ .
(٤) الكافي ج ٥ ص ٤٨ ح ٢ .
(٥) الفقيه ج ٢ ص ١٨٥ ح ١ ب ٨٦ .

(إن الله وملائكته يصلون على أصحاب الخيل ، من اتخذها فأعدها في سبيل الله)[(١)] .

وفي نهج البلاغة قال أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» فتأسَّ نبيك الأطيب الأطهر «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» ـ إلى أن قال ـ : (كان «عليه الصَّلاة والسَّلام» يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد ، ويخصف بيده نعله ، ويرقع بيده ثوبه ، ويركب الحمار العاري ويردف خلفه)[(٢)] .

وفي رواية مقداد عن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (كان رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» يحب الركوب على الحمار موكفاً)[(٣)] .

وفي رواية ان رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (كان يعود المريض ، ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك ، ويركب الحمار ، وكان يوم خيبر ويوم قريظة والنضير على حمار مخطوم بحبل من ليف تحته أكاف من ليف)[(٤)] .

وهب أنّ البعض مانعوا من السفر حتى القصير منه بالدواب فهل حمل الأثقال والفواكه والحبوب ومواد البناء وأنقاض الهدم وأثاث الدور في حالة الإنتقال والنقل وما إلى ذلك في مسافات غير طويلة بحاجة إلى السيارات ونحوها ، وكذلك بالنسبة إلى الطحن والناعور وفتح الماء والحرث وغيرها مما هو كثير فإن كل ذلك يمكن عبر الدواب كما كان في السابق هذا كله اذا توقف الامر على ذلك. ومن الواضح أن قيمة الحيوان لا شيء بالنسبة إلى قيمة الوسائل الحديثة ، خصوصاً وأن القيمة تتضاعف أضعافاً كثيرة بسبب الرأسمالية الحكومية في الشيوعية أو التجارية في الرأسمالية بالإضافة إلى الجمارك والضرائب وما إلى ذلك ، فولادة الحيوان وتربيته تكون في نفس البلاد ، ولذا تكون له قيمة رخيصة جداً .

---

(١) الكافي ج ٥ ص ٤٨ ح ٢ .

(٢) نهج البلاغة (صبحي الصالح) ص ٢٢٧ .

(٣) مكارم الأخلاق ص ٢٤ س ٧ .

(٤) مكارم الأخلاق ص ١٥ .

ففي الحديث المروي في الجعفريات عن عليّ بن أبي طالب «عليهما السَّلام» (ان النبي «عليه الصَّلاة والسَّلام» إشترى مهراً بمائة صاع إلى سنة) ، فإن قيمة الفرس إذا كان ثلاثمائة كيلواً من الحنطة أو الشعير ألا يتمكن كل إنسان أن يكون له فرس ، مع العلم أن قيمة الحنطة أو الشعير في ذلك الزمان كانت بدون تضخم ، خصوصاً وقد كانت مدته إلى سنة ، واحتمال أن المدن الكبار لا تحتمل كثرة الدواب من جهة الشوارع والأزقة يجيب عليه التاريخ بأن الكوفة وبغداد وسامراء كانت مدناً كباراً ومع ذلك تحملت الدواب ، فالكوفة كانت سعتها ما لا يقل عن عشرة فراسخ طولاً ، وسامراء ثمانية فراسخ ، وبغداد كانت القافلة تسير من هذا الطرف إلى ذلك الطرف في مدة ثلاثة أيام كما في التواريخ ، فهل يبقىٰ بعد ذلك من محذور .

ثمّ ان الدواب لا يحتاج في ركوبها واستعمالها إلى التعلم والتعليم المحتاج إليهما في مثل السيارة ونحوها ، وليس لها أخطار كسائر وسائل النقل ، ولا حاجة لها إلى النفط ونحوه ، كما أن لها فوائد غير الركوب ولا تلوث الجو ، وبعد الذبح ينتفع بكل أعضائها وأجزائها وأقلها السماد ، ومعالجتها في حال مرضها معالجة سهلة وطعامها طعام سهل ، مما تنبت الأرض ، ويتمكن أن يساعد بعض الناس بعضاً إذا صعبت .

ففي مكارم الأخلاق عن جابر بن عبد الله ، قال : (غزىٰ رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» احدىٰ وعشرين غزوة بنفسه شهدت منها تسعة عشر وغبت عن اثنين ، فبينما أنا معه في بعض غزواته إذ أعيىٰ ناضحي تحتي بالليل فبرك وكان رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» في آخرنا في اخريات الناس ، فيزجي الضعيف ويردف ويدعو لهم فانتهى إليّ وأنا أقول : يا ويل أخاه وما زال لنا ناضح سوء ، فقال : من هذا ؟ قلت : أنا جابر بأبي وامي يا رسول الله ، قال ما شأنك ؟ قلت أعي ناضحي فقال : أمعك عصا ؟ فقلت : نعم ، فضربه ثم بعثه ، ثم أناخه ووطأ على ذراعه وقال : إركب فركبت وسايرته إلى آخر الخبر)[1] .

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٢٠ .

الاستغناء عن الوسائل الحديثة :

مسألة: من الضروري على التيار الذي يريد الإكتفاء الذاتي للوصول إلى الدولة الإسلامية العالمية إن شاء الله تعالىٰ أن يهتم بالعمل اليدوي في كافة مرافق الحياة ، كتربية الدواجن ، والغزل ، والطحن ، والخبز ، والغسل والحرث ، والحصاد ، والبناء ، والنجارة ، والنسج ، إلى غير ذلك من حاجيات الحياة وأن يكون كل ذلك بدون الوسائل الحديثة ، فإنه يوجب الإستغناء عن الإستعمار أكبر قدر ممكن ، وذلك بالإضافة إلى الإكتفاء الذاتي ودوران الحياة مدارها الصحيح يورث البهجة في الحياة والصحة في الجسم والتعاون على الخير وتماسك العائلة وتقوية المجتمع إلى غيرها ، ولذا ورد في الروايات المتواترة في التحريض على أمثال هذه الأمور .

فعن الجعفريات بسند الأئمّة إلى علي بن أبي طالب «عليهم السَّلام» في قول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿**وإنه هو أغنىٰ وأقنىٰ**﴾[1] قال : (أغنىٰ كل إنسان بمعيشته وأرضاه بكسب يده)[2] .

وعن الحسن بن الحسن «عليه السَّلام» قال لأبي عبد الله «عليه السَّلام» : (والله إني لأعلم منك واسخىٰ منك وأشجع منك ، فقال : أما ما قلت إنك أعلم مني فقد أعتق جدي وجدك ألف نسمة من كد يده فسمهم لي وأن أحببت أن اسميهم لك إلى آدم فعلت)[3] .

وفي مجمع البيان روى (أنهم أي الحواريين اتبعوا عيسى «عليه السَّلام» وكانوا إذا جاعوا قالوا : يا روح الله جعنا ، فيضرب بيده على الأرض سهلاً كان أو جبلاً فيخرج لكل إنسان منهم رغيفين يأكلهما ، فإذا عطشوا قالوا : يا روح الله عطشنا ، فيضرب بيده على الأرض سهلاً كان أو جبلاً فيخرج ماءً فيشربون ، قالوا : يا روح الله من أفضل منا إذا شئنا اطعمتنا وإذا شئنا سقيتنا

---

(١) سورة النجم : الآية / ٤٨ .

(٢) الوسائل ج ١٢ ص ٢٤ ج ١٢ ب ٩ ، معاني الأخبار ص ٢١٤

(٣) قطعة منه الوسائل ج ١٢ ص ٢٢ ب ١٤٩ .

وقد آمنا بك واتبعناك قال : أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه ، فصاروا يغسلون الثياب بالكرى)[١] .

وفي نهج البلاغة قال أمير المؤمنين «عليه السَّلام» : (ولقد كان في رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» كاف لك في الأسوة - إلى أن قال - : وإن شئت ثلثت بداود صاحب المزامير وقاريء أهل الجنة فلقد كان يعمل سفاسيف الخوص بيده ويقول لجلسائه : أيكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها)[٢] .

وعن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (من أكل من كد يده مر على الصراط كالبرق الخاطف) [٣] .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (من أكل من كد يده حلالاً فتح له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء)[٤] .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (من أكل من كد يده نظر الله إليه بالرحمة ، ثم لا يعذبه به أبداً)[٥] .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (من أكل من كد يده يكون يوم القيامة في عداد الأنبياء ، ويأخذ ثواب الأنبياء)[٦] .

وعن عامر عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إن الله عزّ وجلّ حين أهبط آدم «عليه السَّلام» من الجنة أمره أن يحرث بيده فيأكل من كدها بعد نعيم الجنة)[٧] .

وعن سعيد بن جبير قال سئل النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أي كسب

---

(١) البحار ج ١٤ ص ٢٧٦ .
(٢) نهج البلاغة (صبحي الصالح) ص ٢٢٦ .
(٣) البحار ج ١٠٣ ص ٩ .
(٤) البحار ج ١٠٣ ص ١٠ .
(٥) البحار ج ١٠٣ ص ٩ .
(٦) البحار ج ١٠٣ ص ١٠ .
(٧) الوسائل ج ١٢ ص ٥٢ أبواب ما يكتسب به .

الرجل أطيب ؟ قال : (عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور) .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (إن فاطمة «عليها السَّلام» ضمنت لعلي «عليه السَّلام» من عمل البيت العجن ، والخبز ، وقم البيت ، وضمن لها علي «عليه السَّلام» ما كان خلف الباب ، نقل الحطب ، وأن يجيء بالطعام)[٢] .

وروي : (ان أمير المؤمنين «عليه السَّلام» لما كان يفرغ من الجهاد يتفرغ لتعليم الناس والقضاء بينهم، فإذا فرغ من ذلك اشتغل في حائط له يعمل فيه بيديه ، وهو مع ذلك ذاكر الله تعالىٰ) [٣] .

وفي الدعائم عن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» انه كان يعمل بيده ويجاهد في سبيل الله ـ إلى أن قال ـ : (وأقام على الجهاد أيام حياة رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» ومنذ قام بأمر الناس إلى أن قبضه إليه ، وكان يعمل في ضياعه ما بين ذلك ، فاعتق ألف مملوك كل من كسب يده)[٤] .

وعنه «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (ينبغي للمسلم أن يلتمس الرزق حتى تصيبه الشمس)[٥] .

وعن أبي البختري عن أبي عبد الله عن أبيه «عليهما السَّلام» قال : (تقاضىٰ علي وفاطمة «صلوات الله عليهما» إلى رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» في الخدمة ، فقضىٰ على فاطمة بخدمة ما دون الباب ، وقضىٰ على عليّ «عليه السَّلام» بما خلفه ، الحديث)[٦] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (كان أمير المؤمنين «عليه

---

(٢) انظر البحار ج ١٠٣ ص ١ أبواب المكاسب .
(٣) البحار ج ١٠٣ ص ١٦ ، انظر الفقيه ج ٣ ص ٩٩ القضاء .
(٤) انظر التهذيب ج ٦ ص ٣٢٦ ، البحار ج ٤١ ص ٣٧ .
(٥) انظر البحار ج ١٠٣ ص ١ أبواب المكاسب .
(٦) انظر الوسائل ج ١٢ ، أبواب المكاسب .

السَّلام» يضرب بالمر ويستخرج الأرضين ، وكان رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» يمص النوى بفيه ويغرسه ، الحديث)[١] .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (أوحىٰ الله إلى دواد «عليه السَّلام» : إنك نعم العبد ، لولا أنك تأكل من بيت المال ، ولا تعمل بيدك شيئاً ، قال : فبكىٰ داود «عليه السَّلام» أربعين صباحاً ، فأوحىٰ الله إلى الحديد : أن لن لعبدي داود ، فألان الله عزّ وجلّ له الحديد ، فكان يعمل في كل يوم درعاً فيبيعها بألف درهم فعمل ثلاثمائة وستين درعاً ، فباعها بثلاثمائة وستين ألفاً ، واستغنىٰ عن بيت المال)[٢] .

وعن أبي عبد الله عن أبيه «عليهما السَّلام» : (ان رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» وضع حجراً على الطريق يرد الماء عن أرضه ، فوالله ما نكب به بعيرٌ ولا إنسان حتى الساعة)[٣] .

وعن زرارة : ان رجلاً أتىٰ أبا عبد الله «عليه السَّلام» فقال : (إني لا أحسن أن أعمل عملاً بيدي ولا أحسن أن اتجر ، وأنا محارف محتاج ، فقال «عليه السَّلام» : اعمل ، فاحمل على رأسك واستغن عن الناس ، فإن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قد حمل حجراً على عنقه فوضعه في حائط من حيطانه ، وأن الحجر لفي مكانه ، ولا يدري كم عمقه ، إلاّ أنه تمّ)[٤] .

وعن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه قال : (رأيت أبا الحسن «عليه السَّلام» يعمل في أرض له قد استنقعت قدماه في العرق فقلت : جعلت فداك أين الرجال ؟ فقال كان : أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» يحتطب ، ويستقي ، ويكنس ، وكانت فاطمة تطحن وتعجن وتخبز)[٥] .

---

(١) الوسائل ج ١٢ ص ٢٢ ح ٢ ب ١ ، الكافي ج ٥ ص ٧٤ ح ٢ .
(٢) الوسائل ج ١٢ ص ٢٢ ح ٣ ب ٩ ، الكافي ج ٥ ص ٧٤ ح ٥ ، تفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٤٤٩ ، البحار ج ١٤ ص ١٣ ، الفقيه ج ٣ ص ٩٩ ، التهذيب ج ٦ ص ٣٢٦ .
(٣) الوسائل ج ١٢ ص ٢٢ ح ٤ ب ٩ ، الكافي ج ٥ ص ٧٥ ح ٧ .
(٤) الوسائل ج ١٢ ، ص ٢٢ ح ٥ ب ٩ ، الكافي ج ٥ ص ٧٦ ح ١٤ .
(٥) الفقيه ج ٣ ص ٩٨ ، الوسائل ج ١٢ ص ٢٣ ح ٦ ب ٩ ، وص ٢٤ ح ١٠ ب ٩ ، الكافي ج ٥ ص ٧٥ ح ١٠ وص ٨٦ ح ١ .

وقال أبو عبد الله «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (كان رسول الله «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» يحلب عنز أهله)، وفي رواية اخرىٰ :(ان رسـول الله «صلىّٰ الله عليـه وآله وسلّم» كان يكنس بيته ويغسل ثوبه)[1] .

وعن داود بن سرحان قال رأيت أبا عبد الله «عليـه الصَّلاة والسَّـلام» يكيل تمـراً بيـده ، فقلت : جعلت فـداك لـو أمـرت بعض ولـدك أو بعض مـواليـك فيكفيك ؟ قال : (يا دواد إنه لا يصلح المرء المسلم إلاَّ ثلاثة : التّفقه في الدين ، والصبر على النائبة ، وحسن التقدير في المعيشة)[2] .

وعن أُم الحسن النخعيـة قـالت : (مـر بي أمـير المؤمنـين عـلي بن أبي طـالب «عليهما السَّـلام» فقال : أي شيء تصنعـين فقـالت أُم الحسن : أغـزل . فقال : أما أنه أحل الكسب ، وفي رواية أُخرىٰ : أنه من أجل الكسب)[3] .

إستـــدراك :

ثم انه ربما يحمل ما ذكرناه من أقسـام الإكتفاء الـذاتي على أنـه نكوص عن الحـاضر المؤلم إلى الماضي المشرق عـلى مـا يقـرره علم النفس ، فـإن علماء النفس قـرروا بأن من عـادة الفاشلين الـذين كـان لهم سـابق زاهـر النكـوص للماضي ، والإحتماء بأمجاده وأيامه السعيدة ، فالشيخ الهرم الذي لم يعـد له حـاضر أو لم يبق له أمل في الغد يهرب من واقعه المؤلم في الحال الحاضر إلى ماضيـه المشرق ، حيث يستعيد ذكريات الشباب بأمجاده وقوته ونشاطه ومكانته الإجتماعية وما إلى ذلك .

والفشـل على أي صعيـد حيوي بشكـل يمس القيم والإعتبار الـذاتي يدفـع بصـاحبه أحيـاناً إذا أوصـدت أمـامـه أبـواب المستقبـل إلى الإحتـماء إلى مـاضيـه المشرق ، ويجد في تلك الفترة ملاذاً وتسلية ، والإنسان يريـد بذلـك أن يبعد عن نفسه تهديد انعدام القيمة بالقيمة التي كان يتمتع بها مـاضياً ، ويستبـدل الصورة

---

(١) الكافي ج ٥ ص ٨٦ ح ٢ .
(٢) الكافي ج ٥ ص ٨٧ ح ٤ .
(٣) الوسائل ج ١٢ ص ١٧٤ ح ١ ب ٦٤ ، الكافي ج ٥ ص ٣١١ ح ٣٢ .

اليائسة من الوجود الراهن بأكثر الصور مجداً وإشراقاً في الماضي ، وهذا الهروب الخيالي الذي لا يغير من الواقع شيئاً ليس إلاّ سراباً خادعاً ، وحتى الإنسان نفسه أحياناً يخادع نفسه في أنه كان له ماضي مشرق ، بينما لم يكن له ذلك الماضي المتوهم .

ويزداد التمسك بالماضي عادة والنكوص إليه بمقدار شدة الآلام المعنوية الحاضرة ، من ناحية ، وإغراءات الماضي السعيد من ناحية ثانية فيريد الإنسان إعادة ذلك الماضي السعيد ويمارس عملية تزين له من خلال طمس عثراته من جانب ، والمبالغة في تضخيم حسناته من جانب آخر ، وهكذا يتحول الماضي إلى عالم من السعادة والهناء والمجد والاعتبار ، ويتصور الإنسان بهذا التصور الخيالي أنه يضمن من ثنايا هذا الأمر أملاً في التقليل من ألم الحاضر بوصل المستقبل بأمجاد الماضي أو استعادة هذه الأمجاد في مستقبل قريب أو بعيد ، وبذلك يزعم أنه يحتفظ بقدرته على مجابهة الحاضر الذي يشكل تحديات لا قبل له بها ، لكن يستمر في العيش بحد أدنى من التوازن ، وهذا هو حال الإنسان المقهور في أي جانب من جوانب الحياة ، المادية ، أو المعنوية ، أو الاقتصادية ، أو الاجتماعية ، أو السياسية ، أو التربوية ، أو غير ذلك ، وغالباً ما نجد الأمم في عصر النهضة الذين تأخروا عن النهضة وفاتهم القطار يفكرون في هذا الشيء في كل جانب من جوانب الحياة الماضية ، سواء كانوا ملحدين أو مؤمنين مسلمين أو غير مسلمين أصحاب كتاب أو غير أصحاب كتاب .

ويتوهم أن ما ذكرناه في حقل الطب وغيره صغرىٰ من صغريات هذه الكلية التي يذكرها علماء النفس ، لكن ليس الأمر كذلك .

بل أنه حقيقة واقعية في الماضي ومترقب مرجو في المستقبل ، لا أحد ينكر حالة الصحة العمومية في الماضي مما فقدته البشرية في كل العالم في الحال الحاضر ، خصوصاً في العالم الثالث الذي يشكل المسلمون قطاعاً كبيراً منه ، كما لا أحد ينكر أن المستقبل المشرق لا يكون إلاّ بشد الأحزمة وتحمل الصعوبة حتى يتمكن الإنسان من المستقبل المرتقب .

وكما يلزم على الفرد تحمل الحاضر المؤلم لمستقبل يحفه اليسر والهناء كذلك

بالنسبة إلى الأُمة .

ولا شك في أن العالم الإسلامي تأخر تأخراً فظيعاً ، بحيث كان في مقدمة الركب فصار في ذيل القافلة ، بل تأخره يزداد يوماً بعد يوم ، فإذا أردنا تقديم الأُمة إلى الأمام يلزم علينا الرجوع إلى الماضي ، وتحمل الصعوبة حتى تنقلع جذور الإستعمار عن بلاد الإسلام ، ...... وترجع إلى المسلمين صحتهم المفقودة ....

تربية النفس على التقشف :

مسألة: تربية النفس على التقشف من أهم ركائز الناهضين ، فإن الإنسان ليس له وقت يصرفه على ذاته ، ووقت يصرفه لهدفه ، ومن يتصور أنه يتمكن من الجمع بينهما يحتاج إلى قدر من الوقت حتى يظهر له عدم واقعية تصوره .

إن الترف بل والحياة المتوسطة بحاجة إلى مال ووقت وكلاهما ينافيان الهدفيّة . إن الرسول «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» لم يعش كإنسان عادي ، بل رجحّ الهدف فصرف من نفسه لغيره ، ولو كان ذلك الغير إنساناً واحداً .

وعلي «عليه الصَّلاة والسَّلام» لو أراد أن يكون في مأكله وملبسه ومشربه ومسكنه إنساناً عادياً هل كان ذلك يضره ؟ كلا لكنه أراد أن لا يصرف وقته في هذه الأشياء من ناحية ، وأن يكمل نقص غيره بالتخفيف في أُموره المعاشية من ناحية ثانية ، وفي المثل : (الوقت من ذهب) لكنه مثال غير دقيق ، فالوقت أثمن من الذهب بما لا يقدّر .

ولذا يجب على الذين يريدون النهوض أن يعيروا هذا الأمر أكبر اهتمام ، إن البعض قيل له : اذهب وبلّغ الإسلام قال : الحر أو البرد مانع عن ذلك ، أو قال : لا مكان للراحة هناك ، أو قال : من أين المال الذي استعيش به ، أو قال : لا أذهب حتى يدعوني ، أو قال : إني مشتغل هنا بالعلم ولا يريد الله مني أكثر ، أو تعذر بأعذار من هذا القبيل . إنه لا يريد النهوض أو الإنهاض ، وكفىٰ بما ذكره عذراً لديه ، لكن النتيجة أن الغربيين وغيرهم هم السادة ، وأن

المسلمين صاروا لا يعطون حتى حصة العبيد.

إني رأيت مكرراً شخصاً سائحاً غربياً كان يسيح أُلوف الفراسخ على دراجته البخارية فسألته كيف يعمل ويأكل وإلىٰ غير ذلك ؟ قال : آكل العشب والخضر من الطريق وأنام في الصيف في الشوارع وفي الشتاء في ساحات الفنادق مجاناً بإجازة أصحابها ، حيث يعرف أصحاب المحلات إني سائح ، فلا يأخذون مني الأُجرة ، وإذا وصلت إلى محلات الوقود أعطاني أصحابها أو أصحاب السيارات المتواجدة هناك الوقود ، واغسل ملابسي بنفسي ودثاري معي . ورأيت عشرات الطلاب الذين ذهبوا إلى الغرب من أجل تحصيل العلم قالوا : إنهم يشتغلون نصف يوم حتى في أسوء الأشغال ، وأدناها مثل صبغ الأحذية ، وكنس الشوارع ، وتنظيف صحون المطاعم ، ويدرسون بقية الوقت ليوفروا المال لأنفسهم ، وتاريخ المسلمين الأولين بل جملة ممن رأيناهم يزخر بمثل هذه القصص ، فقد نقل لي المدرّس الأفغاني (رحمه الله) . . . أنه سار على قدميه من أفغان إلى النجف الأشرف ، وكان ينام في الليالي في مقبرة وادي السلام . ونقل في أحوال الآخوند الخراساني صاحب الكفاية أنه جاء إلى طهران قاصداً النجف وحيث لم يجد المال لسفره بقي هناك مدة حتى حصل على عبادة عشرين سنة صلاة وصوماً بمبلغ مائة تومان (والقوة الشرائية لهذا المبلغ في هذا اليوم مائة قرص من الخبز) وبذلك جاء إلى النجف ودرس حتى وصل إلى ما وصل . وقال لي أحد مراجع التقليد : إنه كان يشتغل عاملٍ بناء نصف يوم لمعاشه حتى يديم الدراسة ونقل عن أحد المراجع : إنه سار من قرية في يزد إلى النجف راجلاً ، لأنه لا يملك المال للركوب والسيد أبو الحسن الاصفهاني (رحمه الله) لم تكن له إجرة استئجار دار في النجف ولذا كان قد أسكن عائلته في غرفة من غرف مسجد الكوفة ، وكان يأتي راجلاً إلى النجف صباحاً للدراسة وقبيل الغروب يرجع راجلاً إلى المسجد ، وبين المسجد وبين النجف ما يُقارب الفرسخ ، إلى أُلوف القصص المماثلة .

إن النهضة لا تقوم على الناس العاديين فكيف بمن يفكر بحياة رغيدة ولذا قال الله سبحانه : **﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم**

وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾[1] .

وما يجده الإنسان من طائفتين من الروايات ، طائفة التقشف وطائفة التعارف إنما هما لهذين الشأنين فالأولىٰ للناهضين والثانية للعاديين وحيث ذكرنا الروايات في كتاب (الزهد) فلا داعي لتكرارها .

فالزاهدون في الدنيا يتمكنون من النهوض والإنهاض ، وهم اليقظون القادرون على الإيقاظ والمتحركون القادرون على التحرك أما المشتغلون بزينة الدنيا وزخارفها ، والذين قلوبهم معلقة بالأهواء والرئاسات وما أشبه فهم بمعزل عن ذلك كله والنبيّ الأعظم وآله الأطهار والأنبياء «عليهم الصَّلاة والسَّلام» وأوصيائهم وأولياء الله هم أفضل مثال لترك الدنيا والزهد فيها ، ولذا تمكنوا من هداية الناس ، ثم ان الزاهد مربوط بالله فيستجاب دعاءه فيما يدعو من نجاح هدفه والله الموفق المستعان .

الاقتصاد في استخدام النفط :

مسألة: من طرق النجاة:الاستغناء عن استعمال النفط مهما أمكن ، وذلك لأسباب :

الأول : إن الذخائر النفطية في البلاد الإسلامية محدودة تنتهي في مدّة محدودة جداً ، وهي ليست حقاً لنا وحدنا بل حق الأجيال إلى أُلوف السنوات ، فصرف الزائد عن حقنا صرف حق الآخرين وذلك ما لا يجوز شرعاً وعقلاً وعرفاً مهما كانت الأثمان مرتفعة والصرف قليلاً نسبة إذا كان أكثر من حق هذا الجيل .

أما ما يفعل في الحال الحاضر ، فإنه النهب المشين بعينه المحاسب عليه غداً حساباً عسيراً .

---

(1) سورة التوبة : الآية / ٢٤ .

الثاني : إن الاستخراج والصرف في الكهرباء ونحوها في الحال الحاضر ، إنما هو بالمكائن الغربية والشرقية والخبرات الأجنبية ، وذلك مما يفتح يد الأجنبي في بلاد الإسلام ، والإحتياج إليهم معناه استعمارهم لنا كما هو الحال ، وقد قال علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (إحتج إلى من شئت تكن أسيره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، وأحسن إلى من شئت تكن أميره) .

الثالث : إنه خلاف الإكتفاء الذاتي والتقشف ، حيث ان اللازم إدارة الحياة بالإكتفاء الذاتي فإن الشمع والزيت الحيواني وغيرهما يوفر للإنسان المحتاج إدارة الحياة بنفسه بما لا يعطيه النفط ، حتى أن المرأة في الريف تتمكن من صنع الشمع بواسطة النحل والزيت الحيواني والنباتي وتحصيل الدفء بسبب الأخشاب والأعواد التي تزرعها أو تنبت تلقائياً حولها ، بينما ليس النفط كذلك ، وقد وردت روايات كثيرة حول القناعة والزهد والتقشف وعدم إلقاء الإنسان كلّه على الآخرين ، وما إلى ذلك .

وما نحن فيه صغرى من صغريات تلك الكبرى الكلية ، فإنه ليس معنى الزهد مثلاً قلة الأكل والشرب فقط ، وليس معنى القناعة القناعة في اللباس والمسكن فقط ، وليس معنى التقشف قلة استعمال احتياجات الحياة بل يشمل تلك الأمور وغيرها مما نحن فيه أيضاً . هذا كله اذا توقف الامر على ذلك.

وإليك جملة من الروايات بهذا الصدد التي هي من الكبريات الكلية لهذا الصغريات الجزئية المذكورة في هذا الكتاب وهنا في هذه المسألة وفي غيرها .

فعن الحسن بن راشد عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال ، قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلّم» : (ما لي وللدنيا ، إنما مثلي كراكب رفعت له شجرة في يوم صائف ؟ فأقام تحتها ثم راح وتركها)[1] .

وعن ابن بكير عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال ، قال رسول الله «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (في طلب الدنيا إضرار في الآخرة ، وفي طلب الآخرة إضرار

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٠٩ ح ١٩ .

بالدنيا ، فأضروا بالدنيا ، فإنها أحق بالإضرار)[١] .

أقول : من الواضح ان المراد الدنيا التي لا تلائم الآخرة ، لا الدنيا التي هي طريق إلى الآخرة ، وقد أمر الله بطلبها بقوله سبحانه : **﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا﴾**[٢] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (إن في كتاب علي «عليه السَّلام» إنما مثل الدنيا كمثل الحية ما ألين ملمسها وفي جوفها السم الناقع يحذرها الرجل العاقل ويهوىٰ إليها الصبي الجاهل)[٣] .

وعن جعفر بن محمد عن آبائه في وصية النبي لعلي صلوات الله عليهم أجمعين قال : (يا عليّ إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، يا علي أوحىٰ الله إلى الدنيا أخدمي من خدمني وأتعبي من خدمك ، يا علي إن الدنيا لو عدلت عند الله جناح بعوضة لما سقىٰ الكافر منها شربة من ماء ، يا علي ما أحد من الأولين والآخرين إلاّ هو يتمنى يوم القيامة أنه لم يعط من الدنيا إلاّ قوتاً ، قال : قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : ما قل وكفىٰ خير مما أكثر وألهىٰ)[٤] .

وفي وصية علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» لمحمد بن الحنفية قال : (ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت ، ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة ، وتبوأ خفض الدعة ، الحرص داع إلى التقحم في الذنوب)[٥] .

وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من أصبح معافى في جسده آمناً في سربه عنده قوت يومه فكأنما خيرت له الدنيا ،

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٠٦ ح ١٢ ، البحار ج ٧٣ ص ٦١ .
(٢) سورة البقرة : الآية / ٢٠١ .
(٣) الكافي ج ٢ ص ١١٠ ح ٢٢ ، نهج البلاغة ص ٤٥٨ .
(٤) تحف العقول ص ٥٨ ح ١٣٩ س ١ .
(٥) قطعة منه غرر الحكم ص ٥٩ ح ١٦٠٠ .

يابن جعشم يكفيك منها ما سد جوعتك وأورى عورتك ، فإن يكن بيت يكنك فذاك وان يكون دابة تركبها فبخ بخ ، وإلاّ فالخبز وماء الجرة وبعد ذلك حساب عليك أو عذاب)[١] .

وفي نهج البلاغة قال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (من كثر اشتباكه بالدنيا كان أشد لحسرته عند فراقها)[٢] .

وعنه «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (حرم الحريص خصلتين ولزمته خصلتان ، حرم القناعة فافتقد الراحة ، وحرم الرضا فافتقد اليقين) .

وعن الحسن بن علي «عليهما السَّلام» انه قال في حديث : (واعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلاّ كنت فيه خازناً لغيرك واعلم أن في حلالها حساباً وفي حرامها عقاباً ، وفي الشبهات عتاباً ، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة ، خذ منها ما يقيك ، فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيها ، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر ، فأخذت كما أخذت من الميتة ، وإن كان العتاب فإن العتاب يسير ، واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)[٣] .

أقول : والعيش في الدنيا أبداً معناه أن لا يحتاج الإنسان إلى غيره ، وربما قيل فيه معنى آخر .

وقال «عليه السَّلام» : (كل مقتصر عليه كاف)[٤] ، وقال «عليه السَّلام» (الزهد بين كلمتين من القرآن ، قال الله تعالىٰ : **﴿لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم﴾**[٥] ومن لم ييأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد استكمل الزهد بطرفيه)[٦] .

---

(١) انظر البحار ج ٧٣ ص ١ باب حب الدنيا .
(٢) البحار ج ٧٣ ص ١٩ .
(٣) الفقيه ج ٣ ص ٩٤ ح ٤ ب ٥٨ .
(٤) غرر الحكم ج ٢ ص ٥٤٧ ح ٧٢ .
(٥) سورة الحديد : الآية / ٢٣ .
(٦) نهج البلاغة ص ٥٥٣ ح ٤٣٩ .

وعن الأزدي عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال أبو جعفر «عليه السَّلام» : (مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القز ، كلما ازدادت على نفسها لفاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غماً)[1] .

قال : وقال أبو عبد الله «عليه السَّلام» : (أغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً).

وقال «عليه السَّلام» :(لا تشعروا قلوبكم الاشتغال بما قد فات فتشغلوا أذهانكم عن الإستعداد لما لم يأت)[2] .

وقال[ع] : (أبعد ما يكون العبد من الله عزّ وجلّ إذا لم يهمه إلاَّ بطنه وفرجه).

وعن أبي بصير قال سمعت أبا جعفر «عليه السَّلام» يقول : (جاء إلى رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» ملك فقال : يا محمد إن ربك يقرئك السَّلام ويقول لك : إن شئتَ جعلت لك بطحاء مكة رضراض ذهب ، قال : فرفع رأسه إلى السماء فقال : يا رب أشبع يوماً فاحمدك وأجوع يوماً فأسألك)[3] .

وعن حفص بن غياث قال : قال أبو عبد الله «عليه السَّلام» : (يا حفص والله ماأنزلت الدنيا من نفسي إلاَّ منزلة الميتة إذا اضطررت إليها أكلت منها)[4] .

وروي أن سعد بن أبي وقاص دخل على سلمان الفارسي يعوده فبكى سلمان ، فقال له سعد : ما يبكيك يا أبا عبد الله ، توفي رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» وهو عنك راض ، ترد عليه الحوض ؟ فقال سلمان : أما أنا لا أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم»عهد إلينا فقال ليكن بلغة أحدكم كزاد الراكب وحولي هذه الأساور وإنما حوله أجانة وجفنة ومطهرة.وفي رواية اخرىٰ قال سلمان:ولكن رسول

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٠٩ ح ٢٠ .

(٢) انظر البحار ج ٧٣ ص ١ حب الدنيا .

(٣) انظر البحار ج ٧٣ ص ١١ .

(٤) البحار ج ٧٨ ص ١٩٣ ، البحار ج ٧٣ ص ٩٠ .

الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» عهد إلينا فقال:ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد راكب ، فأخشى أن يكون قد جاوزنا أمره وهذه الأساورة حولي .

وفي نهج البلاغة في كتاب علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» إلى عثمان بن حنيف ، (ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه ، ألا وان إمامكم قد اسكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه ، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن أعينوني بورع واجتهاد ، وعفة وسداد)[1] .

وفي رواية لموسى بن جعفر عن آبائه «عليهم السَّلام» ان رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» كان يأتي أهل الصفة وكانوا ضيفان رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» كانوا هاجروا من أهاليهم وأموالهم إلى المدينة فأسكنهم رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» صفة المسجد وهم أربعمائة رجل يسلم عليهم بالغداة والعشي فأتاهم ذات يوم ، فمنهم من يخصف نعله ومنهم من يرقع ثوبه ، ومنهم من يتفلى وكان رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» يرزقهم مداً مداً من تمر في كل يوم ، فقام رجل منهم فقال : يا رسول الله : التمر الذي ترزقنا قد أحرق بطوننا ، فقال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : أما إني لو استطعت أن اطعمكم الدنيا لأطعمتكم ، ولكن من عاش منكم بعدي فسيغدي عليه بالجفان ، ويراح عليه بالجفاف ، ويغدو أحدكم في قميصة ويورح في اخرىٰ ، وتنجدون بيوتكم كما تنجد الكعبة ، فقام رجل فقال : يا رسول الله إنا إلى ذلك الزمان بالأشواق ، فمتىٰ هو ؟ قال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : زمانكم هذا خير من ذلك الزمان ، إنكم ان ملأتم بطونكم من الحلال توشكون أن تملؤها من الحرام .

أقول:انه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» لما أتىٰ المدينة المنورة بنى المسجد وجعل حيطانه بقدر ذراع ، ثم رفعها بعد مدة قدر القامة وبنى في المسجد صفة أعلىٰ من أرض المسجد لكي ينصب المطر عند نزوله إلى تحت ولا يظل في الصفة التي أسكن النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» فيها الفقراء من المهاجرين ، لا

---

(١) نهج البلاغة ص ٤١٧ .

يـظلهم شيء ، وليس لهم فـرش وإنمـا يلتحفـون السـماء ويفـترشـون الأرض ، وتصهرهم الشمس ، وكانوا يتوضؤون من نهر أجراه الرسول «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» من الخارج وسط مسجده ، كما كانوا ينتفعون بماء النهر في سائر شؤونهم ، وكان هؤلاء جيش الإسلام في الحروب والمتلقّين لنصائح الـرسول «صـلىٰ الله عليه وآله وسلّم» وأوامره ومواعظه عند صعوده المنـبر كلّ يـوم خمس مرّات ، والمصلين خلفه والمنفذين لأوامره إلى الناس ، إلى غير ذلك .

وكـان جملة منهم من فقرهم شبـه عار يكسيهم رسـول الله «صلىٰ الله عليـه وآلـه وسلّم» تدريجيـاً ، هكذا يستفـاد من التواريـخ والتفاسـير المتفـرقـة ، وكـان عددهم أربعمائة كما عرفت من هذه الرواية وعلىٰ أية حـال فإذا وصلنـا إلى الدولـة الإسلامية الواحدة العالمية فاللازم ملاحظة قدر الصرف من النفط كل عام فعام ، بما يبدل إلى الطاقة العلمية والعملية ، مثلاً يحول النفط إلى العلم والخـبروية وإلى المعامل والمصانع وإلى الشلالات والغابات الإصطناعية حتى يكون النفط قد تحول إلى الطاقة ، لا أنه يهدر بما لا يعود إلى الإنسان بخير بعد الخير الأول ، وعلى كل حال فاللازم استعمال الامور الدائرة مهما أمكن ، وأما استعمال الامور غير الـدائرة كالمعادن عموماً ونحوها فاللازم أن يصرف منها بقدر قليل جداً حسب الحسـابات الإقتصادية الدقيقة .

دور الأوقاف في النجاة :

مسألة: الوقوف من مراكز الإشعـاع ثقافيـاً واقتصادياً وسياسيـاً وعباديـاً واجتماعيـاً وصحياً وما إلى ذلك .

فـالمدارس والمعـاهد والمكتبـات والمطابـع والجرائـد والمجـلات والإذاعـات والتلفـزيونـات والأشرطة والفيـديوات ومـا أشبه من الأول ، والبنـوك اللاربـويـة وصنايق الإقراض الخـيري والمعامـل والمصانـع والتجارات والبسـاتين والـدكاكـين والحمامات والفنادق ونحوها من الثاني ، ومراكز التجمع لأجل تقرير مسائل البلاد من الثالث ، والمساجـد والحسينيات وغـيرهما من الـرابع ، والنـوادي والمنتديـات وأمثـالهما من الخـامس ، والمستوصفـات والمستشفيـات والصيـدليـات والمختـبرات

ونحوها من السادس .

والذين يقومون بحركة النجاة يلزم أن يهتموا بهذه الجهة الحيوية ، فإن التحرك بحاجة إلى المراكز ، والأفراد والمبدأ ، والمال ، فبدون أي من هذه الأمور لا يتمكن الإنسان من النهضة ، ولذا نجد أن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» بنى المسجد بمجرد أن جاء إلى المدينة المنورة سواء في قبا حيث أقام أياماً ، أو في داخل المدينة حيث مسجده الشريف الآن ، أو في سائر محلات المدينة حيث روى المؤرخون أنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» بنى فيها زهاء خمسين مسجداً ، أي بمعدل خمسة مساجد كل عام مدّة بقائه في المدينة المنورة .

ومن الواضح أن دنيا اليوم عبارة عن مجموعة مؤسسات ، فإذا لم تكن للحركة مؤسسات لم تتمكن من البقاء . نعم ، النمو والنهوض وبناء المؤسسات سواء البناء الإنساني كالجمعيات والجماعات والهيئات وما أشبه ، أو البناء العمراني كالمساجد ، أو البناء التياري كالجرائد والمجلات كلها بحاجة إلى الإنهاض لا أكثر .

فإن الإنسان لو أراد أن يبني مدرسة لا يحتاج إلى أن يبذل بنفسه المال ، والمفروض أنه لا مال له ، أو يحتاج إلى ذلك المال في أمر أهم ، بل المحتاج إليه هو أن يستنهض الناس لأن يبنوها ، نعم عليه إذا أراد التقدم السريع أن يشترك هو في البناء ، فإن الآمر الناهي إذا كان أول قائم بما أمر وتارك لما نهى كان إنسياق الناس إلى أمره ونهيه سريعاً وشديداً وعميقاً ، ولذا نجد أن الرسول «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» اشترك بنفسه الشريفة في بناء المسجد ، كما اشترك في حفر الخندق وغير ذلك مما هو معروف في التواريخ .

ومن الأهمية بمكان أن يهتم القائمون بالحركة بإحياء الأثلاث التي أوصى بها جماعة من الخيرين عند موتهم ، فإنها في العالم الإسلامي ، وفي غير العالم الإسلامي للمسلمين القاطنين فيه كثيرة جداً ، حتى يمكن عدها بالآلاف ، والأوصياء كثيراً ما يبدّلونها من جهتين :

الأولىٰ : جهة حب السيطرة على تلك الأموال .

الثانية : عدم الإطمئنان بـأنها تصرف في المصارف الـلائقة ، ويمكن دفـع الجهتين :

الأولىٰ : بالتشويق والترغيب وإلقاء الأمر في التنافس وما أشبه ذلـك ، فإن التنـافس من أهم عوامـل التقدم ، حتى أن الله تعـالىٰ ألقىٰ الجنـة في التنـافس ، فقال سبحانه : **﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾**(١) .

الثانية : بـإعطاء الإطمئنـان العملي للنـاس ، بأن المـال يصرف في الجهة التي يـرغب الوصي في صرفـه فيها ، مثـلاً أحـدهم يـريـد بنـاء المسجـد والآخـر المستشفى .

الثالثة : البنك فيقوم القائمون بالنهوض في صرف كـل مال حسب رغبـة الموصى .

ثم لا يخفى أن البنك أيضاً يمكن وقفه باعتبار ما فيه من رأس المال . . فقد ذكرنا في بعض الكتب الفقهيه أن إطلاقـات أدلة الـوقف شاملة لـلأصل والبـدل والجسم والجوهر ، بمعنى أنه قد يوقف الإنسان المسجد وقد يـوقف النقود لتكـون عيناً أو بدلاً في خدمة المقترضين ، وكذلك قد يوقف الإنسان داره ودكانه وبستانـه وقد يقول : جوهر أموالي وقف حسب نظر المتـولي بأن تبقى القـوة الماليـة وقفاً في أية صورة يريدها المتولي ، فالمتولي يتعامل بأمواله تعامل الملاك بيعـاً وشراءاً ورهناً وإيجاراً وتبديلاً وتحويلاً ، لكن يحفظ الجوهر ، فالدار تتبدل دكاناً والـدكان يتبـدل مجلة ، والمجلة تتبدل أجرة لمدرسة طالب الطب ، حتى إذا صار طبيباً يرد بقدر ما أخذ أو أكثر حسب الربح المضاربي للمال الذي صرفه إلى غير ذلك ، لكن الجوهر هو يبقى جوهراً .

وإذا أشكل في كون مثل هذا وقفاً نقول : إنه نوع وصية أو التعامل بجعل المال لله سبحانه وكلا الأمـرين مشمول لـلأدلة العـامة مثـل إطلاق أدلـة الوصيـة وإطلاق(ما كان لله فلا رجعة فيه وصرف عدم تعارف ذلك سابقاً لا يجعل الأمر منصرفاً عنه ، كما ذكروا في مسألة العقود الجديدة ، أو الأشياء الجـديدة من جهـة

---

(١) سورة المطففين : الآية / ٢٦ .

الحلية كالبطاطا والطماطم والبرتقال ، أو الحرمة كالهروئين والكوكائين وما أشبه ذلك ، وحيث ذكرنا المسألة مفصلاً في الفقه لا حاجة هنا إلى ذكرها ونكتفي بهذا الإلماع السريع .

كما أنه من هذا القبيل تشجيع الخيرين لجعل الأثلاث ، فإن كثرة من الناس مستعدون لجعل الثلث حتى البخلاء الذين لا يريدون صرف المال في حياتهم أما إذا ماتوا فلا مانع لهم في أن يصرف ثلث أموالهم في الأمور الخيرية .

وكذلك يمكن إحياء الدوارس من المؤسسات والمعطلة منها ، فإن في العالم الإسلامي مؤسسات كثيرة إما دارسة أو لا تأتي بالفائدة المطلوبة كمجلة تنشر التوافه والمبعثرات ويمكن تركيزها في جهة الحركة والنشاط والفكر والتقدم ، وحسينية معطلة إلاّ في أيام محرم ورمضان ويمكن تنشيطها حتى تأتي بالفائدة المرجوة منها ، وكذلك بالنسبة إلى الأفراد وسائر الامور التي يمكن إلقاؤها في هذا التيار التقدمي .

وإذا ركزت الحركة على جهات المؤسسات تأتي بما يصعب تصديقه ، وقد رأيت أنا إنساناً بنى أربعة عشرة حسينية وهو كاسب عادي ، كما أن الأخ السيد حسن (رحمه الله) بنى في مدة قصيرة أكثر من عشرين مؤسسة بين مسجد ومدرسة وحسينية ودار نشر ومجلة وجمعية وما أشبه ، ورأيت خطيباً بنىٰ أكثر من سبعين مسجداً ورأيت تاجراً بنى أكثر من أربعين محلاً لشرب الماء في القرىٰ الفاقدة للأنابيب . ورأيت عالماً بنى زهاء ثلاثمائة مدرسة أهلية في حوالي نصف قرن ، إلى غيرها من المؤسسات كالحسينية والمسجد ونحوهما .

طائفة من الروايات المشجعة علىٰ الوقوف :

ولذا قد وردت الروايات الكثيرة في استحباب الوقوف والصدقات والتحريض عليهما :

فعن أبي عبد الله «عليه السّلام» قال : (ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلاّ ثلاث خصال : صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته ، وسنة

هدى سنها فهي تعمل بعد موته ، أو ولد صالح يدعو له)(١) .

وفي رواية أُخرى عنه «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (يتبع الرجل بعد موته ثلاث خصال : صدقة أجراها الله في حياته فهي تجري له بعد وفاته ، وسنة هدى سنها فهي يعمل بها بعد موته ، وولد صالح يدعو له)(٢) .

وعن معاوية بن عمّار قال : قلت لأبي عبد الله «عليه السَّلام» : (ما يلحق الرجل بعد موته ؟ فقال : سنة يعمل بها بعد موته فيكون له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أُجورهم شيء ، والصدقة الجارية تجري من بعده ، والولد الطيب يدعو لوالديه بعد موتهما ويحج ويتصدق ويعتق عنهما ويصلّي ويصوم عنهما ، فقلت : اشركهما في حجتي ؟ قال : نعم)(٣) .

وعن أبي كهمس عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (ستة تلحق المؤمن بعد موته:ولد يستغفر له ، ومصحف يخلفه ، وغرس يغرسه وقليب يحفره ، وصدقة يجريها ، وسنة يؤخذ بها من بعده)(٤) .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (الصدقة والحبس ذخيرتان فدعوهما ليومهما)(٥) .

وعن أبي عبد الله أنه ذكر أمير المؤمنين «صلوات الله عليه» فقال : (كان عبد الله قد أوجب الله له الجنة عمد إلى ماله فجعله صدقة مبتولة تجري بعده للفقراء ، وقال : اللَّهمَّ إني جعلت هذا لتصرف النار عن وجهي ولتصرف وجهي عن النار) .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : سمعته يقول : (كيف يزهد قوم في

---

(١) الوسائل ج ١٣ ص ٢٩٢ ح ١ ، أمالي الصدوق ص ٢٢ ح ٩ .
(٢) الوسائل ج ١٣ ص ٢٩٣ ح ٣، الكافي الفروع ج ٢ ص ٢٥٠ .
(٣) الوسائل ج ٣ب ص ٢٣٩ ح ٤ ، الكافي في الفروع ج ٢ ص ٢٥٠ .
(٤) الوسائل ج ١٣ ص ٢٣٩ ح ٥ ، الخصال ج ١ ص ٣٢٣ ح ٩ .
(٥) انظر الوسائل ج ٦ ص ٢٥٥ .

أن يعملوا الخير وقد كان علي «عليه السَّلام» وهو عبد الله قد أوجب له الجنة عمد إلى قريات له فجعلها صدقة مبتولة تجري من بعده للفقراء ، قال : اللَّهُمَّ اني فعلت هذا لتصرف وجهي عن النار وتصرف النار عن وجهي) .

وعن أبي جعفر الباقر عن ابائه «عليهم السَّلام» (ان رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» مر برجل يغرس غرساً في حائط له فوقف عليه فقال : ألا أدلك على غرس أثبت أصلاً ـ إلى أن قال ـ فقال الرجل : أشهدك يا رسول الله أن حائطي هذا صدقة مخصوصة على فقراء المسلمين وأهل الصفة ، فأنزل الله تبارك وتعالىٰ : ﴿**فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى**﴾)[1] .

وروي عن جابر انه قال : (لم يكن من الصحابة ذو مقدرة إلاَّ وقف وقفاً)[3] .

ثم ان الرسول وآله «عليهم الصَّلاة والسَّلام» أوقفوا بأنفسهم الأوقاف ، واقتدى بهم المسلمون :

فعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» انه قال : (تصدق رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» بأموال جعلها وقفاً وكان ينفق منها على أضيافه)[4] .

وعن أبي بصير قال : (قال أبو جعفر «عليه السَّلام» : ألا أحدثك بوصية فاطمة «عليها السَّلام» قلت : بلى ، فأخرج حقاً أو سفطاً فأخرج منه كتاباً فقرأه : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أوصت بحوائطها السبعة بالعواف ، والدلال ، والبرقة والمبيت ، والحسنىٰ ، والصافية ، ومال أُم إبراهيم إلى علي بن أبي طالب فإن مضى فإلى الحسن ، فإن مضىٰ الحسن فإلى الحسين ، فإن مضى الحسين فإلى الأكبر من ولدي يشهد الله على ذلك ، والمقداد بن الأسود ، والزبير بن العوام ، وكتب

---

(١) البحار ج ١٠٣ ص ١٨٢ ، عن أمالي الصدّوق ص ٢٠٢ .
(٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٥١١ .
(٤) الوسائل ج ١٣ ص ٣١١ ح ٢ .

علي بن أبي طالب)[١] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : تصدق أمير المؤمنين بدار له في المدينة في بني زريق ، وكتب : (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تصدق به علي بن أبي طالب ، وهو حي سوي تصدق بداره التي في بني زريق صدقة لا تُباع ولا توهب حتى يرثها الله الذي يرث السماوات والأرض ، وأسكن هذه الصدقة خالاته ما عشن وعاش عقبهن ، فإذا انقرضوا فهي لذوي الحاجة من المسلمين)[٢] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» (انه قسّم رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» الفيء ، فأصاب أمير المؤمنين علي «عليه السَّلام» منه أرض فاحتفر فيها عيناً فخرج منها ماء ينبع منها في السماء كهيئة عنق البعير ، فجاء إليه بذلك البشير ، فقال بشر الوارث هي صدقة بتلاً بتلاً في حجيج بيت الله وعابر السبيل ، لا يُباع ولا يوهب ولا يورث ، فمن باعها أو وهبها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، وسماها ينبع)[٣] .

وعن أمير المؤمنين «عليه السَّلام» (انه أوصىٰ بأوقاف أوقفها من أمواله ذكرها في كتاب وصيته ، كان فيما ذكره منه : هذا ما أوصىٰ به وقضي في ماله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ابتغاء وجه الله ليولجني الله به الجنة ، ويصرفني عن النار ويصرف النار عن وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، ما كان لي لينبع من مال يعرف لي منها وما حولها صدقة ، ورقيقها ، غير أن أرباحاً وأبا يثرب وجبيراً عتقاً ليس لأحد عليهم سبيل ، وهم موالي يعملون في المال خمس حجج ، وفيه نفقتهم ورزقهم ، ورزق أهاليهم ، ومع ذلك ما كان لي بوادي القرى ثلثه : مال بني فاطمة ، ورقيقها وأهلها صدقة ، وما كان لي بالدرقة ، وبرعة وأهلها

---

(١) الوسائل ج ١٣ ص ٣١١ ح ١ ، التهذيب ج ٢ ص ٣٧٤ ، الفقيه ج ٢ ص ٢٩١ .
(٢) الوسائل ج ١٣ ص ٣٠٤ ح ٤ ، الإستبصار ج ٤ ص ٩٨ ح ٤ .
(٣) الوسائل ج ١٣ ص ٣٠٣ ح ٢ ، الكافي الفروع ج ٢ ص ٢٤٩ ، التهذيب ج ٢ ص ٣٧٥ .

صدقة ، غير أن ذريقاً له مثل ما كتبت لأصحابه ، وما كان لي بأذنية وأهلها صدقة ، والذي كتبت من أموالي هذه صدقة واجبة بتلة بتلة حي أنا أو ميت تنفق في كل نفقة يبتغي لها وجه الله في سبيل الله ووجهه ، وذي الرحم من بني هاشم ، وبني عبد المطلب القريب والبعيد ، وأنه يقوم على ذلك الحسن بن علي «عليهما السَّلام» يأكل منه بالمعروف ، وينفقه حيث يريد الله ، هي حل ومحلل لا حرج عليه فيه ، إن أراد أن يبذل مالاً من مال الصدقة إذا كان مال فإنه يفعل لا حرج عليه فيه ، وإن أراد أن يبيع شيئاً من المال فيقضي به الدين فعل إن شاء لا حرج عليه ، وإن ولد علي ومالهم إلى الحسن بن علي «عليهما السَّلام» وإن كانت دار الحسن بن علي «عليهما السَّلام» داراً غير دار الصدقة وبدا له أن يبيعها فليبع إن شاء لا حرج عليه فيه ، وإن باعها قسمها ثلاثة أثلاث ، يجعل ثلثاً في سبيل الله ، وثلثاً في بني هاشم وبني عبد المطلب ، وثلثاً في آل أبي طالب يضعه فيهم حيث يريد الله ، فإن حدث بالحسن حدث والحسين حي فإنه للحسين بن علي «عليهما السَّلام» وان الحسين بن علي «عليهما السَّلام» يجعل فيه مثل الذي أمرت حسناً وله منها مثل الذي كتبت وعليه مثل الذي على الحسن ، وان الذي لبني فاطمة من صدقة على مثل الذي لبني علي ، فإني إنما جعلت الذي لبني فاطمة ابتغاء وجه الله ، ثم لكريم حرمة محمد «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» تعظيماً وتشريعاً ورضا بهما ، وإن حدث بالحسن والحسين حدث فالولد الآخر منهما ينظر في ذلك ، وإن رأى أن يوليه غيره نظر في بني علي ، فإن وجد فيهم من يرضى دينه وإسلامه وأمانته جعله إليه إن شاء وإن لم ير فيهم الذي يريده فإنه يجعله إن شاء إلى رجل من آل أبي طالب يرتضيه ، فإن وجد آل أبي طالب يومئذ قد ذهب أكابرهم وذوو آرائهم وأسنانهم فإنه يجعله إن شاء إلى رجل يرضى حاله من بني هاشم ، ويشترط على الذي يجعل ذلك إليه أن يترك المال على أصله ، وينفق ثمرته حيث أمرته في سبيل الله ووجوهه وذوي الرحم من بني هاشم ، وبني عبد المطلب ، والقريب البعيد ، لا يباع منه شيء ، ولا يوهب ولا يورث وإنما لمحمد رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» على ما حبسه هو إلى بني فاطمة ، وكذا

مال فاطمة «عليها السَّلام» إلى بنيها.إلى آخر الوصية الوقفية)[١] .

وفي نهج البلاغة:من وصية له «عليه السَّلام» بما يعمل في أموال‍ه كتبها بعد منصرفه من صفين : (هذا ما أمر به عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين في ماله ابتغاء وجه الله ليولجه الجنة ، ويعطيه الأمنة منها وأنه يقوم بذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف وينفق منه بالمعروف ، فإن حدث بحسن حدث وحسين حي قام بالأمر بعده ، وأصدر مصدره ، وان لبني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي ، وإنما جعلت القيام بذلك إلى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله وقربة إلى الرسول وتكريماً لحرمته وتشريفاً لوصلته ويشترط على الذي يجعله إليه أن يترك المال على أصوله وينفق من ثمره حيث أمر به وهدى له وأن لا يبيع من نخيل هذه القرى ودية حتى تشكل أرضها غراساً)[٢] .

وروى الشيخ البهائي في الكشكول عن أحمد بن داود القمي قال روى ان الحسين «عليه السَّلام» اشترى النواحي التي دفن فيها من أهل نينوى والغاضرية بستين ألف درهم وتصدق بها عليهم وشرط أن يرشدوا إلى قبره ويضيفوا من زاره ثلاثة أيام وذكر السيد رضي الدين بن طاووس رضى الله عنه أنها إنما صارت حلالاً بعد الصدقة لأنهم لم يفوا بالشرط وروى الشيخ المفيد في الإرشاد انه لما ولى عبد الملك بن مروان الخلافة رد إلى علي بن الحسين «عليهما السَّلام» صدقات رسول الله «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» وصدقات أمير المؤمنين «عليه السَّلام» وكانتا مضمونتين فخرج عمر بن علي إلى عبد الملك يتضمن إليه من ابن أخيه فقال عبد الملك إشعاراً .

وورد (ان أبا نيزر كان من أبناء بعض الملوك فرغب في الإسلام صغيراً فأتىٰ رسول الله «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» فأسلم وكان معه في بيوته فلما توفي رسول الله «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» صار مع فاطمة وولدها «عليهم السَّلام» قال أبو

---

(١) الوسائل ج ١٣ ص ٣١٢ ح ٤ ، التهذيب ج ٢ ص ٣٧٥ ، الكافي الفروع ج ٢ ص ٢٤٧ .

(٢) نهج البلاغة (صبحي الصالح) ص ٣٧٩ .

نيزر جاءني علي بن أبي طالب «عليه السَّلام» وأنا أقوم بالضيعتين عين أبي نيزر والبغيبغة ـ إلى أن قال ـ : ثم أخذ المعول وانحدر في العين فجعل يضرب وأبطأ عليه الماء فخرج وقد تفضح جبينه عرقاً ، فانتكف العرق عن جبينه ثم أخذ المعول وعاد إلى العين فأقبل يضرب فيها وجعل يهمهم فانثالت كأنها عنق جزور ، فخرج مسرعاً وقال : أشهد الله أنها صدقة،عليَّ بدواة وصحيفة ، قال : فعجلت بها إليه ، فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين تصدق الضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ، ليقي الله بهما وجهه حر النار يوم القيامة ، لا تباع ولا توهب حتى يرثها وهو خير الوارثين ، إلَّا أن يحتاج إليهما الحسن والحسين فهما طلق لهما ، وليس لأحد غيرهما ، قال الراوي فركب الحسين «عليه السَّلام» ديناً فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مئتي ألف دينار ، فأبى أن يبيع ، وقال : إنما تصدق بها أبي ليقى الله بها وجهه حر النار ولست بائعهما بشيء)[1] .

وعن عبد الرحمان بن الحجاج قال : (أوصى أبو الحسن «عليه السَّلام» بهذه الصدقة ، هذا ما تصدق به موسى بن جعفر تصدق بأرضه في مكان كذا وكذا كلها وحد الأرض كذا وكذا ، تصدق بها كلها ونخلها وأرضها وقناتها ومائها وأرجائها وحقوقها وشربها من الماء وكل حق هو لها في مرفع أو مظهر أو عرض أو طول أو مرفق أو ساحة أو أسقية أو متشعب أو مسيل أو عامر أو غامر تصدق بجميع حقوقه من ذلك على ولد صلبه من الرجال والنساء ، يقسم وإليها ما أخرج الله عزّ وجلّ من غلتها بعد الذي يكفيها في عمارتها ومرافقها ، وبعد ثلاثين عذقا تقسم في مساكين القرية بين ولد موسى للذكر مثل حظ الانثيين ، فإن تزوجت امرأة من بنات موسى فلا حق لها في هذه الصدقة حتى ترجع إليها بغير زوج ، فإن رجعت كان لها مثل حظ التي لم تزوج من بنات موسى ، وإن من توفي من ولد موسى على سهم أبيه للذكر مثل حظ الانثيين ، مثل ما شرط موسى بين ولده من صلبه ، وان من توفي من ولد موسى ولم يترك ولداً رد حقه إلى أهل

---

(١) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٥١٤ .

الصدقة ، وانه ليس لولد بناتي في صدقتي هذه حق ، إلاَّ أن يكون آباؤهم من ولدي وليس لأحد في صدقتي حق مع ولدي وولد ولدي وأعقابهم ما بقي منهم أحد ، فإذا انقرضوا فلم يبق منهم واحد فصدقتي على ولد أبي من امي ما بقي منهم أحد على مثل ما شرطت بين ولدي وعقبي ، فإذا انقرض ولد أبي من امي فصدقتي على ولد أبي وأعقابهم ما بقي منهم أحد على مثل ما شرطت بين ولدي وعقبي ، فإذا انقرض ولد أبي ولم يبق منهم أحد فصدقتي على الأول حتى يرثها الله الذي رزقها وهو خير الوارثين ، تصدق موسى بن جعفر بصدقته هذه وهو حي صحيح صدقة حبساً بتاً بتلاً مبتوتة لا رجعة فيها ولا رد ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، ولا يحل لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيعها ولا يقطعها ولا يهبها ولا يغير شيئاً مما وصفته عليها حتى يرث الله الأرض ومن عليها وجعل صدقته هذه إلى علي وإبراهيم ، فإذا انقرض أحدهما دخل إسماعيل مع الباقي منهما فإذا انقرض أحدهما دخل العباس مع الباقي ، فإذا انقرض أحدهما دخل الأكبر من ولدي مع الباقي ، وإن لم يبق من ولدي إلاَّ واحد فهو الذي يليه)(١) .

وعن محمد بن مهران قال : (سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» أوصى أن يناح عليه سبعة مواسم ، فأوقف لكل موسم مالاً ينفق)(٢) .

وعن الباقر «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (ان فاطمة «عليها السَّلام» عاشت بعد رسول الله «صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم» ستة أشهر ، قال : وان فاطمة بنت رسول الله «صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم» كتبت هذا الكتاب : بسم الله الرحمان الرحيم ، هذا ما كتبت فاطمة بنت محمد «صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم» في مالها إن حدث بها حادث تصدقت بثمانين أوقية تنفق عنها من ثمارها التي لها كل عام في رجب بعد نفقة السعي ، ونفقة الغل ، وأنها أنفقت أثمارها العالم ، وأثمارها القمح عاماً قابلاً في أوان غلتها ، وأنها أمرت لنساء محمد أبيها «صلَّىٰ الله عليه

---

(١) الوسائل ج ١٣ ص ٣١٤ ح ٥ ، التهذيب ج ٢ ص ٣٧٥ ، الفقيه ج ٢ ص ٢٩٣ .
(٢) الوسائل ج ١٣ ص ٢٩٤ ح ٩ ، التهذيب ج ٢ ص ٣٧٤ ، الفقيه ج ٢ ص ٢٩١ .

وآلـه وسلّم» وسلم خمساً وأربعـين أوقية ، وكتبت في أصـل مـالهـا في المـدينـة أن علياً «عليه السَّلام» سألها أن توليه مالها فيجمع مالها إلى مال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» فـلا تفرق ويليـه ما دام حيـا ، فإذا حـدث به حـادث دفعه إلى الحسن والحسـين فيليانـه ، واني دفعت إلى علي بن أبي طـالب على أني أحلله فيـه فيدفع مالي ومال محمد «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» لا يفرق منه شيئاً ، يقضي عني من أثمار المال ، وأمرت به وما تصدقت به ، فإذا قضى الله صـدقتها وأمـرت به ، فالأمر بيد الله تعالىٰ ، وبيد عليّ «عليه السَّلام» يتصدق وينفق حيث شاء لا حرج عليـه ، فإذا حـدث به حـدث دفعه إلى إبني الحسن والحسـين المال جميعـاً ينفقان ويتصـدقان حيثـا شـاءا ولا حـرج عليهـما ، وان لإبنـة جنـدب يعني بنت أبي ذر الغفـاري التابـوت الأصغر ، ويعـطىٰ لها من المـال ما كـان من فعل الآدميـين ، والنمط والجب والسرير والزربيـة والطيفتـين ، وإن حدث بـأحد ممن أوصيت لـه قبل أن يدفع إليه فإنه ينفق عنه في الفقراء والمسـاكين ، وان الأستـار لا يستر بهـا امرأة إلّا إحدىٰ ابنتي ، غير أن علياً يسـتر بهن إن شاء مـا لم ينكح ، وأن هـذا ما كتبت فاطمة «عليها السَّلام» في مالها وقضت فيه ، والله شهيد والمقداد بن الأسود والزبير بن العوام وعليّ بن أبي طالب كتبها ، وليس عـلى علي حـرج فيما فعـل من معروف . قال جعفر بن محمد «عليهما السَّلام» قال أبي وهكذا وجدنا وصيتهـا)[1] إلى غـير ذلـك من الـروايـات الـواردة في الـوقف أو أوقـافهم «عليهـم الصَّـلاة والسَّلام» .

طائفة من الروايات في الحث على الوصية بالثلث :

ولا يخفى أن الـوصية بـالثلث غـير الـوقف . وقـد ورد في الـوصيـة أيضـاً روايـات ، والروايـة الأخيرة من فـاطمة «عليهـا الصَّـلاة والسَّـلام» مشتملة عـلى الأمرين .

فعن أبي عبد الله «عليه السَّلام»:(كان الـبراء بن مغرور الأنصـاري بالمـدينة وكـان رسول الله «صـلىٰ الله عليه وآلـه وسلّم» بمكة وانّـه حضره المـوت ، وكـان

---

(١) الوسائل ج ١٣ ص ٣١١ ح ١ .

رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» والمسلمون يصلون إلى بيت المقدس ، فأوصىٰ البرار بن مغرور إذا دفن أن يجعل وجهه إلى تلقاء النبيّ إلى القبلة ، وأوصىٰ بثلث ماله فجرت به السنة)[١] .

وعن أبي بصير قال : (سألت أبا عبد الله «عليه السَّلام» : إن الرجل يموت ما له من ماله ، فقال له ثلث ماله ، وللمرأة أيضاً)[٢] .

وعن عبد الرحمان بن الحجاج قال : (سألت أبا الحسن عما يقول الناس في الوصية بالثلث والربع عند موته أشيء صحيح معروف أم كيف صنع أبوك ؟ قال : الثلث ذلك الأمر الذي صنع أبي رحمه الله)[٣] .

وفي رواية عن أبي بصير عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» في الرجل له الولد يسعه أن يجعل ماله لقرابته ؟ قال : (هو ماله يصنع به ما شاء إلى أن يأتيه الموت ، قال : فإن أوصىٰ به فليس له إلّا الثلث)[٤] . .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (من لم يحسن وصيته عند الموت كان ذلك نقصاً في مروته وعقله)[٥] .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (من مات على وصية حسنة مات شهيداً) إلى غيرها مما ذكرنا جملة منها في كتاب الوصية من الفقه .

عوامل الفقر :

أما الثالث من الأمور التي ذكرناها في أول المسألة ، فهو الفقر وللفقر عوامل منها:

---

(١) الوسائل ج ١٣ ص ٣٦١ ح ١ ، الفقيه ج ٢ ص ٢٦٨ ، علل الشرائع ١٨٩ .
(٢) الوسائل ج ١٣ ص ٣٦٣ ح ٢ ، الإستبصار ج ٤ ص ١١٩ ح ٢ .
(٣) الوسائل ج ١٣ ص ٤٦٢ ح ٣ ، الفقيه ج ٢ ص ٢٨٧ .
(٤) الوسائل ج ١٣ ص ٣٦٣ ح ٦ ، فروع الكافي ح ٢ ص ٢٣٦ .
(٥) الوسائل ج ١٣ ص ٣٥٧ ح ١ ، الفقيه ج ٢ ص ٢٦٧ .

الأول : عامل الكبت بسبب القوانين الوضعية فكلّ شيء من الإسترباح وحيازة المباحاة والعمل ، بمختلف أنواعه ممنوعة إلاَّ بإجازة والإجازة لها شروط وقيود لا يحصل عليها الإنسان إلاَّ بشق الأنفس ، بينما في مناهج الله تعالىٰ كل شيء حرّ إلاَّ المحرمات .

ومن المعلوم أن هذه القوانين الكابتة تركت مئات الملايين من الناس عاطلين أو شبه عاطلين .

الثاني : عامل النهب والسرقة ، فإن الحكومات كافة أخذت تسرق وتنهب من أموال الناس تحت ألف إسم وإسم وألف قانون وقانون ، وقد شكلوا عشرات الملايين من العاطلين باسم الموظفين لسرقة أموال الناس وكبتهم .

الثالث : عامل السلاح ، فإن السلاح أخذ من أموال الناس مئات المليارات من الدنانير كل عام ، ثم ان الحكومات لم يقتنعوا بهذه المآسي بل أضافوا عليها عامل صب أموال الناس في كيس الرأسماليين ، سواء منهم الرأسماليون الغربيون كأمريكا أو الرأسماليون الشرقيون كروسيا ، والفارق أن الرأسمالية الغربية تكون لجماعات كثيرة من الأثرياء ، بينما الرأسمالية الشرقية تكون لجماعة خاصة من زعماء الحكومة والحزب من غير فرق بين الغرب والشرق وبين من يدور في فلك هذا أو فلك ذاك مما فصلناه في الكتب السياسية والاقتصادية والاجتماعية وذكرنا بعضها في (الدولة) وفي (الصياغة) وغيرها .

الربا عقبة كأداء في طريق النجاة :

مسألة: ثم انه يلزم على الناهضين أن يعمموا صناديق (الإقتراض الخيري) لسد البنوك الربوية ، فإن الربا فيه ضرران :

الأوّل : الضرر الإقتصادي الموجب لتكوين الطبقية الحادة، ولذا اشتهر بين الإقتصاديين أن الربا شرارة الحروب . وقد حرمه الإسلام لأنه فساد للمال إلى غير ذلك مما ذكر في الروايات من العلل والحِكم .

الثاني : وهذا شيء إضافي حدث بعد الإستعمار ، ولو لم يكن إلاّ هو لحرم أيضاً ، وهو أن البنوك مربوطة بعضها ببعض ، والكل يصب في الرأسمالية العالمية الغربية والشرقية المعادية للإسلام ، وكفى به ضرراً جديداً ، وقد ذكرنا بعض تفصيل ذلك في فقه الإقتصاد ، وإليك جملة من الروايات في الأمرين السلبي بحرمة الربا والإيجابي بالقرض . ليعرف أن المسلمين كيف ارتطموا فيما يضر دينهم ودنياهم في وقت واحد باتباعهم مناهج الغرب والشرق .

فعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (درهم ربا عند الله أشد من سبعين

زنية كلها بذات محرم)[١] .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (أخبث المكاسب كسب الربا)[٢] .

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (درهم ربا أشد عند الله من ثلاثين زنية كلها بذات محرم مثل عمة وخالة)[٣] .

وعن سعيد بن ياسر قال : قال أبو عبد الله «عليه السَّلام» : (درهم واحد ربا أعظم من عشرين زنية كلها بذات محرم)[٤] .

وعن زرارة عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : قلت له : (إني سمعت الله يقول : ﴿**يمحق الله الربا ويربي الصدقات**﴾[٥] وقد أرىٰ من يأكل الربا ويربو ماله ، فقال أي محق أمحق من درهم ربا يمحق الدين ، وإن تاب منه ذهب ماله وافتقر)[٦] .

وعن هشام بن الحكم انه سأل أبا عبد الله «عليه السَّلام» عن علة تحريم الربا ؟ فقال «عليه السَّلام» : (انه لو كان الربا حلالاً لترك الناس التجارات وما يحتاجون إليه ، فحرم الله الربا لتنفر الناس من الحرام إلى الحلال وإلى التجارات من البيع والشراء)[٧] .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (إنما حرم الله عزّ وجلّ الربا لئلا يذهب المعروف)[٨] .

وعن محمد بن سنان (ان علي بن موسىٰ الرضا «عليه الصَّلاة والسَّلام» كتب

---

(١) الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٢ ح ١ ب ٧ ، الكافي ج ٥ ص ١٤٤ ح ١ .
(٢) الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٣ ح ٢ ، الكافي ج ٥ ص ١٤٧ ح ١٢ .
(٣) الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٣ ح ٥ .
(٤) الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٤ ح ٦ التهذيب ج ٢ ص ١٢٢ .
(٥) سورة البقرة : الآية / ٢٧٩ .
(٦) الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٤ ، التهذيب ج ٢ ص ١٢٢ وص ١٢٤ .
(٧) الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٤ ح ٨ ، علل الشرائع ص ٤٨٢ ح ١ .
(٨) الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٥ ح ١٠ ، علل الشرائع ص ٤٨٣ ح ٤ .

إليه فيما كتب من جواب مسائله : وعلة تحريم الربا لما نهى الله عزّ وجلّ عنه ، ولما فيه من فساد الأموال ، لأن الإنسان إذا اشترى الدرهم بدرهمين كان ثمن الدرهم درهماً ، وكان الآخر باطلاً ، فبيع الربا وشراؤه يتأكد المصدر على كل حال على المشتري وعلى البائع ، فحرم الله عزّ وجلّ على العباد الربا لعلة فساد الأموال ، كما حظر على السفيه أن يدفع إليه ماله لما يتخوف عليه من فساده حتى يؤنس منه رشد ، فلهذه العلة حرم الله عزّ وجلّ الربا ، وبيع الدرهم بدرهمين ، وعلة تحريم الربا بعد البينة لما فيه من الإستخفاف بالحرام المحرم ، وهي كبيرة بعد البيان ، وتحريم الله عزّ وجلّ لها لم يكن إلّا استخفافاً منه بالمحرم الحرام ، والإستخفاف بذلك دخول في الكفر ، وعلة تحريم الربا بالنسبة لعلة ذهاب المعروف ، وتلف الأموال ، ورغبة الناس في الربح ، وتركهم القرض وصنائع المعروف ، ولما في ذلك من الفساد والظلم ، وفناء الأموال)[١] .

وعن جعفر بن محمد عن آبائه صلوات الله عليهم أجمعين عن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» في وصيته لعلي «عليه السَّلام» قال : (يا علي الربا سبعون جزءاً فأيسرها مثل أن ينكح الرجل امه في بيت الله الحرام ، يا علي درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنية كلها بذات محرم في بيت الله الحرام)[٢] .

وقال «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (شر المكاسب كسب الربا)[٣] .

وعن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال : (قلت لأبي عبد الله «عليه السَّلام» : ما معنىٰ قول المصلّي في تشهده : لله ما طاب وطهر وما خبث فلغيره ؟ قال : ما طاب وطهر كسبك الحلال من الرزق ، وما خبث فالربا) .

أقول : إن الإمام «عليه الصَّلاة والسَّلام» أشار إلى بعض صغريات الكبرىٰ ، ولعل ذلك كان لإرتباط السائل بهذه الجهة أو ما أشبه ذلك .

---

(١) الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٦ ح ١٢ ، الخصال ج ٢ ص ٥٨٣ ح ٨ ، الفقيه ج ٣ ص ٢٦٦ .
(٢) الفقيه ج ٢ ص ٣٤٢ ، الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٦ ح ١٣ .
(٣) الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٦ ح ١٤ ، معاني الأخبار ص ١٧٥ ح ١ .

وعن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» في حديث قال : (ومن أكل الربا ملأ الله بطنه من نار جهنم بقدر ما أكل ، وإن اكتسب فيه مالاً لم يقبل الله منه شيئاً من عمله ، ولم يزل في لعنة الله والملائكة ما كان عنده منه قيراط واحد)[١] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : لما أسري بي إلى السماء رأيت قوماً يريد أحدهم أن يقوم ولا يقدر عليه من عظم بطنه ، قال : قلت : من هؤلاء يا جبرائيل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون الربا)[٢] .

أقول : إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المس**﴾[٣] وقد ذكرنا وجه التشبيه في كتاب الفقه الإقتصاد .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» انه قال : (إذا أراد الله بقوم هلاكاً ظهر فيهم الربا)[٤] .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (الربا سبعون باباً أهونها عند الله كالذي ينكح امه)[٥] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنية كلها بذات محرم في بيت الله الحرام)[٦] .

وقال أبو جعفر يعني الجواد «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (السحت الربا)[٧] .

---

(١) الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٧ ح ١٥ ، عقاب الأعمال ص ٤٧ .
(٢) الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٧ ح ٢١ ، مجمع البيان ج ٢ ص ٣٨٩ ، تفسير القمي ص ٨٣ .
(٣) سورة البقرة : الآية / ٢٧٥ .
(٤) مجمع البيان ج ٢ ص ٣٩٠ ، الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٧ ح ١٧ .
(٥) مجمع البيان ج ٢ ص ٣٩٠ ، الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٧ ح ١٨ ، تفسير القمي ص ٨٤ .
(٦) مجمع البيان ج ٢ ص ٣٩٠ ، الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٧ ح ١١ ، تفسير القمي ٨٤٠ .
(٧) فقه الرضا (ع) ص ٢٥٦ ص ١ ، الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٧ ح ٢٠ .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (درهم ربا أعظم من سبعين زنية)[١] .

وعن أبي عبد الله «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (درهم ربا أعظم من عشرين زنية بذات محرم)[٢] .

وعن شهاب بن عبد ربه قال : (سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» يقول : آكل الربا لا يقوم حتى يتخبطه الشيطان من المس)[٣] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (إن التوبة مطهرة من دنس الخطيئة ، قال الله تعالىٰ : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين**﴾ إلى قوله : ﴿**تظلمون**﴾ فهذا ما دعا الله إليه عباده من التوبة ووعد عليها من ثوابه ، فمن خالف ما أمره الله به من التوبة سخط الله عليه ، وكانت النار أولى به وأحق)[٤] .

وعن موسىٰ بن جعفر عن آبائه «عليهم السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : إن أخوف ما أتخوف على امتي من بعدي هذه المفاسد الحرام ، والشهوة الخفية والربا)[٥] .

وفي نهج البلاغة قال أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (قال النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» عند ذكر أهل الفتنة : ويستحلون الخمر بالنبيذ ، والسحت بالهدية ، والربا بالبيع)[٦] .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (انه كان يكثر أن يقول لأصحابه : هل رأى منكم رؤيا ، وانه قال لنا ذات غداة : انه أتاني الليلة آتيان

---

(١) فقه الرضا (ع) ص ٧٧ ، الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٨ ح ٢٢ .
(٢) فقه الرضا (ع) ص ٧٧ ، الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٨ ح ٢٢ .
(٣) تفسير العياشي ج ١ ص ١٥٢ ، الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٨ ح ٢٣ ، الكافي ٥٠٣ .
(٤) تفسير العياشي ج ١ ، الوسائل ج ١٢ ص ٤١٨ ح ٢٤ ص ١٥٣ ح ٥١٢ .
(٥) الوسائل ج ١٢ ص ٥٢ ح ١ ، الكافي ج ٥ ص ١٢٤ ح ١ .
(٦) نهج البلاغة(صبحي الصالح) ص ٢٢٠ خطبة ١٥٦ .

فقالا لي : انطلق ، فانطلقت معهم فأخرجاني إلى الأرض المقدسة ، فأتينا إلى رجل مضطجع ـ إلى أن قال ـ : فانطلقنا فأتينا إلى نهر أحمر مثل الدم ، وإذا في النهر رجل سابح يسبح ثم يرجع إليّ كما رجع ، وإذا على شاطيء النهر رجل عنده حجارة كثيرة ، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر فاه فيلقمه حجراً ، وينطلق ، ويسبح ، ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجراً ، فقلت لهما ما هذان ؟ قالا لي : إنطلق ـ إلى أن قال ـ «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قالا : وأما الرجل الذي أتيت عليه فيسبح في النهر ويلقم الحجارة فإنه آكل الربا)[1] .

وعن البراء بن عازب قال : (كان معاذ بن جبل جالساً قريباً من رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» في منزل أبي أيوب الأنصاري فقال : معاذ يا رسول الله أرأيت قول الله تعالىٰ : ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾[2] فقال : يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الأمر ، ثم أرسل عينيه ، ثم قال : تحشر عشرة أصناف من أُمتي أشتاتاً قد ميزهم الله تعالىٰ من المسلمين ، وبدل صورهم فبعضهم على صورة القرد ـ إلى أن قال ـ : وبعضهم منكسون أرجلهم من فوق ووجوههم من تحت ، ثم يسحبون عليها ـ إلى أن قال ـ «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : وأما المنكسون على رؤوسهم فآكلة الربا)[3] .

وعن الرضوي «عليه الصّلاة والسّلام» : (إعلم يرحمك الله أن الربا حرام سحت من الكبائر ومما قد وعد الله عليه النار ، فنعوذ بالله منها ، وهو محرم على لسان كل نبي ، وفي كتاب ، وأروي عن العالم «عليه السّلام» أنه قال : إنما حرم الله الربا لأن لا يتمانع الناس المعروف)[4] .

وعن عبد الله بن مسعود قال : (قال رسول الله : يابن مسعود الزاني بأُمه

---

(١) انظر البحار ج ١٠٣ ص ١١٤ باب ٥ الربا وأحكامها .

(٢) سورة النبأ : الآية / ١٨ .

(٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٤٧٨ .

(٤) فقه الرضا (ع) ص ٢٥٦ س ١ .

أهون عند الله من أن يأكل الربا مثقال حبة من خردل) [١].

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن في هلاكها) [٢].

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (الدرهم من الربا أشد من ثلاث وثلاثين زنية كلها بذات محرم، ومن نبت لحمه من السحت فالنار أولى به) [٣].

وروي أنه أتى عليّ بن أبي طالب «عليه الصَّلاة والسَّلام» برجل يأكل الربا فقسم ماله قسمين فجعل نصفه في بيت المال وأحرق نصفه) [٤].

أقول : لعله «عليه السَّلام» أحرق نصفه زيادة في التنكيل من باب الأهم والمهم.

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (يأتي على الناس زمان لا يبقىٰ أحد إلاَّ يأكل الربا ، فإن لم يأكله أصابه من غباره) .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (إذا أكلت أُمتي الربا كانت الزلزلة والخسف) [٦].

وعن الجعفريات بسند الأئمة إلى علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (طرق طائفة من بني إسرائيل العذاب فأصبحوا وقد فقدوا أربعة أصناف - إلى أن قال - : والصيارفة آكلة الربا) [٧].

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٤٥٢ س ٢٣ .
(٢) انظر البحار ج ١٠٣ ص ١١٤ باب ٥ الربا وأحكامها .
(٣) انظر البحار ج ١٠٣ ص ١١٦ وص ١١٧ .
(٤) انظر البحار ج ١٠٣ ص ١١٤ باب ٥ الربا وأحكامها .
(٦) انظر البحار ج ١٠٣ ص ١١٤ باب ٥ الربا وأحكامها .
(٧) انظر البحار ج ١٠٣ ص ١١٤ باب ٥ الربا وأحكامها ، الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٢ أبواب الربا .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : ألا ان كل ربا في الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضعه ربا العباس ، وكل دم في الجاهلية مطلول ، وأول دم أطله دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب)[١] .

وروي في قصة المباهلة أن النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» جعل في صورة الصلح مع نصارى نجدان : (إن من أكل الربا منهم بعد عامه فذمتي منهم بريئة)[٢] . إلى غير ذلك من الروايات .

وإنما شدد الله سبحانه في الربا هذا التشديد لما هو واضح من أنه ابتداءاً يولد الطبقية الحادة بين أبناء المجتمع ، ويزيد فقر الفقراء وغنى الأغنياء ، إلى أن تكون ثورات ، ثم حروب مدمرة لا تدع إنساناً ولا عمارة ولا ضرعاً ولا زرعاً كما هو مشاهد الآن ، أليس ذلك يوجب مثل هذه العقوبة .

ولسائل أن يسأل : الدرهم لا يفعل ذلك !؟

الجواب : إن هذا من باب القضية الطبيعية ، مثل أن العقار الفلاني ينفع المرض الفلاني فهل يُراد أن ورقة واحدة من العقار تعطي هذه النتيجة ، وكذلك في سائر القضايا الطبيعية .

وللسائل أن يقول : فإذا كان الأمر كذلك فإذا اضطر الإنسان بين أن يزني أو يأخذ درهماً فهل يُقال له إزنِ واترك الدرهم؟ .

الجواب : كلا بل الإضطرار إلى الدرهم أهون ، ولا ينافي الأشدية بلحاظ عدم الترجيح مع الإضطرار بلحاظ آخر ، ولذا جعل حد الزاني أشد من حد آكل الربا ، فعقوبة الربا أشد بلحاظ الآخرة ، والزنا أشد بلحاظ عقوبة الدنيا ، لأنه سبب لسقوط العفة العمومية ، ومورث لهدم العوائل وكثرة الطلاق وعدم الاحتياج إلى الزواج بما يوجب العنس إلى غير ذلك .

ثم لا يخفىٰ أن اختلاف الروايات في قدر الإثم بسبب اختلاف المرابين

---

(١) انظر البحار ج ١٠٣ ص ١١٤ باب ٥ ، انظر الوسائل ج ١٢ ص ٤٢٢ أبواب الربا .
(٢) المصدر السابق .

والزمان والمكان والشرائط وما إلى ذلك ، كما في سائر أمثال هذا الأمر ، والمحق الوارد في الآية والرواية إنما هو لأن الربا يذهب بالمال والدم والبلاد ، كما فصلنا ذلك في كتاب فقه الإقتصاد .

والسباحة في نهر الدم في رؤيا رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» كأنه بسبب أن الربا يسبب إراقة الدماء ، وتلقيمه الحجر لأنه كان يأكل الذهب والفضة وهما حجران ، وحيث أنه كلما أراد المرابي أن يتوب سقط في الربا مرة ثانية شبه بالذي يتخبطه الشيطان من المس .

وإحراق علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» نصف المال إن صح الحديث كان من باب العقوبة كما ألقى موسىٰ برماد العجل في البحر .

القرض :

وأما الإيجابي باستحباب القرض والترغيب والتشويق إليه ، فقد ذكر في جملة من الروايات : مثل ما روي عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» في قول الله عزّ وجلّ : ﴿**لا خير في كثير من نجواهم إلاَّ من أمر بصدقة أو معروف**﴾[1] قال : (يعني بالمعروف القرض)[2] .

---

(١) سورة النساء : الآية / ١١٤ .

(٢) الوسائل ج ١١ ص ٥٤٥ ح ١ ؛ الكافي ج ٤ ص ٣٤ ح ٣ .

وعن ابن ياسر قال : (قال أبو عبد الله «عليه السَّلام» : ما من مؤمن أقرض مؤمناً يلتمس به وجه الله إلَّا حفظ الله له أجره بحساب الصدقة حتى يرجع ماله إليه ، وفي رواية اخرىٰ : ما من مسلم أقرض ملسماً الحديث)[1] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : مكتوب على باب الجنة : (الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر)[2] .

أقول : قد ذكرنا وجه ذلك في كتاب القرض من الفقه .

وعن الصدوق قال : (قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : الصدقة بعشرة ، والقرض بثمانية عشر ، وصلة الأخوان بعشرين ، وصلة الرحم بأربع وعشرين) [3] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (ما من مؤمن يقرض مؤمناً يلتمس به وجه الله حسب الله له أجره بحساب الصدقة)[4] .

وفي رواية عن أبي جعفر «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (سمعته يقول : ما من مسلم أقرض مسلماً يطلب به وجه الله إلَّا كان له من الأجر مثل حسنات الصدقة حتى يرده عليه)[5] .

وفي رواية عن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (من أقرض قرضاً كان له مثله صدقة . فلما كان من الغد قال : من أقرض قرضاً كان له مثله كل يوم صدقة . قال أمير المؤمنين «عليه السَّلام» : يا رسول الله ، قلت لنا أمس : من أقرض قرضاً كان له مثله صدقة ، وقلت اليوم : من أقرض قرضاً كان له مثله كل يوم صدقة ؟ قال : نعم من أقرض قرضاً كان له مثله صدقة ، ومن أخره بعد محله كان له مثله كل يوم صدقة)[6] .

---

(١) الوسائل ج ١٣ ص ٨٧ ح ٢ ، الكافي ج ٤ ص ٣٤ ح ٢ .
(٢) الوسائل ج ١١ ص ٥٤٥ ح ٣ ، الكافي ج ٤ ص ٣٣ ح ١ .
(٣) الوسائل ج ١١ ص ٥٤٦ ح ٥ .
(٤) الوسائل ج ١٣ ص ٨٧ ح ٢ ، ثواب الأعمال ص ١٣٨ .
(٥) نحوه الوسائل ج ١٣ ص ٨٧ ح ٢ ، ثواب الأعمال ص ١٣٨ .
(٦) البحار ج ١٠٣ ص ١٠١ ، الفقيه ج ٢ ص ٣٢ .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» أنه قال : (القرض ، والعارية ، وقرى الضيف ، من السنة)[١] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» : قال : (قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : من أقرض مؤمناً قرضاً ينظر به ميسورة كان ماله في زكاة ، وكان هو في صلاة من الملائكة ، حتى يؤديه)[٢] .

وفي رواية اخرى عن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (القرض الواحد بثمانية عشر وان مات حسبتها من الزكاة) [٣] .

وفي رواية عقاب الأعمال عن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (من أقرض أخاه المسلم كان له بكل درهم أقرضه وزن جبل أحد من جبال رضوى وطور سيناء حسنات ، وإن رفق به في طلبه جاز على الصراط كالبرق الخاطف اللامع بغير حساب ولا عذاب ، ومن شكى إليه أخوه المسلم فلم يقرضه حرم الله عزّ وجلّ عليه الجنة يوم يجزي المحسنين)[٤] .

صناديق قرض الحسنة للنجاة :

مسألة: ثم لا بأس هنا أن نذكر حكماً من أحكام الإسلام نسيه الحكّام كما نسوا كثيراً من أحكام الإسلام ، وإن أمر به المعصومون «صلوات الله عليهم أجمعين» وفعلوه كما يظهر من الروايات ، ولم يبق من العاملين به في هذه الأعصر إلاّ بعض المراجع عند تمكنهم ، وهو لزوم إعطاء القرض من بيت المال فيما إذا لم يقدر المقترض على الأداء حياً كان أو ميتاً ، فعلىٰ من يريد نجاة المسلمين أن يجعل ذلك في برامجه قبل الوصول إلى الحكم حسب القدرة ، ويوسع ذلك عند الوصول إن شاء الله تعالىٰ كاملاً حيث القدرة بإذن الله سبحانه .

---

(١) انظر البحار ج ١٠٣ ص ١٣٨ باب ١ الدين والقرض .
(٢) الوسائل ج ١٣ ص ٨٧ ح ٣ ، ثواب الأعمال ص ١٣٨ .
(٣) الوسائل ج ١٣ ص ٨٧ ح ٤ ، ثواب الأعمال ص ١٣٨ .
(٤) الوسائل ج ١٣ ص ٨٨ ح ٥ ، عقاب الأعمال ص ٤٩ .

فعن وليد بن صبيح قال : (جاء رجل إلى أبي عبد الله «عليه السَّلام» يدعي علىٰ المعلى بن خنيس ديناً عليه ، وقال : ذهب بحقي ، فقال أبو عبد الله «عليه السَّلام» : ذهب بحقك الذي قتله ، ثم قال للوليد : قم إلى الرجل فاقضه من حقه ، فإني أريد أن أبرد عليه جلده الذي كان بارداً)[١] .

وعن موسى بن بكر : (قال لي أبو الحسن «عليه السَّلام» : من طلب الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله ، فإن غلب عليه فليستدن على الله وعلى رسوله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» ما يقوت به عياله ، فإن مات ولم يقضه كان على الإمام قضاؤه ، فإن لم يقضه كان عليه وزره ، إن الله عزّ وجلّ يقول : ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ـ إلى قوله ـ والغارمين**﴾[٢] فهو فقير مسكين مغرم)[٣] .

وعن رجل من أهل الجزيرة يكنى أبا محمد ، قال سأل الرضا «عليه السَّلام» عن رجل وأنا أسمع فقال له : (جعلت فداك إن الله جلّ وعزّ يقول : ﴿**وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة**﴾ [٤] أخبرني عن هذه النظرة التي ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه لها حد يعرف إذا صار هذا المعسر إليه لا بد له من أن ينتظر وقد أخذ مال هذا الرجل وانفقه على عياله وليس له غلة ينتظر إدراكها ، ولا دين ينتظر محله ، ولا مال غائب ينتظر قدومه ، قال : نعم ينتظر بقدر ما ينتهي خبره إلى الإمام فيقضي عنه ما عليه من الدين من سهم الغارمين إذا كان أنفقه في طاعة الله عزّ وجلّ ، فإن كان أنفقه في معصية الله عزّ وجلّ فلا شيء له على الإمام ، قلت : فما لهذا الرجل الذي أئتمنه وهو لا يعلم فيما أنفقه في طاعة الله أم في معصيته ، قال : يسعى له في ماله فيرده عليه وهو صاغر)[٥] .

---

(١) الوسائل ج ١٣ ص ٩٩ ح ١ ، الكافي ج ٥ ص ٩٤ ح ٨ .
(٢) سورة التوبة : الآية / ٦٠ .
(٣) الوسائل ج ١٣ ص ٩١ ح ٢ ، قرب الإسناد ص ١٤٦ ، الكافي ج ٥ ص ٩٣ ح ٣ .
(٤) سورة البقرة : الآية / ٢٨٠ .
(٥) الوسائل ج ١٣ ص ٩١ ح ٣ ، تفسير العياشي ج ١ ص ١٥٥ ح ٥٢٠ ، الكافي ج ٥ ص ٩٣ ح ٥ .

وعن عطا عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال قلت له : (جعلت فداك ان عليَّ ديناً إذا ذكرته فسد عليّ ما أنا فيه ، فقال : سبحان الله أما بلغك أن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» كان يقول في خطبته : من ترك ضياعاً فعلي ضياعه ومن ترك ديناً فعلي دينه ، ومن ترك مالاً فلورثته ، فكفالة رسول الله ميتاً لكفالته حياً ، وكفالته حياً لكفالته ميتاً ، فقال الرجل : نفست عني جعلني الله فداك)[1] .

وعن الرضا «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (صعد النبيّ «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» المنبر فقال : من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ وإليّ ومن ترك مالاً فلورثته ، فصار بذلك أولى بهم من آبائهم وأمهاتهم ، وصار أولى بهم منهم بأنفسهم ، وكذلك أمير المؤمنين «عليه السَّلام» بعده جرى ذلك له مثل ما جرى لرسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم»)[2] .

وعن سفيان بن عيينة عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» : ان النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، وعلي «عليه السَّلام» أولى به من بعدي ، فقيل له : ما معنى ذلك ؟ فقال قول النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : من ترك ديناً أو ضياعاً فعلي ومن ترك مالاً فلورثته ، فالرجل ليست له على نفسه ولاية إذا لم يكن له مال ، وليس على عياله أمر ولا نهي إذا لم يجر عليهم النفقة ، والنبي وأمير المؤمنين ومن بعدهما «صلوات الله عليهم» لزمهم هذا ، فمن هنا صاروا أولى بهم من أنفسهم)[3] .

وفي رواية عن علي بن موسى «عليهما السَّلام» يقول : (المغرم إذا تدين أو استدان أجل سنة ، فإن وفى وإلّا قضىٰ عنه الإمام من بيت المال)[4] .

وعن الصادق «عليه السَّلام» قال : (صعد رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله

---

(١) الوسائل ج ١٣ ص ٩٢ ح ٥ ، التهذيب ج ٢ ص ٦٦ .
(٢) نحوه الوسائل ج ١٣ ص ٩٢ ح ٥ .
(٣) ورد مؤداه في تفسير العياشي ج ١ ص ١٥٥ ح ٥٢٠ .
(٤) انظر الوسائل ج ١٣ ص ٩٢ ح ٥ ، التهذيب ج ٢ ص ٦٦ .

وسلّم» المنبر فتغيرت وجنتاه والتمع لونه ثم أقبل بوجهه فقال : يا معشر المسلمين ، إنما بعثت أنا والساعة كهاتين ـ إلى أن قال ـ : أيها الناس من ترك مالاً فلأهله وورثته ، ومن ترك كلاً أو ضياعاً فعليّ وإليّ) (١) .

وعن علي بن إبراهيم في تفسيره في قوله تعالىٰ : ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾(٢) في كلام له إلى أن قال : (فلما جعل الله النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أباً للمؤمنين ألزمه مؤونتهم وتربية أيتامهم ، فعند ذلك صعد رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» المنبر فقال : من ترك مالاً فلورثته ومن ترك ديناً أو ضياعاً فعلي وإليّ ، فألزم الله نبيه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» ما يلزم الوالد للولد ، وألزم المؤمنين من الطاعة له ما يلزم الولد للوالد ، فكذلك ألزم أمير المؤمنين «عليه السَّلام» ما ألزم رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» من ذلك وبعده الأئمة واحداً واحداً) (٣) .

وفي رواية عن عائشة أنها قالت : (سمعت رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» يقول : ما من غريم ذهب بغريمه إلى وال من ولاة المسلمين واستبان للوالي عسرته إلاّ برأ هذا المعسر من دينه ، وصار دينه على والي المسلمين فيما في يديه من أموال المسلمين)(٤) .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» : (ومن كان له على رجل مال أخذه ولم ينفقه في إسرافٍ أو في معصية فعسر عليه أن يقضيه ،فعلى من له المال أن ينظره حتى يرزقه الله فيقضيه ، وإذا كان الإمام العادل قائماً فعليه أن يقضي عنه دينه لقول رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : من ترك مالاً فلورثته ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ وإليّ ، وعلى الإمام ما ضمنه الرسول «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» .

وعن جابر : (ان النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» خطب الناس ـ إلى أن

---

(١) تفسير العياشي سورة البقرة تفسير الآية ٢٨٢ إذ تداينتم .

(٢) سورة الأحزاب : الآية / ٦ .

(٣) الوسائل ج٦ ص١٤٣ باب ١ ح ١ .

(٤) الوسائل ج ٦ ص ١٤٤ باب ١ ح ٢ .

قال ـ : ثم يقول : أتتكم الساعة مصبحكم أو ممساكم ، من ترك مالاً فلورثته ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ)[١] .

وعن الغوالي عن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (من ترك مالاً فلأهله ومن ترك ديناً فعليّ) .

بيت المال :

وقد ذكرنا في بعض الكتب الإقتصادية : ان المال كان متوفراً في بيت مال المسلمين ، فإنه وإن كان يجمع المال من الناس بأنظف ما يكون الجمع عن أشياء قليلة جداً ، لكن كان المال مع ذلك كثيراً بحيث يقسم بين عامة المسلمين ، فإنه في ذلك اليوم لم يكن الموظفون بهذه الكثرة الكثيرة الكابتة لحريات الناس ، والمصفقون لرؤساء الدول ، كما لم يكن كبار الموظفين يسرقون المال ويودعونه في بنوك الغرب ، ولم تكن حياتهم حياة تجمّل وترف وسرف (حسب الدساتير الإسلامية في الأزمنة التي كان الإسلام فيها مطبقاً في الامة غالباً ، وإن كان أغلب الحكام لهم شأن آخر) .

نذكر هنا جملة من الروايات بهذا الصدد : فعن زرارة ومحمد بن مسلم أنهما قالا لأبي عبد الله «عليه السَّلام» : (أرأيت قول الله تعالىٰ **﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله﴾**[٢] أكل هؤلاء نعطي وإن كان لا يعرف ؟ فقال : إن الإمام يعطي هؤلاء جميعاً لأنهم يقرون له بالطاعة ، قال زرارة : قلت : فإن كانوا لا يعرفون ؟ فقال : يا زرارة لو كان يعطي من يعرف دون من لا يعرف لم يوجد لها موضع ، وإنما يعطي من لا يعرف ليرغب في الدين ويثبت عليه ، فأما اليوم فلا تعطها أنت وأصحابك إلّا من يعرف فمن وجدت من هؤلاء المسلمين عرافاً فاعطه دون الناس ، ثم قال سهم المؤلفة قلوبهم وسهم الرقاب عام ،

---

(١) الوسائل ج ٦ ص ١٤٥ باب ١ ح ٥ .
(٢) سورة البقرة : الآية / ٢٧٣ .

والباقي خاص ، قال : قلت : فإن لم يوجدوا ؟ قال : لا يكون فريضة فرضها الله عزّ وجلّ ، ولا يوجد لها أهل قال : قلت : فإن لم تسعهم الصدقات ؟ فقال : إن الله فرض للفقراء في مال الأغنياء ما يسعهم ولو علم أن ذلك لا يسعهم لزادهم ، أنهم لم يؤتوا من قبل فريضة الله عزّ وجلّ ، ولكن أوتوا من منع من منعهم حقهم لا مما فرض الله لهم ، فلو أن الناس أدوا حقوقهم لكانوا عائشين بخير) .

وعن محمد بن مسلم عن أحدهما «عليهما السَّلام» أنه سأل عن الفقير والمسكين فقال : (الفقير الذي لا يسأل والمسكين الذي هو أجهد منه الذي يسأل) .

وعن أبي الحسن «عليه السَّلام» قال : (إن الله وضع الزكاة قوتاً للفقراء وتوفيراً لأموالكم) .

وفي رواية علي بن إبراهيم : (إن العالم «عليه السَّلام» فسر هذه الأصناف الثمانية فقال : الفقراء هم الذين لا يسألون وعليهم مؤنات عيالهم والدليل على أنهم هم الذين لا يسألون وعليهم مؤنات عيالهم قول الله تعالىٰ : ﴿**للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافاً**﴾ والمساكين هم أهل الزمانات وقد دخل فيهم الرجال والنساء والصبيان ، والعاملين عليها هم السعاة والجباة في أخذها وجمعها وحفظها حتى يؤدوها إلى من يقسمها ، والمؤلفة قلوبهم قال : هم قوم وحدوا الله وخلعوا عبادة من دون الله ولم تدخل المعرفة قلوبهم إن محمداً رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» يتألفهم ويعلمهم ويعرفهم كيما يعرفوا ، فجعل لهم نصيباً في الصدقات لكي يعرفوا ويرغبوا ، وفي الرقاب قوم لزمتهم كفارات في قتل الخطأ وفي الظهار وفي الأيمان وفي قتل الصيد في الحرم ، وليس عندهم ما يكفرون ، وهم مؤمنون ، فجعل الله لهم سهماً في الصدقات ليكفر عنهم ، والغارمين قوم قد وقعت عليهم ديون أنفقوها في طاعة الله من غير إسراف ، فيجب على الإمام أن يقضي عنهم ويفكهم من مال الصدقات وفي

سبيل الله قوم يخرجون في الجهاد وليس عندهم ما يتقوون بـه أو قوم من المؤمنـين ليس عندهم ما يحجّـون به ، أو في جميـع سبل الخـير فعلىٰ الإمـام أن يعطيهم من مال الصدقات حتى يقووا على الحج والجهـاد ، وابن السبيل أبنـاء الطريق الـذين يكونون في الأسفار في طاعة الله ، فيقطع عليهم ويذهب مالهم ، فعـلى الإمام أن يردهم إلى أوطانهم من مال الصدقات)[١] .

وعن زرارة وحمـران ومحمد بن مسلم عن أبي جعفـر وأبي عبـد الله «عليهـما السَّلام» قال : (والمؤلفة قلوبهم قوم تألفهم رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» وقسم فيهم الفيء ، قـال : زرارة قال أبـو جعفر «عليـه السَّـلام» : فلما كـان في قابل جاءوا بضعف الذي أخذوا وأسلم الناس كثيراً قال : فقام رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم»خطيباً فقال : هذا خير أم الذي قلتم ، قد جاءوا من الإبـل بكـذا وكذا ضعف مـا أعطيتم وقـد أسلم لله عالم ونـاس كثير والـذي نفسي بيده لوددت أن عندي ما أعطي كل إنسان ديته حتى يسلم لله رب العالمين)[٢] .

وعن أبي جعفـر «عليه السَّـلام» قـال في قـول الله عـزّ وجـلّ : ﴿**والمؤلفـة قلوبهم**﴾ قـال : (قـوم يتـألفـون عن الإسـلام من رؤسـاء القبـائـل كـان رسـول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» يعطيهم ويكون ذلك في كـلّ زمان إذا احتـاج إلى ذلك الإمام فعله)[٣] .

وعن النبيّ «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (أمرت أن آخذ الصدقـة من أغنيائكم فأردها في فقرائكم)[٤] .

وعن عبد الرّحمان بن الحجاج قال : (سألت أبا الحسن «عليه السَّـلام» عن رجل عارف فاضل توفي وترك عليه ديناً قد ابتلىٰ بـه لم يكن بمفسد ولا بمسرف ولا معروف بالمسألة هل يقضىٰ عنه من الزكاة الألف والألفان؟ قال نعم)[٥] .

---

(١) تفسير القمي ج ١ ص ٢٩٨ .
(٢) البرهان ج ٢ ص ١٣٧ ح ١٣ .
(٣) مستدرك الوسائل ص ٥٢١ باب ١ ح ١١ .
(٤) مستدرك الوسائل ص ٥٢١ باب ١ ح ١٤ .
(٥) الكافي ج ٣ ص ٥٤٩ ح ٢ .



وعن العبد الصالح «عليه السَّلام» قال : (في خمسة أشياء من الغنـائم ومن الغوص ومن الكنوز والمعادن والملاحة)[١] .

وعن عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (والخمس يخرج من أربعة وجوه : من الغنـائم التي يصيبها المسلمـون من المشركين ، ومن المعـادن ، ومن الكنوز ، ومن الغوص) [٢] .

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : سألتـه عن معادن الـذهب والفضـة والصفـر والحـديـد والـرصـاص ، فقـال : (عليهـا الخمس جميعاً) [٣] .

وفي حديث عن أبي عبد الله «عليـه الصَّلاة والسَّـلام» قال الحلبي : سـألته عن الكنـز كم فيه ؟ قـال : الخمس ، وعن المعادن كم فيهـا ؟ قـال : الخمس ، وعن الرصاص والصفر والحديد وما كان من المعادن كم فيها ؟ قال : (يؤخذ منها كما يؤخذ من معادن الذهب والفضة)[٤] .

وعن زرارة عن أبي جعفـر «عليه السَّـلام» قال سـألته عن المعـادن ما فيهـا فقال : (كل ما كان ركازاً ففيه الخمس) .

وقال «عليه السَّلام» : (ما عالجته ممـا أخرج الله سبحـانه منـه من حجارتـه مصفىٰ الخمس)[٥] .

وعن محمد بن مسلم سألت أبا جعفر «عليـه السَّلام» عن المـلاحة فقـال : (وما الملاحة ؟ فقلت : أرض سبخة مالحة يجتمع فيه المـاء فيصير ملحـاً ، فقال : هذا المعدن فيه الخمس ، فقلت : والكبريت والنفط يخرج من الأرض ، قال : فقال : هذا وأشباهه فيه الخمس)[٦] .

---

(١) الوسائل ج ٦ ص ٣٣٩ ح ٤ باب ٢ .
(٢) الوسائل ج ٦ ص ٣٤١ ح ١٢ باب ٢ .
(٣) الوسائل ج ٦ ص ٣٤٢ ح ١ باب ٣ .
(٤) الوسائل ج ٦ ص ٣٤٢ باب ٣ ح ٢ .
(٥) الوسائل ج ٦ ص ٣٤٣ باب ٣ ح ٣ .
(٦) الوسائل ج ٦ ص ٣٤٣ باب ٣ ح ٤ .

نحو زراعة وطنية ناجحة :

مسألة: يلزم إحياء الزراعة الوطنية (والمراد بالوطن مهما عبرنا عنه في هذا الكتاب وغيره:هو الوطن الإسلامي الذي ورد فيه(حب الوطن من الإيمان)، لا الوطن بالمعنى الإصطلاحي أي الحدود الجغرافية للعراق ،ولمصر ، ولإيران ، ولتركيا ، مثلاً ، ولا الوطن بالمعنى الذي هو محور قصر الصَّلاة والإفطار أو تمامهما كما يعبر عنه في الفقه في كتابي الصَّلاة والصوم بأن يهتم المسلمون بالزراعة لسد حاجاتهم في مختلف الأبعاد من شق الأنهر ، ومد القنوات ، وصنع الترع ، وتهيئة وسائل إصلاح الأرض ، وتحليتها في مثل السباخ واستحضار وسائل الزرع الطبيعية ، كالثيران ، والمحراث ، وما أشبه ذلك ، حتى يكون المسلم سيد نفسه ، لا أن يستورد كل شيء من الحنطة والشعير والأرز إلى أقل شيء من المزروعات من البلاد الأجنبية كما هو كذلك الآن حيث ترى أراضي الإسلام يباباً بينما المال يصب في كيس الشرق والغرب لأجل استيراد الحبوب وغيرها .

وما يسمى بالإصلاح الزراعي ونحوه مما استورد من الغرب والشرق ليس إلّا إفساداً للزراعة ، وذات مرة كان أهل أحد البلاد الإسلامية النفطية يضجون من الإصلاح الزراعي الذي استورده رئيس دولتهم ، فقال لهم خبير اقتصادي



ثلاث شياة قدستهم الملائكة ثلاث تقديسات ، وانتقل عنهم الفقر ثلاث منقلات)[١]

وعن أبي خديجة عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (دخل رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» على أُم أيمن ، فقال : ما لي لا أرى في بيتك البركة ، فقالت أو ليس في بيتي بركة ؟ فقال : لست أعني ذلك ، شاة تتخذ فيها يستغني ولدك من لبنها وتطعميني من سمنها وتصلّين في مربضها)[٢] .

وعنهم «عليهم السّلام» : (نظفوا مرابض الغنم وامسحوا رغامهن ، فإنهنَّ من دواب الجنة)[٣] .

وعن نصر بن مزاحم ، عن جميل ، عن أُم راشد ، مولاة أُم هاني : (إن أمير المؤمنين «عليه السَّلام» دخل على ام هاني : قدمي لأبي الحسن «عليه السَّلام» طعاماً فقدمت ما كان في البيت ، فقال علي «عليه السَّلام» : (ما لي لا أرى عندكم البركة ، فقالت : ام هاني أو ليس هذا بركة ، فقال : لست أعني هذا ، إنما أعني الشاة ، فقالت : فما لنا من شاة ، فأكل واستيسقى)[٤] .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (امسحوا رغام الغنم ، وصلّوا في مراحها ، فإنّها دابة من دوابّ الجنة ، قال : الرغام : ما يخرج من أُنوفها)[٥] .

أقول : والمراد تنظيفها تنظيفاً يتمكن الإنسان من الصَّلاة في محلها ، لأن الصَّلاة تستحب أن تكون في الأماكن النظيفة .

وفي رواية عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (من

---

(١) الوسائل ج ٨ ص ٣٧٤ ح ٨ ب ٣٠ ، المحاسن ص ٦٤٠ وص ٦٤١ ، الكافي ج ٦ ص ٥٤٤ ح ٤ مع اختلاف .

(٢) الوسائل ج ٨ ص ٣٧٤ ح ٩ ب ٣٠ ، المحاسن ص ٦٤١ .

(٣) الوسائل ج ٨ ص ٣٧٥ ح ١٠ ب ٣٠ .

(٤) الوسائل ج ٨ ص ٣٧٥ ح ١٢ ب ٣٠ ، المحاسن ص ٦٤١ فيه (حميد الأبي) مكان جميل .

(٥) الوسائل ج ٨ ص ٣٧٥ ح ١٢ ب ٣٠ ، المحاسن ص ٦٤٢ .



وعن ابن سنان عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : نظفوا مرابضها وامسحوا رغامها)[١] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (إذا اتخذ أهل بيت شاة أتاهم الله برزقها ، وزاد في أرزاقهم ، وارتحل عنهم الفقر مرحلة ، فإن اتخذوا شاتين أتاهم الله بأرزاقهما ، وزاد في أرزاقهم ، وارتحل عنهم الفقر مرحلتين ، وإن اتخذوا ثلاث أتاهم الله بأرزاقها ، وارتحل عنهم الفقر رأساً)[٢] .

وفي رواية أُخرى عن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (ما من أهل بيت تروح عليهم ثلاثون شاة إلاَّ لم تزل الملائكة تحرسهم حتى يصبحوا) [٣] .

وفي رواية الجعفريات بسند الأئمة «عليهم الصَّلاة والسَّلام» إلى علي قال : (قيل يا رسول الله ما خير بعد الزرع ؟ قال «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : أفضل الناس رجل في غنيمة له يتبع بها مواقع القطر يقيم الصَّلاة ويأتي الزكاة يعبد الله لا يشرك به شيئاً)[٤] .

وعن ابن فضال عن الصَّادق عن أبيه عن آبائه «عليهم السَّلام» عن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (الشاة المنتجة بركة)[٥] .

وفي رواية أُخرىٰ عن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» (انه قال لجرير بن عبد الله : أين تنزلون ؟ قال : في أكناف بيئة ، بين سلم وأراك ، وسهل ودكداك ، شفاء وربيع ، ومائنا ينبع ، لا يُقام ماتحها ، ولا يغرت سارحها، ولا يحبس صالحها، فقال «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : ألا أن خير الماء

---

(١) الوسائل ج ٨ ص ٣٧٢ ح ٣ ، الكافي ج ٦ ص ٥٤٤ ح ٣ .
(٢) الوسائل ج ٨ ص ٣٧٢ ح ٤ ، الكافي ج ٦ ص ٥٤٤ ح ٤ ، المحاسن ص ٦٤١ ح ١٥٩ .
(٣) الكافي ج ٦ ص ٥٤٥ ح ٩ ، الوسائل ج ٨ ص ٣٧٣ ح ٥ ، المحاسن ص ٦٤٢ ح ١٦١ .
(٤) الوسائل ج ٨ ص ٣٩٢ ح ١ ب ٤٨ وج ١٣ ص ١٩٢ ح ١ ب ١ ، الفقيه ج ١ ص ١٠٣ ، المجالس ص ١٢٠ ، الخصال ج ١ ص ٣٤٥ ح ١٠٥ .
(٥) انظر الوسائل ج ٨ ص ٣٣٩ أبواب أحكام الدواب . .

والغزلان ، والدجاج ، والماعز ، والأبقار ، وغيرها لأجل الإستفادة من لحومها وألبانها والمواد النافعة منها وكذا مشتقات الألبان كالسمن والجبن والمخيض وغيرها ، وكذلك الجلود لأجل صناعة الأحذية والمناطق وسائر الملابس والفرش الجلدية وغير الجلدية ، وغزل الصوف والوبر والشعر ونحوها لأجل الملابس وغيرها ، والإستفادة من الريش في الطائر لأجل الوسائد ونحوها ، وكذلك الإستفادة من فضلاتها لأجل السماد والاحراق والوقود في الشتاء والإستفادة من عظامها لأجل الأطعمة الجلاتينية وسحقها لطعام الدواب ، وصنع السكر ونحو ذلك ، وهذا شيء ممكن .

وقد ورد في جملة من الروايات التحريض على حفظ الحيوانات الأهلية والإستفادة منها ، من الشياه والأبقار والإبل والطيور والأسماك وغيرها ، وإليك بعض تلك الروايات :

فعن ابن سنان قال : سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» يقول : (إن الله عزّ وجلّ اختار من كل شيءٍ شيئاً ، إختار من الإبل الناقة ، ومن الغنم الضانية)[١] .

وفي رواية أُخرى عن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلّم» : إن الله عزّ وجلّ اختار من الأنعام إناثها ، واختار من الغنم الضأن)[٢] .

أقول : يدل ذلك على أن الإناث أفضل من باب كثرة فوائدها .

وعن إسحاق بن جعفر قال : قال لي أبو عبد الله «عليه السَّلام» : (يا بني أتخذ الغنم ، الحديث)[٣] .

---

(١) الوسائل ج ٨ ص٣١٨ ح ١ ب ٢٥ ، الكافي ج٦ ص ٥٤٤ ح ١١ .
(٢) الوسائل ج ٨ ص ٣٦٨ ح ١ ، الكافي ج ٦ ص ٥٤٤ ح ١١ .
(٣) الوسائل ج ٨ ص ٣٧٣ ح ١ ب ٢٩ ، الكافي ج ٦ ص ٥٤٤ ح ١ ، المحاسن ص ٦٤٠ و٦٤٢ ح ١٥٠ و ١٦٤ .

آدم «عليه السَّلام» أمره بالحرث والزرع)[1] .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : (دخل رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلّم» يوماً في بستان أم معبد ، فقال هذه الغروس غرسها كافر أو مسلم ، فقلت يا رسول الله غرسها مسلم،فقال:ما من مسلم يغرس غرساً يأكل منه إنسان أو دابة أو طير إلاّ يكتب له صدقه إلى يوم القيامة)[2] إلى غيرها من الروايات .

وهناك كتابان في الفقه المزارعة والمساقاة مختصان بباب الزراعة الأعم من كل أقسامها ، كما أن المغارسة بأن يكون من أحدهم الأرض ومن الآخر الماء ، ومن الثالث البذر ، ومن الرابع العمل وهكذا قد ذكرنا حكمها هناك ، وقلنا : إن الأظهر الصحة لإطلاق أدلة العقود ، فهي عقد مستقل خلافاً لمن أبطلها ، لأنها لم تكن في زمن الشارع .

لكن الظاهر أنّ العقلائية وإطلاق ﴿أوفوا بالعقود﴾[3] ونحوه يشملها ، وكذلك حال ما يشبه ذلك في الإكتساب ، مثل أن يكون من أحدهم الدكان ومن الآخر رأس المال ومن الثالث العمل ويكون الربح بينهم على النسبة ، لكن يجب في تلك المعاملتين ونحوهما وجود الشروط العامة من : البلوغ والعقل وعدم الغرر والجهالة إلى غيرها مما ذكروه في كل عقد . فإن الشرط في أي عقد أن لا يكون منهياً عنه من قبل الشارع كالربا ، ولا منطبقاً عليه دليل نهي عام ، أما أن يكون مذكوراً في لسان الشارع فلا دليل على ذلك بل الدليل على خلافه .

الأرض للّه ولمن عمرها :

مسألة: الأرض لله ولمن عمرها ، هذا هو عنوان الإسلام ، وكل أخذ مال أو وضع قانون (على الأرض التي لا مالك لها) سواء اريد بها الاحياء أو الإنتقال حسب ما قرر في فقه الإسلام فهو محرم شرعاً ، وإتباعه محرم آخر إلاّ إذا كان الإنسان

---

(١) الوسائل ج ١٣ ص ١٩٦ ح ٢ .

(٢) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٥٠١ .

(٣) سورة المائدة : الآية / ١ .

وفي رواية عن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلاّ كانت له به صدقة) (١) .

وفي رواية اخرىٰ عنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (من غرس غرساً فأثمر ، أعطاه الله من الأجر بقدر ما يخرج من الثمر)(٢) .

وفي رواية عنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم الفسيلة فإن استطاع أن تقوم الساعة حتى يغرسها فليغرسها) (٣) .

وفي رواية اخرىٰ عنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (من بنى بنياناً بغير ظلم ولا اعتداء أو غرس غرساً بغير ظلم ولا إعتداء كان له أجراً جارياً ما إنتفع به أحد من خلق الرّحمٰن)(٤) .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» أنه قال : (ما في الأعمال شيء أحب إلى الله تعالىٰ من الزراعة ، وما بعث الله نبياً إلاّ زرّاعاً إلاّ إدريس ، فإنه كان خياطاً)(٥) .

وعن الباقر «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إن الله عزّ وجلّ حين أهبط آدم «عليه السَّلام» من الجنة أمره أن يحرث بيده ، فيأكل من كد يده بعد نعيم الجنة)(٦) .

وفي رواية عن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (إن الله تبارك وتعالىٰ لما أهبط

---

(١) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٥٠١ .
(٢) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٥٠١ .
(٣) انظر الوسائل ج ١٢ ص ٢٤ باب ١٠ أستحباب الزرّع والغرس وج ١٣ ص ١٩١ كتاب المزارعة والمساقاة .
(٤) انظر البحار ج ١٠٣ ص ١٨١ ، ص ٢١٥ كتاب الوقوف والصدقات والهبات ، انظر الوسائل ج ١٣ ص ٢٩٢ .
(٥) الوسائل ج ١٢ ص ٢٥ ح ٣ ب ١٠ .
(٦) الوسائل ج ١٣ ص ١٩٦ ح ٣ ب ٤ ، تفسير العياشي ج ١ ص ٤٠ ح ٢٤ .

كانت في منزله شاة عبدية إرتحل الفقر عنه منقلة ، ومن كان في بيته اثنتان ارتحل الفقر عنه مرحلتين منقلتين ، ومن كان في بيته ثلاث نفى عنهم الفقر)[١] .

وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (قال أمير المؤمنين «عليه السَّلام» : من كانت في منزله اثنتان قدست عليهم الملائكة في كل يوم مرتين ، وكذلك في الثلاثة ، ويقول الله : بورك فيكم)[٢] .

وعن حفص بن البختري عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (إن أصل حمام الحرم بقية حمام كانت لإسماعيل بن إبراهيم «عليه السَّلام» اتخذها ، كان يأنس بها)[٣] .

وفي رواية أُخرى عن الصادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» انه قال : (ما كان إسماعيل عندكم ؟ فقيل : صدّيق ، فقال : إن بقية حمام الحرم من حمام إسماعيل)[٤] .

وعن عبد الأعلى مولى آل سام ، قال : سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» يقول : (إن أول حمام كان بمكة حمام كان لإسماعيل) .

وعن أبي سلمة ، قال : (قال أبو عبد الله «عليه السَّلام» : الحمام طير من طيور الأنبياء التي كانوا يمسكون في بيوتهم إلى أن قال الراوي : رأيت في بيت أبي عبد الله «عليه السَّلام» حماماً لإبنه إسماعيل)[٥] .

وعن درست عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (شكى رجل إلى رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلّم» الوحشة ، فأمره أن يتخذ زوج حمام)[٦] .

---

(١) الوسائل ج ٨ ص ٣٧٥ ح ١٣ ب ٣ ، المحاسن ص ٦٤٢ .
(٢) الوسائل ج ١ ص ٣٧٥ ح ١٤ ب ٣٠ ، المحاسن ص ٦٤٣ ، الخصال ج ٢ ص ١٥٩ .
(٣) الكافي ج ٦ ص ٥٤٦ ح ٧ ، الوسائل ج ٨ ص ٣٧٨ ح ١١ ب ٣١ .
(٤) الوسائل ج ٨ ص ٣٧٨ ح ١٢ و ١٥ ب ٣١ ، الكافي ج ٦ ص ٥٤٧ ح ١٣ ، الفقيه ج ٢ ص ١١٢ .
(٥) الوسائل ج ٨ ص ٣٧٩ ح ١ ب ٣٢ ، الفقيه ج ٢ ص ١١٢ .
(٦) الوسائل ج ٨ ص ٣٧٦ ح ٢ ب ٣١ ، الكافي ج ٦ ص ٥٤٦ ح ٣ .



عشرة من الحيوانات الأليفة كالحمام والشياه والبط وما أشبه تعطي هذه الحيوانات أكثر بل كل أكل أهل البيت من اللحوم ومشتقاتها والبيوض ، وربما تزيد عليهم بما يبيعونه ويستفيدون من ثمنه في الحوائج الاخرىٰ، مع قطع النظر عن الإستفادة منها في الملابس والوسائد والفرش والدفء وغير ذلك .

ثم انها تتسلسل في التولد بما يدير دفة الإقتصاد ، ولا يحدث الإسراف في القشور ونحوها بجعلها أوساخاً ، هذا بالإضافة إلى أنها من وسائل البهجة لأهل البيت ، والانس للمرضى والمعاقين ، واللعب للأطفال ، وعدم ذهاب وقت أهل الدار الزائد هدراً ، بل يصرف قسم من الوقت في تربيتها والإستفادة منها إلى غير ذلك .

نعم لا شك في أنه يجب مراعاة النظافة في شأن الحيوانات .

وأقسام المنظفات موجودة في الوسائل القديمة بحيث لا يحتاج الإنسان إلى المنظفات والمعقمات الجديدة ، أمثال الحرمل والكندر وما أشبه ذلك ، لإزالة العفونات ، وقد أكد الشرع على أمثال هذه الامور .

فعن إسحاق بن عمّار قال : قال أبو عبد الله «عليه السَّلام» : (إكنسوا أفنيتكم ولا تتشبهوا باليهود)[١] .

وفي رواية عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (كنس البيوت ينفي الفقر)[٢] .

وعن حسين بن عثمان عن أبي الحسن الرضا «عليه السَّلام» قال : (سمعته يقول : كنس الفناء يجلب الرزق)[٣] .

وفي رواية عن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (إكنسوا أفنيتكم ولا تتشبهوا باليهود)[٤] .

---

(١) الوسائل ج ٣ص ٥٧٠ ح ١ ب ٩ ، الكافي ج ٦ ص ٥٣١ ح ٥ .
(٢) المحاسن ص ٦٢٤ ، الوسائل ج ٣ ص ٥٧١ ح ٢ ب ٩ ، الكافي ج ٦ ص ٥٣١ ح ٨ .
(٣) الوسائل ج ٣ ص ٥٧١ ح ٣ ب ٩ ، المحاسن ص ٦٢٤ .
(٤) الوسائل ج ٣ ص ٥٧١ ح ٤ ب ٩ .

وعن محمد بن مروان عن الصادق «عليه السَّلام» قال : (غسل الإناء وكنس الفناء مجلبة للرزق)[١] .

وعن يعقوب بن سالم في حديث عن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (لا تؤدي التراب خلف الباب ، فإنه مأوى الشياطين ، وفي رواية أخرى مثله إلَّا أنه قال : مأوى الشيطان)[٢] .

وعن جعفر بن محمد عن آبائه «عليهم السَّلام» في حديث قال : قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (لا تبيتوا القمامة في بيوتكم وأخرجوها نهاراً ، فإنها مقعد الشيطان)[٣] .

وفي حديث عن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (لا تؤوا منديل اللحم في البيت ، فإنه مربض الشيطان ، ولا تؤوا التراب خلف الباب ، فإنه مأوى الشيطان)[٤] .

وفي رواية عن أمير المؤمنين «عليه السَّلام» إن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (نظفوا بيوتكم من حوك العنكبوت ، فإن تركه في البيت يورث الفقر)[٥] .

وعن جامع الأخبار عن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (عشرون خصلة تورث الفقر ـ إلى أن قال ـ : وضع القصاع والأواني غير مغسولة)[٦] .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (كسح الفناء يزيد في الرزق)[٧] .

---

(١) الوسائل ج ٣ ص ٥٧١ ح ٥ ب ٩ ، الخصال ج ١ ص ٢٨ .
(٢) الوسائل ج ٣ ص ٥٧١ ح ١ ب ١٠ ، المحاسن ص ٦٢٤ ، الكافي ج ٦ ص ٥٣١ ح ٦ .
(٣) الوسائل ج ٣ ص ٥٧٢ ح ٢ ب ١٠ ، الفقيه ج ٢ ص ١٩٤ .
(٤) الوسائل ج ٣ ص ٥٧٢ ح ٣ ب ١٠ ، العلل ص ١٩٤ ، الكافي ج ٦ ص ٥٣١ ح ٦
(٥) الوسائل ج ٣ ص ٥٧٤ ح ٢ ب ١٣ ، قرب الإسناد ص ٢٥ ، المحاسن ص ٦٢٤ .
(٦) جامع الأخبار ص ١٢٤ .
(٧) الوسائل ج ٣ ص ٥٧١ ح ٣ مثله .



وأحالته البلدية إلى المتصرفية ، وبعد قضاء ساعات من النهار بين الدوائر حصل أخيراً من المخزن على طبق بيض فقط ، بحيث تمكن من إعطائه لزواره ليلاً عشاءاً فقط .

وقد ذكرت في بعض المؤلفات قصة تأليف الأخ السيد صادق كتاب : (الإصلاح الزراعي في الإسلام) وأن الحكومة أمرت بإحراق الكتاب ، وقد قال وزير الإصلاح الزراعي في ذلك اليوم تبريراً لعمل الحكومة : بأنّا نعلم أن هذا الكتاب منطقي حسب الموازين الإقتصادية ، إلاّ أن الأوامر جاءتنا بتطبيق هذا القسم من الإصلاح الزراعي لا ما ذكره المؤلف في كتابه .

الفصل الثالث
في
الشؤون الأخلاقية

القرآن الكريم منهاج الحياة :

مسألة: من أوليات الإسلام والذي دلت عليه الأدلة الأربعة وجوب تطبيق القرآن الحكيم في كافة أبعاد الحياة ، الإقتصادية ، والسياسية ، والإجتماعية ، والتربوية ، والحكومية ، وغيرها ، بعد وجوب الإعتقاد بما في القرآن الحكيم من الأصول والفروع كافة .

وفي الحال الحاضر هنالك بنود مهمة من أحكام الكتاب غير مطبقة ، فالدولة عند المسلمين الآن ليست واحدة ، بينما الدولة في الإسلام حسب الأدلة واحدة ، تبعاً للأمة الواحدة المذكورة في قوله سبحانه : **﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة﴾**[1] ولا حدود جغرافية بين بلاد الإسلام .

وتقييد الناس بالجواز وما أشبه من أشد المحرمات، والتخلص من الأجنبي من أهم الواجبات ، وكون المسلمين أحراراً إلاَّ في المحرمات من أوضح الضروريات إلىٰ غير ذلك .

ومن الواضح أن الإيجابيات صارت سلبيات ، والسلبيات صارت

---

(١) سورة الأنبياء : الآية / ٩٢ .





الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : عدد درج الجنة عدد آي القرآن ، فإذا دخل صاحب القرآن الجنة قيل له إقرأ وإرقَ لكل آية درجة ، فلا يكون فوق حافظ القرآن درجة)[١] .

وعن جعفر بن محمد عن آبائه «عليهم السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : القلوب أربعة : فقلب فيه إيمان وليس فيه قرآن ، وقلب فيه قرآن وإيمان ، وقلب فيه قرآن وليس فيه إيمان وقلب لا قرآن فيه ولا إيمان ، فأما القلب الذي فيه إيمان وليس فيه قرآن ، كالثمرة طيب طعمها ليس لها ريح ، وأما القلب الذي فيه القرآن وليس فيه إيمان كالأشنة طيب ريحها خبيث طعمها ، وأما القلب الذي فيه إيمان وقرآن كجراب المسك إن فتح طيباً وإن وعي وعي طيباً ، وأما القلب الذي لا قرآن فيه ولا إيمان كمثل الحنظلة خبيث ريحها خبيث طعمها)[٢] .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبته ما استطعتم)[٣] .

وعن معاذ قال : (كنا مع رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» في سفر فقلت : يا رسول الله حدثنا بما لنا فيه نفع ، فقال ، إن أردتم عيش السعداء ، وموت الشهداء ، والنجاة يوم الحشر ، والظل يوم الحرور ، والهدي يوم الضلالة ، فادرسوا القرآن ، فإنه كلام الرّحمان ، وحرز من الشيطان ، ورجحان في الميزان)[٤] .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (ما من مؤمن من ذكر أو أُنثى حر أو مملوك إلاّ ولله عليه حق واجب أن يتعلم من القرآن ويتفقه فيه) . ثم قرأ هذه الآية : ﴿**ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون**

---

(١) الوسائل ج ٤ ص ٨٤٠ ح ٣ ، الكافي ج ٢ ص ٤٤٣ ح ١٠ .
(٢) الكافي ج ٢ ص ٤٤٣ ح ٦ .
(٣) البحار ج ٩٢ ص ١٩ ، جامع الأخبار ص ٤٠ .
(٤) البحار ج ٩٢ ص ١٩ ، جامع الأخبار ص ٤٠ (بعبارة أُخرىٰ المصدر) .

الكتاب﴾[١] .

وجاء أبو ذر إلى النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» فقال : يا رسول الله إني أخاف أن أتعلم القرآن ولا أعمل به ؟ فقال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (لا يعذب الله قلباً أسكنه القرآن)[٢] .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (خياركم من تعلم القرآن وعلّمه)[٣] .

وعنه أنه قال : (تعلموا القرآن وتعلموا غرائبه وفرائضه وحدوده ، فإن القرآن نزل على خمسة وجوه ، حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال ، فاعملوا بالحلال ودعوا الحرام ، واعملوا بالمحكم ودعوا المتشابه ، واعتبروا بالأمثال)[٤] .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (أشراف أُمتي حملة القرآن ، وأصحاب الليل)[٥] .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة ، رجل قرأ كتاب الله . . . الحديث) .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[٦] .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (معلم القرآن ومتعلمه يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر)[٧] .

---

(١) سورة آل عمران : الآية / ٧٩ .
(٢) نحوه الوسائل ج ٤ ص ٨٢٥ ح ٥ ، الأمالي ص ٤ ، مجمع البيان ج ١ ص ٣٢ .
(٣) البحار ج ٢ ص ١٨٦ ، الوسائل ج ٤ ص ٨٢٥ ح ٦ ، الأمالي ص ٢٢٨ .
(٤) نحوه تفسير فرات الكوفي ص ١ .
(٥) الوسائل ج ٤ ص ٨٢٦ ح ١٢ ، مجمع البيان ص ٣٢ .
(٦) الوسائل ج ٤ ص ٨٢٥ ، الأمالي ص ٢٢٨ .
(٧) انظر فضائل القرآن ، البحار ج ٩٢ ، وأبواب قراءة القرآن الوسائل ج ٤ ص ٨٢٣ .



واعلموا أنه شافع مشفع ، وقائل مصدق ، وأنه من شفع القرآن له يوم القيامة شفع فيه ، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه ، فإنه ينادي منادي يوم القيامة : ألا ان كلَّ حارث مبتلى في حرثه ، وعاقبة عمله غير حرثة القرآن ، فكونوا من حرثه وأتباعه ، واستدلوه على ربكم ، واستنصحوه على أنفسكم ، واتهموا عليه أراءَكم ، واستغشوا فيه أهواءكم)(١) .

وعن الجعفريات بسند الأئمة «عليهم السَّلام» إلى رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (ألا أُخبركم بالفقيه كل الفقيه ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : من لم يقنّط الناس من رحمة الله ، ولم يؤمنهم مكر الله ، ومن لم يرخص لهم في معاصي الله ، ومن لم يدع القرآن رغبة إلى غيره ، وأنه لا خير في علم لا تفهم فيه ، ولا عبادة لا تفقه فيها ، ولا قراءة لا تدبر فيها)(٢) .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (إن هذا القرآن فيه منار الهدى ، ومصابيح الدجى ، فليجل جالٍ ببصره ، ويفتح للضياء نظره ، فإن التفكر حياة قلب البصير ، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور)(٣) .

وعن أبي عبد الله «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (ينبغي لمن قرأ القرآن إذا مر بآية من القرآن فيها مسألة أو تخويف أن يسأل عند ذلك خير ما يرجو ، ويسأله العافية من النار ومن العذاب)(٤) .

ومن اهتمام الإسلام بالقرآن أنه جعل لمن قرأ القرآن أجراً في بيت المال ، فعن علي بن أبي طالب «عليهما السَّلام» قال : (من دخل في الإسلام طائعاً وقرأ القرآن ظاهراً ، فله في كل سنة مئة دينار في بيت مال المسلمين ، وإن منع في الدنيا أخذها يوم القيامة وافية فهو أحوج ما يكون إليها . كذا رواه الخصال ، ومجمع البيان)(٥) .

---

(١) نهج البلاغة ص ٢٥٢ خطبة ١٧٦ .
(٢) الوسائل ج ٤ ص ٨٢٩ ح ٧ . الكافي ج ١ ص ٢٨ ح ٣ ، البحار ج ٩٢ ص ٢١١ .
(٣) الوسائل ج ٤ ص ٨٢٨ ح ١ ، الكافي ج ٢ ص ٤٣٨ ح ٥ .
(٤) الوسائل ج ٤ ص ٨٣٠ ح ٨ ، مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٧٨ .
(٥) الوسائل ج ٤ ص ٨٣٨ ح ١ ، مجمع البيان ج ١ ص ٣٣ .

وعن الجعفريات بسند الأئمة إلى علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : من السحت ثمن الميتة ـ إلى أن قال ـ : (وأجر القاريء الذي لا يقرأ القرآن إلاّ بأجر ، ولا بأس أن يجري له من بيت المال) [١] .

وعن كتاب الغارات عن سالم بن سالم عن أبي الجعيد قال : (فرض علي «عليه السَّلام» لمن قرأ القرآن ألفين ، قال : فكان أبي ممن قرأ القرآن) [٢] ، والظاهر أن المراد بالألفين ألفي درهم ، لأن كل عشرة دراهم يعادل ديناراً ، فهو يساوي مائتي دينار في الرواية السابقة .

والظاهر أن الأصل في ذلك هو حديث رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» فقد روى أبو الفتوح في تفسيره عن سليم عن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال في حديث : (إن لحامل كتاب الله في بيت المال كل سنة مائتا دينار ، فإن مات وعليه دين قضى الله من هذا المال دينه) [٣] .

الطبيعة الخيّرة في النفوس :

طبيعة الإنسان طبيعة خيرة والشر ثانوي فيه ، وهكذا خلقه الله سبحانه ، فقد قرر في الدليل العقلي أن الامور على خمسة أقسام :

خير محض ، وشر محض ، والغالب من هذا على ذاك ، وبالعكس ، وما تساوىٰ الأمران فيه ، والله سبحانه لا يخلق إلاّ الخير المحض ، وما خيره أغلب .

وهنا يطرح سؤال : فكيف خلق الله تعالىٰ الشر الأغلب كقتلة الأنبياء والعصاة والفساق ومن أشبههم ؟ .

الجواب : طبيعة أُولئك لم يكن فيها ذلك وإنما يفعلون الشر المحض أو

---

(١) نحوه : الوسائل ج ١٢ ص ١١٣ ح ٦ و ٧ ، التهذيب ج ٢ ص ١١٢ ، الفقيه ج ٢ ص ٥٦ .

(٢) الوسائل ج ٤ ص ٨٣٨ ح ١ ، مجمع البيان ح ١ ص ٣٣ .

(٣) انظر تفسير الرازي ، فضائل القرآن ، الوسائل ج ٤ ص ٨٣٨ ح ١ ، مجمع البيان ج ١ ص ٣٣ .

الأغلب بالنسبة إلى جنسه البعيد أو الجنس المتوسط أو الجنس القريب أو الصنف كالإنسان فإن خيره أغلب ، وأما بالنسبة إلى شخصه فذلك سبب الكمال بالنسبة إلى غيره .

إذن : غيره يكمل بنقصه فأين وجه الحكمة في هذا ؟ .

الجواب : وجه الحكمة بالنسبة إلى نفسه أيضاً أنه معرض للخير الدائم ، وأما فعله الشر فإنه يجزي بقدر شره كما في الآية والرواية ، وهذا بحث فلسفي ذكرناه في موضعه ، والقصد الإلماع فقط .

وحيث ان طبيعة الإنسان طبيعة خيرة يعتمد المصلحون على هذه الطبيعة . واللازم على الناهضين الإستفادة منها ، كما اعتمد الأنبياء والأئمة «عليهم السّلام» ومن يمشي في طريقهم على هذه الطبيعة وليس القصد أن الناهضين يعتمدون على هذه الطبيعة في المسلمين ، بل وحتىٰ في غير المسلمين الذين يحتفون بالحركة ، فإنه يوجد حتى في غير المسلمين اناس عبّر عنهم علي «عليه الصّلاة والسّلام» بنظير لك في الخلق .

والسؤال هنا : لماذا قال سبحانه : **﴿إن الإنسان خلق هلوعاً﴾** وقال : **﴿إنه كان ظلوماً جهولاً﴾** وقال : **﴿إن الإنسان لفي خسر﴾** ؟ .

الجواب : هذا لأجل التحريض على تجنب الشر ، ولذا استثنىٰ بمثل (إلاّ المصلين) ونحو ذلك ولا فرق مع قطع النظر عن الجهة البلاغية التي توجب تقديم هذا على ذاك أو ذاك على هذا بعنوان الإستثناء . مثل أن يقول الإنسان : إحترم كل إنسان إلاّ الظالم ، أو أن يقول : لا تحترم أي إنسان إلاّ العادل ، على فرض كون العدالة والظلم ضدين لا ثالث لهما .

نعم قد يُقدم هذا وقد يُقدم ذاك في الكلام إذا أنصب الكلام لأجل أيهما فتقول : المضروب زيد ، إذا صب الكلام لأجل إفادة المضروب ، وقد تقول : زيد المضروب إذا صب الكلام لأجل بيان أحوال زيد ، كما ذكره البلاغيون .

ولذا نرىٰ في القرآن الحكيم تارة يقدم «يزكيهم» على «يعلّمهم» وأُخرىٰ

بالعكس ، وعلى أي حال فمن هنا جعل الإسلام أصل الصحة في الأقوال والأعمال والتقريرات لا بالنسبة إلى المسلم فجسب بل بالنسبة إلى الكافر أيضاً ، ولهذا يصح للإنسان أن يشتري من الكافر الشيء وكذلك بالنسبة إلى الرهن والجعالة والصلح والمضاربة والمساقاة والمزارعة وغيرها اعتماداً على أصل الصحة ، وإلاَّ فمن أين جاء كون هذا الكافر يملك هذا الشيء وأنه لم يسرقه وإلى غير ذلك ، بل أصل الصحة عقلائي ، واللازم أن تعتمد الحركة عليه في التعامل مع الناس ، وهنا أمران :

الأمر الأول : ماذا يصنع الإنسان ؟ .

الأمر الثاني : غيره هل يعتمد عليه أو لا يعتمد ، والثاني أيضاً على قسمين :

القسم الأول : الإنصاف .

القسم الثاني : العفو ، وإن شئت قلت : الكلام في ثلاثة أُمور :

الأول : الإنسان يلزم أن يعرف قدر نفسه ويضعها موضعها بكل دقة ، فإذا لم يكن قابلاً لمنصب أو مقام أو عمل لا يرشح نفسه له ، ولذا ورد في الروايات عدم طلب الرئاسة لمن ليس أهلها .

الثاني : الإنصاف .

الثالث : إذا ظهر الفساد أو ما أشبه صار المخطىء موضوع العفو مهما وجد إلى ذلك السبيل .

وقد وردت في الأُمور الثلاثة روايات :

قدر النفس :

أما الروايات من الطائفة الأُولىٰ :

فعن معمر بن خلاد قال : (قال أبو الحسن «عليه السَّلام» ما ذئبان ضاريان في غنم قد غاب عنها رعاؤها بأضر في دين المسلم من حب الرئاسة ، ثم

قال لكن صفوان لا يحب الرئاسة)[١] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» في حديث قال : (ما لكم وللرئاسات إنما للمسلمين رأس واحد)[٢] .

أقول : كان ذلك فيما كان الإمام «عليه الصَّلاة والسَّلام» حاضراً أما إذا كان غائباً فقد ذكرنا في الكتب الفقهية أنه مع تعدد مراجع المسلمين يجب أن تكون الشورىٰ بين الجميع .

وعن الرضوي «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (نروي من طلب الرئاسة لنفسه هلك ، وأن الرئاسة لا تصلح إلَّا لأهلها)[٣] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (يا حفص كن ذنباً ولا تكن رأساً) .

وعن أبي عبد الله «عليه الصَّلاة والسَّلام» انه قال : (لابن النعمان يا أبا النعمان لا ترأس ، كن ذنباً)[٥] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» في حديث انه قال : (من طلب العلم ليباري به العلماء ، أو يماري به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس إلى نفسه ، ويقول : أنا رئيسكم فليتبوَّء مقعده من النار ، إن الرئاسة لا تصلح إلَّا لأهلها)[٦] .

وعن أبي محمد العسكري «عليه السَّلام» أنه قال في كتابه إلى بعض الرواة : (إياك والإذاعة وطلب الرئاسة ، فإنهما يدعوان إلى الهلكة)[٧] .

---

(١) الوسائل ج ١٢ ص ١٣٨ ح ١١ باب ٤٥ .
(٢) الوسائل ج ١١ ص ٢٨٢ ح ١٢ باب ٥٠ .
(٣) البحار ج ٧٣ ص ١٥٤ ح ١٢ باب ١٢٤ .
(٥) البحار ج ٧٢ ص ٢٣٣ ح ١ باب ١١٤ .
(٦) الكافي ج ٢ ص ٤٧ ح ٦ .
(٧) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٢٢ باب ٥٠ ح ٨ .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (حب الرئاسة رأس المحن)[١] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (من طلب الرئاسة هلك)[٢] .

وعن أبي حمزة الثمالي قال : (قال لي أبو عبد الله «عليه السَّلام» إياك والرئاسة) [٣] .

وعن ابن مسكان قال : سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» يقول : (إياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون ، فوالله ما خفقت النعال خلف الرجل إلاَّ هلك وأهلك) [٤] .

وعن جويرية قال : اشتددت خلف أمير المؤمنين «عليه السَّلام» (فقال يا جويرية إنه لم يهلك هؤلاء الحمقىٰ إلاَّ بخفق النعال خلفهم)[٥] .

وفي رواية عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» : (ملعون من ترأس ملعون من هم بها ، ملعون من حدث نفسه بها)[٦] .

وفي رواية اخرىٰ عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (من أراد الرئاسة هلك)[٧] .

وفي رواية أبي الربيع الشامي عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال لي : (يا أبا الربيع لا تطلبن الرئاسة ، ولا تكن ذنباً ولا تأكل الناس بنا فيفقرك الله)[٨] .

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ١٩٢ ح ١٦ .
(٢) البحار ج ٧٣ ص ١٥٠ ح ٢ باب ١٢٤ .
(٣) البحار ج ٧٣ ص ١٥٠ ح ٣ باب ١٢٤ .
(٤) البحار ج ٧٣ ص ١٥٠ ح ٣ باب ١٢٤ .
(٥) الوسائل ج ١٢ ص ٢٨٠ ح ٥ باب ٥٠ .
(٦) البحار ج ٧٣ ص ١٥١ ح ٥ .
(٧) البحار ج ٧٣ ص ١٥٢ ح ٧ .
(٨) البحار ج ٧٣ ص ١٥١ ح ٦ .

أقول : هذه الرواية لا تنافي الروايات السابقة ، لأن الإنسان أحياناً يجب أن يتجنب الرئاسة والذنبية ، وأحياناً الرئاسة لا الذنبية ، كما أنه أحياناً يجب عليه أن لا يكون ذنباً ، بل يكون رأساً باعتبار أنه يتمكن من الإدارة ، فيكون تركه إضاعة .

وعن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» يقول : (أترى لا أعرف خياركم من شراركم ، بل والله إن شراركم من أحب أن يوطىء عقبه انه لا بد من كذاب أو عاجز الرأي)[١] .

وفي حديث عن علي بن الحسين «عليهما السَّلام» انه قال : (إياك أن تترأس فيضعك الله وإياك أن تستأكل بنا فيزيدك الله فقراً ، واعلم أنك إن تكن ذنباً في الخير خير لك من أن تكون رأساً في الشر)[٢] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (إياكم والرجال ، فإن الرجال للرجال مهلكة) .

وعن النبيّ «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (لا يؤمر أحد على عشرة فما فوقهم إلاّ جيء به يوم القيامة مغلولة يداه ، فإن كان محسناً فتح غله وإن كان مسيئاً يزيد غلاً على غله)[٣] .

أقول : الظاهر ان النبيّ «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال ذلك بالنسبة إلى الفرد الذي لم تكن له صلاحية ، وإن كان محسناً في ذاته .

وعن الصَّادق عن آبائه «عليهم السَّلام» عن النبيّ «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» في حديث المناهي قال : (ألا ومن تولىٰ عرافة قوم أتىٰ يوم القيامة يداه مغلولتان إلى عنقه ، فإن قام فيهم بأمر الله أطلقه الله ، وإن كان ظالماً هوى به في

---

(١) البحار ج ٧٣ ص ١٥٢ ح ٨ .
(٢) الوسائل ج ١١ ص ٢٨١ ح ١١ باب ٥٠ .
(٣) أمالي الطوسي ص ٢٧٠ .

نار جهنم وبئس المصير)[١] .

وعن النبيّ «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» (انه كفىٰ بالرجل أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا)

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» : (إن من العبادة شدة الخوف من الله عزّ وجلّ ، يقول الله عزّ وجلّ :**﴿إنما يخشى اللَّهَ من عباده العلماءُ﴾** وقال جلّ ثناؤه : **﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾** وقال تبارك وتعالىٰ : **﴿ومن يتقِ الله يجعل له مخرجاً﴾** قال : وقال أبو عبد الله «عليه السَّلام» : (إن حب الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب)[٣] .

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : إن أول ما عصىٰ الله به ستة : (حب الدنيا ، وحب الرئاسة ، وحب الطعام ، وحب النوم ، وحب الراحة ، وحب النساء)[٤] إلى غيرها من الروايات .

الإنصاف :

وأما الروايات من الطائفة الثانية :

فمنها ما روي في الجعفريات بسند الأئمّة إلىٰ علي «عليهم السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : سيد الأعمال ثلاثة : إنصاف الناس من نفسك ، ومؤاخاة الأخ في الله ، وذكرك الله تعالىٰ في كلّ حال)[٥] .

وعن عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (ثلاثة من حقائق الإيمان ،

---

(١) الوسائل ج ١٢ ص ١٣٦ ح ٦ باب ٤٥ .
(٣) البحار ج ٧٠ ص ٣٥٩ ح ٥ .
(٤) البحار ج ٧٣ ص ١٥٣ ح ٩ .
(٥) تحف العقول ص ١٤ .

الإنفاق من الإقتار والإنصاف من نفسك ، وبذل السَّلام لجميع العالم)(١) .

وفي رواية ان رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (السابقون إلى ظل العرش ، طوبىٰ لهم قيل : يا رسول الله ومن هم ؟ قال : الذين يقبلون الحق إذا سمعوه ، ويبذلونه إذا سألوه ، ويحكمون الناس كحكمهم لأنفسهم ، هم السابقون إلى ظل العرش)(٢) .

وفي رواية عن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (من أنصف الناس من نفسه رضي به حكماً لغيره)(٣) .

وعن موسى بن جعفر «عليهما السَّلام» انه قال : (في حديث وخافوا الله عزّ وجلّ في السرّ حتى تعطوا من أنفسكم النصف)(٤) .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (انه إذا خطب قال في آخر الخطبة : طوبىٰ لمن طاب خلقه ، وظهرت سجيته ، وصلحت سريرته ، وحسنت علانيته ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من كلامه ، وأنصف الناس من نفسه)(٥) .

وفي رواية عن النبيّ «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قاله لابن مسعود : (أنصف الناس من نفسك ، وانصح الأمة ، وارحمهم ، فإذا كنت كذلك وغضب الله على أهل بلدة وأنت فيها وأراد أن ينزل عليهم العذاب نظر إليك فرحمهم بك ، يقول الله تعالىٰ : **﴿وما كان ربك ليهلك القرىٰ بظلم وأهلها مصلحون﴾**)(٦) .

وفي نهج البلاغة في عهده إلى الأشتر (رحمه الله) قال عليّ «عليه الصَّلاة

---

(١) البحار ج ٧٥ ص ٢٧ ح ١١ .
(٢) البحار ج ٧٥ ص ٢٩ ح ١٩ .
(٣) الوسائل ج ١١ ص ٢٢٤ ح ١ باب ٣٤ .
(٤) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٠٨ باب ٣٤ ح ٦ .
(٥) الوسائل ج ١١ ص ٢٢٥ ح ٦ باب ٣٤ .
(٦) البحار ج ٧٧ ص ١٠٩ ح ١ .

والسَّلام» : (وأنصف الناس من نفسك ، ومن خاصتك ومن أهلك ، ومن لك فيه هوىٰ من رعيتك ، فإنك إن لا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله أدحض حجته ، وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب)[١] .

وقال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (إن أعظم المثوبة مثوبة الإنصاف)[٢] .

وقال «عليه السَّلام» : (ان أفضل الإيمان إنصاف الرجل من نفسه)[٣] .

وقال «عليه السَّلام» : (إنك إن أنصفت من نفسك أزلفك الله)[٤] .

وقال «عليه السَّلام» : (مع الإنصاف تدوم الإخوة)[٥] .

وعن أبي جعفر عن أمير المؤمنين في وصيته للحسن «عليهم السَّلام» قال : (يا بني تفهم وصيتي واجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك ، وأكره له ما تكره لها ، لا تظلم كما لا تحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك ، واستقبح لنفسك ما تستقبحه من غيرك ، وأرض من الناس ما ترضىٰ لهم منك)[٦] .

وفي رواية أُخرىٰ قال أمير المؤمنين «عليه السَّلام» لشيخ شامي : (يا شيخ إرض للناس ما ترضىٰ لنفسك ، وآت إلى الناس ما تحب أن يُؤتىٰ إليك)[٧] .

وفي رواية : ان لقمان قال لابنه في وصيته : (يا بني أحثك على ست خصال ليس منها خصلة إلا يقربك الله تعالىٰ إلى أن قال : الرابعة : تحب للناس

---

(١) نهج البلاغة الكتاب ٥٣ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ١٢١ ح ١٦ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ١٢١ ح ٢٣ .
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ١٤٧ ح ١٠ .
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣٨٩ ح ٨٠ .
(٦) نهج البلاغة الكتاب ٣١ .
(٧) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٠٩ باب ٣٥ ح ٢ .

ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك)[١] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (جاء أعرابي إلى النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» وهو يريد بعض غزواته فأخذ بغرز راحلته ، فقال : يا رسول الله علمني شيئاً أدخل الجنة به فقال : ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأت إليهم خل سبيل الراحلة)[٢] .

إصلاح النفس نقطة إنطلاق :

مسألة: يبدأ علاج كل شيء بإصلاح النفس ، والإستعانة بالله سبحانه ، ولذا نجد في الآثار الواردة سيلاً من التوجيه إلى هذه الجهة المهمة المركزية :

ففي الجعفريات بسند الأئمة إلى علي «عليهم الصَّلاة والسَّلام» ان رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» بعث سرية فلما رجعوا فقال : (مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر ، فقيل : يا رسول الله وما الجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد النفس)[٣] .

وفي رواية اخرىٰ عنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه)[٤] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» انه قال : (لا يستغني المؤمن عن خصلة وبه الحاجة إلى ثلاث خصال : توفيق من الله ، وواعظ من نفسه ، وقبول ممن ينصحه)[٥] .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (النفس مجبولة على سوء الأدب ، والعبد مأمور بملازمة حسن الأدب ، والنفس تجلى بطبعها في ميدان

---

(١) تحف العقول ص ١٢٦ .
(٢) الوسائل ج ١١ ص ٢٢٨ باب ٣٥ ح ١ .
(٣) الوسائل ج ١١ ص ١٢٢ ح ١ وص ١٢٣ ح ٩ ، المجالس ص ٢٧٩ المجلس ٧١ .
(٤) الوسائل ج ١١ ص ١٢٣ ح ٩ .
(٥) تحف العقول ص ٥٣٧ ح ١٣ ، عن الإمام الجواد (ع) .

المخالفة ، والعبد يجهد بردها عن سوء المطالبة ، فما أتى أطلق عنانه فهو شريك في فسادها ، ومن أعان نفسه في هوى نفسه فقد أشرك نفسه في قتل نفسه)[١] .

وفي رواية : (أنه دخل على رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» رجل اسمه مجاشع فقال : يا رسول الله كيف الطريق إلى معرفة الحق ؟ فقال معرفة النفس ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى موافقة الحق ؟ فقال : مخالفة النفس ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى رضى الحق ؟ فقال ، سخط النفس ، فقال : يا رسوال الله فكيف الطريق إلى وصل الحق ؟ فقال : هجرة النفس ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى ذكر الحق ؟ قال : نسيان النفس ، فقال : يا رسول الله الله فكيف الطريق إلى قرب الحق ؟ قال : التباعد من النفس ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى أنس الحق ؟ قال : الوحشة من النفس ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى ذلك ؟ قال : الإستعانة بالحق على النفس)[٢] .

وفي وصية أمير المؤمنين «عليه السَّلام» لولده وشيعته عند وفاته قوله «عليه السَّلام» : (الله الله في جهاد الأنفس ، فهي أعدى العدو لكم ، إنه تبارك وتعالىٰ قال : **﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلّا ما رحم ربي﴾** وإن أول المعاصي تصديق النفس ، والركون إلى الهوى)[٣] .

وعن النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (إن الشديد ليس من غلب الناس ، ولكن الشديد من غلب نفسه)[٤] وفي تفسير علي بن إبراهيم عند قوله سبحانه : **﴿ومن جاهد﴾** قال : يعني نفسه عن الشهوات واللذات والمعاصي **﴿فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين﴾** .

---

(١) مشكاة الأنوار ص ٢٤٧ .
(٢) البحار ج ٧٠ ص ٧٢ .
(٣) نهج البلاغة ص ٤٢٢ .
(٤) الوسائل ١١ ص ١٢٣ ح ٥ ، الفقيه ج ٢ ص ٣٤٢ .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (جهاد النفس مهر الجنة) [١] .

وقال «عليه السَّلام» : (جهاد النفس ثمن الجنة ، فمن جاهدها ملكها ، وهي أكرم ثواب الله لمن عرفها) [٢] .

وقال «عليه السَّلام» : (لا عدو أعدى على المرء من نفسه) [٣] .

وقال «عليه السَّلام» : (لا عاجز أعجز ممن أهمل نفسه فأهلكها) [٤] .

وقال «عليه السَّلام» : (إن نفسك لخدوع ، إن تثق بها يقتدك الشيطان إلى ارتكاب المحارم ، إن النفس لأمارة بالسوء والفحشاء ، فمن ائتمنها خانته ، ومن استنام إليها أهلكته ، ومن رضى عنها أوردته شر الموارد ، وأن المؤمن لا يمسي ولا يصبح إلاَّ ونفسه ظنون عنده ، فلا يزال زارياً عليها ومستزيداً إليها) [٥] .

وفي الرضوي «عليه السَّلام» : (إن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» رأى بعض أصحابه منصرفاً من بعض ما كان بشعثه ، وقد انصرف بشعثه أو غبار سفره وسلاحه يريد منزله ، فقال «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : انصرفت من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، فقال له : أو جهاد فوق الجهاد بالسيف ؟ قال : نعم جهاد المرء نفسه) [٦] .

وعن الكاظم «عليه السَّلام» في خبر قال لهشام : (عليك بالإعتصام بربك ، والتوكل عليه ، وجاهد نفسك لتردها عن هواها ، فإنه واجب عليك كجهاد عدوك قال هشام : فأي الأعداء أوجبهم مجاهدة قال : أقربهم إليك ،

---

(١) غرر الحكم ح ١ ص ٣٧٠ ح ٣٩ .
(٢) غرر الحكم ج ١ ص ٣٧١ ح ٤٧ .
(٣) غر الحكم ج ٢ ص ٨٤٥ ح ٣٢٤ .
(٤) غرر الحكم ج ٢ ص ٨٥٨ ح ٤٨٢ .
(٥) غرر الحكم ج ١ ص ٢٢٦ ح ١١٤ ، غرر الحكم ج ١ ص ٢٢٦ ح ١١٥ ، غرر الحكم ج ١ ص ٢٢٦ ح ١١٧ .
(٦) الوسائل ج ١١ ص ١١٢ ح ١ وص ١٢٣ ح ٩ ، المجالس ص ٢٧٩ مجلس ٧١ .

وأعداهم لك ، وأضرهم بك ، وأعظمهم لك عداوة ، وأخفاهم لك شخصاً مع دنوه منك ، ومن يحرض أعداءك عليك هو إبليس الموكل بوسواس القلوب ، فلتشتد عداوتك ، يكونن أصبر على مجاهدتك لهلكتك منك على صبرك لمجاهدته ، فإنه أضعف منك ركناً في قوته ، وأقل منك ضراراً في كثرة شره ، إذا أنت اعتصمت بالله ، ومن اعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم)[١] .

وقال الباقر «عليه السَّلام» لعبد الله بن جندب في كلام له : (واجعل نفسك عدواً تجاهدها وعارية تردها ، فإنَّك قد جعلت طبيب نفسك ، وعرفت آية الصحة ، وبين لك الدواء ، ودللت على الداء فانظر قيامك على نفسك)[٢] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (احمل نفسك لنفسك ، فإن لم تفعل لم يحملك غيرك)[٣] .

وفي رواية أنه «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال لرجل : (أنك قد جعلت طبيب نفسك وبين لك الداء ، وعرفت آية الصحة ، ودللت على الدواء ، فانظر كيف قيامك على نفسك)[٤] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (من لم يكن له واعظ من قلبه وزاجر من نفسه ولم يكن له قرين مرشد استمكن عدوه من عنقه)[٥] .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (إن أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه)[٦] .

وعن النبي «صلَّى الله عليه وآله وسلَّم» انه قال : (المجاهد من جاهد نفسه)[٧] .

---

(١) تحف العقول ص ٤٦٦ .
(٢) الكافي ج ٢ ص ٣٢٩ ح ٧ ، الوسائل ج ١١ ص ١٢٢ ح ٣ ، الفقيه ج ٢ ص ٣٥٦ .
(٣) الوسائل ج ١١ ص ١٢٢ ح ٢ ، الكافي ج ٢ ص ٣٢٩ ح ٥ .
(٤) الوسائل ج ١١ ص ١٢٢ ح ٣ ، الكافي ج ٢ ص ٣٢٩ ح ٦ .
(٥) الوسائل ج ١١ ص ١٢٣ ح ٦ ، الفقيه ج ٢ ص ٣٥٢ .
(٦) معاني الأخبار ص ٥١ ، الوسائل ج ١١ ص ١٢٤ ، ملحق ح ٩ .
(٧) الوسائل ج ١١ ص ١٢٤ ح ١٠ ، المجازات النبوية ص ١٢٨ .

ثم اللازم أن نعرف أن إعادة الإسلام إلى الحياة بعد وجود مقومات التقدم في ذات الإسلام ، لا تتم إلّا بضميمة لطف الله سبحانه وتعالى لمن جاهد وعمل ، وقد رأينا كيف تقدم المسلمون الأولون حين اتبعوا كلام الله والرسول بعد أن كانوا في غاية ضلالة ، وأبشع تأخر ، حتى وصفهم الإمام أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» بقوله : (إن الله بعث محمداً «صلّى الله عليه وآله وسلّم» نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل ، وأنتم معشر العرب على شرّ دين في شرّ دارٍ مَن يخون بين حجارة خشن وحياة صم ، تشربون الكدر ، وتأكلون الجشب ، وتسفكون دماءكم ، وتقطعون أرحامكم ، الأصنام فيكم منصوبة ، والآثام بكم معصوبة)[1] .

وفي كلام آخر له تحدث «عليه الصَّلاة والسَّلام» عن حالة الناس قبل البعثة النبوية فقال : (الناس في فتن انجزم فيها حبل الدين ، وتزعزعت سوارى اليقين ، واختلف النجر ، وتشتت الأمر وضاق المخرج ، وعمي المصدر ، فالهدى خامل ، والعمى شامل ، عصي الرحمان ، ونصر الشيطان ، وخذل الإيمان فانهارت دعائمه ، وتنكرت معالمه ، ودرست سبه ، وعفت شركة ، أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه ، ووردوا مناهله، بهم سارت أعلامه ، وقام لواؤه ، في فتن داستهم بإخفافها ، ووطأتهم بأظلافها ، وقامت على سنابكها ، فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون في خير دار وشر جيران ، نومهم سهود ، وكحلهم دموع بأرض عالمها ملجم وجاهلها مكرم)[2] .

دور الأخلاق في الإنقاذ :

مسألة: الأخلاق من أهم ما يلزم على من يريد إنهاض المسلمين ، وقد ذكرنا نحن في كتب متعددة جوانب من الأخلاقيات الإسلامية ، ولا نريد إعادة ذلك ، وإنما نريد بيان ان الواجب تعميم الأخلاق في الناهضين حتى يتمكنوا من النهضة .

---

(١) نهج البلاغة نسخة (صبحي الصالح) ص ٦٨ خطبة ٢٦ .

(٢) نهج البلاغة نسخة (صبحي الصالح) ص ٤٦ ، خطبة ٢ .

فإن جوهر الحضارات الأخلاق ، فإن كانت الأخلاق خيّرة كانت الحضارة خيّرة والتف الناس حولها ، وإن كانت الأخلاق سيئة كانت الحضارة سيئة وانفض الناس عنها ، وليس الأمر بالإدعاء وإنما بالواقع ، فالحبة الواقعية هي التي تنبت والفسيلة الواقعية هي التي تورق وتزهر وتثمر ، والبيضة الواقعية هي التي تفقس عن جنين ، أما إذا كانت تلك صورية وخيالية فإن نصيبها الفشل والفضيحة .

فالقائمون بالنجاة إذا لم يتحلوا بمكارم الأخلاق فإنهم لا يتمكنون من تحريك الناس إلى المكارم ، وأخيراً يكون نصيبهم الفشل ، وعليه فاللازم عليهم أن يتصفوا بأرقى الأخلاق ، والأخلاق لا تأتي من دون الإيمان ، فإن الإيمان يعطي الواقعية ، والواقعية تأتي بالأخلاق ، وقد ذكرهما الرسول «صلّى الله عليه وآله وسلّم» بصدد الزواج فقال : (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه) وربما يتصور الإنسان أن هذه الكمية الكبيرة من الأخلاق المذكورة في الآيات شيء فوق طاقة الإنسان ؟ .

والجواب : إن الإيمان الذي هو نور في داخل الإنسان يفيض عنه نور الأخلاق على طول الخط على جميع جوارحه وجوانحه ، فالأخلاق تكون عفوية حتى أن خلافها يكون خارج طاقة الإنسان ، فهل الظلام في أطراف النور أصل أو استثناء ؟ وهل الدفء أطراف النار إنسياق أو تكلف ؟ .

والفضل ما شهدت به الأعداء :

وننقل بهذا الصدد كلمتين : احداهما حول المسلمين الأولين ، والأُخرىٰ حول المسلمين المعاصرين ، مفادهما أمر واحد هو التأكيد على أن تقدم المسلمين الأولين كان بالأخلاقيات المنبعثة عن الإيمان ، وأن بقاءهم إلى الآن بالرغم من الأعداء المجهزين بكل وسائل الدمار والعداء والإبادة إنما هو لأخلاقياتهم الرفيعة أيضاً .

فالكلمة الاولى جاءت في مقدمة كتاب (حضارة العرب) لمؤلفه (غوستاف لبون) قال :

[إن القوّة لم تكن عاملاً لإنتشار القرآن ما ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديانهم ، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله من سادتهم السابقين ، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل ولم ينتشر القرآن إذاً بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخراً كالترك والمغول فقد أدرك المسلمون السابقون الذين كان عندهم من العبقرية السياسية ما ندر وجوده في دعاة الديانات الجديدة ، أن النظم والأديان ليست مما يفرض قسراً فعاملوا أهل كل قطر استولوا عليه بلطف عظيم ، تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة في الغالب إذا ما قيست بما كانوا يدفعون سابقاً في مقابل حفظ الأمن بينهم ، فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب ولا ديناً سمحاً مثل دينهم] انتهى .

ثم ذكر (غوستاف لبون) في الفصل الثاني حول أسباب عظمة المسلمين ما نصه :

[لم تكن جزيرة العرب قبل ظهور محمد «صلّى الله عليه وآله وسلّم» سوى ميدان حرب دائم واسع لما تأصل في العرب من الطبائع الحربية ولما جاء الإسلام وألف بين قلوب المسلمين وجهوا

جميع قواتهم إلى البلاد الأجنبية وكانت طبائعهم الحربية من أسباب انتصاراتهم وهناك أحوال وعوامل أُخرىٰ كثيرة لها تأثير عظيم أيضاً ونذكر على رأس هذه العوامل التي ندرسها ذلك ، العامل الذي توحدت بفضله جميع القبائل العربية المنقسمة وهو الدين الذي جاء به محمد «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» فقد منح هذا الدين ما كانت تحتاج إليه الأُمم من المثل الأعلىٰ المشترك الذي اكتسبوا به من الحمية ما استعدوا به للتضحية بأنفسهم في سبيله والمثل الأعلى الذي أبدعه محمد «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» ديني محض والدولة التي أسسها المسلمون هي الدولة العظمىٰ الوحيدة التي قامت باسم دين اشتقت منه جميع نظمها السياسية والإجتماعية وكان يمكن أن تعمي فتوح المسلمين الاولىٰ أبصارهم وأن يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة ويسيئوا معاملة المغلوبين ويكرهوهم على إعتناق دينهم الذي كانوا يرغبون في نشره في العالم ولو فعلوا هذا لتألبت عليهم جميع الامم التي كانت غير خاضعة لهم بعد ولأصابهم مثل ما أصاب الصليبيين عندما دخلوا بلاد سوريا مؤخراً ، ولكن المسلمين اجتنبوا ذلك ، وما جهله المؤرخون من حلم المسلمين الفاتحين وتسامحهم كان من الأسباب السريعة لاتساع فتوحهم ، وفي سهولة اعتناق كثير من الأُمم لدينهم ونظمهم ولغتهم التي رسخت وقاومت جميع الغارات ، وبقيت قائمة حتى بعد

تواري سلطان المسلمين عن مسرح العالم ، ونعد
من الواضح خاصة أمر مصر التي لم يوفق فاتحوها
من الفرس والأغارقة والرومان أن يقلبوا الحضارة
الفرعونية القديمة فيها ، وأن يقيموا حضارتهم
مقامها . وهنالك أسباب أُخر غير تسامح
المسلمين وحلمهم ساعدت على إنتشار دينهم
ونظمهم المشتقة منه ، وذلك أن هذه النظم
كانت من البساطة في الحقيقة ما لائمت معه
احتياجات طبقات الأهلين الوسطى البسيطة
أيضاً وإذا حدث اتفاقاً أن كانت هذه النظم غير
ملائمة لهذه الإحتياجات عدلها المسلمون كما
تقضي به الضرورة ، وبهذا نفسر السر في
اختلاف نظم المسلمين في بلاد الهند وفارس
وجزيرة العرب ، وأفريقيا ومصر اختلافاً كبيراً في
بعض الأحيان مع أن القرآن واحد] .

انتهى كلام هذا المؤلف .

ونقول تعليقاً على آخر كلامه : إنالمراد باختلاف نظم المسلمين الصغريات وإنما الكبرىٰ الكلية واحدة في كل مكان،مثلاً في مكان تكثر المرأة يأخذ المسلمون عدة نساء ، وفي مكان تقل المرأة يأخذ كل مسلم امرأة واحدة ، وكذلك في مكان تكثر الثروة يوسع المسلمون حياتهم ، وفي مكان تقل الثروة يزهدون ويتقشفون إلى غير ذلك مما هو جار في كل من النظام وعادات الناس .

أما الكلمة الثانية : فهي كلمة أحد الغربيين الذين كانوا في البلاد الإسلامية وهو (غلوب) المعروف بـ(أبو حنيك) الضابط البريطاني الذي قضى معظم سنوات عمله في الأردن والجيش الأردني وكتب كثيراً عن المسلمين ، وحين دعي لإلقاء محاضرة عن سنواته مع المسلمين سرد رؤيته للمسلم كما عرفها وأشار إلى المزايا الإسلامية الخاصة التي يفتقدها الغرب ، والتي تتعرض أيضاً في البلاد

الإسلامية للزوال ، وقد نقلت هذه الكلمة مجلة (الجيل) في عددها العاشر من المجلد الثامن أكتوبر (١٩٨٧) ألف وتسعمائة وسبع وثمانين ، وهذا نص ما ذكرته المجلة قال :

[يبدأ المحاضر بعرض تاريخي وجغرافي فيقول : إن كلمة عرب تطلق أصلاً على سكان شبه الجزيرة العربية وهي المنطقة التي تشمل اليوم العربية السعودية والساحل الغربي للخليج العربي وعمان واليمن وهم البدو الرحل وكلمة عرب هي المراد في الكلمة بدو ، أما الأقطار التي تدعى اليوم سوريا وفلسطين ومصر والجزائر فقد كانت على مدى ألف سنة تقريباً جزءاً من الأمبراطورية الإغريقية ثم الرومانية ، وكانت كل من سوريا ومصر تفوق بأهميتها الثقافية والإقتصادية فرنسا وبريطانيا في الأمبراطورية الرومانية ذلك الوقت عاش العرب كبدو رحل ، وكانوا على احتكاك دائم مع الأمبراطورية الرومانية على طول الحدود الشرقية لسوريا والفارسية على طول نهر الفرات ، وكانتا تشكلان القوتين العظميين أو حسب التعبير الحديث الكتلة الغربية والكتلة الشرقية ، ثم ظهر الإسلام في القرن السابع الميلادي فوحّد بين القبائل العربية المتناحرة في الجزيرة وألف ما بين قلوبهم فاندفع العرب بحماس من الصحراء وسرعان ما أقاموا أمبراطوريتهم العظمى خلال ثمانين عاماً على أنقاض الأمبراطوريتن ، فامتدت من أسبانيا ومراكش في الغرب إلى الهند وحدود الصين

شرقاً ، والنقطة التي تثير اهتمامنا .

يقول المحاضر ـ : إن عدد السكان في شبه الجزيرة العربية كان معظمها صحراء لم يكن ليشكل سوى نصف عدد سكان دلتا النيل لوحده في تلك الأثناء ، ومع ذلك لقد انطلقوا إنطلاقتهم وفتحوا البلاد الشاسعة ، وبحسب التقديرات ، وبعد أن تمت الفتوحات كانت نسبة العرب أو الذين ينحدرون من أصل عربي من سكان الجزيرة العربية لا يتجاوز الواحد إلى مائة من السكان الأصليين لأن الفتح الإسلامي لم يرافقه إجلاء ولا نفي ولا إبادة ، كيف استقرت الأوضاع في هذه الأمبراطورية المتسعة ؟ .

يقول المحاضر ـ : إن ذلك عائد إلى أن الغالبية العظمىٰ من سكان البلاد المفتوحة ، قد قبلوا بالإسلام ديناً وباللغة العربية لساناً في ظل المساواة والتسامح ، وهو عائد بالدرجة الأولىٰ إلى نظام الحكم الذي طبق في أعظم امبراطورية عرفها التاريخ ، إن أعظم ديمقراطية وفرها الحكم الإسلامي في ذلك الزمان كانت ديمقراطية الباب المفتوح للحاكم ، كان الحاكم يفتح بابه للجميع فيدخل عليه من شاء ليعرض شكايته أو ضلامته ، وكان الحاكم يبت في القضية المعروضة فوراً ، ويعطي كل ذي حق حقه ولم يكن هناك من محامين يتقاضون أتعاباً ولا قضاة ينالون أجراً ، كان الحاكم هو القائد الديني والعسكري والسياسي يتحمل كل المسؤولية ، ومع ذلك لم

يكن ليحيط نفسه بمظاهر الأبهة والسلطان ، بل كان يمشي في الشارع كتفاً إلى كتف مع بقية المواطنين في الأحوال الأُولىٰ للأمبراطورية ، وهكذا نجد أنه كان لدى المسلمين نظام حكم متطور جداً وكانت العلاقة بين الحاكم والمحكوم علاقة قائمة على الحب المتبادل والتفاهم ، ولذا نسمي هذا النوع من الحكم حكماً أبوياً ، فالحاكم هو بمثابة أصل الأسرة وربما يكون هذا النوع من العلاقة بين الدولة والأفراد مدعاة للسخرية في الغرب ، لأنهم هناك لا يرون نموذجاً للحكم إلَّا ديمقراطيتهم وإذا كنت أنتقد شيئاً فإنما انتقد بخطأ سياستنا ـ يقول المحاضر ـ إننا حين ننظر إلى الإحصائيات والإرتفاع في نسبة الجرائم لا يعود بوسعناأن ندعي ان الديمقراطية الغربية هي النظام المثالي للحكم ، إن لكل أُمة الحق أن تستلهم نظام حكمها وقوانينها ودستورها من تقاليدها وأعرافها الموروثة ـ والمحاضر الذي عاش مدة طويلة بين البدو وفي الصحراء وتزيّا بزيهم وأعجب بعاداتهم وتقاليدهم وتعلم لغتهم لا ينفك ينحي باللائمة على القائمة المثقفة التي تخرجت من جامعات الغرب وبهرتها مظاهر الحياة الغربية فراحت تقلدها تقليداً أعمى ، يقول لهؤلاء بأعلىٰ صوته ـ لا تقلدون في كل شيء فلديكم الكثير مما يجدر بالغربيين تعلمها .

ما هي تلك الأشياء التي تعلمها المحاضر من المسلمين ويحث الغربيين على تعلمها ؟ تعلمت

من المسلمين الكثير ـ يقول المحاضر ـ تعلمت اللباقة والوقار واحترام الغير ، ويضيف وربما يظن عندنا أن هذه الصفات ليست على جانب من الأهمية لأننا نعتبر الفضاضة ديمقراطية ، وهذا هو الخطأ بعينه ، فأن تكون مهذباً مع الجميع ليس معناه أن تكون ذليلاً ، هناك نمطان للحياة الإسلامية ـ في رأي المحاضر ـ نمط الحياة التي تأخذ بها القلة المثقفة وهذا ما لا يقره ونمط الحياة التقليدية بعلاقاتها الإنسانية وهو ما يتكلم عنه .

لكل سلوك لدى المسلمين آداب متبعة لاحظها المحاضر خلال إقامته الطويلة ، فهناك آداب السلوك في الشارع وآداب السلوك في المجالس العامة وآداب السلوك في المجالس الخاصة وآداب الإستماع وآداب الإستضافة وآداب الطعام وآداب الشراب إلى آخر ما هنالك من مظاهر الكياسة التي يلمسها المرء لدى هؤلاء البسطاء ، ويعجب بها ، وبخاصة لدى السوريين الذين يقول عنهم المحاضر أنهم أكثر الشعوب التي عرفها تهذيباً على الإطلاق ، وأن لباقتهم يمكن أن تكون مثالاً يحتذى ، فاللباقة تجعل العلاقات بين الناس بسيطة وممتعة وتمدك بعبارات أفضل ، سواء كنت في مهمة دبلوماسية أم كنت تشتري حاجتك اليومية ، ويسوق المحاضر أمثلة يحض الغربيين على الأخذ بها ، فالمسلم لا يجلس على كرسيه مستنداً إلى الخلف ورافعاً رجليه في وجه الآخرين كما يفعل الغربيون في المجالس العامة ، خارج نطاق اسرته ، يجلس معتدلاً يتكلم

بصوت عادي واضح وهو لا يضحك دون سبب وإذا ضحك فلا يفتح فاه ملء شدقيه ، ولا ينفجر ضاحكاً محدثاً ضجة وجلبة وهو يعامل الكبار باحترام والصغار بلطف يحسن الإستماع لمحدث صغيراً كان أم كبيراً ، والمسلم إذا ما زرته في بيته فإنه يعتبر ذلك شرفاً كبيراً حبوته به فيستقبلك هاشاً باشاً ويقدمك على نفسه في الدخول ، وفي المجالس وفي الضيافة عندما تدور القهوة العربية ، والبدوي إذا ما زرته في خيمته فيجلسك على الفرش والطنافس وبعد قليل يتقاطر أهل الخيام المجاورة للسلام عليك واستجلاء الأخبار ، فيقوم الموجودون باستقبال الزائرين الجدد وبتقديم مجالسهم لهم هذه اللباقة تسم العلاقات القائمة فيما بين هؤلاء الناس البسطاء ، وهذا ما حدى بالرواد الأوائل للمنطقة أن يدعوهم بالمهذبين بالفطرة ، أما عن سلوك الغربيين بالمقارنة فيقول المحاضر : إن المرء ليشعر بالخجل بصحبة الزوار الغربيين الذين يتسكعون بملابس تكاد لا تستر عريهم ، يضحكون بصخب ويحدثون جلبة ويعتبرون ذلك ديمقراطية ، وذات مرة ـ يقول المحاضر ـ زرت خيام البدو وبصحبة صحفي أمريكي فأكرموا وفادتنا وفي طريق العودة قال الصحفي بحدة ، ما كنت أصدّق أن مثل هؤلاء الفقراء على هذا القدر من التهذيب . وهكذا عبّر وبعفوية عن الرأى السائد بين الغربيين والذي يربط بين التهذيب والغنى ، أما هنا فهذه هي الصفات

الغالبة في كل علاقـاتهم (العلاقـات الأسروية) :
المجتمـع الغـربي يعيش حيـاة معقـدة في ظـل
الحضـارة المـاديـة التي تستبعـد كـل العـلاقـات
الإنسـانيـة بـين أفـراد الأسرة الـواحـدة ، لقـد
تـطورت هـذه الحضـارة بشكـل يجعـل النـاس
يعيشـون في دوامة الخـوف من الفقـر أو الحـاجـة
ويعملون طـول حيـاتهم للحصـول على المـال ،
ولكنزه ، وفي المجتمع الإسـلامي يختلف الأمر ،
ان المسلمـين لا يحبون المـال وهذا مـا لا يصدقـه
الغـربيـون ، لأنهم هم يعيشـون من أجـل المـال
وهذا بالطبع لا يعني أن المسلمين لا يحتاجون إلى ا
المال في معاشهم ، لكنهم لا يحيون من أجله وإذا
كـان المسلمـون لا يحبـون المـال فهـذا في رأي
الغـربيين عـائـد إلى حـالـة السبـات الشرقي أي
التخلف وذلـك لأننا في الغـرب لا نتصور وجـود
شعب نشيط وذكي وهو لا يؤمن بالمال كافـة بحد
ذاتـه ، ولكن لمـاذا كـل هـذا الإختـلاف بـين
المجتمعين فيما يختص بجمع المال ؟ سؤال طـرحه
المحـاضر وأجاب عليـه ـ معزيـاً السبب إلى نظام
التكافل الإجتماعي في الأسرة الشرقية والمفقـود في
الأسرة الغـربيـة . الأسرة في المجتمـع الغـربي
مفككـة فـالمسنّـون لا يحـظون بحب الأبنـاء
ورعايتهم ، والشيخ عندما يبلغ سن العجـز فإنـه
يـزج بـه في مـأوى للعجـزة ليعيش الأبنـاء عـلى
هـواهم دونما عـائق ، والشيء ذاته يحـدث لهؤلاء
عندما يبلغون أرذل العمر امور كهذه لا تحدث في
المجتمع الشرقي ، الأسرة هنا متماسكة الأطفـال

ينشأون نشأةً صحيحة وطبيعية في كنف الأسرة ، يقومون بالأعمال التي يعمل بها آباؤهم ، فابن الراعي يصبح راعياً وابن المزارع مزارعاً ، وهكذا حتى يبلغوا سن الزواج ، فإذا تزوج الأولاد انضمت زوجاتهم إلى الاسرة وعندما يبلغ الشيوخ سن العجز ، يبقون تحت رعاية الأبناء والأحفاد والزوجات ، ينعمون بالإطمئنان ولا يخشون الفقر ولا تسأمهم الوحدة ، فلماذا تكديس المال إذاً «إن المال كوسخ اليدين يتجمع ويزول» هذا المثل يعبر عن فلسفتهم في الحياة ، ولأنهم لا يحبون المال فإن الحسد غير موجود لدى المسلمين ، نعم المسلم لا يحسد المسلم من أجل المال وإن كانت بوادره بدأت بالظهور بين أولئك الطلاب لسوء الحظ الذين تخرجوا من معاهد الغرب ، وتشبعوا بأفكاره وأصبحوا يهتمون بجمع المال جراء ما عانوه خلال إقامتهم هناك ، وما لمسوه من احتقار الغرب للشعوب الفقيرة والنظرة الدونية لها أما المجتمع المسلم ، وقبل الغزو الفكري الغربي ، فإنه مجتمع بلا طبقات أي ليس هنالك فارق كبير بين غنيهم وفقيرهم والمجتمع الغربي اليوم يعاني من هذه المشكلات وينتقدها بشدة وهناك إلى جانب التفاوت الطبقي نجد عندنا المرض الذي دعوناه بالفارق بين الأجيال والعقليات وهو المرض الذي لا يعاني منه المجتمع الشرقي لأن الأسرة فيه كما ذكرنا وحدة متماسكة متداخلة تتشكل من أفراد من مختلف الأعمار ، ويجدر بالذكر هنا أن الأسرة لا تعني

الأب والأولاد ، وإنما تتوسع الدائرة لتشمل الأعمام والأجداد والأحفاد يتعايشون في جو من الود والوئام والأطفال بدورهم يحظون بالرعاية وبتوجيه الكبار فيكتسبون الحكمة ، والدراية والعاطفة في أهم المراحل الحساسة من العمر ، وبالمقابل فإن الأولاد بالمجتمع الغربي يفصلون عن أُسرهم في هذه المراحل ويفصلون إلى الجامعات وهناك يعيشون مع زملائهم ، فتحشى أدمغتهم بالمعلومات ليتخرجوا من الطرف الآخر مجازين يحملون شهادات تؤهلهم للعمل ولا تؤهلهم للحياة ، فتصبح الثقافة تابعة لخط الإنتاج ، ويكون همّ الحكومات زيادة الحصيلة من المتخرجين تماماً كهمهم في زيادة حصيلة المعامل من البورسلين والسيارات والإلكترونيات ، ولهذا ينقطع الشباب في المراحل الأُولىٰ عن جو الأُسرة ويتخرجون من الجامعات تنقصهم الخبرة ويعانون مدى حياتهم من القلق العاطفي والروحي حتى أساتذتهم لا يُتاح لهم الإتصال بهم والاحتكاك معهم لإكتساب الحكمة ، لأن الأعداد الهائلة من الطلاب لا تتيح لهم أي للأساتذة معرفة أسماء طلابهم ، وكذلك الطلاب في غالب الأحيان والجامعات تزود المتخرجين بالعلم ، ولا تزودهم بالحكمة ، لأن الحكمة تكتسب بالعيش وحده ، فقد يكون الفلاح أكثر حكمة من أعظم عالم ، والحكمة هي فن التعامل مع الناس ، وسر السعادة في علاقاتنا مع الآخرين . وربما أمكن للإنسان في

العصر الحديث السيطرة على المادة ، أما السيطرة على الإنسان فما زالت بعيدة عن متناوله ، وإذا كان شبابنا يعانون ما يعانون من القلق والفشل في الحياة العملية لكل هذه الأسباب فلا نعجب بعد هذا إذا أصبحوا ضحايا للمخدرات والإنتحار والجنوح من (الدين) . والمسلمون كلهم ـ عدا أولئك المتفرنجين الذين يتبعون الأسلوب الغربي في الحياة ويتبعون الملحدين ـ يؤمنون بالله وبحقيقة وجوده وبرحمته الواسعة ، وبأنه على كل شيء قدير وهم يذكرونه في كل أفعالهم ، وإنك لتسمع مثل هذه العبارات تتردد باستمرار ففي إشارة للمستقبل تسمع عبارة (إن شاء الله) وفي كل استفسار عن الصحة أو العمل تسمع عبارة (الحمد لله) ومن يغادر مجلس الجماعة يقول لهم : (استودعكم الله) فيجيبون (بحفظ الله ورعاية الله) وإذا أراد الواحد أن يبدأ مشروعاً أو أي عمل فإنه يقول : (توكلت على الله) إلى آخر ما هنالك من العبارات المتداولة التي تضفي على نفوسهم الراحة والطمأنينة والإستقرار النفسي .

نحن نتهم المسلمين بالقدرية ونسخر منهم لإعتقادنا أنهم يقعدون بانتظار أن تقرر السماء لهم ما يفعلون هذه التهمة باطلة في رأيي .

ويستمر المحاضر : إن المسلمين نشيطون في تدبير أمورهم وباهتماماتهم الدنيوية مثلنا تماماً لكنهم لا يستسلمون لليأس أبداً ، بل يتقبلون

الخسارة أو الفشل بهدوء أعصاب والمؤمن إذا أصابته مصيبة يقول : (هذه مشيئة الله والحمد لله على كل حال) ثم يستأنفون أعمالهم بصورة طبيعية ، إنه التسليم بما ليس منه بد . يخالجني شعور أن معظم حالات الإنهيار العصبي والجنوح والإنتحار مردها إلى ضعف الإيمان بالله والدين ، فقد فطن الأطباء النفسيون في الغرب لهذه الناحية ، فهذا الطبيب النفساني (جنك) يقول : إن كل ما يحتاجه مرضانا هو الإيمان بالله ، نحن بالطبع نرجع هذه الأزمات النفسية والعقلية إلى ضغط الحياة الحديثة ولكنني أؤكد أن المسلمين يعيشون ظروفاً أشد وأدهى في بعض الأحيان ، مثال ذلك ظروف اللاجئين الفلسطينيين الذين أُخرجوا من ديارهم بقوة السلاح وتُركوا يضربون في الأرض بلا مال ولا مأوى طيلة هذه السنين ، ومع ذلك لا توجد لديهم مثل تلك الأزمات ، لا شك أن إيمانهم هو الذي منحهم القدرة على الصبر والثبات .

وأخيراً يتطرق المحاضر للفروسية عند المسلمين فيقول : إن بلاد المسلمين هي موطن الفروسية ومنهم انتقلت عن طريق أسبانيا إلى جنوب فرنسا ، ثم إلى انجلترا ، لأن جنوب فرنسا ومنطقة النورماندي كانتا تابعتين لأنجلترا في ذلك الوقت ، فالفروسية هي الحرب من أجل قوانين الشرف الصارمة ، وكانت المرأة هي الحكم فيها لذلك ، كان الفرسان يستبسلون لنيل

رضاها ، وهذا ما أعطى المرأة في المجتمع الإسلامي مكانة لم تحظ بها في أي مجتمع آخر .

ويقول المحاضر : وسيعجب البريطانيون إذا قلنا لهم : إن المسلمين هم الذين علّموا الغرب احترام المرأة] .

انتهى كلام هذا الرجل الغربي البريطاني الذي عاش مع المسلمين ستاً وثلاثين سنة من سنة ألف وتسعمائه واحدىٰ وعشرين ميلادية إلىٰ ألف وتسعمائة وسبعة وخمسين ميلادية .

الأخلاق الكريمة :

إن المجتمع الإسلامي مجتمع فاضل ، وللمسلمين فيها أخلاق فاضلة في كل أبعاه الحياة ، في بيعهم وشرائهم ورهنهم وإجارتهم وسفرهم وإقامتهم وضيافتهم ومعاشرتهم إلى غير ذلك ، كما تقدمت جملة منها ، وذكرنا بعضها أيضاً في كتاب الفقه (الآداب والسنن) والمجتمع الفاضل يكون دائماً في راحة تامة ، لأنَّ سوء الأخلاق يضغط على الروح ، بينما ضعف المادة يضغط على الجسد ، والضغط على الروح أسوأ الضغطين .

وعلىٰ كل حال ففي باب مكارم الأخلاق ، وحسن الخلق وما أشبه وردت روايات كثيرة عامة تشمل الأخلاق التي ذكرت منفردة في كل باب باب ، ونحن نذكر جملة من تلك الروايات :

فعن النبيّ «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (إنما بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق)[1] وقد ذكرنا معنى الحديث في كتاب (الأخلاق الإسلامية) .

وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد «عليهما السَّلام» أنه قال : (إنا لنحب من شيعتنا من كان عاقلاً فهماً فقيهاً حليماً مدارياً صبوراً صدوقاً وفياً ، ثم قال : إن

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٨ .

الله تبارك وتعالىٰ خص الأنبياء بمكارم الأخلاق فمن كانت فيه فليحمد الله على ذلك ، ومن لم يكن فليتضرع إلى الله وليسأله ، قال : قلت : جعلت فداك وما هي ؟ قال : الورع والقنوع والصبر والشكر والحلم والحياء والسخاء والشجاعة والغيرة والبر وصدق الحديث وأداءالأمانة)[١] .

وعن الجعفريات بسندالأئمَّة إلى علي بن أبي طالب «عليه السَّلام» قال : (سمعت رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» يقول : إن من مكارم الأخلاق صدق الحديث وإعطاء السائل ، وصدق اليأس ، وصلة الرحم ، وإداء الأمانة ، والتذمم للجار ، والتذمم للصاحب ، وإقراء الضيف)[٢] .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (أربع من أعطيهن فقد أعطىٰ خير الدنيا والآخرة ، بدناً سالماً ، ولساناً ذاكراً وقلباً شاكراً ، وزوجة صالحة)

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال :(ذللوا أخلاقكم بالمحاسن ، وقودوها إلى المكارم ، وعوّدوها الحلم واصبروا على الإيثار على أنفسكم ، فيما تحمدون عنه قليلا من كثير ، ولا تداقوا الناس وزناً بوزن ، وعظموا أقداركم بالتغافل من الدنيء من الأمور ، وأمسكوا رمق الضعيف بالمعونة له بجاهكم ، وإن عجزتم عما رجا عندكم فلا تكونوا نجاشين عما غاب عنكم فيكثر عائبكم ، وتحفظوا من الكذب فإنه من أدق الأخلاق قدراً ، وهو نوع من الفحش وضرب من الدنائة ، وتكرموا بالغنىٰ عن الإستقصاء)[٣] .

وعن جابر بن عبد الله قال : (قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» ألا أخبركم بخير رجالكم ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال إن خير رجالكم التقي النقي السمح الكفين النقي الطرفين البر بوالديه ولا يلجيء عياله إلى غيره)[٤] .

---

(١) الوسائل ج ١١ ص ١٥٥ باب ٦ ح ١ .

(٢) الجعفريات ص ١٥١ .

(٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٨٢ باب ٦ ح ٦ .

(٤) الكافي ج ٢ ص ٥٧ ح ٧ .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (إن الله عزّ وجلّ ارتضى لكم الإسلام ديناً فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق)[١] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (إن لله عزّ وجلّ وجوهاً خلقهم من خلقه وأرضه لقضاء حوائج إخوانهم يرون الحمد مجداً والله سبحانه يحب مكارم الأخلاق ، وكان فيما خاطب الله نبيه : إنك لعلى خلق عظيم) قال : السخاء وحسن الخلق)[٢] .

وعن الحلبي عن أبي عبد الله «عليه السَّلام»قال :(إن الصبر والبر وحسن الخلق من أخلاق الأنبياء)[٣] .

وعن الرضا عن آبائه «عليهم السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلّم» : عليكم بمكارم الأخلاق ، فإن الله عزّ وجلّ بعثني بها ، وإن من مكارم الأخلاق أن يعفو الرجل عمن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ، وأن يعود من لا يعوده)[٤] .

وعن الرضوي «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه روى عن العالم : (إن الله جلّ وعلا خص رسوله بمكارم الأخلاق ، فامتحنوا أنفسكم ، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله وإلاَّ فاسألوه وارغبوا إليه فيها ، قال : وذكرها عشرة : اليقين ، والقناعة والبصيرة والشكر والحلم وحسن الخلق والسخاء والغيرة ، والشجاعة والمروة ، وفي خبر آخر زاد فيها ، الحياء والصدق وأداء الأمانة)[٥] .

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٦ ح ٤ .
(٢) الوسائل ج ١١ ص ١٥٦ باب ٦ ح ٩ .
(٣) البحار ج ٦٩ ص ٣٧٨ ح ٣٣ .
(٤) البحار ج ٦٩ ص ٣٧٥ ح ٢٤ .
(٥) الكافي ج ٢ ص ٥٦ ح ٢ .

وعن أمير المؤمنين «عليه السَّلام» انه قال لولديه : (إن الله عزّ وجلّ جعل محاسن الأخلاق وصلة بينه وبين عباده ، أيحب أحدكم أن يمسك بخلق متصل بالله؟) .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (الأخلاق منائح من الله عزّ وجلّ ، فإذا أحب عبداً منحه خلقاً حسناً ، وإذا أبغض عبداً منحه خلقاً سيئاً) (٢) .

أقول : لا إشكال في أن الأخلاق صفات وجودية ، والوجود يحتاج إلىٰ الموجد ، وحب الله وبغضه بسبب الإنسان نفسه لا اعتباطاً ، وفي رواية : (أنه لما أتوا بأسارىٰ طي لرسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قامت فتاة من جملتهم فقالت : يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني إبنة سرة قومي ، كان أبي يفك العاني ويعطي الطالب ويحمى الذمام ويقرى الضيف ويشبع الجائع ويكسي المعدوم ويفرج عن المكروب ، أنا إبنة حاتم طي فقال : «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : خلوا عنها ، فإن أباها كان يحب الأخلاق ، فقال أبو بردة فقال : يا رسول الله ، الله يحب مكارم الأخلاق ، فقال : يا أبا بردة لا يدخل الجنة أحد إلاّ بحسن الخلق)(٣) إلى غيرها من الروايات الكثيرة .

روايات سوء الخلق :

كما أنه ورد في ذم سوء الخلق ولزوم اجتناب المؤمنين عنه أيضاً روايات :

---

(٢) البحار ج ٧١ ص ٤٩٤ ح ٦٤ .
(٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٨٣ باب ٦ ح ٢١ .

فعن الرضا «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : الخلق السيىء يفسد العمل ، كما يفسد الخل العسل)[١] .

وعن الباقر عن آبائه «عليهم السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : من ساء خلقه عذب نفسه)[٢] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (أبىٰ الله عزّ وجلّ لصاحب الخلق السيىء بالتوبة قيل : وكيف ذاك ؟ قال : لأنه لا يخرج من ذنب حتى يقع فيما هو أعظم منه) [٣].

وعن أبي عبد الله قال : (أتىٰ رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» فقيل : إن سعد بن معاذ قد مات إلى أن ذكر تجهيزه ودفنه ثم قال : فقالوا : أمرت بغسله وصلّيت علىٰ جنازته ولحدته ثم قلت : إن سعداً قد أصابته ضمة ؟ قال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : نعم إنه كان في خلقه مع أهله سوء)[٤] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» في حديث قال : (لا سؤدد لسيىء الخلق)[٥] .

وعن موسىٰ بن جعفر عن آبائه «عليهم السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أبىٰ الله لصاحب الخلق السيىء بالتوبة ، فقيل يا رسول الله وكيف ذاك ؟ قال : لأنه إذا تاب عن ذنب وقع في ذنب أعظم من الذنب الذي تاب منه)[٦] .

وعن النبيّ انه قال : (خلقان لا يجتمعان في مؤمن ، الشح وسوء الخلق) .

---

(١) الوسائل ج ٨ ص ٥٠٦ باب ١٠٤ ح ١٨ .
(٢) الكافي ج ٢ ص ٣٢١ ح ٤ .
(٣) الكافي ج ٢ ص ٣٢١ ح ٢ .
(٤) البحار ج ٧٣ ص ٢٩٨ ح ١١ .
(٥) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٣٨ باب ٦٩ ح ٥ .
(٦) البحار ج ٧٣ ص ٢٩٩ ح ١٢ .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» انه قال : (لو علم سيىء الخلق أنه يعذب نفسه لتسمح في خلقه)(١) .

وعن النبيّ «صلّى الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (سوء الخلق زمام من عذاب الله في أنف صاحبه ، والزمام بيد الشيطان يجره إلى الشر ، والشر يجره إلى النار)(٢) .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» سئل عن أدوم الناس غماً ؟ قال : (أسوءهم خلقاً)(٣) .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» انه قال : (سوء الخلق نكد العيش وعذاب النفس)(٤) .

وقال «عليه السَّلام» : (سوء الخلق يوحش النفس ويرفع الأنس)(٥) .

وقال «عليه السَّلام» : (سوء الخلق شؤم والإساءة إلى المحسن لؤم)(٦) .

وقال «عليه السَّلام» : (سوء الخلق يوحش القريب وينفر البعيد)(٧) .

وقال «عليه السَّلام» : (كل داء يداوى إلاّ سوء الخلق)(٨) .

وقال «عليه السَّلام» : (من ساء خلقه عذب نفسه)(٩) .

---

(١) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٣٨ باب ٦٩ ح ٩ .
(٢) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٣٨ باب ٦٩ ح ١١ .
(٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٣٨ باب ٦٩ ح ١٢ .
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٢٩ ح ٨٥ .
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٢٩ ح ٨٧ .
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٢٩ ح ٨٤ .
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٢٩ ح ٨٦ .
(٨) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٨٨ ح ٢٠ .
(٩) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣٤٥ ح ٧٦٩ .

طائفة من الروايات في أخلاق المؤمن :

وإليك بعض الأحاديث المتضمنة لصفات المؤمن :

فعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (قام رجل يُقال له : همام ، وكان عابداً ناسكاً مجتهداً إلى أمير المؤمنين «عليه السَّلام» وهو يخطب ، فقال : يا أمير المؤمنين : صف لنا المؤمن كأننا ننظر إليه ؟ فقال : يا همّام ، المؤمن هو الكيس الفطن ، بشره في وجهه ، وحزنه في قلبه ، أوسع شيء صدراً ، وأذلّ شيء نفساً زاجر عن كلّ فان ، حاضّ على كل حسن ، لا حقود ولا حسود ، ولا وثّاب ولا سبّاب ، ولا غيّاب ولا مرتاب ، يكره الرّفعة ، ويشنأ السمعة ، طويل الغمّ ، بعيد الهمّ ، كثير الصّمت ، وقور ذكور صبور شكور ، مغموم بفكره ، مسرور بفقره ، سهل الخليقة ، لين العريكة ، رصين الوفاء قليل الأذى ، لا منافق ولا متهتّك ، إن ضحك لم يخرق ، وإن غضب لم ينزق ، ضحكه تبسم ، واستفهامه تعلّم ، ومراجعته تفهّم ، كثير علمه عظيم حلمه ، كثير الرّحمة ، لا يبخل ولا يعجل ، ولا يضجر ولا يبطر ، ولا يحيف في حكمه ، ولا يجور في عمله ، نفسه أصلب من الصّلد ، ومكادحته أحلى من الشّهد ، لا جشع ولا هلع ، ولا عنف ولا صلف ، ولا متكلّف ولا متعمّق ، جميل المنازعة ، كريم المراجعة ، عدل إن غضب ، رفيق إن طلب ، ولا يتهوّر ولا يتهتّك ولا يتجبر ، خالص الود ، وثيق العهد وفيّ العهد ، شفيق وصول ، حليم خمول ، قليل الفضول ، راض عن الله عزّ وجلّ ، مخالف لهواه ، لا يغلظ على من دونه ولا يخوض فيما لا يعنيه ، ناصر للدّين ، محام عن المؤمنين ، كهف للمسلمين ، لا يخرق الثّناء سمعه ، ولا ينكى الطّمع قلبه ، لا يصرف اللّعب حكمه ، ولا يطلع الجاهل عمله ، قوّال عمّال عالم حازم ، لا بفحّاش ولا بطيّاش ، وصول في غير عنف ، بذول في غير سرف ، لا بختّال ولا بغدّار ، ولا يقتفي أثراً ، ولا يحيف ببشر ، رفيق بالخلق ساع في الأرض ، عون للضعيف غوث للملهوف ، لا يهتك ستراً ، ولا يكشف سرّاً ، كثير البلوى قليل الشكوى ، إن رأى خيراً ذكره ، وإن عاين شرّاً سرّه ، يستر العيب ويحفظ الغيب ، ويقيل العثرة ويغفر الزلّة ، لا يطلع على نصح

فيذره ، ولا يدع جنح حيف فيصلحه ، أمين رصين ، تقّي نقّي زكيّ رضيّ ، يقبل العذر ويجمل الذّكر ، ويحسن بالنّاس الظّن ، ويتهم على العيب نفسه ، يحبّ في الله بفقه وعلم ، ويقطع في الله بحزم وعزم لا يخرق به فرح ، ولا يطيش به مرح ، مذكّر للعالم ، معلّم للجاهل ، لا يتوقّع له بائقة ، ولا يخاف له غائلة ، كلّ سعي أخلص عنده من سعيه وكل نفس أصلح عنده من نفسه ، عالم بعيبه شاغل بغمّه ، لا يثق بغير ربّه ، قريب (غريب) وحيد حزين يحبّ في الله ويجاهد في الله ليتبع رضاه ، ولا ينتقم لنفسه بنفسه ولا يوالي في سخط ربّه ، مجالس لأهل الفقر ، مصادق لأهل الصّدق ، موازر لأهل الحقّ ، عون للغريب ، أب لليتيم ، بعل للأرملة ، خفيّ بأهل المسكنة ، مرجو لكلّ كريمة (كريهة) مأمول لكلّ شدة،هشاش بشّاش ، لا بعبّاس ولا بحبّاس ، صليب كظّام بسّام ، دقيق النّظر عظيم الحذر ، لا يبخل وإن بخل عليه صبر ، عقل فاستحىٰ ، وقنع فاستغنىٰ ، حياؤه يعلو شهوته ، وودّه يعلو حسده ، وعفوه يعلو حقده ولا ينطق بغير صواب ، ولا يلبس إلاّ الإقتصاد ، مشيه التواضع ، خاضع لربّه بطاعته ، راض عنه في كلّ حالاته بنّية خالصة ، أعماله ليس فيها غشّ ولا خديعة ، نظره عبرة وسكوته فكرة ، وكلامه حكمة ، مناصحاً متباذلاً متواخياً ، ناصح في السّر والعلانية ، لا يهجر أخاه ولا يغتابه ولا يمكر به ، ولا يأسف على ما فاته ، ولا يحزن على ما أصابه ، ولا يرجو ما لا يجوز له الرّجاء ، ولا يفشل في الشدّة ولا يبطر في الرّخاء ، يمزج الحلم بالعلم والعقل بالصّبر تراه بعيداً كسله ، دائماً نشاطه قريباً أمله ، قليلاً زلله ، متوقّعاً لأجله ، خاشعاً قلبه ذاكراً ربّه قانعة نفسه ، منفياً جهله ، سهلاً أمره ، حزيناً لذنبه ، ميتة شهوته ، كظوماً غيظه ، صافياً حلقه آمناً منه جاره ، ضعيفاً كبره ، قانعاً بالذي قدّر له ، متيناً صبره محكماً أمره ، كثيراً ذكره ، يخالط النّاس ليعلم ويصمت ليسلم ، ويسأل ليفهم ويتجر ليغنم ، لا ينصت (لا ينصب) للخير ليفخر به ، ولا يتكلم ليتجبّر به على من سواه ، نفسه منه في عناء ، والنّاس منه في راحة ، أتعب نفسه لآخرته ، فإراح النّاس من نفسه ، إن بغى عليه صبر حتى يكون الله الذي ينتصر له ، بعده ممّن يباعد منه بغض ونزاهة ، ودنّوه ممّن دنا منه لين ورحمة ، ليس تباعده تكبّراً ولا عظمة ، ولا دنّوه خديعة ولا خلابة ، بل يقتدي بمن كان قبله

من أهل الخير ، فهو امام لمن بعده من أهل البر ، الخبر)[١] .

وفي رواية عن أبي عبد الله جعفر بن محمد «عليهما السَّلام» إنّ سائلاً سأله عن : (أي الأعمال أفضل عند الله ؟ فقال : ما لا يقبل الله عزّ وجلّ عملاً إلاّ به . قال : وما هو ؟ قال الإيمان بالله أعلى الأعمال درجة ، وأشرفها منزلة ، وأسناها حظاً .

قال السائل له : قلت : أخبرني عن الإيمان ؟ أقولٌ وعمل؟ أم قول بلا عمل ؟ قال : الإيمان عمل كلّه ، والقول بعض ذلك العمل ، بفرض من الله بين ، في كتابه واضح ، ثابتة حجّته ، يشهد به الكتاب ويدعو إليه . قال : قلت : بينّ ذلك جعلني الله فداك حتّى أفهمه ؟ قال : إنّ الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل ، فمنه التّام المنتهىٰ تمامه ، ومنه الناقص البينّ نقصانه ، ومنه الرّجح البينّ رجحانه .

قال : قلت : إن الإيمان لينتقص ويتم ويزيد ؟ قال : نعم ، قال : قلت : وكيف ذلك ؟ قال : لأن الله تبارك وتعالىٰ فرض الإيمان على جوارح بني آدم وقسّمه عليها ، وفرّقه فيها ، فليس من جوارحه جارحة إلاّ وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها ، فمنه قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ، ولا تصدر إلاّ عن رأيه وأمره ، ومنها عيناه اللتان يبصر بهما ، وأذناه اللتان يسمع بهما ، ويداه اللتان يبطش بهما ، ورجلاه اللتان يمشي بهما ، وفرجه الذي الباه من قبله ، ولسانه الذي ينطق به ، ورأسه الذي فيه وجهه ، فليس من هذه جارحة إلاّ وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها بفرض من الله يشهد به الكتاب ، ففرض على القلب غير ما فرض على السّمع ، وفرض على السّمع غير ما فرض على اللّسان ، وفرض على اللّسان غير ما فرض على العينين ، وفرض على العينين غير ما فرض على اليدين ، وفرض على اليدين غير ما فرض على الرّجلين ، وفرض على الرّجلين غير ما فرض على

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٧٩ ج ١ ، باب المؤمن وعلاماته وصفاته ، نهج البلاغة ص ٣٠٣ .

الفرج ، وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه .

فأمّا ما فرض على القلب من الإيمان : فالإقرار والمعرفة والعقد والرّضا والتسليم ، بأنّ الله تبارك وتعالىٰ هو الواحد لا إلٰه إلاّ هو وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» ، والإقرار بما كان من عند الله من نبي أو كتاب فذلك ما فرض الله على القلب من الإقرار والمعرفة .

فقال عزّ وجلّ : **﴿إلاّ من أكره﴾**(١) الآية . وقال : **﴿ألا بذكر الله﴾**(٢) الآية . وقال : **﴿الذين قالوا آمنّا بأفواههم﴾**(٣) الآية . وقال : **﴿إن تبدوا ما في أنفسكم﴾**(٤) الآية . فذلك ما فرض الله على القلب من الإقرار والمعرفة وهو عمله وهو رأس الإيمان .

وفرض على اللسان : القول والتعبير عن القلب ما عقد عليه وأقّر به ، فقال تبارك وتعالىٰ : **﴿قولوا آمنّا﴾**(٥) الآية . وقال : **﴿وقولوا للنّاس حسناً﴾**(٦) وقال : **﴿وقولوا قولاً سديداً﴾**(٧) وقال : **﴿وقل الحق من ربكم﴾**(٨) وأشباه ذلك مما أمر الله عزّ وجلّ به فهذا ما فرض الله عزّ وجلّ على اللسان وهو عمله .

وفرض على السمع أن يتنزه على الإستماع إلى ما حرم الله ، وما لا يحلّ له وهو عمله ، وذلك من الإيمان .

وفرض الله على العينين غضّ البصر عمّا حرّم الله وهو عملهما .

وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرم الله وأن يغضّ ممّا نهى الله عنه ممّا لا يحل له وهو عمله وذلك من الإيمان ، وقال تبارك وتعالىٰ : **﴿قل للمؤمنين**

---

(١) سورة الرعد : الآية / ٢٨ .

(٢) سورة الأعراف : الآية / ١٢١ .

(٤) سورة البقرة : الآية / ٢٨٤ .

(٥) سورة البقرة : الآية / ١٣٦ .

(٦) سورة البقرة : الآية / ٨٣ .

(٧) سورة الأحزاب : الآية / ٧٠ .

(٨) سورة الكهف : الآية / ٢٩ .

يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾[١]، من أن ينظر أحدهم إلى فرج أخيه ويحفظ فرجه من أن ينظر إليه أحد .

ثم قال أبو عبد الله «عليه السّلام» : كل شيء في القرآن من حفظ الفرج ، فهو من الزّنا ، إلاّ هذه الآية فهو من النظر . ثم نظم ما فرض الله على القلب واللسان والسمع والبصر في آية واحدة فقال : **﴿ولا تقف﴾**[٢] ، الآية . وقال : **﴿ما كنتم تستترون﴾**[٣] الآية . يعني بالجلود الأفخاذ ما فرض الله على العينين من غضّ البصر عمّا حرّم الله ، وهو عملهما ، وهو من الإيمان .

وفرض على اليدين أن لا يبطش بهما إلى ما حرّم الله ، وأن يبطشا إلى ما أمر الله به ، وفرضه عليهما من الصدقة ، وصلة الرّحم ، والجهاد في سبيل الله ، والطّهر للصلوات : قال الله عزّ وجلّ : **﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا قمتم﴾**[٤] الآية . وقال : **﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا﴾**[٥] الآية . وقال : **﴿وإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرّقاب﴾**[٦] الآية . فهذا أيضاً مما فرض الله على اليدين لأن الضرب من علاجهما .

وفرض الله على الرجلين أن لا يمشي بهما في شيء من معاصي الله وان تنطلقا إلى ما أمر الله به وفرض عليهما من المشي فيما يرضى الله عزّ وجلّ ، فقال في ذلك : **﴿ولا تمش﴾**[٧] الآية .

وقال عزّ وجلّ : **﴿واقصد﴾**[٨] الآية .

---

(١) سورة النور : الآية / ٣٠ .
(٢) سورة الإسراء : الآية / ٣٦ .
(٣) سورة فصلت : الآية / ٢٢ .
(٤) سورة المائدة : الآية / ٢٢ .
(٥) سورة الأنفال : الآية / ١٥ .
(٦) سورة محمد : الآية / ٤ .
(٧) سورة لقمان : الآية / ١٨ .
(٨) سورة لقمان : الآية / ١٩ .

وقال فيما شهدت به الأيدي والأرجل على أنفسها أو على أربابها من نطقها بما أمر الله به ، وفرض عليها : ﴿اليوم نختم﴾[1] الآية . فهذا أيضاً ممّا فرض الله على اليدين والرّجلين وهو عملهما وهو من الإيمان .

وفرض على الوجه السّجود بالليل والنهار في مواقيت الصّلاة ، فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا﴾[2] الآية ، فهذه فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين ، وقال في موضع آخر ، ﴿وأنّ المساجد﴾ [3] الآية . فهذا ما فرض على الجوارح من الطهور والصّلاة ، وسمي الصّلاة إيماناً في كتابه ، وذلك أنّ الله عزّ وجلّ لّما صرف وجه نبيه «صلّى الله عليه وآله وسلّم» عن الصّلاة إلى بيت المقدس وأمره أن يصلّي إلى الكعبة قال المسلمون للنبيّ «صلّى الله عليه وآله وسلّم» أرأيت صلاتنا هذه التي كنا نصلّيها إلى بيت المقدس ما حالها وحالنا فيها ؟ فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك : ﴿وما كان الله ليضيع﴾ الآية . فسمى الصّلاة إيماناً ، فمن لقى الله حافظاً لجوارحه مؤتياً كل جارحة من جوارحه ما فرض الله عليها لقى الله كامل الإيمان من أهل الجنة ، ومن خان شيئاً منها وتعدّى ما أمر الله عزّ وجلّ به لقى الله ناقص الإيمان .

قال السائل : يابن رسول الله ، قد فهمت نقصان الإيمان وتمامه فمن أين جاءت زيادته ؟ وما الحجة في زيادته ؟ .

قال أبو عبد الله «عليه السّلام» : قد أنزل الله عزّ وجلّ : ﴿وإذا ما أنزلت﴾ الآية . وقال : ﴿نحن نقص عليك﴾[4] الآية . ولو كان الإيمان كله واحداً ولا نقصان فيه ولا زيادة، ولم يكن لأحد فيه فضل على أحد ، لاستوت النعم فيه ، ولاستوى الناس وبطل التفضيل ، ولكن بتمام الإيمان ، دخل المؤمنون الجنّة ، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون في الدرجات عند الله

---

(١) سورة يس : الآية / ٦٥ .
(٢) سورة الحج : الآية / ٧٧ .
(٣) سورة الجن : الآية / ١٨ .
(٤) سورة يوسف : الآية / ٣ .

والنقصان منه دخل المقصّرون النار ، الخبر)[١] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» انه قال : في قول الله عزّ وجلّ : ﴿**وَمَنْ يكفر بالإيمان فقط حبط عمله**﴾ [٢] ، قال : كفرهم به ترك العمل ، بالذي أقرّوا به [٣] .

وعن سفيان بن نجيح ، عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : قال سليمان بن داود «عليه السَّلام» : (أوتينا ما اوتي الناس وما لم يؤتوا وعلّمنا ما علّم الناس وما لم يعلموا ، فلم نجد شيئاً أفضل من خشية الله في المغيب والمشهد ، والقصد في الغنى والفقر ، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والتضرع إلى الله عزّ وجلّ على كلّ حال)[٤] .

وعن أبي عليّ محمد بن همّام في التمحيص : روي أنّ رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (لا يكمل المؤمن إيمانه حتّى يحتوي على مئة وثلاث خصال ، فعل وعمل ونيّة وظاهر وباطن) .

فقال أمير المؤمنين «عليه السَّلام» : يا رسول الله ما يكون المائة وثلاث خصال ؟ فقال : يا عليّ من صفات المؤمن أن يكون جوال الفكر جوهريّ (جهوري) الذّكر ، كثيراً علمه (عمله) عظيماً حلمه ، جميل المنازعة ، كريم المراجعة ، أوسع الناس صدراً ، وأذلهم نفساً ضحكه تبسماً ، وإفهامه تعلّماً ، مذكّر الغافل ، معلّم الجاهل ، لا يؤذي من يؤذيه ، ولا يخوض فيما لا يعنيه ، ولا يشمت بمصيبة ولا يذكر أحداً بغيبة ، بريئاً من المحرّمات ، واقفاً عند الشبّهات ، كثير العطاء قليل الأذى ، عوناً للغريب ، وأباً لليتيم ، بشره في وجهه ، وحز ـه في قلبه ، مستبشراً بفقره ، أحلى من الشهد ، وأصلد من

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٢ ح ٧ ، الوسائل ج ١١ ص ١٢٤ ح ١ باب ٢ ، الفروض على الجوارح .
(٢) سورة المائدة : الآية / ٥ .
(٣) انظر الوسائل ج ١١ ص ١٢٤ باب ٢ .
(٤) انظر البحار كتاب الإيمان والكفر ج ٦٧ ، و٦٨ ، و٦٩ ، و٧٠ و٧٢ .

الصّلد ، لا يكشف سراً، لا يهتك ستراً لطيف الحركات ، حلو المشاهدة ، كثير العبادة ، حسن الوقار ، لين الجانب ، طويل الصّمت ، حليماً إذا جهل عليه ، صبوراً على من أسى عليه ، يجل الكبير ، ويرحم الصغير ، أميناً على الأمانات ، بعيداً من الخيانات ، ألفه التقىٰ ، وحلفه الحياء ، كثير الحذر ، قليل الزّلل ، حركاته أدب ، وكلامه عجيب ، مقيل العثرة ، ولا يتبع العورة وقوراً صبوراً ، رضيّاً شكوراً ، قليل الكلام ، صدوق اللّسان ، برّاً مصوناً حليماً رفيقاً عفيفاً شريفاً ، لا لعّان ولا نمام ، ولا كذّاب ولا مغتاب ولا سبّاب ، ولا حسود ، ولا بخيل ، هشاشاً بشّاشاً ، ولا حسّاس ولا جسّاس ، يطلب من الأمور أعلاها ، ومن الأخلاق أسناها ، مشمولاً بحفظ الله ، مؤيداً بتوفيق الله ، ذا قوّة في لين ، وعزمة في يقين ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب ، صبور في الشدائد ، لا يجور ولا يعتدي ، ولا يأتي بما يشتهي ، الفقر شعاره ، والصبر دثاره ، قليل المؤونة ، كثير المعونة ، كثير الصيام طويل القيام ، قليل المنام ، قلبه تقيّ ، وعمله زكيّ ، إذا قدر عفا ، وإذا وعد وفى ، يصوم رغباً ويصلّي رهباً ، يحسن في عمله كأنّه ناظر إليه ، غضّ الطّرف ، سخيّ الكفّ ، لا يردّ سائلاً ، ولا يبخل بنائل ، متواصلاً إلى الأخوان ، مترادفاً إلى الإحسان ، يزن كلامه ، ويخرس لسانه ، لا يغرق في بغضه ، ولا يهلك في حبّه ،لا يقبل الباطل من صديقه ، ولا يرّد الحقّ من عدوّه ، لا يتعلّم إلاّ ليعلم ، ولا يعلم إلاّ ليعمل ، قليلاً حقده ، كثيراً شكره ، يطلب النهار معيشته ، ويبكي اللّيل على خطيئته إن سلك مع أهل الدّنيا كان أكيسهم ، وإن سلك مع أهل الآخرة كان أورعهم ، لا يرضى في كسبه بشبهة ، ولا يعمل في دينه برخصة ، يعطف على أخيه بزلّته ، ويرضى ما مضى من قديم صحبته)[١] .

صيانة البنين والبنات عبر الزواج المبكر :

الزواج المبكر مما يلزم الإهتمام به في سبيل إنقاذ المسلمين ، وإعادة حكومتهم ، سواء البنين أو البنات ، فإن الولد إذا بلغ الخامسة عشرة والبنت

---

(١) البحار ج ٦٧ ص ٣١١ .

فوق الثالثة عشرة يلزم زواجهما .

إنا لا نقول : إن ذلك تحديد شرعي ، إن التحديد الشرعي هو ما ذكره الفقهاء ، في باب البلوغ والرشد ، ويجوز للولي قبل البلوغ أن يزوجهما إذا رأى ذلك صلاحاً ، سواء كان الولي أباً أو جداً أو حاكماً شرعياً فيمن لم يعرف له أب وجد كاللقطاء ، أو كانا قد ماتا ، أو طرأ عليهما شبه الموت كالجنون ونحوه .

ومرادنا بالمصلحة أعم من عدم المفسدة ، حيث هنالك خلاف فقهي مشهور في أنّ المعتبر في الولي المصلحة أو عدم المفسدة ، فإن بينهما ثالثاً كما لا يخفىٰ ، وليسا من المتضادين الذين لا ثالث لهما ، وعلى أية حالة فليس الأمر خاصاً بالصغار أو الكبار ، ذوي الأولياء الشرعيين أو العرفيين ، بل المراد أن لا تبقىٰ بنت بلا زوج وبالعكس، وإن كانت عانس أو مات زوجها أو طلقت أو ما أشبه ذلك ، وكذلك بالنسبة إلى الرجل الذي طلق زوجته أو ماتت أو نحو ذلك فإن استوعب الرجال النساء عدداً فهو وإلَّا يتزوج الرجل أكثر من امرأة واحدة كما هو الغالب من أكثرية المرأة على الرجل ، وهذه المباحث الفقهية والإحصائية ونحوها خارجة عن نطاق الكتاب المبني على كيفية الإنقاذ .

وكيف كان فمما أهداه المستعمر إلى بلادنا تأخير الزواج بحجة الدراسة أو عدم بناء الشخص نفسه اقتصادياً أو عدم الوصول إلى السن القانونية أو شمول قانون الجندية له أو ما إلى ذلك من الأعذار الاخرىٰ .

كما أن من جذور المشكلة عدم تعدد الزوجات والإحتياج إلى مراسم اخرىٰ مما يأباه العقل والشرع بل والعرف الإسلامي أيضاً ، ولذا نجد أن المسلمين لا يهتمون بكل هذه الامور ويزوجون كما في الكتاب والسنة .

كما أن غلاء المهور والمراسم الكثيرة الكابتة أيضاً من مشاكل الزواج ، فاللازم على الذين يريدون الإنقاذ الإهتمام بهذا الشأن ، فإن فيه سداً لباب الطلاق ، والإستهتار بالمرأة والفساد والأمراض ، فإن الرواسب المنوية في كل من الرجل والمرأة توجب أمراضاً حالية أو مستقبلية .

وعلى أية حال فإن الزواج المبكر وعدم بقاء أحد الجنسين من غير زوج

يعني الدفء الأكثر ، والسعادة الأوفر ، والمجتمع الأمتن والصحة الأرقى ، والتعاون الأحسن ، وتقدم الحياة الأسرع في مختلف أبعادها ، ولذا نجد الإسلام أكد على ذلك بكلّ تأكيد ، وننقل هنا بعض الروايات في ذلك من جهة سرعة الزواج ، ومن جهة قلة المهر ، ومن جهة عدم بقاء أحد الجنسين بدون الإقتران بالجنس الآخر :

فعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (إن رسول الله «صلىّ الله عليه وآله وسلّم» قال : تزوجوا ، فإني مكاثر بكم الأُمم غداً في القيامة ، حتى أن السقط يجيء محبنطئاً على باب الجنة فيقال له : أدخل ، فيقول : لا ، حتى يدخل أبواي الجنة قبلي)[1] .

وعن جابر عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلىّ الله عليه وآله وسلّم» : ما يمنع المؤمن أن يتخذ أهلاً لعل الله يرزقه نسمة تثقل الأرض بلا إله إلاَّ الله)[2] .

وعن عبد الله بن الحكم عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلىّ الله عليه وآله وسلّم» : (ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله عزّ وجلّ من التزويج)[3] .

وعن رسول الله «صلىّ الله عليه وآله وسلّم» قال : (اتخذوا الأهل ، فإنه أرق لكم)[4] .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» في حديث قال : (تزوجوا فإن التزويج سنة رسول الله «صلىّ الله عليه وآله وسلّم» فإنه كان يقول : من كان يحب أن يتبع سنتي فإن من سنتي التزويج واطلبوا الولد ، فإني مكاثر بكم الأُمم غداً

---

(١) الوسائل ج ١٤ ص ٣ ح ٢ باب ١ ، الفقيه ج ٣ ص ٢٤٢ ح ٦ ، معاني الأخبار ص ٢٩١ ح ١ .
(٢) الوسائل ج ١٤ ص ٣ ح ٣ باب ١ ، الفقيه ج ٣ ص ٢٤١ ح ٥ باب ١٠١ .
(٣) الوسائل ج ١٤ ص ٣ ح ٤ باب ١ ، الفقيه ج ٣ ص ٢٤١ ح ٥ باب ١٠١ .
(٤) الوسائل ج ١٤ ص ٣ ح ٥ باب ١ ، الفقيه ج ٣ ص ٢٤٢ ح ٧ باب ١٠١ .

وتــوقّـوا عــلى أولادكم من لبن البغي من النســاء ، والمجنــونــة ، فــإن اللبن يعدي)[١] .

وعن سكـين النخعي ، وقد كـان تعبّد وتـرك النساء والـطيب والـطعـام ، فكتب إلى أبي عبد الله «عليه السَّلام» يسأله عن ذلك ، فكتب إليـه : (أما قـولك في النساء فقد علمت ما كان لرسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» من النساء ، وأما قولك في الطعام فكان رســول الله «صلّىٰ الله عليـه وآله وسلّم» يـأكل اللحم والعسل)[٢] .

وعن عبـد الله بن سنان عن أبي عبـد الله «عليـه السَّـلام» قـال : (لما لقي يوسف أخاه قال : يا أخي كيف استـطعت أن تتزوج النساء بعدي ؟ فقـال : إن أبي أمـرني فقـال : إن استـطعت أن تكـون لـك ذريـة تثقـل الأرض بـالتسبيـح فافعل) [٣] .

وعن صفوان عن أبي عبد الله «عليـه السَّلام» قـال : قال رســول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (تزوجوا وزوجـوا الأيم ، فمن حظ آمريء مسلم إنفـاق قيمـة أيمة ، ومـا من بنـاء أحب إلى الله عـزّ وجـلّ من بيت يعمــر في الإسـلام بالنكاح ، ومـا من شيء أبغض لله عزّ وجـلّ من بيت يخرب في الإسـلام بالفـرقة يعني الطلاق ، ثم قال أبو عبد الله «عليه السَّلام» : إن الله عزّ وجلّ إنمـا وكد في الطلاق وكرر فيه القول من بغضه الفرقة)[٤] .

وعن كليب عن أبي عبد الله «عليه السَّـلام» قال : (قـال رسول الله «صـلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : من تزوج أحرز نصف دينه ، وفي حديث آخـر أضاف ،

---

(١) الوسائل ج ١٤ ص ٣ ح ٦ باب ١ ، الخصال ج ٢ ص ٦١٤ السطر الأخير .
(٢) الـوسائـل ج ١٤ ص ٤ ح ٨ بـاب ١ ، رجـال الكشي ص ٢٣٦ ، الكـافي ج ٥ ص ٣٢٠ ح ٤ .
(٣) الوسائل ج ١٤ ص ٥ ح ٩ باب ١ ، الكافي ج ٥ ص ٣٢٩ ح ٤ .
(٤) الوسائل ج ١٤ ص ٥ ح ١٠ باب ١ ، الكافي ج ٥ ص ٣٢٨ ح ١ .

فليتق الله في النصف الآخر ، أو الباقي)[١] .

وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : قال أمير المؤمنين «عليه السَّلام» : (تزوجوا، فإن رسول الله «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : من أحب أن يتبع سنتي فإن من سنتي التزويج)[٢] .

وعن المفيد في المقنعة قال : قال رسول الله «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من أحب أن يلقىٰ الله طاهراً مطهراً فليلقه بزوجه)[٣] .

وعن ابن القداح قال أبو عبد الله «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (ركعتان يصليهما المتزوج أفضل من سبعين ركعة يصليها أعزب)[٤] .

وعن النبي «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (ركعتان يصلّيهما متزوج أفضل من رجل أعزب يقوم ليله ويصوم نهاره)[٥] .

وعن محمد الأصم عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» : (أراذل موتاكم العزاب)[٦] .

وعن ابن القداح عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (جاء رجل إلى أبي فقال : هل لك من زوجة ؟ قال : لا . فقال أبي : ما أحب أن لي الدنيا وما فيها وأني بت ليلة وليست لي زوجة ، ثم قال : الركعتان يصلّيهما الرجل المتزوج أفضل من رجل أعزب يقوم ليله ويصوم نهاره ، ثم أعطاه أبي سبعة دنانير ثم قال : تزوج بهذه ، ثم قال أبي قال رسول الله «صلىّٰ الله عليه وآله وسلّم» : اتخذوا الأهل ، فإنه أرزق لكم)[٧] .

---

(١) الوسائل ج ١٤ ص ٥ ح ١١ و١٢ باب ١ ، الكافي ج ٥ ص ٣٢٨ ح ٢ .
(٢) الوسائل ج ١٤ ص ٦ ح ١٤ ، الكافي ج ٦ ص ٣٢٩ ح ٥ .
(٣) الوسائل ج ١٤ ص ٦ ح ١٥ ، المقنعة ص ٧٧ والمقنع ص ٢٦ .
(٤) الوسائل ج ١٤ ص ٦ ح ١ باب ٢ ، الكافي ج ٥ ص ٣٢٨ ح ١ .
(٥) الفقيه ج ٣ ص ٢٤٢ ح ٢ ، الوسائل ج ١٤ ص ٧ ح ٢ .
(٦) الفقيه ج ٣ ص ٢٤٢ ح ٣ ، الوسائل ج ١٤ ص ٧ ح ٣ ، الكافي ج ٥ ص ٣٢٩ ح ٣ ، المقنعة ص ٧٧ .
(٧) الوسائل ج ١٤ ص ٧ ح ٤ ، الكافي ج ٥ ص ٣٢٩ ح ٦ ، قرب الإسناد ص ١١ .

وفي رواية أُخرىٰ قال «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (ما أفاد عبد فائدة خيراً من زوجة صالحة إذا رآها سرته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله) [١] .

وفي رواية عبد الله بن المغيرة عن أبي الحسن «عليه الصَّلاة والسَّلام» : إن رجلاً قال له : جعلت فداك فأنا ليس لي أهل ، فقال : (أليس لك جواري ، أو قال أُمهات أولاد ، قال : بلىٰ ، قال : فأنت لست بأعزب) [٢] .

وفي رواية عن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (إن جماعة من الصحابة كانوا حرموا على أنفسهم النساء والإفطار بالنهار والنوم بالليل ، فأخبرت أُم سلمة رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» فخرج إلى أصحابه فقال : أترغبون عن النساء ، اني آتي النساء ، وآكل بالنهار ، وأنام بالليل ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ، وأنزل الله سبحانه : **﴿لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾** [٣] ، **﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنين﴾** [٤] فقال : يا رسول الله ، إنا قد حلفنا على ذلك فأنزل الله : **﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم﴾** [٥] إلى قوله سبحانه : **﴿ذلك كفارة إيمانكم إذا حلفتم واحفظوا إيمانكم﴾**)[٦] .

وعن عمر بن يزيد عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (ما أظن رجلاً يزداد بالإيمان خيراً إلَّا إزداد حباً للنساء) [٧] .

وعن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله قال : (من أخلاق الأنبياء حب النساء) [٨] .

---

(١) الوسائل ج ١٤ ص ٧ ح ٥ ، الكافي ج ٥ ص ٣٢٧ ح ٣ .
(٢) الوسائل ج ١٤ ص ٧ ح ٦ باب ٢ .
(٣) سورة المائدة : الآية / ٨٧ .
(٤) سورة المائدة : الآية / ٨٨ .
(٥) سورة البقرة : الآية / ٢٢٥ .
(٦) الوسائل ج ١٤ ص ٨ ح٩ باب ٢ .
(٧) الوسائل ج ١٤ ص ٩ ح ١ باب ٣ .
(٨) الوسائل ج ١٤ ص ٩ ح ٢ باب ٣ .

وعن حفص البختري عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (ما أحب من دنياكم إلَّا النساء والطيب)[١] .

وعن وليد بن صبيح عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء بالله الظن)[٢] .

وفي رواية أُخرى عن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (من ترك التزويج مخافة العيلة فقد ساء ظنه بالله عزّ وجلّ ، إن الله يقول : **﴿ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾**)[٣] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (جاء رجل إلى النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» فشكى إليه الحاجة ، فقال له : تزوج ، فتزوج فوسع عليه)[٤] .

وعن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (من زوج أعزباً كان ممن ينظر إليه يوم القيامة)[٥] .

وفي رواية عن الصَّادق عن أمير المؤمنين «عليهما السَّلام» قال : (أفضل الشفاعات أن تشفع بين اثنين في نكاح حتى يجمع الله بينهما)[٦] .

وعن علي بن جعفرٍ عن أخيه موسى بن جعفر «عليهم السَّلام» قال : (ثلاثة يستظلون بظل عرش الله يوم القيامة ، يوم لا ظل إلَّا ظله : رجل زوج أخاه المسلم ، أو أخدمه ، أو كتم له سراً)[٧] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (من سعادة المرء أن لا تطمث

---

(١) الوسائل ج ١٤ ص ١٠ ح ٤ باب ١٣ .
(٢) الوسائل ج ١٤ ص ٢٤ ح ١ باب ١٠ .
(٣) الوسائل ج ١٤ ص ٢٤ ح ٢ باب ١٠ .
(٤) الوسائل ج ١٤ ص ٢٥ ح ١ باب ١١ .
(٥) الوسائل ج ١٤ ص ٢٦ ح ١ باب ١٢ .
(٦) الوسائل ج ١٤ ص ٢٧ ح ٢ باب ١٢ .
(٧) الوسائل ج ١٤ ص ٢٧ ح ٣ باب ١٢ .

إبنته في بيته)[١] .

وفي رواية قال : (إن الله عزّ وجلّ لم يترك شيئاً مما يحتاج إليه إلاّ وعلمه نبيه ، فكان من تعليمه إياه أن صعد المنبر ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إن جبرائيل «عليه السَّلام» أتاني من عند الله تعالىٰ فقال : إن الأبكار بمنزلة الثمر على الشجر ، وإذا أدرك ثمارها فلم تجنى أفسدته الشمس ، ونثرته الرياح ، وكذلك الأبكار إذا أدركن ما يدرك النساء فليس لهن دواء إلاّ البعولة ، وإلاّ لم يؤمن عليهن الفساد ، لأنهن بشر قال : فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله من نُزوّج ؟ فقال : الأكفاء ، فقال : ومن الأكفاء فقال : المؤمنون بعضهم أكفاء بعض)[٢] .

وعن خالد بن نجيح عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال :(تذكروا الشؤوم عند أبي فقال : الشؤوم في ثلاث : في المرأة ، والدابة ، والدار ، فأما شؤوم المرأة فكثرة مهرها وعقم رحمها ، الحديث) [٣] .

وعن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» يقول : (إن علياً تزوج فاطمة «عليهما السَّلام» على جرد برد ودرع وفراش كان من أهاب كبش) [٤] .

وعن ابن بكير قال : (سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» يقول زوج رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» فاطمة على درع حطمية تساوي ثلاثين درهماً)[٥] .

وعن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (زوج رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» فاطمة على درع حطمية وكان فراشها أهاب

---

(١) الوسائل ج ١٤ ص ٣٩ ح ١ باب ٢٣ .
(٢) الوسائل ج ١٤ ص ٣٩ ح ٢ باب ٢٣ .
(٣) معاني الأخبار ص ١٥٢ ح ٢ .
(٤) البحار ج ٤٣ ص ١٤٣ ح ٣٨ .
(٥) البحار ج ٤٣ ص ١٠٥ ح ٢٠ .

كبش يجعلان الصوف إذا اضطجعا تحت جنوبهما)[1] .

وعن إسماعيل بن مسلم عن الصَّادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه «عليهم السَّلام» قال : قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (أفضل نساء أُمتي أصحهن وجهاً وأقلهن مهراً)[2] .

وعن مكارم الأخلاق عن علي «عليه السَّلام» قال : (لا تغلوا بمهور النساء فتكون عداوة) [3] .

تجنب الكذب والغرور والمادية :

مسألة: من أهم ما يلزم على التيار الإسلامي إجتنابه الكذب والغرور والمادية ، فإنها تمنع من الوصول إلى الهدف ، ولو فرض الوصول كان ذلك ادعى للسقوط العاجل ، ولو فرض عدم السقوط العاجل فإن ذلك يسبب بشاعة المغرور والكاذب والمادي ولا أقل من عدم المثالية ، فلا يلتفّ الناس حول التيار لأنه معول الكذب .

أما الكذب فما الداعي إليه ، إن الكاذب لا يمر زمان إلَّا ويظهر كذبه فينقلب إلى الضد أي أنه يقول الكذب لتظهر نفسه بالمظهر اللائق ، فلا يمر زمان إلَّا ويظهر كذبه فلا يبقىٰ له حتى بقدر واقعه ، إن واقع من يقول الصدق ٨٠٪ ويكذب ٢٠٪ إذا ظهر للناس كذبه سقط عن واقعه الثمانين أيضاً ، وقصة ذلك الراعي الذي كان يصيح الذئب الذئب ، وذلك الشاب الذي كان يصيح الغرق الغرق معروفتان ، فإن كذبهما أودى بصدقهما أيضاً فجاء الذئب وأكل غنمه ، وغرق الثاني في الماء ولم ينجدهما أحده .

مثلاً إذا أعطىٰ الإنسان عشرة قال : أعطيت عشرة ولا يقول خمسة عشر وإذا كان عضواً من خمسة أعضاء في مشروع قال : إن لي الخمس لا أن يقول لي

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ١٤٣ ح ٤٠ .

(٢) مكارم الأخلاق ص ١٩٨ الباب الثامن .

(٣) مكارم الأخلاق ص ٢٣٧ الفصل العاشر .

الربع ، وإذا أراد أن يفعل بعد شهر قاله كذلك لا أن يقول بعد أسبوع أو بعد شهرين ، وإذا كان أفراد التيار ألفاً قال ذلك لا أنهم ألفان ، وهكذا في كل شؤون الحياة .

ولذا ذم الإسلام الكذب والنفاق والخديعة وخلف العهد ـ وهي أنواع من الكذب ـ أشد الذم ، وحرمها بكل شدة ، وهكذا ندد بخلف الوعد لأنه نوع من الكذب ، بل بعض أقسام خلف الوعد نفس الكذب ، كما ذكرناه في كتاب الواجبات والمحرمات ، وإليك جملة من الروايات بهذا الشأن :

ففي رواية عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (إن أول من يكذِّب الكذاب الله عزّ وجلّ ، ثم الملكان اللذان معه ، ثم هو يعلم أنه كاذب)[1] .

وعن عمر بن يزيد قال سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» يقول : (إن الكذاب يحلف بالبينات ويهلك أتباعه بالشبهات)[2] .

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (إن الله عزّ وجلّ جعل للشر أقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب والكذب شر من الشراب)[3] .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (الكذب هو خراب الإيمان)[4] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (قال عيسىٰ بن مريم «عليه السَّلام» : من كثر كذبه ذهب بهاؤه)[5] .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (ينبغي للرجل المسلم أن

---

(١) الوسائل ج ٨ ص ٥٧٢ ح ١ ، المحاسن ص ١١٨ و ١٢٦ ، الكافي ج ٢ ص ٢٥٤ ح ٦ .
(٢) الوسائل ج ٨ ص ٥٧٢ ح ٢ ، الكافي ج ٢ ص ٢٥٤ ح ٧ .
(٣) الكافي ج ٢ ص ٢٥٤ ح ٣ ، الوسائل ج ٨ ص ٥٧٢ ح ٣ .
(٤) الكافي ج ٢ ص ٢٥٤ ح ٤ ، الوسائل ج ٨ ص ٥٧٢ ح ٤ .
(٥) الوسائل ج ٨ ص ٥٧٢ ح ٥ ، الكافي ج ٢ ص ٢٥٥ ح ١٣ .

يجتنب مواخاة الكذاب ، أنه يكذب حتى يجيء بالصدق ، فلا يصدّق)[١] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (إن مما أعان الله به على الكذابين النسيان)[٢] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (إن العبد يكذب حتى يكتب من الكذابين ، فإذا كذب قال الله عزّ وجلّ : كذب وفجر) [٣] .

وعن أبي الحسن الرضا «عليه السَّلام» قال سئل رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (يكون المؤمن جباناً ؟ قال : نعم ، قيل : ويكون بخيلاً ، قال : نعم ، قيل ويكون كذاباً ؟ قال : لا)[٤] .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (أربى الربا الكذب)[٥] .

وفي حديث كان أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» يقول : (ألا فاصدقوا إن الله مع الصادقين وجانبوا الكذب فإنه يجانب الإيمان ، ألا وإن الصَّادق على شفا منجاة وكرامة ، ألا وإن الكاذب على شفا مخزاة وهلكة ، ألا وقولوا خيراً تعرفوا به ، واعلموا به تكونوا من أهله ، وأدوا الأمانة إلى من إئتمنكم ، وصلوا أرحام من قطعكم ، وعودوا بالفضل علىٰ من حرمكم)[٦] .

وعن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : إن لإبليس كحلاً ولعوقاً وسعوطاً فكحله النعاس ولعوقه الكذب وسعوطه الكبر)[٧] .

---

(١) الوسائل ج ٨ ص ٥٧٣ ح ٦ ، الكافي ج ٢ ص ٢٥٥ ح ١٤ .
(٢) الوسائل ج ٨ ص ٥٧٣ ح ٧ ، الكافي ج ٢ ص ٢٥٥ ح ١٥ .
(٣) الوسائل ج ٨ ص ٥٧٣ ح ١٠ ، المحاسن ص ١١٨ س ١ ، الكافي ج ٢ ص ٢٥٣ ح ٢ وص ٨٦ ح ٩ .
(٤) الوسائل ج ٨ ص ٥٧٣ ح ١١ ، المحاسن ص ١١٨ ح ١٢٦ .
(٥) الوسائل ج ٨ ص ٥٧٤ ح ١٢ ، الفقيه ج ٢ ص ٣٤٢ .
(٦) الوسائل ج ٨ ص ٥٧٤ ح ١٣ ، المحاسن ص ٢٩٠ ح ٤٣٦ .
(٧) الوسائل ج ٨ ص ٥٧٤ ح ١٤ ، معاني الأخبار ص ١٣٨ ح ١ .

وعن علي «عليه السَّلام» عن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (إياك والكذب ، فإنه يسوّد الوجوه ، وعليك بالصدق فإنه مبارك ، والكذب شؤوم)(١) .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (إن المؤمن ينطبع على كل شيء إلاّ على الكذب والخيانة)(٢) .

وقال «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (الكذب مجانب الإيمان ولا رأي لكذوب) (٣) .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (واجتنبوا الكذب ، وإن رأيتم فيه النجاة ، فإن فيه الهلكة)(٤) .

وقال «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (وإياكم والكذب ، فإنه من الفجور ، وأنهما في النار) .

وقال «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إن العبد إذا كذب تباعد منه الملك من نتن ما جاء منه) .

وفي حديث جاء رجل إلى رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» فقال : (يا رسول الله ما عمل أهل النار ؟ قال : الكذب ، إذا كذب العبد فجر وإذا فجر كفر وإذا كفر . . دخل النار) .

وعن العسكري «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (حطت الخبائث في بيت

---

(١) تحف العقول ص ١٦ س ٨ .
(٢) تحف العقول ص ٥٩ ح ١٥٠ .
(٣) نهج البلاغة ص ١١٧ .
(٤) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ١٠٠ باب ١٢٠ ح ٢٥ .

وجعل مفتاحه الكذب) [١] .

وفي حديث : (إن رجلاً قال لرسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : المؤمن يزني ؟ قال : قد يكون ذلك ، قال : المؤمن يسرق ؟ قال : قد يكون ذلك ، قال : يا رسول الله المؤمن يكذب ؟ قال : لا ، قال الله تعالىٰ : ﴿**إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون**﴾) [٢] إلى غيرها من الروايات الكثيرة .

فاللازم على التيار الإسلامي أن يربي نفسه وأفراده ومن يرتبط به على الصدق مطلقاً فإن الصادق يكون مورد اعتماد الناس مائة في مائة ، وإن طال الزمن ، نعم لا شك أن الصّادقين أيضاً ينسبون إلى الكذب ، ولذا قال الناس للنبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» (كذاب أشر) إلاّ أنه فرق بين من ينسب إليه الكذب زوراً وبين أن يكذب نفسه الإنسان ، فيكون الناسب صادقاً ، فإن الناس اعتادوا أن يرموا الناس مهما كانوا بالكذب والنفاق والحمق والجنون ، وقد رد الله سبحانه على من قال كذاب أشر بقوله : ﴿**سيعلمون غداً من الكذاب الأشر**﴾ [٣] حيث أن المستقبل يظهر أن الناسب هو الكذاب الأشر لا النبي (ص) الذي رمي به .

أما الغرور ، فهو أن يشتبه الإنسان فيرىٰ غير الواقع الحسن واقعاً حسناً ، مع الإنخداع بذلك ، سواء عمل حسب غروره أو لم يعمل ، كما أذا ظن الإنسان أن فلاناً شخص طيب لأنه مراء مخادع يخفي باطنه السيء فيشتبه الإنسان في أمره ، والحال أنه ليس بإنسان طيب ، فإن المغرور وإن لم يعمل شيئاً يسمى مغروراً لأنه إغتّر نفسياً بذلك المخادع ، ولذا كان بين الجهل وبين الغرور عموم من وجه ، فإذا جهل الإنسان مسألة يسمى جاهلاً لا مغروراً ، وإذا انخدع بالظاهر الحسن لمرءٍ ولم يقل المغرور شيئاً، ولم يفعل عملاً يرتبط بغروره سمي مغروراً ، ولم يسم جاهلاً ، وربما يجتمعان .

---

(١) البحار ج ٧٢ ص ٢٦٣ ح ٤٦ .
(٢) البحار ج ٧٢ ص ٢٦٣ ح ٤٧ .
(٣) سورة القمر : الآية / ٢٦ .

وعلىٰ أيّ حال ، فإن الغرور يوجب عدم وصول الإنسان ، وإذا فرض وصوله سبب الغرور سقوطه ، فمن اغتر بماله أو جاهه أو عشيرته أو حزبه أو ما أشبه فعمل على طبق ذلك سقط ، وكذلك من يغتر بصحته وقوته فلا يبالي ، فإنه إذا تاجر بأموال كثيرة بزعم الربح كثيراً ما يسقط فيخسر ويذهب ماله ، بل ربما يسجن فوق ذلك ، وهكذا ، والغالب أن الأحزاب الخاسرة في الوصول إلى الحكم إنما كانت خسارتهم بسبب غرورهم ، إلى غير ذلك ، ولذا ورد في جملة كبيرة من الروايات ذم الغرور :

فقال علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (غرور الأمل يفسد العمل)[1] .

وقال «عليه السَّلام» : (غرور الجاهل بمحالات الباطل)[2] .

وقال «عليه السَّلام» : (غرور الغنى يوجب الأشر)[3] .

وقال «عليه السَّلام» : (كفى بالإغترار جهلاً)[4] .

وقال «عليه السَّلام» : (أحمق الحمق الإغترار)[5] .

وقال «عليه السَّلام» : (لا يلقي العاقل مغروراً)[6] .

وقال «عليه السَّلام» : (جماع الشر في الإغترار بالمهل والإتكال على العمل)[7] .

وقال «عليه السَّلام» : (جماع الغرور في الإستنامة إلى العدو)[8] .

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٦٩ ح ١٩ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٦٩ ح ٢١ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٦٩ ح ٢٤ .
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٩٣ ح ٢ .
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ١٠٦ ح ١٠٧ .
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٤٣٦ ح ٤٦٢ .
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ١٨٧ ح ٤٦ .
(٨) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ١٨٧ ح ٤٨ .

وقال «عليه السَّلام» : (لم يفكر في عواقب الأُمور من وثق بزور الغرور وصبا إلى زور السرور) (١) .

وقال «عليه السَّلام» : (من اغتر بالمهل اغتص بالأجل) (٢) .

وقال «عليه السَّلام» : (فاتقوا الله عباد الله تقية ذي لب شغل التفكير قلبه وأنصب الخوف بدنه ـ إلى أن قال ـ ولم تفتله فاتلات الغرور) (٣) .

وقال «عليه السَّلام» : (سكر الغفلة والغرور أبعد فاقة من سكر الخمور) (٤) .

وقال «عليه السَّلام» : (من غرّه السراب تقطعت له الأسباب) (٥) .

وقال «عليه السَّلام» : (من اغتر بمسالمة الزمن اغتص بمصادمة المحن) (٦) .

وعن الرسول أنه قال : (حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقىٰ واجتهادهم ولمثاقل ذرة من صاحب تقوىٰ ويقين أفضل من ملء الأرض من المغترين) (٧) .

وفي رواية ان في الزبور : (ابن آدم لما رزقتكم اللسان وأطلقت لكم الأوصال ورزقت لكم الأموال جعلتم الأوصال كلها عوناً على المعاصي كأنكم بي تفترون وبعقوبتي تتلاعبون) (٨) .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (إن الله تبارك وتعالىٰ علم ما العباد

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣١٨ ح ٣١ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣٣٢ ح ٢٩٧ .
(٣) نهج البلاغة الخطبة ٨٣ .
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٢٧ ح ٣٧ .
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣٥٤ ح ١٠٨٣ .
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣٣٢ ح ٢٩٩ .
(٧) المحجة البيضاء ج ٦ ص ٢٩١ .
(٨) البحار ج ٧٧ ص ٤٠ ح ٨ .

عاملون وإلى ما هم صائرون فحلم عنهم عند أعمالهم السيئة لعلمه السابق فيهم ، فلا يغرنك حسن الطلب ممن لا يخاف الفوت)[١] .

وقال «عليه السَّلام» : (الحذر الحذر أيها المغرور ، فوالله لقد ستر حتى كأنه قد غفر)[٢] .

وقال علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (أتقوا غرور الدنيا فإنها تسترجع أبداً ما خدعت به من المحاسن وتزعج المطمئن إليها والطاقن)[٣] .

وقال «عليه السَّلام» : (الإغترار بالعاجل خرق)[٤] ، وقال «عليه السَّلام» : (الدنيا حلم والإغترار بها ندم)[٥] .

وقال «عليه السَّلام» : (سكون النفس إلى الدنيا من أعظم الغرور)[٦] .

وقال «عليه السَّلام» : (لا يغرنك العاجلة بزور الملاهي فإن اللهو ينقطع ويلمك ما أكتسبت من المآثم)[٧] .

وقال «عليه السَّلام» : (لا يغرنك ما أصبح فيه أهل الغرور بالدنيا فإنما هو ظل ممدود إلى أجل محدود)[٨] .

وقال «عليه السَّلام» : (من اغتر بنفسه أسلمته إلى المعاطب)[٩] .

وقال «عليه السَّلام» : (غرك عزك فصار قصارى ذلك ذلك فأخش فاحش

---

(١) البحار ج ٧٨ ص ١٩٣ ح ٧ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٩٠ ح ٢ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٨٦ ح ١٩ .
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ١٦ ح ١٢٧ .
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣٢ ح ٧٦٤ .
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٢٨ ح ٣٨ .
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٤١٩ ح ١٨٤ .
(٨) غرر الحكم ودرر الكلم للمفهرس ص ٤٢٤ ح ٢٧١ .
(٩) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣٣٢ ح ٣٠٠ .

فعلك فعلك بهذا تهدى) [١] .

وقال «عليه السَّلام» : (الشقي من اغتر بحاله وانخدع بغرور آماله) [٢] .

وقال الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (المغرور في الدنيا مسكين وفي الآخرة مغبون ، لأنه باع الأفضل بالأدنىٰ ، ولا تعجب من نفسك حيث ربما اغتررت بمالك وصحة جسمك أن لعلك تبقىٰ وربما اغتررت بحالك وأصابتك مأمولك وهواك وظننت أنك صادق ومصيب ، وربما اغتررت إلى الخلق أو شكوت من تقصيرك في العبادة ولعل الله يعلم من قلبك بخلاف ذلك ، وربما أقمت نفسك على العبادة متكلفاً والله يريد الإخلاص ، وربما افتخرت بعلمك ونسبك وأنت غافل من مضمرات ما في غيب الله ، وربما توهمت أنك تدعو الله وأنت تدعو سواه ، ربما حسبت أنك ناصح للخلق وأنت تريدهم لنفسك أن يميلوا إليك ، وربما ذممت نفسك وأنت تمدحها على الحقيقة ، واعلم أنك لم تخرج من ظلمات الغرور والتمني إلَّا بصدق الإنابة إلى الله ، والإخبات له ومعرفة عيوب أحوالك من حيث لا يوافق العقل والعلم ، ولا يحتمله الدين والشريعة ، وسنن النبوة وأئمة الهدى ، وإن كنت راضياً بما أنت فيه ، فما أحد أشقىٰ بعمله منك وأضيع عمراً فأورثت حسرة يوم القيامة) [٣] .

ثم على الإنسان أن لا يغرّه شيء ، ففي الآية الكريمة قال الله سبحانه : **﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾** [٤] .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه أوصى كميل بن زياد قال : يا كميل لا تغتر بأقوام يصلون فيطيلون ويصومون فيداومون ويتصدقون فيحسنون فإنهم موقوفون [٥] .

---

(١) البحار ج ٧٨ ص ٨٣ ص ٨٦ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٣٨ ح ١٠١٤ .
(٣) البحار ج ٧٢ ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ ح ٣٣ .
(٤) سورة آل عمران : الآية / ١٩٦ .
(٥) البحار ج ٨٤ ص ٢٢٩ ح ٢ .

أقول : لعله أشار «عليه الصَّلاة والسَّلام» إلى قوله سبحانه : ﴿وقفوهم انهم مسؤولون﴾ (١) والمراد به ان الإنسان يجب أن يلاحظ كل الأعمال والأحوال والنوايا ، لا فقط ظاهر الصَّلاة والصيام والصدقة .

وقال «عليه السَّلام» : (إذا استولى الفساد على الزمان وأهله فأحسن رجل الظن برجل فقد غرر)(٢) ، وقال «عليه السَّلام» : (لا تغترن بكثرة المساجد وجماعة أقوام أجسادهم مجتمعة وقلوبهم شتىٰ)(٣) ، وقال «عليه السَّلام» : (فإنه والله الجد لا اللعب والحق لا الكذب وما هو إلاَّ الموت أسمع داعية وأعجل حادية ، فلا يغرنك سواد الناس من نفسك)(٤) ، وقال «عليه السَّلام» : (لا يغرنك ذنب الناس عن ذنبك ولا نعم الناس عن نعمك التي أنعم الله عليك ، ولا تقنط الناس من رحمة الله عزّ وجلّ ، وأنت ترجوها لنفسك) .

وعن الباقر «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (لا تغرنك الناس من نفسك ، فإن الأمر يصل إليك دونهم)(٥) .

وفي شعر منسوب إلى الشيخ البهائي (رحمه الله) قال :

لا يغرنك من المرء رداء رقعه ... وقميص فوق ساق الكعب منه رفعه
وعلى جبهته سجادة قد قلعه ... أره الدرهم تعرف غيه أو ورعه

الغرور من أهم أسباب سقوط الحكومة ، ألم يكن يزيد مغروراً حتى أسقط نفسه هذا السقوط العالمي الأبدي حياً وميتاً ، وقصة شعره مع أبي قيس معروفة ، فقد ذكر المؤرخون أن يزيد كان شغوفاً بالقردة والفهود ، وكان له قرد يسميه أبا قيس ، وكان يقول عنه : (انه شيخ من بني إسرائيل ارتكب خطيئة فمسخ) ولقد

---

(١) سورة الصافات : الآية / ٢٤ .
(٢) نهج البلاغة قصار الحكم ص ١١٤ .
(٣) البحار ج ١٠ ص ١٢٠ ح ١ .
(٤) نهج البلاغة الخطبة ١٣٢ .
(٥) البحار ج ٧٢ ص ٣٢٣ ح ٢ .

أرسل يزيد هذا القرد مرة للسباق ، فطرحته الريح ومات ، فحزن عليه حزناً شديداً وأمر بتكفينه ودفنه ، وأمر أهل الشام أن يعزوه بمصابه الأليم ثم أنشأ راثياً له :

كم من كرام وقوم ذو محافظة جاؤوا لنا ليعزوا في أبي قيس
لا يبعد اللّه قبراً أنت ساكنه فيه جمال وفيه لحية التيس

وكذلك قال في الخمر :

إذا حرمت يوماً على دين أحمد فخذها على دين المسيح بن مريم

وقال في عشيقة له :

ولو لم يمسّ الأرض فاضل ذيلها لما جاز عندي بالتراب التّيمم

وقال فيها أيضاً :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

وقال في قصة قتل الإمام الحسين «عليه الصّلاة والسّلام» :

لما بدت تلك الرؤوس وأشرقت تلك الشموس على ربىٰ جيرونِ
نعب الغراب فقلت صح أولا تصح فلقد قضيت من النبي ديوني

وقال :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل
لست من خندق إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

وهكذا بنو أُميّة اسقطوا أنفسهم وجعلوا أنفسهم لعنة الأبد ، لما فعلوه من الغرور الذي أوصلهم إلى الثبور .

وقصة وليد مشهورة حيث يخاطب القرآن :

تهددني بجبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

وكذل قصته مع بنته حيث أراد النيل منها وقال :

فاز باللذات من كان جسوراً ....

وهكذا سقط العباسيون وقصصهم في التواريخ مشهورة ، والتي من جملتها قصة المقرطة عند الأمين ، ورأس الأمين عند المأمون ، وأفعال المتوكل ، وكذلك حال العثمانيين،وقد قتل جماعة من الخلفاء العباسيين والعثمانيين لما فعلوه من البشاعات اغتراراً بالملك والمال والجند .

وعلى كل حال ، فعلى التيار الإسلامي أن يهتم أشد الإهتمام بعدم الغرور ، والغالب في الحكومات الحزبية أن الحزب الذي لا يصل إلى الحكم يكون ذلك بسبب غروره ، كما هو المشاهد لمن سبر أحوالهم ، وقد رأينا في زماننا كيف سقط الشاهان في إيران وظاهر شاه في أفغان ، والملكية والجمهورية في عهد الملكيين والجمهوريين في العراق ومصر في عهد فيصل وفاروق وناصر وقاسم وغيرهم ، ولا يخفى أن عدم الإنسياق إلى الغرور بحاجة ـ بعد التوكل على الله سبحانه وتعالى ـ إلى يقظة دائمة ومشورة دائمة وتواضع دائم ومعرفة واسعة .

وأما المادية ، فاللازم على التيار الإسلامي أن يربي أفراده على عدم المادية ، أي على عدم الإنسياق وراء المادة ، فإن الإنسان المادي ليس بمحبوب عند الناس ، والتيار الإسلامي بحاجة إلى كل ذرة ذرة وكل قطرة قطرة من المحبوبية ، وبتجميع الذرات تكون الصحاري وبتجميع القطرات تكون البحار .

مثلاً الطبيب من التيار يلزم عليه أن يقتنع بقدر مصرفه فيما يأخذه من المراجعين والمرضى وذلك شيء زهيد، أما أن يجمع في كل يوم خمسمائة دينار من المرضى مثلاً ويأخذ لكل عملية ألف دينار مثلاً فإنه لا ينفره فحسب عند الناس بل ينفره حتى جماعته وتياره بل وحتى الإسلام ككل ، وفي الحديث : (لا تكونوا

علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم) .

أما إذا كان العكس بأن أخذ منهم بقدر معيشته المتوسطة ، فإنه يحببه إلى الناس كما يحبب تياره ، والإسلام بصورة عامة إليهم ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى المهندس والمحامي وعلماء مختلف أبعاد الحياة ، وقد رأينا نحن طبيباً ما كان يأخذ من الفقراء الذين يراجعونه أجراً بل كان أحياناً يساعدهم بالدواء والمال ، كما كان لا يأخذ أجراً من الفقراء عند الذهاب إلى بيوتهم للمعاينة ، فكانت له محبوبية منقطعة النظير وكان من أشهر الأطباء ، ولما مات شيع أضخم تشييع ، إنه لم يكن من تيار ، إلّا أنه سبب محبوبية الإسلام عند الناس ، لأنه كان متديناً ، فكان الناس يقولون أن الدين يربي الناس هكذا .

وعلى كل حال فيلزم على التيار أن يربي أفراده على اجتناب المادية والمظاهر البراقة مسكناً وملبساً ومركباً وغيرها ، إنّ المظاهر البراقة تنفر الناس عن الشخص وعن جماعته وعن مبادئه فيقولون : لو كان ما يدعو إليه صحيحاً وأنه صادق في كلامه فلماذا لا يؤثر مبدأه في نفسه ، ولذا ورد التشديد في ذم الآمر بالمعروف التارك له ، الناهي عن المنكر الفاعل له ، ومن الممكن أن يكون الإنسان اعتاد المادية والمظاهر البارقة والترف والسرف ، وما إلى ذلك ، لكن إذا دخل في التيار أمكن أن يغير تلك العادات ، فإن تغييرها لمن صمم على التغيير وبنى عليه يكون ميسوراً ، قال الشاعر :

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع

ولايحاء النفس تأثير بالغ في تغيير العادات حتى أن علماء النفس قالوا : بأن الإيحاء النفسي المستمر يمكن أن يغير الجبان شجاعاً والبخيل كريماً والمحجم مقداماً وسيىء الملكات حسنها إلى غيرها ، ولذا وردت جملة من الروايات في ذلك .

فقد قال علي «عليه الصّلاة والسّلام» لإبنه الحسن «عليه السّلام» : (عوّد نفسك التصبر على المكروه ، ونعم الخلق التصبر في الحق)[1] .

---

(١) نهج البلاغة الكتاب ٣١ .

وقال «عليه السَّلام» : (عود نفسك الجميل فإنه يجمل عنك الأحدوثة ويجزل لك المثوبة)[١] .

وقال «عليه السَّلام» : (عود نفسك السماح وتجنب الإلحاح يلزمك الصلاح)[٢] .

وقال «عليه السَّلام» : (عود أذنك حسن الإستماع ولا تصغي إلى ما لا يزيدك في صلاحك استماعه ، فإن ذلك يصدىء القلوب ويوجب المذام)[٣] .

وقال «عليه السَّلام» ؛ (عود لسانك لين الكلام وبذل السلام يكثر محبوك ، ويقل مبغضوك)[٤] .

وقال «عليه السَّلام» : (عود نفسك حسن النية وجميل القصد تدرك في مباغيك النجاح)[٥] .

وقال «عليه السَّلام» : (عود نفسك فعل المكارم وتحمل أعباء المغارم تشرف نفسك وتعمر آخرتك ، ويكثر حامدوك)[٦] .

وقال «عليه السَّلام» : (عودوا أنفسكم الحلم واصبروا على الإيثار على أنفسكم فيما تحمدون عنه)[٧] .

وقال «عليه السَّلام» : (عود نفسك الإستهتار بالفكر والإستغفار فإنه يمحو عنك الحوبة ويعظم لك المثوبة)[٨] .

وقال «عليه السَّلام» : (أيها الناس تولوا من أنفسكم تأديبها وأعدلوا بها

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٦٠ ح ١٥ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٦٠ ح ١٨ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٦٠ ح ١٦ .
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٦٠ ح ١٤ .
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٦٠ ح ١٧ .
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٦١ ح ٢٠ .
(٧) تحف العقول ص ١٦٠ ـ ١٦١ .
(٨) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٦٠ ح ١٩ .

عن ضراوة عاداتها)[١] .

وقال «عليه السَّلام» : (الفضيلة غلبة العادة)[٢] .

وقال «عليه السَّلام» : (أفضل العبادة غلبة العادة)[٣] .

وقال «عليه السَّلام» : (بغلبة العادات الوصول إلى أشرف المقامات)[٤] .

وقال «عليه السَّلام» : (ذللوا أنفسكم بترك العادات وقودوها إلى أفضل الطاعات وحملوها أعباء المغارم ، وحلوها بفعل المكارم وصونوها عن دنس المآثم)[٥] .

وقال «عليه السَّلام» : (غيروا العادات تسهل عليكم الطاعات)[٦] .

وقال «عليه السَّلام» : (غالبوا أنفسكم على ترك العادات وجاهدوا أهواءكم تملكوها)[٧] .

وقال «عليه السَّلام» : (تخير لنفسك من كل خلق أحسنه فإن الخير عادة)[٨] .

(وتجنب من كل خلق أسوأه ، وجاهد نفسك على تجنبه ، فإن الشر لجاجة)[٩] .

وقال «عليه السَّلام» : (العادة طبع ثان)[١٠] .

---

(١) نهج البلاغة قصار الحكم ٣٥٩ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٥٢ ح ١٥٩٨ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ١١٤ ح ٣٦٦ .
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ١٦٧ ح ١٦٤ .
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٠٨ ح ٣٥ .
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٧٠ ح ٦٦ .
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٢٦٩ ح ٧ .
(٨) غرر الحكم ودرر الكلم ص ١٧٥ ح ٤٤ .
(٩) غرر الحكم ودرر الكلم ص ١٧٤ ح ٢٥ .
(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٤٤ ح ١٢٣٣ .

وقال «عليه السَّلام» : (غير مدرك الدرجات من أطاع العادات)[(١)] .

وقال «عليه السَّلام» : (العادات قاهرات فمن اعتاد شيئاً في سره وخلواته فضحه في علانيته وعند الملأ) إلى غيرها من الروايات .

الرفق يختزل الطريق :

مسألة: من اللازم على الحركة الإسلامية أن تتخذ الرفق في قبال العنف مركباً لها إلى الهدف ، ففي رواية بصائر الدرجات عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلّم» : (إن الله رفيق يعطي الثواب ويحب كل رفيق ويعطي على كل رفق ما لا يعطي على العنف)[(٢)] .

ومن يتصور أنه يمكن إنقاذ بلاد الإسلام بالعنف ، سوف يبرهن له الزمان عكس ذلك . ويلزم أن يترك العنف القولي و العنف العملي ومن غير فرق في الإنقاذ بين محاولة توحيد بلاد الإسلام أو إرجاع الحريات إليها ، أو إرجاع قوانين الإسلام إلى حيز الوجود .

ولا يخفى ان الحريات وإن كانت جزءاً من قوانين الإسلام إلاّ إنا أفردناها لأهميتها .

وفي الإنقاذ يجب تطبيق العصر على الإسلام مثلاً في الزمان السابق لم تكن الصناعة بهذه الكيفية ، ولم يكن المرور بهذه الكيفية ، فالفقهاء إنما طبقوا وسائل المعيشة السابقة على الكليات الإسلامية حلاّ وحرمة واستحباباً وكراهة وإباحة ، كما طبقوا حوداث المرور على كليات الإسلام الواردة في كتاب الديات ، أي لاحظوا أن هذه الصغرى الجزئية هل هي داخلة في هذه الكبرى الكلية أو تلك الكبرى الكلية الإسلامية ؟ .

أما اليوم فالأمر بحاجة إلى تطبيقات جديدة وصغريات جديدة ، مثلاً كان

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٢٧٠ ح ٥٨ .

(٢) الكافي ج ٢ ص ٩٧ ح ٥ باب الرفق .

الفقهاء يتكلمون سابقاً عن أنه إذا اصطدمت دابتـان ، فعلى أي من الـراكبين أو الصاحبين الغرامة ؟

أما اليوم فإنا نحتاج بالإضافة إلى ذلك إلى أن نتكلم حول أنـه أذا خرجت السيارة عن الخط المقرر لسـيرها ، فهـل يضمن صاحبهـا أو لا يضمن إذا حصل عـطب بسبب ذلك ، وإذا تكسر مقـود السيارة بـدون اختيـار السـائق فخـرجت السيارة عن مسيرها المقرر ، فهل تحطيمها لإنسان أو حيـوان أو مال من العمـد أو من شبه العمد أو من الخطأ ، وقبل ذلك هل يجب اتباع قوانين المرور في دولة غير شرعيـة ، أو أن الأمر بـاق على حـالتـه الأوليـة ، وهي حـرمـة الإضرار وحـرمـة الإرعاب وما أشبه ذلك ، مثلاً إذا كان مالك الأشـتر في مصر من قبل عـليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» وقرر قوانين للمرور حرمت مخالفتـة قطعـاً أما إذا قـرر جائـر في العراق تلك القوانين ، فإنه يبقى الأمر على حالته الشرعية قبل تقرير الجائـر لتلك القوانين ، إذ لا قيمة لقانون يقرره الجائر إطلاقاً إلى غير ذلك .

ومن المعلوم أن تـطبيق العصر عـلى الإسـلام بحـاجـة إلى كتـاب بحجم (الجواهر) في الفقه حتى يستوعب كل المسائل التي هي محل الإبتـلاء ، وعلى كـل حال فكل واحد من الامور التي ذكرناها بحاجة إلى عدم العنف .

أما الأولىٰ : فإذا كان عند المسلمين سلاح واستعملوا سـلاحهم فسلاحهم لا شيء في قبال سلاح الغـرب والشرق ، مع أن إدخـال السلاح في الميـدان يعني إبادة المسلمين كما رأينا ذلك في كل من العراق وإيران ولبنان وغيرها .

وأمـا الثلاثـة الأُخر ، فـإنها بحاجـة إلى العلم والخبرويـة والتجربـة وجمـع العقلاء والمفكرين من الإسلاميين والزمنيين ، وكل ذلك بحـاجة أكيـدة إلى الرفق والهدوء والصبر والحلم والتدرج في الصعود ممـا ينافيهـا جميعاً العنف حتى الصغـير منه ، فإن الصغير من العنف يولد الصغير أو الكبير من الفساد في النتيجة ، فرب كلمة سلبت نعمة أو جلبت نقمة .

هذا بالإضـافة إلى أن هنـاك سيلاً من الـذين يقاومـون هذه الأفكـار وهذه النتائج المرجوة منها ، إما لأنهم مربوطون بالغـرب والشرق وإما لأن هـذه الأفكار

تنافي مصالحهم وإما لاختلافهم في الفكر والإجتهاد .

والرفق وعدم العنف أحسن وسيلة لقلع الجذور أو التخفيف من المشكلة أو تجميد الحركة المضادة ، ولذا قال سبحانه : **﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عدواة كأنه ولي حميم﴾** ، **﴿ولا يلقاها إلاّ الذين صبروا ولا يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم﴾**(١) ، وحيث أن الحرب من أبرز مظاهر العنف خصوصاً الحروب الحديثة . فاللازم الحيلولة بكل صلابة وقوة دون وقوعها ، ودون وقوع مقدماتها ، وإذا دخل عقلاء العالم في الميدان الجدي تمكنوا من حل المشكلة (وليس معنى ذلك عدم سعي الإنسان بقدر قدرته إن لم يدخل العقلاء الميدان) فعلىٰ التيار الإسلامي أن يدخل العقلاء في هذا الميدان بكل ما أُوتي من قوة مناسبة ، فإن جمعيات العفو الدولية البالغ عددهم أكثر من ألفي جماعة وجمعية ومنظمة ، وجماعات أنصار السلام وجماعات الرفق بالإنسان والحيوان والخيّرين من البشر الذين لهم مراكز في الجامعات والصحف والإذاعات والتلفزيونات والمطابع والأفلام والنوادي ومن إليهم ، وهم كثرة كبيرة جداً ، إذا دخلوا الميدان انحسم الأمر ـ بإذن الله سبحانه وتعالىٰ ـ بصالح عدم الحرب إطلاقاً ، وتتوقف آلات الدمار من المسدس إلى الذرة ، ووسائل النقل والحمل من السيارة إلى الطائرة الحربيتين ، والمعامل التي تصنع آلات الدمار من القنابل اليدوية إلى المعامل الكبار التي تدار بسبب ملايين البشر لأجل القتل وسفك الدماء والتخريب والهدم ، وهذا ليس بمستغرب ، فإنه كما يكدح البشر الآن لتوقيف الذرة والأسلحة الكيمياوية ، وما أشبه كذلك يكدح ذلك اليوم الآتي بإذن الله سبحانه وتعالىٰ لتوقيف الحداثة في السلاح ، وفي الحروب الحديث إطلاقاً . فيعيّن التيار الإسلامي جماعة كفوءة لتكوين الجمعيات السلمية والدعوة إلى السلم كما قال سبحانه : **﴿ادخلوا في السلم كافة﴾** ولتحريض الجمعيات والجماعات المرتبطة على تبني هذا الأمر على أرفع المستويات ، وبذلك يتحرر البشر من الخوف ، ويصرف وسائل الدمار في وسائل الصلاح ، فمعامل السلاح تتحول إلى معامل

---

(١) سورة فصلت : الآية / ٣٤ .

صنع مواد البناء ، والمال يصرف في الإعمار ، والمعادن والوسائل التدميرية تصرف في الإسكان وإزالة الفقر وفي بناء المدارس وترفيع مستوى العلم وما أشبه .

كما أن من الضروري على التيار الإسلامي أن يحرض على إطفاء الحروب ، فإذا وقعت حرب مثلاً بين الهند والباكستان أو بين العراق وإيران ، أو بين الروس والأفغان ، سواء كان الإعتداء من أحدهما أو من كليهما ، يذهب هؤلاء من كل ناحية وصوب إلى محل الحرب ، لإطفائها ، ومن ناحية ثانية تنشط هذه الجماعات للضغط العام في سبيل اطفاء الحرب .

وعلى أي حال فمن أهم بنود التيار الإسلامي هذا البند ، وهو تحرير البشر من الحروب المدمرة والوسائل المنتهية إليها .

الآداب الحسنة تعبد طريق النجاة :

الذي يتبنىٰ طريق النجاة عليه أن يتصف بالآداب في كل شيء ، في القلم وفي البيان وفي المعاشرة مع العائلة ومع الغريب والقريب والصديق والعدو والجار ، إلى غير ذلك .

فإن الآداب تجعل الإنسان محبباً إلى الناس فيلتفون حوله ، والحركة بحاجة إلى التفاف الناس حولها إيجاباً حتى تتوسع وتطّرد كماً وكيفاً ، حتى الوصول إلى الهدف بإذن الله ، وسلباً حتى لا يتمكن المناوئون من النيل منها ، فإن حركة كهذه لا بد وأن يكثر المناوئون لها ، ولذا نرى الأنبياء والأئمة «عليهم السَّلام» والمصلحين في غاية الأدب في كل شيء وحتى مع الأعداء .

فالنبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» مع أنه كان يعاني أشد الإضطهاد من أهل مكة كان يقول : (اللَّهُمَّ اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون) وهكذا في سائر أخلاقه وآدابه ، ويروى عنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (ادبني ربي فأحسن تأديبي)[١] ، وفي الحديث : (إن الله أدب نبيه بآداب ففوض إليه دينه)[٢] .

---

(١) نور الثقلين ج ٥ ص ٣٩٢ .

(٢) البحار ج ١٧ ص ٤ ، تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٣٨٩ .

أما قصة قوله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» لليهود : (إخوان القردة) فهي ليست ثابتة شرعاً ولعلها أسطورة يهودية كأساطيرهم حول قتلة سبعمائة منهم ، وإن الرسول «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال لسعد في هذه القصة : لقد حكمت بما حكم الله به من فوق سبعة أرقعة . وكقصة اغتياله تلك المرأة وما إلى ذلك .

فإن اليهود كانوا يختلقون الأحاديث :

أولاً : لضرب الإسلام ونبيه

وثانياً : لإستدرار العطف على أنفسهم ، ولذا لا تجد لواحدٍ من هذه الأحاديث سنداً صحيحاً ، وحتى هذا القول الذي قاله لسعد ليس له سند صحيح كما لا يخفى لمن راجع الرجال ، فهل يمكن النسبة إلى من كان له خلق عظيم بأمثال هذه النسب المزرية .

وليس لما اختلقه اليهود أيضاً شواهد في تاريخه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» كلاماً أو عملاً ، وعلى أي حال فقد وردت جملة كبيرة من الأحاديث في التأدب بالآداب الرفيعة والتخلق بالأخلاق الفاضلة ، وبين الآداب والأخلاق الفاضلة إذا قوبلا عموم من وجه ، فأدب الكتابة لا يسمى خلقاً بينما الكرم لا يسمى أدباً ، وحاصل معنى الأدب حذف الزوائد ولذا يُقال : أدبه أي أحذف منه ما يشينه والظرافة فوق التوسط ، ومنه يُقال : فلان أديب ، والمأدبة بمعنى الوليمة يُقال لها ذلك لأنها تكميل ناقص في هذا البعد ، بالإضافة إلى الظرافة التي تُراعى في المآدب .

وكيف كان فاللازم على الحركة مراعاة الآداب في كل أبعاد الحياة حتى تصل إلى الهدف المنشود بإذن الله سبحانه وتعالىٰ .

وقد روىٰ المسعودي في مروج الذهب عن المنذر بن جارود قال : (لما قدم علي «عليه السَّلام» البصرة دخل مما يلي الطف ـ إلى أن قال ـ : فسار حتى نزل الموضع المعروف بالزاوية وصلّى أربع ركعات وعفر خديه على التراب ، وقد خالط ذلك دموعه ، ثم رفع يديه ، وقال : اللّهُمَّ رب السماوات وما أظلت ورب

الأرضين وما أقلت ورب العرش العظيم هذه البصرة أسألك خيرها وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها ، اللّٰهُمَّ أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ، اللّٰهُمَّ إن هؤلاء قد بغوا عليّ وخالفوا طاعتي ونكثوا بيعتي اللّٰهُمَّ أحقن دماء المسلمين) . فبهذا الأدب الرفيع يدخل علي «عليه السَّلام» حتى ميدان الحرب مع الأعداء .

أما الروايات في باب الأدب فكثيرة نذكر جملة منها ، فقد روي عن رسول الله:(أنا أديب الله وعليّ أديبي)[1] .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (أدبني ربي)[2] ، وقال عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (إن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أدبه الله عزّ وجلّ وهو أدبني وأنا أؤدب المؤمنين وأورث الأدب المكرمين)[3] .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» (من كانت له إبنة فأدبها وأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها فأوسع عليها من نعم الله التي أسبغ عليه كانت له منعة وستراً من النار) .

وورد عن عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» جملة كبيرة من الروايات حول الأدب .

فقال «عليه السَّلام» : (الأدب إحدى الحسنيين) .

وقال «عليه السَّلام» : (أشرف حسب حسن أدب) .

وقال «عليه السَّلام» : (أكرم حسب حسن أدب) .

وقال «عليه السَّلام» : (حسن الأدب أفضل نسب وأشرف سبب) .

وقال «عليه السَّلام» : (طلب الأدب جمال الحسب) .

---

(١) نور الثقلين ج ٥ ص ٣٩٣ .

(٢) البحار ج ١٦ ص ٢٣١ .

(٣) البحار ج ٧ ص ٢٦٧ .

وقال «عليه السَّلام» : (عليكم بالأدب ، فإنه زين الحسب) .

وقال «عليه السَّلام» : (قليل الأدب خير من كثير النسب) .

وقال «عليه السَّلام» : (حسن الأدب ينوب عن الحسب) .

وقال «عليه السَّلام» : (لا حسب أنفع من الأدب) .

وقال «عليه السَّلام» : (لا حسب أبلغ من الأدب) .

وقال «عليه السَّلام» : (كل الحسب متناه إلَّا العقل والأدب) .

وقال «عليه السَّلام» : (حسن الأدب يستر قبيح النسب) .

وقال «عليه السَّلام» : (طالب الأدب أحزم من طالب الذهب) .

وقال «عليه السَّلام» : (حسن الأدب خير مؤازر وأفضل قرين) .

وقال «عليه السَّلام» : (خير ما ورث الآباء والأبناء الأدب) .

وقال «عليه السَّلام» : (أفضل الشرف الأدب) .

وقال «عليه السَّلام» : (الأدب أحسن سجية) .

وقال «عليه السَّلام» : (من لم يكن أفضل أخلاقه أدبه كان أهون أحواله عطبه) .

وقال «عليه السَّلام» : (إنك مقدم بأدبك فزينه بالحلم) .

وقال «عليه السَّلام» : (الأدب كمال الرجل) .

وقال «عليه السَّلام» : (عقل المرء نظامه وأدبه قوامه وصدقه أمامه وشكره تمامه) .

وقال «عليه السَّلام» : (إن هذا العلم والأدب ثمن نفسك فاجتهد في تعلمها فما يزيد من علمك وأدبك يزيد في ثمنك وقدرك) .

وقال «عليه السَّلام» : (إن الناس إلى صالح الأدب أحوج منهم إلى الفضة والذهب) .

وقال «عليه السّلام» : (ثلاث ليس عليهن مستزاد حسن الأدب ومجانبة الريب والكف عن المحارم) .

وقال «عليه السّلام» : (الأداب حلل جدد) .

وقال «عليه السّلام» : (فسد حسب من ليس له أدب) .

وقال «عليه السّلام» : (العلم وارثة كريمة والآداب حلل مجددة) .

وقال «عليه السّلام» : (زينكم الأدب) .

وقال «عليه السّلام» : (من اشتهر بالأدب فقد زان نفسه) .

وقال «عليه السّلام» : (لا حلل كالاداب) .

وقال «عليه السّلام» : (لا زينة كالآداب) (١) .

وعن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه لما بعث معاذ إلى اليمن قال له : (يا معاذ علمهم كتاب الله وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة)(٢) .

وقال عليّ «عليه الصّلاة والسّلام» : (لا شرف مع سوء الأدب ، وقال : من قل أدبه كثرت مساويه ، وقال : من وضعه دناءة أدبه لم يرفعه شرف حسبه ، وقال : بئس النسب سوء الأدب ، وقال : لا أدب لسيء النطق ، وقال «عليه السّلام» : نعم قرين العقل الأدب ، وقال : العقل الأدب ، وقال : من زاد أدبه على عقله كان كالراعي بين غنم كثيرة ، وقال : النفس مجبولة على سوء الأدب والعقل مأمور بملازمة حسن الأدب والنفس تجري في ميدان المخالفة والعبد يجهد بردها عن سوء المطالبة فمتىٰ أطلق عنانها فهو شريك في فسادها ومن أعان نفسه في هوىٰ نفسه فقد أشرك نفسه في قتل نفسه ، وقال «عليه السّلام» : إن لذوي العقول من الحاجة إلى الأدب ، كما يظمأ الزرع إلى المطر ، وقال «عليه السّلام» : صلاح العقل الأدب ، وقال «عليه السّلام» ;كل شيء يحتاج إلى العقل

(١) راجع غرر الحكم .
(٢) تحف العقول ص ٢٥ .

والعقل يحتاج إلى الأدب ، وقال «عليه السَّلام»:لن ينجع الأدب حتى يقارنه العقل ، وقال «عليه السَّلام»:الأدب والدين نتيجة العقل ، وقال «عليه السَّلام» لا أدب لمن لا عقل له ، وقال «عليه السَّلام» : آداب العلماء زيادة في العقل ، وقال «عليه السَّلام» : حسن الأدب زينة العقل ، وقال «عليه السَّلام» : الأدب في الإنسان كشجرة أصلها العقل . وقال «عليه السَّلام» : الأدب صورة العقل ، وقال «عليه السَّلام»:الآداب تلقيح الإفهام ونتيجة الأذهان ، وقال «عليه السَّلام» : كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك ، وقال «عليه السَّلام» : أفضل الأدب أن يقف الإنسان على حده ولا يتعدىٰ قدره ، وقال «عليه السَّلام» : تحرىٰ الصدق وتجنب الكذب أكمل شيمة وأفضل أدب ، وقال «عليه السَّلام» : ضبط النفس عند الرغب والرهب من أفضل الأدب ، وقال «عليه السَّلام» : كفىٰ بالعبد أدباً أن لا يشرك في نعمةِ ربه غيره ، وقال «عليه السَّلام»:أفضل الأدب ما بدأت به نفسك ، وقال «عليه السَّلام» : معلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم ، وقال «عليه السَّلام» : تولوا من أنفسكم تأديبها وأعدلوا بها عن ضراوة عاداتها ، وقال «عليه السَّلام» : زك قلبك بالأدب كما تزكى النار بالحطب ولا تكن كحاطب الليل وغثاء السيل)[1] .

كما أنه ورد في جملة من الروايات التحريض على تأديب الأولاد ، فعن لقمان قال في وصيته : (يا بني إن تأدبت صغيراً انتفعت به كبيراً)[2] .

وقال الإمام علي للحسن عليهما الصَّلاة والسَّلام : (إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك)[3] .

وعن الرسول «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (أكرموا أولادكم

(١) راجع غرر الحكم .

(٢) البحار ج ١٣ ص ٤١١ .

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٦٦ ، البحار ج ٧٧ ص ٢٠١ .

وأحسنوا آدابهم يغفر لكم)[١] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (لا يزال المؤمن يورث أهل بيته العلم والأدب الصالح حتى يدخلهم الجنة حتى لا يفقد فيها منهم صغيراً ولا كبيراً ولا خادماً ولا جاراً ولا يزال العبد العاصي يورث أهل بيته الأدب السيء حتى يدخلهم النار جميعاً حتى لا يفقد فيها منهم صغيراً ولا كبيراً ولا خادماً ولا جاراً)[٢] .

وفي رواية أنه لما نزل قوله سبحانه : **﴿يا أيّها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾** قال الناس : كيف نقي أنفسنا وأهلنا قال «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : إعملوا الخير وذكّروا به أهليكم وأدبوهم على طاعة الله)[٣] إلى غيرها من الروايات المتفرقة في مختلف الأبواب والتي قد يُراد بها العام وقد يُراد بها الخاص .

فإن المراد هنا بالآداب الأعم من الأخلاق والآداب بالمعنىٰ المنصرف من الآداب لا مثل ما يُقال : فلان مؤدب بالآداب الإسلامية ، مما يشمل كل الواجبات والمحرمات ، ولذا يُقال : إن من لا يُصلّي لا يتأدب بآداب الإسلام ، فإن الواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات كلها آداب إسلامية ، لكن البحث فيها خارج عن نطاق هذه المسألة ، وإنما نطاقنا الآداب بالمعنى الخاص ، ومن المعلوم لزوم الأولين أي الواجبات والمحرمات وترجيح الفعل في المستحبات وترجيح الترك في المكروهات وليس الكلام الآن فيه ، والحاصل أن الآداب التي نحن بصددها هنا الأعم من الأخلاق والآداب ، سواء قلنا بأن بينهما عموماً مطلقاً أو عموماً من وجه ، كما أنه أعم من العرف والمروءة ، فالعرف عبارة عما يتعارف في كل مكان ومكان وزمان وجماعة وجماعة ، وفي شعر منسوب إلى عليّ «عليه السَّلام» .

---

(١) الوسائل ج ١٥ ص ١٩٥ ح ٩ ، مكارم الأخلاق ص ٢٢٢ ، البحار ج ١٠٤ ص ٩٥ .
(٢) مستدرك الوسائل ج ٢ ص٣٦٢ .
(٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٦٢ .

بـنيّ إذا كـنـت في بـلدة   فـعـاشر بـآداب أربـابها

وهنـاك روايات أخـر تدل عـلى هـذا المـطلب ذكـرنـاهـا في كتـاب الآداب والسنن ، مثـلاً اعتاد النـاس في بلد لباسـاً خاصـاً دون بلد كما تـرى الفرق بـين ملابس الخليج وملابس العراق ، لبس في كل بلد ما ينـاسبه وهكـذا بالنسبـة إلى سائر الأمور .

وأمـا المروءة فهي عبـارة عما يـدل على الفتـوة والرجـولـة ، لا أنها خـاصـة بـالرجـل بل للنسـاء أيضاً مـروءة لكن الرجـال حيث كانـوا أقرب إلى فعـل هذه الأمور لعقلانيتهم قيل : الرجولة .

وعلى أي حال فقد وردت طائفة من الروايات في اتباع المروءة وإليك بعض ما ذكره بعض كتاب الآداب بهذا الصدد ، قال :

[ان هنـاك بعض الشرسين الـذين يقـودون سيـاراتهم بتهـور وآخـرين يتصرفـون وكـأنهم وحدهم في هذا العالم وفي بعض البلاد كـأمريكـا مثـلاً تنتشر حـوداث الـطعن بـالمـدى وإطـلاق الـرصاص والإغتصـاب حتى أن الصحف لم تعد تهتم بنشر أخبارها وفي سنة ألف وتسعمائة وثلاثـة وثمانين نشرت الهيئات المعنية بتنفيذ القانون : إن هنـاك مليـون وخمس مليـون جـريمـة عنف ولعـل الجـرائم التي لم تسجـل لا تقـل عن ذلـك عـدداً وعـدد الأمريكيـين الذين يمـوتون قتـلاً أو انتحاراً يتجـاوز خمسين ألف شخص في السنـة ، ويقـوم المعنيون بالأبحاث النفسانية والمسلكية ببذل جهود مكثفـة لفهم أسبـاب العنف وإيجـاد الـوسـائـل النـاجعة لمنـع العنف ولتخفيفه ولم تتعـرض هـذه الأبحاث للدوافع التي تثير طموحـات الأشخاص

أو تدفع الناس إلى التصدي للدفاع عن حقوقهم ، ولا بالأفكار العدوانية ، ولكن اقتصرت على ظاهرة الإعتداء الجسدي ، أو الإعتداءات المباشرة التي تؤدي إلى الإيذاء والقتل ، وقال أحدهم : مع نضوج الدماغ البشري يحكم الإنسان اصول مسلكية إجتماعية بالدرجة الأولىٰ ، فالناس مثلاً لا يتخلّون في أرض الغرفة التي يسكنون فيها حتى ولو كانوا محصورين ، إنهم ينتظرون الذهاب إلى المرافق ، ورغم أن التخلي حافز بيولوجي غريزي عادي لكن سرعان ما يخضع للسيطرة ، والإنضباط كذلك سرعان ما يعرف الشبان الشخص الذي يستطيعون الإعتداء عليه من غير أن يتعرضوا لخطر الرد ، فهذا موظف لطيف أو ضعيف في المكتب ينفذ أوامر رئيسه بدون أي اعتراض أو تردد أو تذمر ، لكنه ما أن يصل منزله حتى يضرب زوجته فهل نعتبر هذا الشخص عدوانياً ؟ أجل إنه عدواني حين يعلم أن عدوانيته مأمونة العاقبة ، وهكذا يتبين أن الكثير يتوقف على مستوىٰ العدوان المقبول في مجتمع معين ، وفي وقت معين] .

وفي حوار جرى منذ وقت قريب حول نظرية النشوء والإرتقاء والحرب في إحدىٰ الجامعات بالولايات الأمريكية ، قال أحد الباحثين : إن التغيير الثقافي يمكن أن يحدث مثلاً يبدأ العادات والتقاليد العدوانية أن تنخصر وتتحول إلى اتجاهات مسالمة ، ففي البلاد الاسكندنافية التي أخرجت الفايكينغ وهم من أعنف الجماعات القديمة ، اليوم عادات سليمة لا تكاد تزيد عليها أي أقطار

أُخرىٰ في عالمنا المعاصر ، والإنسان إذا شب على شيء شاب عليه ، ولذا نرى أن الأطفال الذي ينعتهم رفاقهم في الصفوف الإبتدائية بأنهم أكثر عداونية يرتكبون جرائم أكثر خطورة حين يكبرون ، ولذا قالوا في المثل : ان (من يسرق الحبة في صغره يسرق القبة في كبره) ويرى الأطباء النفسانيون أن السلوك العدواني المتطرف ينبغي أن يعالج أثناء الطفولة بأساليب نفسانية وبتحسين الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية التي يحيون فيها .

والحاصل ان اللازم مراعاة الآداب من ناحية ومراعاة سائر ما ينتهي إلى عالم الآداب من ناحية اخرىٰ مثلاً ظاهرة كثرة اصطدام السيارات لها علل :

الاولىٰ : انعدام الآداب العامة حتى يتأدب السواق بها .

الثانية : عدم الدقة في إعطاء الإجازة للسياقة من الموظفين المكلفين بذلك .

الثالثة : عدم سعة الطرق وما أشبه ذلك من الأُمور المرتبطة بالمواقف والكراجات وغيرها .

الرابعة : عدم تحسن الوضع الإقتصادي والإجتماعي وما أشبه مما يجعل السائق متوتر الأعصاب . فالتيار الإسلامي الذي يعني بالتربية الإسلامية يجب عليه أن يُراعي كل تلك الأُمور حسب المقدرة .

والآداب كثيرة كما أن مقابلاتها كثيرة أيضاً ، ونحن نذكر جملة منها على سبيل الإلماع لا على سبيل الإحصاء ، فإنها أكثر من أن تحصى ، فاللازم أن تتأدب النفس بما يأتي الاداب تلقائياً في كل مكان مكان ومورد مورد فالذي يسب تلميذه أو لا يصبر عليه أو لا يصبر على أستاذه أو مجالسه غير مؤدب ، وهكذا الذي يملأ الدار عجيجاً وضجيجاً وصياحاً ، والذي يأكل ويشرب بنهم ، والذي يقهقه ، والذي يحرك يديه ورجليه فوق المنبر أو في المجلس حركات غير موزونة ، والذي يستهزيء بالناس ، والذي يظهر نفسه بمظهر العالم الفاضل الناضج ، والذي يصادق هذا في هذا اليوم ويهجره غداً ، والذي يحب الراحة بكثرة النوم

والكسل ، والذي يتصور أن الدنيا خلقت لنفسه وحده ، والذي يتكبر على الآخرين ، والذي يمد رجله أمام الناس والذي يتكيء على شيء في المجلس كالوسادة أو على إنسان آخر أو ما أشبه ذلك اتكاءاً غير متعارف ، والذي يبصق أمام الناس ، والذي يمد يده إلى الطعام الذي في أطراف السفرة أو أمام الآخرين ، والذي يذكر الألفاظ القبيحة في المجالس ، والذي يقول القصص التافهة ، والذي يسب ويهرج ويستهزيء في البحث أو في غير البحث ، والذي يتصور أن ما يراه هو الحق الوحيد وأن طرفه على الباطل على كل حال ، والذي لا يعتني بالناس فلا يجيب علىٰ الرسالة والبرقية ، والذي لا يقابل الإحسان بالإحسان ، وأسوأ منه الذي يقابل الإحسان بالإساءة ، والذي يزاحم الناس في المجلس والمعبر وما أشبه ، والذي يريد كل الخيرات لنفسه دون الآخرين ، والذي يسرف أو يقتر في النفقة والذي يأكل أموال الناس بالباطل بالنهب أو الغصب أو بالإقتراض ثم لا يرد القرض ، والذي يضرب زوجته أو ولده أو من يتولىٰ شأنه ، والذي يصر على جهله وغروره وعنجهيته، والذي يفعل الشيء ثم يرمي به بريئاً .

والذي يحلف بالله أو بالمقدسات اعتباطاً أو بنفسه أو بالمخاطب، والذي يكرر لفظة من غير حاجة إلى التكرار، والذي يتقيد بالنظافة الزائدة التي تدخل في دائرة الوسواس في ملابسه أو وسائل منزله أو بدنه أو ما أشبه ذلك ، والذي يزعم أن الكون كله مليء بالمكروبات فيتجنب عن كل شيء بهذا الزعم ، والذي يمر على الناس مصعراً خده ، والذي يفرط في الأكل أو الجنس أو ما أشبه ذلك ، والذي يوسخ ثيابه أو داره أو حانوته أو نحو ذلك ، والذي لا يقلم أظافره ، والذي يتمخط في ثوبه أو يقذف ببصاقه على الجدران والذي يحك جسده بشدة ، والذي يحك رأسه أو لحيته بحيث يتناثر منهما الوسخ أمام الناس ، والذي يداعب ويلاعب الكبار أو الصغار بما هو خارج عن الإعتدال ، والذي يمشي مرحاً ويضرب برجله بشدة على الأرض ، والذي ينظر إلى الناس أو الأشياء كأنه فيلسوف، والذي يأكل الأشياء التي توجب روائحها أذى الناس كالثوم والكراث ، والذي يتجشأ أمام الناس ، والذي يتدخل في الكلام من غير أن يكون أهلاً له ،

والـذي يسأل عـمّا لا يعنيه ، والـذي يزعم أنـه يعرف كـل شيء وأحيانـاً يتبجّـح بذلك ، والذي يتدخل في كلام غيره بدون أن يتم كلامه ، والـذي لا يصغي إلى الناس حين يتكلمون ، والذي يرد الكرامـة ، والذي ينـاجي صديقـه في المجلس بما يسيء إلى الناس ، والذي إذا قيل له : إتق الله أخذتـه العزة بـالإثم ، والذي يتثـائب أمام النـاس ، والذي يتمـطّى أمام النـاس ، والذي يـأكـل وحـده أمـام الناس ، والذي يبالغ مبالغات تافهة من ناحية الكثرة أو القلة ، والذي يضع يده أمام وجهه أو يضع وجهه على ركبتيه في المجلس ، والذي يحرك يـده باستمـرار ، أو يضرب يـده أو رجله عـلى الأرض ، أو عـلى شيء آخـر في المجلس ، والـذي يظهر خضوعاً للناس غير معتـدل ، والذي يصفـر بفمه أو يضرب عـلى نفسه أو ينتف شعره عبثاً ، والذي يبكي بكاءاً غير معتدل وبغـير مناسبـة ، والذي ينفض يده عند الأكل أمام الناس ، والذي يملأ فمه بالأكل أو يأكل بـاليدين أو يستعـين بكلتيهـا في إدخال اللقمـة في فمه ، أو يشرب المـاء أو يمضـغ اللقمـة بصـوت ، والذي يضرب الملعقة بالإناء ، والذي يتملق الناس والذي له طبيعـة عدوانيـة ، والذي يظهر تصديق غيره بأسلوب أحمق ، والذي يهين طرفه بأمثال أنت لا تفهم أو تحتاج إلى المطالعة أو تحتاج إلى الدراسة أو مـا أشبه ذلـك ، والذي يـظهر حبـاً متزايداً أو كرهاً متزايداً أو تصديقاً متزايداً أو تكذيباً متزايداً ، والـذي يلعن الناس اعتباطاً ، ويسرع في الوقيعة فيهم ، والذي يسرع في المشي بدون سبب أو يبطىء في المشي بدون سبب ، والذي يظهر البخل أو الحسد أو البسـاطة في الفهم أو مـا أشبه ذلك ، والذي يقذف بقايا أكله كالعظم والقشر وما أشبه بعيـداً من دون أن يضعـه في الخوان ، والـذي يلفظ النواة من فمـه ، والذي يـأكـل الأشيـاء بحيث تتقاطر بقاياه على ثيابه ولحيته ، ونحو ذلك ، والـذي يحرك رأسـه ورقبته اعتبـاطاً عند التكلم ، والذي يحدق نظره في وجـوه الناس ، والـذي يضرب الباب خلفـه بشدة ، والذي يمر بالناس بدون السـلام عليهم ، أو يسلم سلامـاً كبريـائياً أو لا يجيب التحيـة ، أو يجيب جوابـاً كبريـائيـاً ، والـذي في تـأليفـه يسب أو يحلف أو يستهزيء أو يمدح نفسه أو يظهر مشكلاته للناس ، والذي يظهـر أن له أعـداء أو حساداً أو ما أشبه بدون مبرر .

والـذي يحرك فمـه أو عينه بـإشارات غـير مناسبـة أثناء الكـلام أو تقليداً للغير ، والذي يدخل عـلى الناس بـدون استئذان ، والـذي يقوم ويـذهب بدون التعارف المتعارف عند الذهاب ، والذي يلح في السؤال والـذي يتبجح بمـا لديـه والـذي يتكلم فوق منـطقه ، ويجلس فـوق مجلسه ويكلف نفسـه فـوق قـدرتـه ، والذي يسعل أو يعطس أمام النـاس ولا يأخـذ أمام فمـه ، والذي يخـرق الصف ليتقدم على من تقدمه عنـد موقف السيـارات ، أو عند النـزول ، أو عند اشـتراء شيء أو ما أشبه ذلك ، والذي يدخل في سوم إنسان آخر أو خطبة إنسان آخـر ، والذي ينظر في كتاب الناس حين يكتبون أو حين يطالعـون الرسـالة ، والـذي لا يتغافل في موضع التغافل أو يتغافل في غـير موضـع التغافـل إلى غير ذلـك مما هـو كثير .

إحتـرام الكبـار :

وأما من ناحية إحترام الكبار خصوصاً الأبوين ممـا يشمل الإنفـاق عليهم ، فيـدل عليـه جملة من الـروايـات : (فعن أبي ولاد الحنـاط ، قـال سمعت أبـا عبد الله «عليه السَّلام» في قول الله عزّ وجلّ :

﴿وبالوالدين إحساناً﴾ فقال : الإحسان ان تحسن صحبتهما ولا تكلفهما أن يسألاك شيئاً هما يحتاجـان إليه ، وإن كـانا مستغنيـين أليس يقول الله **﴿لن تنـالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾** ثم قال أبو عبد الله «عليه السَّلام» وأما قـوله : **﴿إمـا يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فـلا تقل لهـما أُف﴾** قال : إن أضجـراك فلا

تقل لهما أف ، ولا تنهرهما ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ قال يقول لهما : غفر الله لكما فذلك منك قول كريم ، قال : ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ قال : لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلاَّ برحمة ورقة ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يديك فوق أيديهما ولا تتقدم قدامهما)[1] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» : (إن رجلاً أتىٰ النبيّ «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» فقال عظني قال : «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : لا تشرك بالله شيئاً وإن حرقت بالنار وعذبت إلاَّ وقلبك مطمئن بالإيمان ووالديك فأطعمهما وبرهما حين كانا أو ميتين وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل ، فإن ذلك من الإيمان)[2] .

وفي رواية عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال أتى رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» رجل فقال : (إن أبوي عمّرا وإن أبي مضى وبقيت أُمي فبلغ بها الكبر حتى صرت أمضغ لها كما يمضغ للصبي وأوسدها كما يوسد للصبي ، وعلقتها في مكتل أحركها فيه لتنام . إلى أن قال : فبكى رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» ثم قال : أصبت خيراً سألت ربك وأنت تنوي قربته ، قال : فكافيتها : قال : لا ولا بزفرة من زفراتها)[3] .

وفي رواية قال رجل : (يا رسول الله جئتك أبايعك على الهجرة ، وتركت أبويّ يبكيان ، فقال : إرجع إليهما وأضحكهما) وقال «صلّىٰ الله عليه وآله

---

(١) البحار ج ٧٤ ص ٣٩ ح ٣ .
(٢) البحار ج ٧٤ ص ٣٤ ح ٢ .
(٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٦٣٢ باب ٧٧ ح ٨ .

وسلّم» : (أفضل الكسب كسب الوالدين وأفضل الخدمة خدمتهما ، وأفضل الصدقة عليهما وأفضل النوم بجنبهما)[1] .

وعن إبراهيم بن شعيب قال قلت لأبي عبد الله «عليه السَّلام» : (إن أبي قد كبر جداً وضعف فنحن نحمله إذا أراد الحاجة فقال : إن استطعت أن تلي ذلك منه فافعل ، ولقمه بيدك ، فإنه جنة لك غداً)[2] ، وجاء رجل إلى النبي وقال : (ما حق الوالد قال : أن تطيعه ما عاش فقيل : ما حق الوالدة فقال : هيهات هيهات لو أنه عدد رمل عالج وقطر المطر أيام الدناي قام بين يديها ما عدل ذلك يوم حملته في بطنها)[3] .

وعن النبي «صلّى الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (النظرة في وجه الوالدين عبادة) .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» في حديث قال : (وأما الوجوه التي أمر فيها إخراج الأموال من جميع وجوه الحلال المفترضة عليهم ووجوه النوافل كلها فأربعة وعشرون وجهاً ، منها سبعة وجوه على خاصة نفسه ، وخمسة وجوه على من يلزمه نفسه ونفقته ، وثلاثة مما يلزمه فيها من وجوه الدين ، وخمسة وجوه مما يلزمه فيها من وجوه الصَّلاة ، وأربعة أوجه مما يلزمه النفقة من وجوه اصطناع المعروف ، فأما الوجوه التي يلزمه فيها النفقة على خاصة نفسه ، فهي مطعمه ومشربه وملبسه ومنكحه ومخدمه وعطاؤه، فيما يحتاج إليه نحو منزله أو آلة من الآلات يستعين بها على حوائجه ، وأما الوجوه الخمس التي تجب عليه النفقة لمن يلزمه نفقته فعلى ولده ووالديه وامرأته ومملوكه لازم له ذلك في العسر واليسر ، وأما الوجوه الثلاثة المفروضة من وجوه الدين فالزكاة المفروضة الواجبة في كل عام والحج المفروض والجهاد في أيام ، وأما الوجوه الخمس من وجوه الصلاة النوافل فصلة موقوفة وصلة القرابة وصلة المؤمنين والتنفل في وجوه الصدقة والبر والعتق ،

---

(١) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٦٣٢ باب ٧٧ ح ١٢ .
(٢) الوسائل ج ١٥ ص ٢٢٠ باب ١٠٦ ح ٣ .
(٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٦٢٨ باب ٧٠ ح ٩ .

وأما الوجوه الأربع : فقضاء الدين والعارية والقرض وإقراء الضيف واجبات في السنة)[١] .

وعن تفسير الإمام «عليه السَّلام» في قوله تعالىٰ : (﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾ من الأموال والقوى والجاه والمقدار ينفقون يؤدون من الأموال الزكاة يجودون في الصدقات ويحتملون الكل ويؤدون الحقوق اللازمات كالنفقة في الجهاد ، أو كسائر النفقات الواجبات على الأهلين ، وذوي الأرحام والقرابات والآباء والأمهات ، وكالنفقات المستحبات على من لم تكن فرضاً عليهم النفقة من سائر القرابات كالمعروف بالإسعاف والقرض والأخذ بأيدي الضعفاء ، والضعيفات ويؤدون من قوى الأبدان المعونات كالرجل يقود ضريراً وينجيه من مهلكة ، ويعين مسافراً أو غير مسافر على حمل متاع على دابة قد سقط عنها أو كدفع عن مظلوم قصده ظالم بالضرب أو بالإذى ويؤدون الحقوق من الجاه بعد أن يدفعوا به عن عرض من يظلم بالوقيعة فيه أو يطلب حاجة لجاههم لمن قد عجز عنها بمقداره ، وكل هذا إنفاق مما رزقه الله تعالىٰ)[٢] .

وفي رواية عن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال جاء رجل إلى النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» فقال : (يا رسول الله عندي دينار فما تأمرني به قال : أنفقه على أمك قال : عندي آخر فما تأمرني به قال : أنفقه على أبيك قال : عندي آخر فما تأمرني به ، قال : أنفقه على أخيك قال : عندي آخر فما تأمرني ، بلى والله ما عندي غيره قال : أنفقه في سبيل الله وهو أدناها جزاءً)[٣] .

إسعاف المضطر من موجبات رفع القلق :

أقول : ثم يأتي دور إسعاف المضطر فإنه واجب ، إما مجاناً وإما قرضاً كما ذكرو في مسألة أكل المخمصة ، فإن كانت مجاناً فبها ونعمت ، ويدل عليه الروايات

---

(١) تحف العقول ص ٢٤٨ .

(٢) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٦٣٥ باب ١ ح ١ .

(٣) أمالي الطوسي ص ٤٦٧ .

المتواترة ، وإن كان قرضاً وتمكن أداه هو وإن لم يتمكن هو أداه بيت المال لمتواتر الروايات :

فعن الرضا «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال: صعد النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» المنبر فقال : (من ترك ديناً أو ضياعاً عليّ وإليّ ومن ترك مالاً فلورثته فصار أولى بهم من آبائهم وأمهاتهم وصار أولى بهم منهم بأنفسهم ، وكذلك أمير المؤمنين «عليه السَّلام» بعده جرى ذلك له مثل ما جرى لرسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم»)[1] .

وفي رواية عن أبي عبد الله «عليه الصَّلاة والسَّلام» إن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (أنا أولى بكل مؤمن من نفسه وعلي «عليه السَّلام» أولى به من بعدي فقيل له : ما معنى ذلك ؟ فقال : قول النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ ، ومن ترك مالاً فلورثته ، الرجل ليست له على نفسه ولاية إذا لم يكن له مال وليس له على عياله أمر ولا نهي إذا لم يجر عليهم النفقة ، فالنبي وأمير المؤمنين ومن بعدهما «صلوات الله عليهم» لزمهم هذا ، فمن هنا صار أولى بهم من أنفسهم)[2] .

وعن علي بن موسى «عليهما السَّلام» يقول : (المغرم إذ تدين أو استدان في حق أهل سنة فإن دفع فهو وإلاّ قضى عنه الإمام من بيت المال)[3] .

وفي رواية سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» يقول : (صعد رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» المنبر فتغيرت وجنتاه والتمع لونه ثم أقبل بوجهه فقال : يا معشر المسلمين إنما بعثت أنا والساعة كهاتين ـ إلى أن قال : ـ أيها الناس من ترك مالاً فلأهله وورثته ومن ترك كلاً أو ضياعاً فعليّ وإليّ)[4] .

وعن جابر ان النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» خطب الناس إلى أن

---

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٨٤ باب ٣٢ ح ٢٩ .
(٢) الكافي ج ١ ص ٤٠٦ ح ٦ .
(٣) الكافي ج ١ ص ٤٠٧ ح ٩ .
(٤) أمالي المفيد ص ١٨٧ ح ١٤ .

قال : (من ترك مالاً فلورثته ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ) [١] .

وعن الصّادق «عليه الصّلاة والسّلام» قال : (من كان له على رجل مال أخذه ولم ينفقه في إسراف أو في معصية فعسر عليه أن يقضيه فعلى من له المال أن ينظره حتى يرزقه الله فيقضيه ، وإذا كان الإمام العادل قائماً فعليه أن يقضي عنه دينه ، لقول رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : من ترك مالاً فلورثته ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ وإلي وعلى الإمام ما ضمنه الرسول «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم») [٢] .

وفي رواية اخرى عن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (من ترك مالاً فلأهله ، ومن ترك ديناً فعليّ) [٣] .

وأنت ترى أن الرسول «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» يقول : من ترك ديناً يكون عليه، ومن ترك مالاً فلورثته ، وحكام بلاد الإسلام يقولون : من ترك ديناً فلا شيء له في بيت المال ، ومن ترك مالاً فهم يأخذون منه الضرائب .

والأحكام التي هي من قبيل (قال الله ، وأقول) في بلاد الإسلام تعد بالألوف لا بالمئات والعشرات فحسب .

حرّية المراقد المقدسة والمزارات :

مسألة: يجب علىٰ الناهضين أن يهتموا لأجل إعادة الحج والعمرة والزيارة لمراقد الأطهار من الرسول وآله« صلوات الله عليهم أجمعين» والقدس أولىٰ القبلتين على الأسلوب الإسلامي المقرر . أما هذه الحدود الجغرافية المانعة عن ذلك ، وأعذار المسيطرين على هذه المشاهد والتي من جملتها : عدم استيعاب البلاد لملايين كثيرة من الناس ، وحيلولة الجواز وما أشبه لذلك ، فكلها أتتنا من البلاد البعيدة ومن الأجانب الذين أوجدوها وهي حجج واهية واتبعهم فيها حكام بلاد الإسلام وإنما

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٦ .
(٢) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٤٩١ باب ٩ ح ٧ .
(٣) غوالي اللئالي ج ١ ص ٤٢ ح ٥٠ .

قصدوا بذلك تفتيت وحدة المسلمين .

وإني أرى أنه لو حررت هذه البلاد من هذه الطقوس الأجنبية التي تحول بين المسلمين وبين مزاراتهم لامتلأت هذه المواضع المقدسة بملايين الناس على طول السنة .

نعم صار الحج عند حكام المسلمين أقل من مدينة مدريد التي زارها قبل سنتين أكثر من خمسين مليون سائح (كما ورد في التقارير العالمية) وصارت الأعتاب المقدسة أقل من معرض دولي يزوره عشرات الملايين ، وقد كتبتُ قبل عقد من الزمن كتيباً باسم (لكي يستوعب الحج عشرة ملايين) لكن كان ذلك اقتراحاً أولياً .

وعلى أي حال فللازم قيام المسلمين بحملة عالمية عامة لهذا الأمر حتى يتمكن الجميع من الحج والعمرة والزيارة في طول السنة بدون حدود جغرافية ، ولا رسوم ولا قيود ، وهذا الكلام إنما هو قبل قيام الدولة الإسلامية العالمية ، وإلّا فإذا قامت الدولة الإسلامية العالمية بإذن الله تعالىٰ بطلت كل تلك الحدود والقيود تلقائياً .

وإذا اعتذرت حكومات هذه البلاد بعدم قدرتها على الاستيعاب فالجواب : إنه ممكن عن طريق التدويل والتعاون .

أما احتياج هذا الأمر إلى المال ولا مال يكفي لمثل هذه الأُمور ؟ .

فالجواب : ألا تكفي ستمائة مليار دولار التي صرفوها في الحرب العراقية الإيرانية ، لجعل هذه المزارات ذات إمكانات استيعابية ؟ .

فضيلة الحج :

ونذكر بهذه المناسبة جملة من الروايات المحرضة على الحج والعمرة والزيارات إلماعاً إلى أنه كيف أمر الإسلام ، وكيف منع عن كل ذلك الحكام ، ولم يكن في تاريخ الإسلام الطويل إلى ما قبل نصف قرن هذه البدع المانعة بين المسلمين وبين زيارة قبلتهم وساداتهم وإنما هي من تحف الأجنبي التي قبلها

الحكام بكل استبشار ورفضها المسلمون بكل صلابة وصمود ، إلى أن يأتي يوم تزول نهائياً وذلك قريب بفضل الله سبحانه وتعالىٰ .

فعن الجعفريات بسند الأئمة إلى رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (سافروا تصحوا وصوموا تؤجروا واغزوا تغنموا وحجوا تستغنوا)[١] .

وعنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (انه كان يأمر الناس بإقامة أربع : اقام الصَّلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن يتموا الحج ، والعمرة لله جميعاً) .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (صلوا خمسكم وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة مالكم وحجوا بيتكم تدخلوا جنة ربكم)[٢] .

وفي أدعية شهر رمضان ؛ وارزقني حج بيتك الحرام في عامي هذا وفي كلّ عام .

وعن علي بن الحسين «عليهما السَّلام» قال : (حجوا واعتمروا تصح أبدانكم وتتسع أرزاقكم وتكفون مؤنة عيالاتكم)[٣] .

وقال: (الحاج مغفور له وموجوب له الجنة ومستأنف له العمل ومحفوظ في أهله وماله) .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (لما أفاض آدم من منى تلقته الملائكة فقالت : يا آدم برَّ حجك أما إنا قد حججنا هذا البيت قبل أن تحج بألفي عام)[٤] .

وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (من مات ولم يحج حجة الإسلام ولم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به ، أو مرض لا يطيق فيه الحج ، أو سلطاناً يمنعه فليمت يهودياً أو نصرانياً)[٥] .

---

(١) الوسائل ج ٨ ص ٢٥٠ ح ١ ، المحاسن ص ٣٤٥ ح ١و٢ .
(٢) انظر البحار ج ٩٩ كتاب الحج والعمرة .
(٣) الوسائل ج ٨ ص ٩ ح ٢٠ ، ثواب الأعمال ص ٢٦ .
(٤) الوسائل ج ٨ ص ٥ ح ٦ .
(٥) الوسائل ج ٨ ص ١٩ ح ١ ، المقنعة ص ٦١ ، المحاسن ص ٨٨ ح ٣١ .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» في حديث قال : (وإن كانَ موسراً وحـال بينه وبـين الحج مـرض أو حصر أو أمر يعـذره الله فيه فـإن عليـه أن يحـج من مـالـه ضرورة ، وكان الصَّادق «عليه السَّلام» في المسجد الحرام فسـأله رجـل من أعظم الناس وزراً فقال : من يقف بهـذين الموقفـين عرفـة والمزدلفـة وسعى بين هـذين الجبلين ثم طاف بهذا البيت وصلّى خلف مقام إبـراهيم «عليه السَّـلام» ثم قال في نفسه وظن أن الله لم يغفر له فهو من أعظم الناس وزراً)[١] .

وقد ورد ان المستطيع إذا سوّف الحج حتى يموت يبعثه الله تعالىٰ يوم القيامة أعمىٰ ، وورد ان من أَمَّ البيت حاجاً أو معتمـراً مبرئـاً من الكبر رجـع من ذنوبـه كيوم ولدتـه امه ، وان الحجـاج يصدرون عـلى ثلاثـة أصناف ، صنف يعتق من النـار ، وصنف يخرج من ذنـوبه كهيئـة يوم ولـدتـه امـه ، وصنف يحفظ في أهله وماله ، وذلك أدنىٰ ما يرجع به الحاج .

وورد : ان الحـاج إذا أخذ في جهـازه لم يخط خطوة في شيء من جهـازه إلاَّ كتب الله عـزّ وجلّ لـه عشر حسنات ، ومحـا عنه عشر سيئـات ، ورفع لـه عشر درجات حتى يفرغ من جهازه متىٰ ما فرغ ، فإذا استقبلت به راحلته لم تضـع خفاً ولم ترفعه إلاَّ كتب الله عزّ وجلّ له مثل ذلك حتى يقضي نسكه ، فـإذا قضى نسكه غفر الله تعالىٰ له ذنوبه ، وكان ذا الحجة والمحرم وصفـر وشهر ربيـع الأول أربعة أشهـر تكتب له الحسنـات ولا تكتب عليه السيئـات ، إلاَّ أن يأتي بكبـيرة ، فـإذا مضت الأربعة أشهر خلط بالناس .

وورد : ان من مات في طريق مكة ذاهباً أو آيبـاً أمن من الفزع الأكـبر يوم القيامة .

وفي خبر : (إن من خرج حاجاً أو معتمراً فله بكل خطوة حتى يرجـع مائـة ألف ألف حسنة ويمحىٰ عنه ألف ألف سيئة ويرفع له ألف ألف درجة ، وكان له عند الله بكل درهم ألف ألف درهم وبكل دينار ألف ألف دينـار ، وبكل حسنـة

---

(١) انظر البحار ج ٩٩ كتاب الحج والعمرة .

عملها في وجهه ذلك ألف ألف حسنة حتى يرجع ، وكان من ضمان الله أن توفاه أدخل الله الجنة ، وإن رجع رجع مغفوراً له مستجاباً له ، فاغتنموا دعوته فإن الله لا يرد دعاءه ، فإنه يشفع في مائة ألف رجل يوم القيامة)[١] .

أقول : قد ذكرنا سابقاً وفي بعض الكتب الأُخر مثل (كتاب الدعاء والزيارة) وغيره وجه هذه المثوبات وانه لا استبعاد في كلّ ذلك ، فالأُمور التشريعة كالامور التكوينية ، وقد ثبت علمياً ان في بدن الإنسان عشرة مليارات من الخلايا الحية فالإله الذي خلق الإنسان هكذا قادر على أن يعطيه في الآخرة هذا القدر من الحسنات وفوقه حتى أنه ورد : (ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) .

وفي رواية أُخرىٰ : (من خلف حاجاً أو معتمراً في أهله بخير بعده كان له مثل أجره كاملاً من غير أن ينقص من أجره شيء وأنه ليس شيء أفضل من الحج إلّا الصَّلاة ، وأن حجه أفضل من سبعين رقبة ، وأن الحج المندوب أفضل من الصدقة بنفقته وأضعافها ، وورد أن من حج حجة الإسلام فقد حل عقدة من النار من عنقه ، ومن حج حجتين لم يزل في خير حتى يموت ، ومن حج ثلاثاً فقد اشترىٰ نفسه من الله عزّ وجلّ بالثمن ، ومن حج أربعاً لم تصبه ضغطة القبر أبداً ، وإذا مات صوَّر الله له الحج في صورة حسنة أحسن ما يكون من الصور بين عينه ، ويصلّي في جوف قبره حتى يبعثه الله تعالىٰ من قبره ويكون ثواب تلك الصَّلاة له ، وأن الركعة من تلك الصَّلاة تعدل ألف ركعة من صلاة الآدميين ومن حج خمس حجج لم يعذبه الله أبداً ، ومن حج عشر حجج لم يحاسبه أبداً ، ومن حج عشرين حجة لم ير جهنم ولم يسمع شهيقها ولا زفيرها ، ومن حج أربعين حجة قيل له إشفع فيمن أحببت ، ويفتح له باب من أبواب الجنة يدخل منه هو ومن يشفع له، ومن حج خمسين حجة بنى له مدينة في جنة عدن فيها ألف قصر، إلى آخر الحديث)[٢] .

---

(١) انظر البحار ج ٩٩ كتاب الحج والعمرة ، والوسائل ج ٨ و ٩ و ١٠ ، كتاب الحج .
(٢) انظر البحار ج ٩٩ ، كتاب الحجّ والعمرة ، والوسائل ج ٨ و ٩ و ١٠ كتاب الحجّ .

وفي رواية : (ما أحد يكثر الحج إلاّ بنى الله له بكل حجة مدينة في الجنة ، وقد ورد التأكيد بإدمان الحج ولو بالنيابة ، وكراهة التأخر عن الحج المندوب ، وكراهة الإشارة بالترك للمستشير فيه ، واستحباب عود الموسر إليه في كل أربع سنين أو خمس سنين)(١) .

وورد الحج للدين ، وورد تسهيل الحج على النفس بالإقتصاد ، ونية العود إليه عند الخروج من مكة المعظمة ، وكراهة نية عدم العود ، وورد : (إن من قرأ سورة الحج في كل ثلاثة أيام لم تخرج سنة حتى يخرج إليه ، ومن داوم سورة عم كل يوم لم تخرج سنة حتى يحج ، وكذلك من قال في دفعة واحدة ، ما شاء الله ألف مرة)(٢) ، إلى غير ذلك من الأمور المرتبطة بالحج ، مما لو جمع لكان كتاباً مستقلاً .

هذا مع قطع النظر عن المسائل الشرعية المرتبطة بالحج ، من أوله إلى آخره ، والمسلمون سابقاً كانوا يحجون كثيراً حتى ورد : إن في زمان الإمام السجاد «عليه الصّلاة والسّلام» حج من الناس أربعة ملايين ونصف مليون في سنة واحدة .

فضل زيارة الرسول الأكرم (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) وأهل بيته (ع) :

وفي زيارة قبر رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» ورد : انه (ص) قال : (من حج بيت ربي ولم يزرني فقد جفاني)(٣) .

وروى فضيل عن الباقر والصّادق «عليهما السّلام» قالا : (زيارة قبر رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» وزيارة قبر الحسين «عليه السّلام» تعدل حجة مع رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم»)(٤) .

---

(١) انظر البحار ج ٩٩ كتاب الحجّ والعمرة ، والوسائل ج ٨ و ٩ و ١٠ ، كتاب الحج (المصدر) .

(٢) ثواب الأعمال ص ١٠٨ ، انظر البحار ج ٩٢ ، أبواب فضائل القرآن وأعجازه .

(٣) مثله الوسائل ج ١٠ ص ٢٦١ ح ٣ ، كامل الزيارات ص ١٣ .

(٤) كامل الزيارات ص ١٥٦ ، الوسائل ج ١٠ ص ٢٥٥ ح ١٣ .

وروى الصدوق : (إن الحسين بن عليّ «عليهما السَّلام» قال لرسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» يا أبتاه ما جزاء من زارك ؟ فقال : من زارني حياً أو ميتاً أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك كان حقاً عليَّ أن أزوره يوم القيامة ، فأخلصه من ذنوبه) (١) .

وفي رواية أن رسول «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (قد وكل الله بفاطمة «عليها السَّلام» رعيلاً من الملائكة يحفظونها من بين يديها ، ومن خلفها ، وعن يمينها ، وعن يسارها ، وهم معها في حياتها ، وعند قبرها بعد موتها ، يكثرون الصَّلاة على أبيها وبعلها وبنيها ، فمن زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي ، ومن زار فاطمة «عليها السَّلام» فكأنما زارني ، ومن زار علي بن أبي طالب «عليه السَّلام» فكأنما زار فاطمة «عليها السَّلام» ومن زار الحسين «عليه السَّلام» فكأنما زار علياً «عليه السَّلام» ومن زار ذريتهما فكأنما زارهما)(٢) .

وعن الرضوي قالع : تزور قبر محمد المصطفىٰ «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» فإنه قال : ومن حج ولم يزرني فقد جفاني وتزور قبر السادة «عليهم السَّلام» بالمدينة) (٣) .

وعن أبي جعفر «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (من زار رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قاصداً فله الجنة ، ومن زار رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» كمن زار الله فوق عرشه)(٤) .

وزيارة قبر رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» (تعدل حجة مع رسول الله مبرورة)(٥) .

وقال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من أتاني زائراً كنت شفيعه

---

(١) الوسائل ج ١٠ ص ٢٥٦ ح ١٤ كامل الزيارات ص ١١ .

(٢) كتاب المزار ، انظر البحار ج ١٠٠ ص ١٩٢ باب ٥ ، والوسائل ج ٢ ص ٨٧٧ باب زيارة القبور ، والوسائل ج ١٠ ص ٢٨٧ باب ١٨ .

(٣) مثله الوسائل ج ١٠ ص ٢٦١ ح ٣ ، كامل الزيارات ص ١٣ .

(٤) الوسائل ج ١٠ ص ٢٦٠ ح ١ ، كامل الزيارات ص ١٢ .

(٥) الوسائل ج ١٠ ص ٢٥٥ ح ١٣ ، كامل الزيارات ص ١٥٦ .

يوم القيامة ، ومن زارني في حياتي وبعد موتي كان في جواري يوم القيامة)[١] .

وقال : (من جاءني زائراً وجبت له شفاعتي ، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة)[٢] .

وفي حديث : (من مات مهاجراً إلى الله عزّ وجلّ حشر يوم القيامة مع أصحاب بدر) [٣] .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (من زارني أو زار أحداً من ذريتي زرته يوم القيامة ، فأنقذته من أهوالها)[٤] .

وورد في زيارة سيدة النساء فاطمة «صلوات الله عليها» عن النبيّ «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إن من زار فاطمة فكأنما زارني ، ومن سلم عليها أوجب الله له الجنة)[٥] .

وفي زيارة أئمة البقيع «عليهم الصَّلاة والسَّلام» ورد عن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (إذا حج أحدكم فليختم بزيارتنا ، لأن ذلك من تمام الحج)[٦] .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (أتموا برسول الله إذا خرجتم إلى بيت الله الحرام ، فإن تركه جفاء ، وبذلك أمرتم ، وأتموا بالقبور التي ألزمكم الله حق زيارتها ، واطلبوا الرزق عندها) [٧] .

وعن الباقر «عليه السَّلام» : (إن من زار قبور شهداء آل محمد يريد بذلك

---

(١) الوسائل ج ١٠ ص ٢٦٢ ح ٥ ، وص ٢٦٣ ح ٨ كامل الزيارات ص ١٣ ، المقنعة ص ٧٢ .
(٢) الوسائل ج ١٠ ص ٢٦١ ح ٣ ، كامل الزيارات ص ١٣ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) الوسائل ج ١٠ ص ٢٥٧ ح ١٦ ، كامل الزيارات ص ١١ .
(٥) انظر مصباح الكفعمي ، والبحار ج ١٠٠ ص ١٩٢ ، زيارة فاطمة (ع) .
(٦) الوسائل ج ١٠ ص٢٥٤ ح ٧ ، عيون أخبار الرضا (ع) ص ٣٦٧ .
(٧) الوسائل ج ١٠ ص ٢٥٥ ح ١٠ ، الخصال ج ٢ ص ٦١١ .

صلة نبيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) [١] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» : (إن من زار أحد الأئمة «عليهم السَّلام» فهو كمن زار رسول الله ، وله مثل ما زار رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم») [٢] .

وعن الرضا «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته ، وان من تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءَهم يوم القيامة) [٣] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» : (من زار إماماً مفترض الطاعة وصلّى عنده أربع ركعات كتب الله له حجة وعمرة)، وورد (من زار الحسين أو أباه أو أخاه لا يريد إلَّا الزيارة كانت له الجنة) [٤] .

وفي رواية عنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قاله لعليّ : (يا عليّ من زراني في حياتي أو بعد موتي أو زارك في حياتك أو بعد موتك أو زار ابنيك في حياتهما أو بعد موتهما ضمنت له يوم القيامة أن أخلصه من أهوالها وشدائدها وأصيره معي في درجتي) [٥] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» : (إن من زارني غفرت له ذنوبه ولم يمت فقيراً) [٦] .

وورد في زيارة قبور الشهداء خصوصاً حمزة :(إن للزائر حجة مبرورة) [٧] .

وورد في زيارة قبر أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (إن من زاره فله

---

(١) انظر مصباح الكفعمي .
(٢) الوسائل ج ١٠ ص ٢٥٦ ح ١٥ ، عيون الأخبار ص ٣٦٧ .
(٣) الوسائل ج ١٠ ص ٢٥٣ ح ٥ ، المقنعة ص ٧٤ وص ٧٦ ، كامل الزيارات ص ١٢٢ .
(٤) الوسائل ج١٠ ص ٢٦٠ ح ٢٥ ، المقنعة ص ٧٦ .
(٥) الوسائل ج ١٠ ص ٢٥٧ ح ١٦ باب ٢ .
(٦) البحار ج ١٠٠ ص ١٤٥ ح ٣٤ .
(٧) الوسائل ج ١٠ ص ٢٧٨ ح ٦ باب ١٢ .

الجنة ، وإن من زاره عارفاً بحقه فله أجر حجتين وعمرتين)[١] .

وورد في زيارة قبر الحسين «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (انه روضة من رياض الجنة ، وترعة من ترعها ، ومختلف الملائكة ، وان زيارته أفضل ما يكون من الأعمال)[٢] .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» (انه وكل الله بقبر الحسين «عليه السَّلام» أربعة آلاف ملك شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة رئيسهم ملك يُقال له : (منصور) فلا يزوره زائر عارف بحقه إلاَّ استقبلوه ، ولا يودعه مودع إلاَّ شيعوه ، حتى يبلغونه مأمنه، وإن مرض عادوه غدوة وعشية ، وإن مات شهدوا جنازته ، وأتوا له بحنوط وكسوة من الجنة ، وصلوا عليه واستغفروا له إلى يوم القيامة)[٣] .

وإن أول ما يصيب زائر الحسين «عليه السَّلام» أن يغفر له ما مضىٰ من ذنوبه ويُقال له : (استأنف العمل)[٤] .

وإن من أتىٰ قبر الحسين عارفاً بحقه عالماً بأنه إمام من قبل الله مفترض الطاعة كتبه الله في أعلىٰ عليين ، وغفر له ما تقدم من ذنوبه وما تأخر[٥] .

وورد في زيارته «عليه السَّلام» : إنها تعدل عمرة مقبولة مبرورة .

وورد في زيارة بقية الأئمة:العمومات السابقة،كما وردت بعض الروايات الخاصة مثلاً :

ورد في زيارة الإمام الرضا «عليه السَّلام» بخراسان : (إن من زار قبره بطوس غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وإن من زاره عارفاً بحقه فله الجنة

---

(١) الوسائل ج ١٠ ص ٢٩٦ ح ١٠ باب ٢٣ وص ٢٩٧ ح ١ باب ٢٥ .
(٢) كامل الزيارات ص ١٤٦ باب ٥٨ .
(٣) الكافي ج ٤ ص ٥٨١ ح ٧ (بالمعنى) .
(٤) كامل الزيارات ص ١٥٣ ـ ١٥٤ باب ٦٢ .
(٥) الوسائل ج ١٠ ص ٣٢٣ ح ١١ باب ٣٧ .

على الله عزّ وجلّ ، وكان آمناً يوم القيامة من النار ، وحرم جسده عليها)[١] .

وان (من زاره في غربته وهو يعلم أنه إمام بعد أبيه مفترض الطاعة من الله عزّ وجلّ كان كمن زار رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» وأعطاه الله عزّ وجلّ أجر من أنفق من قبل الفتح وقاتل)[٢] .

(وان قبره لبقعة من بقاع الجنة لا يزوره مؤمن إلاّ أعتقه الله من النار ، وأدخله دار القرار)[٣] .

وعن الرضا «عليه الصّلاة والسّلام» انه قال : (من زارني على بعد داري ومزاري اتيته يوم القيامة في ثلاث مواطن حتى أُخلصه من أهوالها إذا تطاير الكتب يميناً وشمالاً ، وعند الصراط ، وعند الميزان)[٤] .

وقال : (من زارني من أوليائي عارفاً بحقي إلاّ شفعت به يوم القيامة ، وإن من زارني وهو يعرف ما أوجب الله تعالىٰ من حقي فأنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة)[٥] .

وفي رواية : (إن من زاره كان كمن زار رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم»)[٦] إلى غيرها من الأحاديث الكثيرة .

---

(١) عيون أخبار الرضا (ع) ج ٢ ص ٢٥٩ وص ٢٦٣ .
(٢) الوسائل ج ١٠ ص ٤٣٤ ح ٤ باب ٨٢ .
(٣) الوسائل ج ١٠ ص ٤٤٧ ح ٢ باب ٨٨ .
(٤) الوسائل ج ١٠ ص ٤٣٣ ح ٢ باب ٨٢ .
(٥) الوسائل ج ١٠ ص ٤٣٦ ح ١١ باب ٨٢ .
(٦) كامل الزيارات ص ١٥٠ باب ٦ .

الفصل الرابع
في الشؤون المتفرقة

التخصص والتركيز في طريق الإنقاذ :

شخص واحد مركّز يعمل أكثر مما يعمله ألف إنسان غير مركّز ، كما ذكره بعض الحكماء ، وهذا صحيح مئة في مئة فهل شيخ الطائفة وحده ، أو العلامة وحده ، أو الشيخ المرتضى وحده ، أو المجلسي وحده ، أو صاحب الجواهر وحده عمل كلّ واحد منهم أكثر من ألف رجل عالم لم يكن مركزاً في التأليف ؟ وكذلك بالنسبة إلى سائر الأبعاد في : الصناعة ، والزراعة والتجارة ، والإنقاذ ، وغيرها من سائر الأمور .

إن الذين يريدون إنقاذ بلاد الإسلام يلزم عليهم الإهتمام بالتخصص والتركيز ، فإن حال الإنسان حال سائر ما في الطبيعة من الطاقات التي جعلها الله سبحانه وتعالىٰ في هذا الكون ، فإن العدسة اللامة التي هي بقدر راحة كف تحرق بسبب الأشعة الشمسية المجتمعة فيها بما لا تفعل مثله عشرات الفراسخ من أشعة الشمس غير المركزة .

وعلى أي حال ، فإن التركيز شيء مهم جداً ، وقد كان للرسول «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» ربع مليون من الصحابة كما ذكره المؤرخون ، وآمن به «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» في حياته المباركة سبعة ملايين من مائة وخمسين مليون بشر

عالم ذلك اليوم ، أي بنسبة واحد إلى واحد وعشرين ، لكن كم كان في أصحابه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» مثل أبي ذر الذي لم تقل الغبراء ولم تظل الخضراء على ذي لهجة أصدق منه ، إلى غير ذلك من الأوحديين من أصحابه البررة .

كما ان اللازم على الناهضين الإستفادة من كل الطاقات والإمكانات ، وقد ورد في الحديث : إن صب فضل الماء وإلقاء النواة في النفايات من الإسراف ، وكذلك ورد في الحديث استحباب لحس الأصابع من الطعام ، وتنظيف القصعة ، وإن كل ساعة من العمر يسأل عنها يوم القيامة ، أليس كل ذلك وأضعاف أضعافها الواردة في الأحاديث إرشاداً إلى لزوم الإستفادة من كل الطاقات ؟ .

إن أمام المسلمين سيلاً كبيراً من الأفراد والطاقات ، والأعلام والمال ، والسلاح ، والمفكرين المخططين ، والمؤسسات ، وما إلى ذلك ، ولا يمكن مقابلة هذه الأمور إلاّ بأن يكون في المسلمين حشد كبير من المركزين العاملين ، المخلصين لله سبحانه وتعالىٰ ، يعملون عملاً جاداً مستمراً لا يعرف كللاً ولا مللاً ، ليل نهار حتى ينقذ الله سبحانه وتعالىٰ هذه الأمة ، وترجع إليها السيادة والسعادة .

ففي القرآن الكريم : ﴿**إنك كادح إلى ربك كدحاً**﴾[1] والكدح أشد التعب ، إن المسلمين الأولين فتحوا الدنيا وقلبوا الظلمات إلى النور بسبب ذلك الكدح بعد أن استناروا بالقرآن الحكيم ، أما اليوم وقد أعرضوا عن القرآن فقد سقطوا ، وارتفعت دنيا الظلم مرة ثانية ، كما كان الأمر كذلك قبل الإسلام .

ومما لا شك أن الحكام على الأكثر كانوا فسقة ، لكن لا شك أيضاً أن المناهج العامة كانت مناهج الإسلام ، في تاريخ الحجاج والوليد والمتوكل ، ومن أشبههم فهل كانت الزراعة والتجارة والصناعة والسفر والإقامة والعمارة وحيازة

---

(١) سورة الإنشقاق : الآية / ٦ .

المباحات وما إلى ذلك برخصة وتأشيرة وإجازة ؟ وهل كانت القوميات واللغاة والجغرافيات والألوان وما أشبه مفرقة بين المسلمين ؟ وهل كان حتى الحج يمنع ؟ وهل أرانا حتى أظلم تاريخ الإسلام حكاماً كناصر وقاسم وصدام ؟ .

يقول : مؤلّف كتاب (الحضارة الإسلامية) :

[شرع المؤرخون يبينون الأجزاء التي آلت إليه المملكة كأنهم يصفون حسابها ، فقد تغلب كل رئيس على ناحيته ، وانفرد بها فصارت فارس ، والري ، واصبهان ، والجلال في أيدي (بني بويه) وكرمان في يد (محمد بن الياس) والموصل وديار ربيعة ، وديار بكر وديار مضر في أيدي (بني حمدان) وأصبحت مصر والشام في يد (محمد بن ظفج الأخشيد) والمغرب وافريقيا في يد (الفاطميين) والأندلس في يد (عبد الرحمان الناص الأموي) وخراسان في يد (نصر بن أحمد الساماني) والأهواز وواسط والبصرة في يد (البليديين) واليمامة والبحرين في يد (أبي طاهر القرمطي) وطبرستان وجوزجان في يد (الديلم) ولم يبق في يد (الخليفة) إلاّ بغداد وعمالها ، ويشبه المسعودي في عام (٣٣٢) هـ فعل أصحاب الأطراف وتغلب كل واحد منهم على طرفه الذي هو فيه بفعل ملوك الطوائف بعد موت الإسكندر ، على أن شبحاً لسيادة الخليفة ببغداد ظل وهماً ما في الأذهان ، والمسعودي نفسه يتكلم عن عمل الخليفة وينقل عن الفزاري : انه من فرغانه وأقصى خراسان إلى طنجة بالمغرب ثلاثة آلاف وسبعمائة فرسخ ، ومن باب الأبواب إلى

جدة ستمائة فرسخ ، ومن الباب إلى بغداد ثلاثمائة فرسخ ، ومن مكة إلى جدة اثنان وثلاثون ميلاً ، على أن أصحاب الأطراف وملوك الطوائف كانوا يعترفون بالسيادة العليا للدولة ، ويقدمون للخليفة الدعاء في المساجد ، ويشترون منه ألقابهم ، ويرسلون إليه الهدايا في كل عام ، ولكن لم يكن من شأن هذا الإنقسام بتعدي أمراء المؤمنين أن يؤدي إلى ضيق في معنى الإسلام في الوطن الإسلامي ، بل صارت كل هذه الأقاليم تؤلف مملكة واحدة سميت مملكة الإسلام ، وهو الإصطلاح الذي يستعمله المسعودي تمييزاً لها عن مملكة الكفر ، وقامت وحدة إسلامية لا تتقيد بالحدود السياسية ويعتبر المقدسي أن مملكة الإسلام تمتد من أقصى المشرق إلى السوس الأقصىٰ في المغرب ، وأنها تقطع في نحو عشرة أشهر ، أما عند ابن حوقل فحدود مملكة الإسلام هي شرقيها أرض الهند وبحر فارس ، وغربيها مملكة السودان الذي يسكنون على المحيط الأطلسي ، وشماليها بلاد الروم وما يتصل بها من الأرمن واللان والران والخزر والبلغار والصقالبة والترك والصين ، وجنوبيها بحر فارس ، وكان المسلم يستطيع أن يرتحل في داخل حدود هذه المملكة في ظل دينه وتحت رايته ، وفيها يجد الناس يعبدون الله الواحد الذي يعبده ، ويصلون كما يصلّي ، وكذلك يجد شريعة واحدة ، وعرفاً واحداً ، وعادات واحدة ، وكان يجد في هذه المملكة الإسلامية

قانونـاً عمليـاً يضمن للمسلم حق المـواطن ، بحيث يكون آمناً على حريته الشخصية أن يمسها أحد وبحيث لا يستطيع أحد أن يسترقه على أي صورة من الصور ، وقد ساح ناصر خسرو في هذه البلاد كلها في القرن الخامس الهجري دون أن يلاقي من المضايقات ما كان يلاقيه الالماني الذي كان ينتقل في ألمانيا في القرن الثامن عشر بعد المسيح «عليه السَّلام»] .

انتهى ما أردنا نقله من كتاب (الحضارة الإسلامية) .

وفي حديث عن عليّ «عليه الصَّلاة والسَّلام» ما مضمونه : ان المسلمين يعرضون عن القرآن فيعرض الله عنهم ، ثم يرجعون إلى القرآن فيرجع الله إليهم وهذا هو الزمان الذي اعرض المسلمون فيه عن القرآن ، ولا شك أن هناك من المسلمين من هو ملتزم بالقرآن قلباً وقالباً ، لكن الكلام في حكام المسلمين الذين أعرضوا عن القرآن قلباً وقالباً ، وإن نادى بعضهم باسم الإسلام والقرآن وأكثر من نشره في إذاعاته وما أشبه ، لكن قراءته للقرآن وترويجه له من قبيل ذلك اللفظ دون قصد المعنىٰ والعمل به .

وكما سمعنا حال المسلمين عند الإنحطاط من جهة الحريات وغيرها فلنستمع إلى حالهم أيضاً من جهة التقدم العلمي في ظل أُولئك الحكام الذين لم يكونوا أيضاً يعملون بالإسلام ، حتى يعرف أي تأخر حصل للمسلمين في الحال الحاضر ، مع كلّ إدعاءات الحكام ، سواء من سموا أنفسهم بالإسلاميين أو بالعلمانيين بمختلف تعابيرهم .

يقول غارودي في كتاب : (الإسلام دين المستقبل) :

[بدأ عصر العلم الإسلامي بروح انفتاحية فائقة وبمجهود منظم لاستيعاب تراث كافة ثقافات الماضي ، وعندما أحرز بعض الخلفاء

النصر على أنقرة أو علىٰ الأمبراطوري البيزنطي لم يطلب من أي منهما كتعويض عن خسائر الحرب إلّا أن يسلموا المخطوطات القديمة ، والمؤلفات الإغريقية الموجودة في بيزنطة ، وهذا ذو مغزىٰ عظيم ، وقد نظم في بغداد عمل ضخم للترجمة ، وقد استخدموا المترجمين مثل يحيى بن ماسوية ، وكان طبيباً ورئيس مترجمين ، ومقل حنين الذي ما كان يترجم فقط المؤلفات الطبية لأبي قراط وجالينوس و (ديسكوريد) بل أيضاً مؤلفات الرياضيين والفلكيين وعلماء الطبيعة ، وقد ترجم الفزاري وعدل كتاب الفلك : لـ (سيدهانتا) العالم الهندي (براهما غويتا) وقد أخذ المسلمون من الصينيين صناع الورق منذ القرن التاسع ، وأسسوا أول مصنع للورق في بغداد حوالي عام ثمانمائة ميلادي وكان الغرب أن ينتظر أربعة قرون كي يعرف هذا الإختراع ، ويستخدمه بفضل المسلمين ، وقد أخذت المكتبات تزداد في أرجاء الوطن الإسلامي كله .

وفي عام ثمانمائة وخمسة عشر ميلادي حيث كانت اوروبا تجهل القراءة ، اسس الخليفة بيت الحكمة ، وكان يضم مليون مجلد ، وفي عام ثمانمائة وواحد وتسعين أحصىٰ أحد المسافرين أكثر من مائة مكتبة عامة ، وفي القرن العاشر كانت مدينة النجف في العراق تلك المدينة الصغيرة تمتلك أربعين ألف مجلد ، وكان بحوزة نصير الدين الطوسي رئيس مرصد المراغة مجموعة من

أربعمائة ألف كتاب ، وفي الطرف الآخر من الأرض الإسلامية في اسبانيا المسلمة ، كان الخليفة (الحاكم) في قرطبة يمتلك في القرن العاشر مكتبة تضم اربعمائة ألف مجلد ، بينما لم يستطع ملك فرنسا شارل الخامس ، الملقب بالحكيم أي العالم ، أن يجمع بعد أربعة قرون تسعمائة مجلد ، ولكن لم يستطع أحد أن ينافس خليفة القاهرة (العزيز) حيث أن مكتبته ضمت مليوناً وستمائة ألف مجلد ، منها ستة آلاف في الرياضيات ، وثمانية عشر ألفاً في الفلسفة ، وهذا الشرف بالكتب وهذه البادرة الأولىٰ ، تمثل الثقافات السابقة في إيران ، والصين والهند ، ويونان ما كانت تنطوي على نوع من الإصطفاء ، فقد تلقى المسلمون هذا التراث وجددوه على هدى أفكارهم ، وأن أحد أسباب العلم الإسلامي الجوهرية والمشتقاة من مبدأ التوحيد هو مبدأ المرئيات من جهة ، واللاهوت أو الفن من جهة أخرىٰ ، كما وأنه ليس هناك حاجز منيع بين مختلف العلوم من الرياضيات وحتى الجغرافيا ، وهذا ما يفسر عدد العبقريات الموسوعية في الثقافة الإسلامية ، فإن المفكرين في الإسلام يعدون بالعشرات ، من بينهم الكندي ، والرازي ، والبيروني وابن سينا ، الذين تفوقوا في آن واحد في مجال الطب والرياضيات واللاهوت والجغرافيا ، وكثيراً ما تفوقوا حتى في مجال الشعر مثل الرياضي عمر الخيام ، وهذه الرؤيا التوحيدية تفسر أيضاً للأهمية التي أعطتها

الحضـارة الإسـلاميـة لتصنيف العلوم ، فحين نوضح وحدة الواقع والمعرفـة نكون منسـاقين إلى تأمل في وحدة العالم ، وإلىٰ وحدانية الله التي تدل عليها وحدة الطبيعة ، وهكذا يكون الإنتقال غير منقـطع من المسجـد إلى المـدرسـة ، حيث يبقىٰ وحدانية الله ووحدة الطبيعة أساساً لكل معرفة .

وهـذه حـال (الـقـيروان) في فـارس ، و (الزيتون) في تونس ، و (الأزهر) في القـاهرة ، وجـامعات (سمـرقنـد) و (قـرطبـة) وليس هنـاك فـاصـل بـين أمكنـة التعليم ، وأمكنـة البحث الأُخرىٰ ، أكانت المـراصد أو المشـافي التي كانت في الوقت نفسه كليات للطب ، أما خـارج العالم الإسلامي فقد أنشأت كليات الطب الكبرىٰ مثل كليـة (سـالـرن) في صقليـة بعـد نهايـة الحكم الإسـلامي ، وكلية (بـولونيـا) وكلية (مـونبيليـة) بفـرنسا عـلى غـرار كليـات الـطب الإسـلامي ، وتحت تأثير تعاليمها ، وكذا الجامعـات الأُوروبية من جـامعـة بـاريس إلى جـامعـة أوكسفـورد التي أُنشأت على الطراز الإسلامي بعد ثلاثة قرون] .

انتهى موضع الحاجة من هذا الكتاب .

وعلى أي حال ، يجب التزام مبدأ التركيز عند الإسلاميـين الحركيـين لإعادة حكم الإسلام الحكم الصحيح ، كي لا يشوبه أمثال اولئك الخلفاء الذي أساءوا إلى الإسـلام ، أيما إسـاءة بتجميده بسبب شهـواتهم وقصورهم وحـظايـاهم ومـا أشبه ، ولكي يخرجوا الناس لا المسلمين فحسب ، بل كلّ العـالم من الظلمات إلى النور ، وذلك مما يمكن بلطف الله سبحانه وتعالىٰ .

هـــدم ثم بناء :

ثم انه يلزم أن تكون في كل بلاد الإسـلام مكاتب للنـاهضين فيهـا أحسن خبرائهم الدينيين الدنيويين لأجل تبديل الأشغال المحرمة إلى الأشغـال المحللة ، مثـلاً يبدلـون محلات الخمـر إلى محلات بيـع العصير والخـل وما أشبـه ، ومراكـز الفســاد إلى مراكـز الصلاح،والسجـون إلى محلات بيـع الحبوب والمسـاكن وما إلى ذلك ، فإن الإنسان إذا أراد إبطال عشرة آلاف مخمر مثلاً كـان معنى ذلك إبـطال رزق عشرة آلاف عائلة أو أكثر ، أمـا إذا بدلهـا إلى محلات بيـع الحلال لم تحـدث هـذه المشكلة ، وكذلـك إذا أُريد إبـطال عمل مـائـة ألف بغيـة بـدون تـزويجهن بالأكفاء ، وهكذا بالنسبة إلى سائر المحرمات .

ولم يكن ما ذكرنـاه صرف مثال في عـالم الخيال ، بـل هو أمـر واقع فـالأمر الأول يوجد الآن في عاصمة إسلامية والأمر الثاني يوجد في عـاصمة أُخـرىٰ امتنع عن ذكرهما لأن لا يساء إلى تلك البلاد .

وهكذا ويلزم أن يكون في كل بلاد الإسـلام مكاتب لأجـل سد الحـاجات للفقراء والمساكين والعزاب والعاطلين ، ومن أشبه ، حتى يتمكنـوا من استقطاب المسلمين حول الهدف حتى يسيروا بهم إلى الإمام ، مثلاً هناك في عاصمة إسلامية كثير من الناس يسكنون المقابر ، كما هناك في بلد إسلامي آخر كثير من العـاطلين وفي بلد إسـلامي ثالث يحـدث كثيراً أن يمـوت بعض الناس جـوعاً في بيـوتهم في العاصمة . فإذا تمكن الناهضـون من إيجاد البيـوت السكنية للفئـة الاولى والعمل للفئة الثانية والقوت للفئة الثالثة وهكذا كان ذلك أعظم نصر للناهضين .

عدم التعقيد في أساليب الحياة :

مسألة: من المهم جداً في السالكين طريق النجـاة التقشف والزهـد وعدم التجمـل وعدم تكثير أسبـاب الحياة ، فـإنها تأخـذ أوقاتـاً مزدوجـة ، وتهدر أمـوالاً كثيرة ، وتصرف البال في أشياء تافهة ، ولذا فمن الضروري عدم الإهتمام بهذه الأُمور لا لما ذكرنـاه فحسب بل لمـا تقدم ومـا سيأتي من عـدم الجنوح إلى التجمـل والتنعم

والتلهي ، والإشتغال للأشياء التافهة ، سواء كان في المأكل أو الملبس أو المسكن أو المركب أو الأثاث أو غيرها ، وقد قال الشاعر :

والنفس راغبة إذا رغبتها   وإذا ترد إلى قليل تقنع

وهل يصيب الإنسان مكروه إذا لم تكن له ثلاجة أو غسالة ، أو مبردة ، أو مدفئة ، أو ما أشبه ذلك نعم يلزم أن يحفظ الإنسان صحته وسلامة جسده ونفسه وعقله ، لكن لا تلازم بين الأمرين ، ولا نقول ذلك مطلقاً ، بل هذا لأجل النهوض وقطع جذور الإحتياج إلى الغرب والشرق[1] ، أما بعد ذلك فكل امرىء وما أراد ، وإن كان الزهد والقناعة والتقشف وما أشبه من أفضل الفضائل الأخلاقية ، كما قرر في محله .

ويحكى عن عيسى المسيح «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : زادي تقواي ودابتي رجلاي ، وخادمي يداي .

ثم ان الزاهد المتقشف في الحياة يلتف الناس حوله ، وتميل القلوب إليه ، بما يسبب نجاح حركته ، خصوصاً إذا كان الأمر بحاجة إلى صب المسلمين كلهم في منهاج التحرك المنجي ، وطريق الخلاص الكلي ، لا نقول : إن الإنسان يتزهد للناس ، بل نقول : للهدف الأسمىٰ الذي هو النجاة بقصد رضا الله سبحانه وتعالىٰ وإنقاذ بلاده وهداية عباده والقربة إليه ، والروايات في الزهد والقناعة كثيرة ذكرناها في بعض الكتب المعنية بهذا الشأن ، ولذا لا حاجة إلى تكرارها .

ومن هذا الباب الإجمال في طلب الرزق ، فإن من يتزهد لا يحتاج إلى الحرص ، كما لا يحتاج إلى التكثير من الطلب ، وإليك جملة من الروايات في هذا الباب :

فعن أبي حمزة عن أبي جعفر «عليه السَّلام» قال : (خطب رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» في حجة الوداع فقال : أيها الناس إنه والله ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلاّ وقد أمرتكم به ، وما من شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلاّ وقد نهيتكم عنه ، وان الروح الأمين قد نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى يستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ،

(١) اذا اقتضى الامر ذلك

ولا يحملن أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حق ، فإنه لا يدرك شيء مما عند الله إلاَّ بطاعته)[١] .

وعن الجعفريات بسند الأئمة إلى علي «عليهم السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : من سره أن تستجاب دعوته فليطيب كسبه)[٢] .

وعن الرضا «عليه السَّلام» قال : (إتق في طلب الرزق ، واجمل في الطلب ، واخفض في الكسب ، واعلم أن الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك ، فأما الذي تطلبه فاطلبه من حلال ، فإن أكلته حلال إن طلبته في وجهه وإلاَّ أكلته حراماً وهو رزقك لا بد له من أهله) [٣] .

وعن أبي عبد الله «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (لو كان العبد في حجرة أتاه رزقه ، فأجملوا في الطلب)[٤] .

وفي نهج البلاغة قال «عليه السَّلام» : (خذ من الدنيا ما أتاك ، وتول عما يتولى عنك ، فإن لم تفعل فأجمل في الطلب)[٥] .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» في وصيته لولده الحسن «عليه السَّلام» : (فاعلم يقيناً أنك لم تطلب عملك ولا تعدو أجلك فإنك في سبيل من كان قبلك ، واخفض في الطلب واجمل في المكسب ، فإنه رب طلب قد جر إلى حرب ، وليس كل طالب بناج ، ولا كل مجمل بمحتاج ، وأكرم نفسك عن الدنيا ، وإن ساقتك إلى الرغب ، فإنك لم تعتاض بما تبذل شيئاً من دينك وعرضك بثمن ، وإن جل ـ إلى أن قال ـ : ما خير بخير لا ينال إلاَّ بشر ولا يسر

---

(١) الوسائل ج ١٢ ص ٢٧ ح ١ ب ١٢ وح ٢ ب ١٢ ، المقنعة ص ٩١ ، الكافي ج ٥ ص ٨٠ ح ١ ، الكافي ج ٢ ص ٦٠ ح ٢ .
(٢) انظر البحار ج ٥ ص ١٤٣ باب ٥ .
(٣) مثله نهج البلاغة ص ٤٠٤ .
(٤) الوسائل ج ١٢ ص ٢٨ ح ٥ ب ١٢ ، الكافي ج ٥ ص ٨١ ح ٤ .
(٥) تحف العقول ص ٨١ س ٧ ، نهج البلاغة ص ٤٠١ .

لا ينال إلاّ بعسر)[١] .

وعن ابن عباس عن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (أيها الناس الرزق مقسوم لن يعدو امرؤ ما قسم له فاجملوا في الطلب ، وإن العمر محدود لن يتجاوز أحد ما قدر له ، فبادروا قبل نفاذ الأجل والأعمال المحصية)[٢] .

وفي رواية : لما نزلت هذه الآية : ﴿واسألوا الله من فضله﴾[٣] قال أصحاب النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : ما هذا الفضل ؟ أيكم يسأل رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» عن ذلك ؟ قال فقال «عليه الصّلاة والسّلام» : (أنا أسأله ، فسأله عن ذلك الفضل ما هو؟ فقال رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : إن الله تعالىٰ خلق الخلق وقسم لهم أرزاقهم من حلها ، وعرض لهم بالحرام ، فمن انتهك حراماً نقص له من الحلال بقدر ما انتهك من الحرام ، وحوسب به)[٤] .

وعن النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (انه أهدى إليه ثلاثة طيور فأطعم أهله طائراً فلما كان من الغد أتته به فقال لها ألم أنهك أن ترفعي شيئاً لغد ، فإن الله يرزق كل غد ، الرزق مقسوم يأتي ابن آدم على أي سيرة شيئاً ليس بتقوى متق بزائد ولا لفجور فاجر بناقص إن شرهت نفسه ، وهتك الستر لم ير فوق رزقه)[٥] .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير)[٦] .

---

(١) نهج البلاغة الدكتور صبحي الصالح ص ٤٠١ س ٦ ، تحف العقول ص ٨٠ س ١٠ .
(٢) انظر البحار ج ٧٠ ص ٩٦ وج ٧٧ ص ١٤٣ من ح ١٠٣ ص ٢٨ .
(٣) سورة النساء : الآية / ٣٢ .
(٤) انظر البحار ج ٥ ص ١٤٣ باب ٥ .
(٥) مثله البحار ج ٧٧ ص ٨٧ . البحار ج ١٠٣ ص ٣٣ .
(٦) البحار ج ٧١ ص ١٥١ .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (من طلب الدنيا حلالاً مكاثراً مفاخراً مرائياً لقي الله يوم يلقاه وهو عليه غضبان)، إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة [١] .

ولا يخفى ان الطلب لا ينافي كون الرزق مقسوماً كما مثله الرسول «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» بالطير ، فإن الطير يطلب وإلا لو بقي في وكره مات جوعاً .

والرزق الحلال هو الذي يكون بقدر السعي ونحوه من الأُمور الخمسة التي ذكرناها في فقه الإقتصاد .

والحرام على قسمين :

الأول : تبديل الحلال بالحرام كما أُشير إليه في بعض الروايات السابقة ، كما إذا كان يكتسب كل يوم سواء من الخل أو الخمر عشرة دنانير فاكتسب الخمر وترك الخل .

الثاني : الإستزادة عن قدر السعي المقدر له ، بأن يأكل أموال الناس بالباطل أو بالإشتراكية ، أو بالرأسمالية على الأُسلوب الشرقي والغربي .

ثم الإجمال في الطلب معناه الطلب الجميل ، والطلب الجميل :

أولاً : أن يكون من الحلال .

ثانياً : أن لا يكون مما يضر بعمله الدنيوي التقدمي الموجب للفضائل النفسية ، ولا بعمله الأخروي الموجب لإيقاع الدرجة ، وما ذكر من الإجمال في الطلب لا ينافي الروايات الورادة في تحصيل الغنى ، فإن الأمر محصور بين أُمور :

الأول : الغنى لأجل الدين والدنيا .

الثاني : عدم فعل الحرام .

الثالث : عدم فعل ما يضر فضائله من الحلال .

---

(١) انظر البحار ج ٧٣ ص ١ باب ١٢٢ حب الدنيا .

وفي هذا الإطار يجمع بين الروايات التي أشارت كل فئة منها إلى جانب من هذه الجوانب ، بالإضافة إلى أن الأمر عقلي أيضاً .

فعن هشام بن سالم قال : سمعت أبا عبد الله «عليه السَّلام» يقول : (إنا نحب الدنيا وان لا نعطاها خير لنا ـ إلى أن قال ـ : فقال رجل : والله إنا لنطلب الدنيا ، فقال له أبو عبد الله «عليه السَّلام» تصنع بها ماذا ؟ قال : أعود بها على نفسي وعلى عيالي ، وأتصدق منها ، وأصل منها ، وأحج منها فقال أبو عبد الله «عليه السَّلام» : ليس هذا طلب الدنيا ، هذا طلب الآخرة) (١) .

وعن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : تكون أُمتي في الدنيا على ثلاثة أطباق ، أما الطبق الأول : فلا يحبون جمع المال وإدخاره ، ولا يسعون في اقتنائه واحتكاره ، وإنما رضاهم من الدنيا سد جوعه وستر عورة ، وغناهم فيها ما بلغ بهم الآخرة ، فأُولئك الآمنون الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، وأما الطبق الثاني : فإنهم يحبون جمع المال من طيب وجوهه ، وأحسن سبله ، يصلون به أرحامهم ، ويبرون به أخوانهم ، ويواسون به فقراءهم ، ولعضب أحدهم على الرصف أيسر عليه من أن يكتسب درهماً من غير حله ، أو يمنعه من حقه ، أو يكون له خازناً إلى حين موته ، فأولئك الذين نوقشوا عذبوا ، وان غض عنهم سلموا ، وأما الطبق الثالث : فإنهم يحبون جمع المال مما حل وحرم منعه مما افترض ووجب ، إن انفقوه إسرافاً وبداراً ، وإن أمسكوا أمسكوه بخلاً واحتكاراً ، أُولئك الذين ملكت الدنيا زمام قلوبهم حتى أوردتهم النار بذنوبهم .

أقول : ومن الواضح أن القسم الثاني أيضاً على قسمين : قسم يأمره الله بالإكتساب وقسم يحب الإكتساب لمجرد ما ذكر في الرواية .

وعن رجل أنه ذكر عند أبي عبد الله «عليه السَّلام» الأغنياء ووقع فيهم ، فقال أبو عبد الله «عليه السَّلام» : (أسكت ، فإن الغني إذا كان وصولاً لرحمه وباراً بإخوانه ضاعف الله له الأجر ضعفين ، لأن الله يقول : **﴿وما أموالكم ولا**

---

(١) الكافي ج ٥ ص ٧٢ ح ١٠ ، الوسائل ج ١٢ ص ١٩ ح ٣ ب ٧ ، البحار ج ٧٣ ص ١٠٦ .

أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفىٰ إلاَّ من آمن وعمل صالحاً فأُولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾(١) .

وعن أبي بصير قال : ذكرنا عند أبي جعفر «عليه السَّلام» الأغنياء من الشيعة ، فكأنه كره ما سمع منا فيهم ، قال : (يا أبا محمد إذا كان المؤمن غنياً رحيماً وصولاً له معروف إلى أصحابه أعطاه الله أجر ما ينفق في البر مرتين ضعفين ، لأن الله عزّ وجلّ يقول في كتابه : **﴿وما أموالكم﴾** إلى آخر الآية)(٢) .

وفي الحديث عن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : إن الله يوحى إليه في ليلة المعراج : يا أحمد ، إن العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال(٣) .

إحياء الطب القديم :

مسألة: إحياء الطب القديم الذي جرب أُلوف السنوات من أهم أسباب قلة المرض ودوام الصحة وطول العمر وعدم التوتر والقلق ، ومن أسباب ضعف الإستعمار في بلاد الإسلام .

كما لا شك في أن الطب الحديث مشى خطوات تقدمية إلى الأمام بما لا يستغني الإنسان عنه ، لكن لا الإحتياج المطلق الذي يدعيه البعض ، بل الاحتياج بقدر .

إن الرأسمالية الغربية ، والشيوعية الشرقية ، والإبتعاد عن الله سبحانه وانهدام الفضائل الأخلاقية ، والحرص الموجب للقلق ، والحياة المعملية المسيطرة على البشر ، وغيرها كلها ساهمت في تحطيم الإنسان وجر الويلات عليه ، والطب الحديث مما ساهم في ذلك ، لأنه نبت في منبت لا يؤمن بالله ولا بالفضائل

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ٢٠٣ .
(٢) تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٣٢٨ .
(٣) إرشاد القلوب ص ٣٣٦ .

الأخلاقية ، وإنما إيمانه بالله إيمان سطحي لا يرتبط بعمق الإنسان .

وعلى أية حال فاللازم إحياء الطب السابق الذي أيده الإسلام أيضاً باعتباره طباً إنسانياً جربه البشر الوف السنوات وذلك بحاجة إلى امور :

الأول : الحيلولة دون القوانين الإستعمارية التي تمنع الطب القديم كما فعلت الهند ، ولذا يُباح فيها قانونياً الطبّان الحديث والقديم ، بل في كثير من العالم الآن يوجد الطبّان في غير البلدان الموغلة في الاستعمار ، كالبلاد الإسلامية وما أشبه .

الثاني : طبع الكتب الطبية القديمة ، وكذلك تطويرها إلى كتب حديثة الأسلوب مع الإحتفاظ بجوهرها .

الثالث : فتح المخازن والصيدليات لأجل الأدوية الأعشابية وسائر العقاقير الطبية .

الرابع : صنع المزارع لأجل زرع الأعشاب الطبية .

الخامس : جعل الدورس لهذا الطب بمختلف جوانبه .

السادس : إحياء الطب القديم في نهج الحياة بإدخال الأدوية ونحوها في الأطعمة على الأسلوب السابق ، مثل جعل الحبة السوداء على الخبز ، وخلط الزنيان باللبن المخيض ، وجعل الهيل ونحوه في الحلويات ، والكمون في التمر وما إلى ذلك .

السابع : إحياء الفصد ، والحجامة وتدهين الجسد ، والنورة وغسل الرأس بالسدر والخطمي ، والإكتحال وما أشبه ، مما كان من أسباب الصحة السابقة ، وكذلك الرياضة والسباحة ، والعدو ، وركوب الخيل ، والزواج المبكر ، وما أشبه ذلك .

الثامن : تدبير الطعام والشراب تدبيراً يلائم الأبدان والأمزجة والفصول والبلاد .

التاسع : الصوم حسب الموازين الشرعية .

العاشر : اعتياد الذهاب إلى الصحارىٰ في أوقات الربيع ونحوها ، لمعرفة الأعشاب والأزهار والجذور وما أشبه ، وجمعها لأجل استعمالها في الأمور الطبية ، والطعام وسائر شؤون الحياة ، لتكون واقية عن الأمراض ، فإن مثقالاً من الوقاية خير من قنطار من العلاج (كما يقول المثل) .

ومن الواضح أن إحياء الطب الأعشابي من أسباب الإكتفاء الذاتي وإبعاد الإستعمار عن بلاد الإسلام ، حتى ترجع إلى المسلمين حكومتهم الواحدة الإسلامية بإذن الله سبحانه وتعالىٰ ويجمع حينئذ المسلمون بين الطب القديم والطب الحديث كل في مجاله واختصاصه ونفعه المرتبط به ، فلا يطغىٰ هذا على ذاك ولا ذاك على هذا .

وهناك روايات كثيرة بصدد مختلف أنواع الطب ، مثل ما ورد في الفصد والحجامة ، وما ورد في مختلف الأدوية ، وتدبير البدن ، والسواك ، وما ورد في أقسام النظافة من الوضوء والغسل وقص الأظافر ونتف الشعر أو حلقه أو استعمال النورة .

مثلاً من الأول : عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» انه قال في خبر المعراج : (إن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : ثم صعدنا إلى السماء السابعة فما مررنا بملك من الملائكة إلاَّ قالوا : يا محمد احتجم وامر أُمتك بالحجامة)[١] .

وفي رواية الجعفريات بسند الأئمّة إلى رسول الله «صلوات الله عليهم أجمعين» قال : (لا تعادوا الأيام فتعاديكم إذا تبيّغ الدم بأحدكم فليحتجم في أي الأيام ، وليقرأ آية الكرسي ، ويستخير الله ثلاثاً ويصلّي على محمد «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم»)[٢] .

أقول : والمراد بمعاداة الأيام ان الإنسان إذا تطير باليوم أثر ذلك في نفسه والتفاعلات النفسية تؤثر في الجسد ، كما أن التفاعلات الجسدية تؤثر في النفس في

---

(١) حول المعراج إرشاد الديلمي ص ٣٢٩ .

(٢) نحوه الخصال ج ٢ ص ٣٩٠ ح ٨٣ .

بحث طويل ألمحنا إليه في بعض الكتب المعنية بهذا الشأن . وقدفسربالائمة ع ايضاً.

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (قال ما وجع رسول الله «صلىّ الله عليه وآله وسلّم» وجعاً قط إلاّ كان فزعه إلى الحجامة)[1] .

وفي رواية ان النبي «صلىّ الله عليه وآله وسلّم» : (إحتجم في باطن رجله من وجع أصابه)[2] .

وعن ذريح المحاربي عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» انه قال : (إن أخذ الرجل الدوران فليحتجم)[3] .

وفي طب الأئمَّة «عليهم السَّلام» عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» انه قال . (من احتجم في آخر خميس من الشهر في أول النهار سل منه الداء سلاً)[4] .

وعن حفص بن عمر قال : قال أبو عبد الله «عليه السَّلام» : (خير ما تداويتم به الحجامة والسعوط)[5] .

وعن حريز عن جعفر بن محمد «عليهما السَّلام» قال : (الدواء أربعة : الحجامة ، والطلي ، والقيء ، والحقنة)[6] .

وعن ابن مسكان وزرارة قالا : (قال أبو جعفر محمد بن علي «عليهما السَّلام» : طب العرب في ثلاث : شرطة الحجامة ، والحقنة ، وآخر الدواء الكي)[7] .

وفي رواية اخرىٰ عن الباقر «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (طب العرب في سبعة : شرطة الحجامة ، والحقنة ، والحمام والسّعوط ، والقيء وشربة العسل ،

---

(١) انظر البحار ج ٦٢ ص ٦٢ وكتاب طب الأئمة .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الوسائل ج ١٢ ص ٨١ ح ١٨ ، الخصال ج ٢ ص ٣٨٩ ح ٨٩ .

(٥) مثله الوسائل ج ١٧ ص ١٨١ ح ٣ ، طب الأئمة ص ٥٤ .

(٦) الوسائل ج ١٧ ص ١٨١ ح ٤ ، طب الأئمة ص ٥٥ س ٢ .

(٧) الوسائل ج ١٧ ص ١٨١ ح ٥ ، طب الأئمّة ص ٥٥ س ٧ .

وآخر الدواء الكي وربما يُزاد فيه النورة) (١) .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (احتجموا إذا هاج بكم الدم ، فإن الدم ربما تبيغ بصاحبه فيقتله)(٢) .

وعن الباقر «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (خير ما تداويتم به : الحقنة ، والسعوط ، والحجامة ، والحمام) (٣) .

وعن زرارة ، قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر «عليهما السَّلام» يقول : (قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : الحجامة في الرأس شفاء من كل داء إلاَّ السأم)(٤) .

وعن صفوان عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (كان رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» يحتجم ثلاث : واحدة منها في الرأس ويسميها المتقدمة ، وواحدة بين الكتفين يسميها الناقصة ، وواحدة بين الوركين يسميها المغيثة)(٥) .

وعن الرضا «عليه الصَّلاة والسَّلام» : (انه ربما تبيغه الدم فاحتجم في جوف الليل)(٦) .

وعن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» وأشار برأسه : عليكم بالمغيثة ، فإنها تدفع من الجنون ، والجذام ، والبرص والآكلة ، ووجع الأضراس) (٧) .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (الداء ثلاث

---

(١) الوسائل ج ١٧ ص ١٨١ ح ٦ ، طب الأئمة ص ٥٥ س ٩ .
(٢) انظر كتاب طب الأئمة .
(٣) الوسائل ج ١٧ ص ١٨١ ح ٣ ، طب الأئمة ص ٥٤ س ٢٠ إلاَّ أن فيه عن الصَّادق(ع) بدل الباقر .
(٤) نحوه الوسائل ج ١٢ ص ٧٨ ح ٣ ، الكافي ج ٨ ص ١٦٠ ح ١٦٠ .
(٥) نحوه الوسائل ج ١٢ ص ٧٩ ح ٦ ، معاني الأخبار ص ٢٤٧ ح ١ .
(٦) انظر كتاب طب الأئمة .
(٧) نحوه الوسائل ج ١٢ ص ٨ ب ١٣ .

والـدواء ثلاث : المـرة ، والبلغم ، والـدم ، فـدواء الـدم الحجـامـة ودواء المـرة المشيء ، ودواء البلغم الحمام)[١] .

وعن الحسن العسكـري «عليه الصَّلاة والسَّلام» انـه طلب طبيبـاً يفصـده فجاء فأمر به إلى حجرة ، وقال : (كن ههنا إلى أن أطلبك ، قـال الطبيب وكـان الوقت عندي محمـوداً جيداً للفصـد ، فدعـاني في وقت غير محمـود واحضر طشتاً كبيراً ففصدت الأكحل ، فلم يزل الدم يخرج حتى امتلأ الطشت ، ثم قـال لي : اقـطع الدم ، فقـطعته ـ إلى أن قـال ـ : وتقـدم لي بتخت ثيـاب وخمسـين دينـاراً وقال : خذ هذه واعذرنا)[٢] .

وفي الامور الطبية الاخرىٰ ننقل جملة من الروايات ، وإلاَّ فالتفصيـل يحتاج إلى كتاب ضخم ، فعن زياد بن أبي الحلال عن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (قـال مـوسى «عليـه والسَّـلام» : يـا رب من أين الـداء ، قـال : مني ، قـال : فـالشفاء ؟ قـال : مني قال : فـما تصنع عبـادك بالمعـالـج ؟ قـال : يـطيبـون بـه أنفسهم ، فيومئذ سمي المعالج الطبيب)[٣] .

وعن إسماعيل بن الحسن المتطبب قال:قلت لأبي عبد الله «عليه السَّلام»:إني رجل من العرب ولي بالطب بصر وطبي طب ولست آخذ عليك صفـداً ، قال : (لا بأس ، قلت إنا نبط الجـرح ونكوي بـالنار ، قـال : لا بأس ، ونسقي هـذه السمـوم إلاَّ سميحقون والغـريقون ، قـال : لا بأس ، قلت : إنـه ربما مـات ، قـال : وإن مـات ، قلت : نسقي عليـه النبيـذ قـال : ليس في حـرام شفـاء الحديث)[٤] .

وعن يـونس بن يعقوب قـال : (قلت لأبي عبد الله «عليـه السَّلام» الـرجل يشرب الـدواء ويقـطع العـرق وربمـا انتفـع بـه وربمـا قتله ، قـال : يقـطع

---

(١) انظر كتاب طب الأئمة .
(٢) الوسائل ج ١٢ ص ٧٥ ح ٢ ، الخرائج والجرائح ص ٢١٣ .
(٣) الكافي ج ٨ ص ٨٨ ح ٥٢ ، الوسائل ج ١٧ ص ١٧٦ ح ١ ، البحار ج ٦٢ ص ٦٢ .
(٤) الكافي ج ٨ ص ١٩٣ ح ٢٢٩ ، الوسائل ج ١٧ ص ١٦٧ ح ٢ .

ويشرب) [١] .

وعن العسكري عن آبائه «عليهم السَّلام» قال : (قيل للصَّادق «عليه السَّلام» : الرجل يكتوي بالنار وربما قتل وربما تخلص قال : قد اكتوى رجل على عهد رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» وهو قائم على رأسه) [٢] .

وعن يونس بن يعقوب قال : (سألت أبا عبد الله «عليه السَّلام» عن الرجل يشرب الدواء وربما قتل وربما سلم منه وما يسلم منه أكثر قال فقال : أنزل الله الدواء وأنزل الشفاء ، وما خلق الله داءً إلَّا وجعل له دواءاً ، فاشرب وسم الله تعالىٰ) [٣] .

وعن الصَّادق عن آبائه «عليهم السَّلام» : (إن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : تداووا فما أنزل الله داءاً إلَّا أنزل معه دواءً إلا السام يعني الموت ، فإنه لا دواء له) [٤] .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : (إن قوماً من الأنصار قالوا له : يا رسول الله إن لنا جاراً اشتكىٰ بطنه أفتأذن لنا أن نداويه ، قال : بماذا تداوونه ؟ قالوا : يهودي ههنا يعالج من هذه العلة ، قال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : بماذا ؟ قالوا : يشق البطن ويستخرج منه شيئاً فكره ذلك رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» فعاودوه مرتين أو ثلاثاً فقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : افعلوا ما شئتم ، فدعوا اليهودي وشق بطنه ونزع منه جرحاً كثيراً ، ثم غسل بطنه ثم خاطه وداواه فصح فأخبر النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» فقال «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» : إن الذي خلق الأدواء جعل لها دواءاً وأن خير الدواء الحجامة ، والفصاد ، والحبة السوداء ، يعني الشونيز) [٥] .

---

(١) الكافي ج ٨ ص ١٩٤ ح ٢٣٠ ، الوسائل ج ١٧ ص ١٧٧ ح ٣ .
(٢) الوسائل ج ١٧ ص ١٧٨ ح ٧ ، طب الأئمة ص ٥٤ س ٧ .
(٣) الوسائل ج ١٧ ص ١٧٨ ح ٩ ، طب الأئمة ص ٦٣ س ٨ .
(٤) نحوه ، الوسائل ج ١٧ ، ص ١٧٩ ح ١٠ ، قرب الإسناد ص ٥٢ س ١٥ ، كنز العمال خ ٢٨٠٩٠ ، والبحار ج ٦٢ ص ٦٨ .
(٥) انظر البحار ج ٦٢ ص ٦٢ ، أبواب الطب ومعالجة الأمراض وخواص الأدوية .

أقول : لعل النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» إنما كره أول الأمر لأفادة أنه إذا لم يكن هناك علاج ، فهم وما شاؤوا ، وأما إذا كان هناك علاج آخر فلا يجازفوا بالنفس .

وعن جعفر بن محمد «عليهما السَّلام» أنه سأل عن الرجل يداويه اليهودي والنصراني فقال : (لا بأس إنما الشفاء بيد الله عزّ وجلّ)، وعن الصَّادق «عليه الصَّلاة والسَّلام»(أنه رخص في الكشف ما لا يتخوف منه الهلاك ، ولا يكون فيه تشويه)[١] .

وروي أنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» كوى سعد بن زرارة فقال : (إن كان في شيء مما يتداوون به خير ففي نزعة حجام أو لدغة بنار ، فقال «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» لكل داء دواء)[٢] .

وفي رواية عنه «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (خير ما تداويتم به الحجامة ، والقسط البحري)[٣] .

وروى الصدوق في العقائد عن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (كان فيما مضىٰ سمي الطبيب المعالج فقال موسىٰ بن عمران «عليه السَّلام» : يا رب ممن الداء ؟ قال : مني . قال : فممن الدواء ؟ قال مني . قال : فما يصنع الناس بالمعالج ؟ فقال : يطيبون بذلك أنفسهم . فسمي الطبيب طبيباً لذلك ، واصل الطبيب المداوي ، وكان داود «عليه السَّلام» تنبت في محرابه كل يوم حشيشة فتقول خذني فإني أصلح لكذا وكذا ، فرأى في عمره حشيشة فقال لها : ما اسمك قالت : أنا الخرنوبة ، فقال «عليه السَّلام» خرب المحراب ، فلم ينبت فيه شيء بعد ذلك)[٤] .

---

(١) الوسائل ج ١٧ ص ١٨١ ح ٧ ، مثله عن أبي جعفر طب الأئمة ص ٦٣ ب ٦ .
(٢) انظر البحار ج ٦٢ ص ٦٣ ،
وص ٣٥٦ ، أبواب الطب ومعالجة الأمراض وخواص الأدوية .
(٣) غرر الحكم ج ٢ ص ٥٧٧ ح ١١ .
(٤) الوسائل ج ١٧ ص ١٧٦ ، الكافي ج ٨ ص ٨٨ ح ٥٢ ، علل الشرائع ج ٢ ص ٢٥٢ ب ٣٠٤ ح ١ .

وأخيراً ننقل الرسالة الذهبية المروية عن الإمام الرضا «عليه الصَّلاة والسَّلام» بهذا الشأن :

الرسالة الذّهبيّة والمذهبة :

لأبي الحسن بن علي بن موسىٰ الرضا «عليهما السَّلام» أن الجسد بمنزلة الأرض الطيبة ، متى تعوهدت بالعمارة والسقي من حيث لا تزداد في الماء فتغرف ولا ينقص منه فتعطش دامت عمارتها وكثر ربعها وزكى زرعها وإن نقول عنها فسدت ولم ينبت فيها العشب .

فالجسد بهذه المنزلة وبالتدبير في الأغذية والأشربة يصلح ويصح وتزكو العافية فيه، ـ إلى أن قال ـ : أما فصل الربيع فإنه روح الأزمان وأوّله .

آذار : وعدد أيامه ثلاثون يوماً فيه يطيب الليل والنهار وتلين الأرض ويذهب سلطان البلغم ويهيج الدم ويستعمل فيه من الغذاء البيض النجرشت ويشرب الشراب بعد تعديله بالماء ويأكل البصل والثوم والحامض ويحمد فيه شرب المسهل ويكثر فيه الفصد والحجامة .

مارس : ثلاثون يوماً فيه يطول النهار ويقوى مزاج الفصل ويتحرك الدم وتهب فيه الرياح الشرقية ويستعمل فيه من المآكيل المشويّة وما يعمل فيه بالخل ولحوم الصيد ، ويعالج الجماع والتمريخ بالدهن في الحمام ولا يشرب الماء على الريق وشمّ الرياحين والطيب .

آيار : أحد وثلاثون يوماً وتصفو فيه الرياح وهو آخر فصل الربيع وقد فحص فيه عن أكل الملوحات واللحوم الغليظة كالروس ولحم البقر واللبن وينفع فيه دخول الحمام أول النهار ويكره فيه الرياضة قبل الغذاء .

حزيران : ثلاثون يوماً يذهب فيه سلطان البلغم والدّم ويقبل زمان المرّة الصفراء وينتهي فيه التعب وأكل اللحم داسماً والإكثار منه وشم المسك والعنبر وينفع فيه أكل البقول الباردة كالهندباء وبقلة الحمقاء وأكل الخضر كالقثاء والخيار والشيرخشت والفاكهة الرطبة استعمال المحضات ومن اللحوم لحم المعز الثني

والجذع ومن الطيول الدجاج والطيهوج والدراج والألبان والسمك الطري .

تموز : أحد وثلاثون يوماً فيه شدة الحرارة وتغور المياه ويستعمل فيه شرب الماء البارد على الريق ويؤكل فيه الأشياء الباردة الرطبة ويعكر فيه مزاج الشراب وتؤكل فيه الأغذية اللطيفة السريعة الهضم كما ذكر .

ومن أراد أن لا تفسد أسنانه فلا يأكل حلواً إلاّ بعد كسرة خبز .

ومن أراد أن يذهب البلغم من بدنه وينقصه فليأكل كل يوم بكرة شيئاً من الجوارش الحريف ويكثر دخول الحمام ومضاجعة النساء والجلوس في الشمس ويجتنب كل بارد من الأغذية فإنه يذهب البلغم ويحرقه .

ومن أراد أن يطفي غلب الصفراء فليأكل كل يوم شيئاً رطباً بارداً ويورح بدنه ويقلّ الحركة ويكثر النظر إلى من يحب .

ومن أراد ان يذهب الريح الباردة فعليه بالحقنة والأدهان اللينة على الجسد وعليه بالتكميد بالماء الحار في الابزن ويجتنب كل بارد ويلزم كل حاد لين .

شباط : ثمانية وعشرون يوماً تختلف فيه الرياح وتكثر فيه الأمطار ويظهر فيه العشب ويجري فيه الماء في الوهاد وينفع في أكل الثوم ولحم الطير والصيود والفاكهة اليابسة ويقلل من أكل الحلاوة ويحمد فيه كثرة الجماع والحركة والرياضة ـ إلى أن قال ـ : واللبن والنبيذ الذي يشربه أهله إذا اجتمعا وَلّد النقرس والبرص واللحمان المملوحة وأكل السمك المملوح بعد الفصد والحجامة يعرض منه البهق والجرب ، والاغتسال بالماء البارد بعد أكل السمك يورث الفالج وشرب الماء البارد عقيب الشيء الحار والحلاوة يذهب الأسنان والإكثار من لحوم الوحش والبقر يورث تغير العقل وتحير الفهم وتبلد الذهن وكثرة النسيان ومن أراد أن يقل نسيانه ويكون حافظاً ليأكل كل يوم ثلاث قطع زنجبيل مربىً بالعسل ويصطبغ بالخردل ومن أراد أن يزيد في عقله فليتناول كل يوم ثلاث هليجات بسكر أبلوج ومن أراد أن يكون صالحاً خفيف الجسم واللحم فليقلل من عشائه بالليل ، ومن أراد أن لا تسقط أذناه ولهاته فلا يأكل حلواً حتى يتغرغر بعده في حزيران ويستعمل فيه من النور والرياحين الباردة الرطبة الطيبة الرائحة .

آب : أحد وثلاثون يوماً فيه تشتد السموم ويهيج الزكام بالليل وتسهّب الشمال ويصلح المزاج بالتبريد والترطيب وينفع فيه شرب اللبن الراتب ويجتنب فيه الجماع والمسهل ويقل من الرياضة ويشم من الرياحين الباردة .

أيلول : ثلاثون يوم فيه يطيب الهوى ويقوىٰ سلطان المرّة السوداء ويصلح شرب المسهل وينفع فيه أكل الحلاوات وأصناف اللحوم المعتدلة كالجداء والحولي من الضان ويجتنب فيه لحم البقر والإكثار من الشواء ودخول الحمام ويستعمل فيه الطيب المعتدل المزاج ويجتنب فيه أكل البطيخ والقثاء .

تشرين الأول : أحد وثلاثون يوماً فيه تهب الرياح المختلفة ويتنفس فيه ريح الصباء ويجتنب فيه الفصد وضرب الدماء ويحمد فيه الجماع وينفع فيه وينفع فيه أكل اللحم السمين والرمان والمزّ والفاكهة بعد الطعام ويستعمل فيه أكل اللحوم بالتوابل ويقلل فيه من شرب الماء ويحمد فيه الرياضة .

تشرين الآخر : ثلاثون يوماً فيه يقطع المطر الموسمي وينهي فيه عن شرب الماء بالليل ويقلل فيه من دخول الحمام والجماع ويشرب بكرة كل يوم جرعة ماء حار ويجنب أكل البقول كالكرفس والنعناع والجرجير .

تشرين الآخر : ثلاثون يوماً فيه يقطع المطر الموسمي وينهي فيه عن شرب الماء بالليل ويقلل فيه من دخول الحمام والجماع ويشرب بكرة كل يوم جرعة ماء حار ويجنب أكل البقول كالكرفس والنعناع والجرجير .

كانون الأول : أحد وثلاثون يوماً تقوىٰ فيه العواصف ويشتد فيه البرد وينفع فيه كلما ذكرناه في تشرين الآخر ويحذر فيه أكل الطعام البارد ويتقى فيه الحجامة والفصد ، ويستعمل فيه الأغذية الحارة بالقوة والفعل .

كانون الآخر : أحد وثلاثون يوماً يقوى فيه غلبة البلغم وينبغي أن يتجرع فيه الماء الحار على الريق ويحمد فيه الجماع وينفع فيه الأحشاء مثل البقول الحارة كالكرفس والجرجير والكراث وينفع فيه دخول الحمام أول النهار والتمريخ بدهن الخيري وما ناسبه ويحذر فيه الحلواء وأكل السمك الطري واللبن .

محو الأمية ضرورة ملحة :

مسألة: يلزم تعميم القراءة والكتابة لتشملا كل المسلمين : الرجال ، والنساء ، والصغار ، والكبار ، فقد ورد : ان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

فإن هذه الرواية وإن لم يكن لها إطلاق ، بل الوجوب إنما هو بالنسبة إلى أمرين:العقائد والمسائل ونحوهما من جانب ، وما يتوقف عليه حياة المسلمين وعلوهم ، بأن لا يكون غيرهم أعلى منهم بمقتضى (الإسلام يعلو ولا يعلىٰ عليه) من جانب آخر ، إلاَّ أن التقدم ورفع سيطرة الكفار عن المسلمين لا يمكن في الحال الحاضر إلاَّ بهما ، فهما لازمان إمّا وجوباً أو استحباباً في غير ما استثني ، كتعلم السحر وتعليمه وما أشبه ذلك .

ومن الممكن تعميمها حتى في القرى والأرياف ، ومضارب الخيام إذا وجدت هناك جماعات نشطة تعمل ليل نهار لأجل ذلك ، ولا حاجة إلى المباني المدرسية والوسائل الحديثة ، بل يمكن الإستفادة من الأقلام القصبية ، والحبر المصنوع من الدخان المتكلس في المواقد الفحمية والخشبية ، والبنايات المبنية من الطين ، أو من الحشيش ، أو الصفيح الميسر في كل قرية وريف ، وقد كنا نحن قبل نصف قرن (حين ذهبنا إلى الكتاتيب) نكتب على الألواح بأقلام القصب ، وحبر الدخان ، وما أشبه ذلك ، وقد رأيت أنا جماعة نشطة في إحدى البلاد الإسلامية يرأسهم عالم متحمس عمل أربعين سنة فأسس زهاء ثلاثمائة مدرسة إبتدائية ومتوسطة وثانوية وقد قال لي هو ذات مرة : إنِ له في الحال الحاضر خمسين ألف تلميذ .

وعندما كنا في كربلاء المقدسة فتحنا مدارس بمساعدة أهل الخير والبر للأطفال لأجل حفظ القرآن الحكيم وتعليم القراءة والكتابة والعلوم الإسلامية والعلوم الحديثة ، وقد كانت تحتوي زهاء ثلاثة آلاف طالب وطالبة ، وكذلك كل شيء يبدأ صغيراً حتى يكبر برعايته سبحانه .

وفي الآيات والأخبار تحريض كثير على العلم وتعظيم كبير للعلماء ، وقصة

جعل النبي «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» فدية بعض أسارى بدر تعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة مشهورة ، بينما المسلمون كانوا بأمس الحاجة إلى المال الذي قرروه على الكفار فدية لتحريرهم عن الأسر .

فعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (أربعة تلزم كل ذي عقل وحجا من أُمتي ، قيل : يا رسول الله وما هي ، قال : استماع العلم ، وحفظه ، والعمل به ونشره)[١] .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[٢] ، وفي رواية أُخرىٰ : (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)[٣] .

وعن رسول الله «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» انه قال : (عليكم بالعلم قبل أن يقبض ، وقبل أن يجمع ، وجمع بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام)[٤] .

وعنه «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (العلم مخزون عند أهله ، وقد أمرتهم بطلبه منهم)[٥] .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (عليكم بطلب العلم ، فإن قلبه فريضة)[٦] .

وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد «عليهما السَّلام» انه قال : (أطلبوا العلم ، وتزينوا معه بالحلم والوقار)[٧] .

---

(١) تحف العقول ص ٦١ ح ١٦٩ ، البحار ج ١ ص ١٦٨ ح ١٤ .
(٢) بصائر الدرجات ص ٢ ح ١ وص ٣ في ٣ ، البحار ج ١ ص ١٧١ ح ٢٤ س ٦ وص ١٧٣ ح ٢٦ وح ٢٩ .
(٣) مصباح الشريعة ص ١٣ .
(٤) البحار ج ١ ص ١٧٦ ح ٤٦ .
(٥) البحار ج ١ ص ١٧٧ ح ٥٣ ، الكافي ج ١ ص ٢٣١ ح ٤ .
(٦) البحار ج ١ ص ١٨٣ ح ٨٩ .
(٧) الكافي ج ١ ص ٢٨ ح ١ .

وعن جعفر بن محمد «عليهما السَّلام» أنه قال لبعض أصحابه : (إياك وخصلتين مهلكتين:تفتي بالناس برأيك ، وتدين بما لا تعلم)[١] .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه قال : (القضاة ثلاثة ، واحد في الجنة ، واثنان في النار ، رجل جار متعمداً فذلك في النار ، ورجل أخطأ في القضاء فذلك في النار ، ورجل عمل بالحق فذلك في الجنّة)[٢] .

وعن رسول الله «صلىّ الله عليه وآله وسلّم» أنه قال : (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً ، فسألوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا)[٣] .

وعن علي «عليه الصَّلاة والسَّلام» أنه كتب إلى رفاعة لما استقضاه على الأهواز كتاباً فيه : (ذر المطامع وخالف الهوى ـ إلى أن قال ـ : إن العلم ثلاثة : آية محكمة ، وسنة متبعة ، وفريضة عادلة ، وملاكهن أمرنا)[٤] .

وفي رواية عن الصَّادق «عليه السَّلام» قال : (القضاء أربعة ، ثلاثة في النار وواحد في الجنة : رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة)[٥] .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال: (أيها الناس اعلموا إن كمال الدين طلب العلم والعمل به ، ألا وأن طلب العلم أوجب عليكم من

---

(١) الوسائل ج ١٨ ص ١٠ ح ٣ ب ٤ ، المحاسن ص ٢٠٥ ج ٥٥ ، الكافي ج ١ ص ٣٣ ح ٢ .
(٢) الكافي ج ٧ ص ٤٠٧ ح ١ ، فقيه ج ٣ ص ٣ ح ١ ب ٢ عن الصادق (ع) ، الوسائل ج ١٨ ص ١١ ح ٦ ب ٤ .
(٣) الكافي ج ١ ص ٣٠ ح ٥ عن الصادق (ع) مثله ، تحف العقول ص ٤١ ج ٢٤ .
(٤) قطعة منه في حديث النبي (ص) عن الكافي ج ١ ص ٢٤ ح ١ .
(٥) الكافي ج ٧ ص ٤٠٧ ح ١ ، المقنعة ص ١١٢ س ٢٢ ، التهذيب ج ٦ ص ٢١٨ ح ٥ ، الفقيه ج ٣ ص ٣ ح ١ ، الوسائل ج ١٨ ص ١١ ح ٦ ب٤ ، الخصال ص ٢٤٧ ج١٠٨ .

طلب المال ، إن المال مقسوم مضموم لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه ، وسيفي لكم ، والعلم مخزون عند أهله وقد أمرتم بطلبه من أهله ، فاطلبوه) [١] .

وعن رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح) [٢] .

وعن أبي عبد الله «عليه السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» طلب العلم فريضة على كل مسلم الا وإن الله يحب بغاة العلم) [٣] .

وعن أمير المؤمنين «عليه الصَّلاة والسَّلام» قال : (الشاخص في طلب العلم كالمجاهد في سبيل الله ، إن طلب العلم فريضة على كل مسلم) [٤] .

وعن النبي «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» قال : (اطلبوا العلم ولو في الصين ، فإنّ طلب العلم فريضة على كل مسلم) [٥] ، وفي رواية أُخرىٰ قال : (طلب العلم فريضة من فرائض الله) [٦] .

وعن الرضا عن آبائه «عليهم السَّلام» قال : (قال رسول الله «صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم» : العالم بين الجهال كالحي بين الأموات ـ إلى أن قال ـ : فاطلبوا العلم فإنه السبب بينكم وبين الله عزّ وجلّ ، وإن طلب العلم لفريضة على كل مسلم) [٧] .

---

(١) الوسائل ج ١٨ ص ١٢ ب ٤ ، الكافي ج ١ ص ٢٣ ح ٤ ، تحف العقول ص ٢١٧ .
(٢) الوسائل ج ١٨ ص ١٢ ح ١٣ ب ٤ ، الكافي ج ١ ص ٣٥ ح ٣ .
(٣) الوسائل ج ١٨ ص ١٣ ح ١٨ ب٤ وح ١٦ ، الكافي ج ١ ص ٢٣ ح ١ وح ٥ ، بصائر الدرجات ص ٢ ح ١ .
(٤) روضة الواعظين ص ١٠ س ١١ ، الوسائل ج ١٨ ص ١٤ ح ٢١ ب ٤ .
(٥) الوسائل ج ١٨ ص ١٤ ح ٢٠ ب ٤ ، روضة الواعظين ص ١١ س ٢٥ ، مصباح الشريعة ص ١٣ .
(٦) الوسائل ج ١٨ ص ١٤ ح ٢٥ ب ٤ ، بصائر الدرجات ص ٣ ح ٤ .
(٧) الوسائل ج ١٨ ص ١٥ ح ٢٧ س ٤ ، الأمالي ص ٢٢١ ـ ص ٢٣٢ .

وعن الـرضا عن آبـائه عن عـلي «عليه السَّـلام» قال : سمعت رسـول الله يقول : طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فاطلبوا العلم من مظانه ، واقتبسوه من أهله . إلى غيرها من الروايات الكثيرة المذكورة في الوسائل والمستدرك والبحار وغيرها .

ولا يخفىٰ ان الإختـلاف بين كـون القضـاة ثـلاثـة أو أربعـة كـما تقـدم في الروايتين اختـلاف لفظي لا جـوهري ، كـما أن سبب كون القـاضي الذي يحكم بالحق بدون العلم في النار تجريه على الله سبحانه،فإن التجري ـ على إطلاقه ـ وإن لم يقل بعض بحرمته إلاَّ أنه لا إشكال في حرمتـه في بعض الموارد ، وإنمـا الكلام والخلاف في كلي الأمر لا في بعض المصاديق من هـذا الطرف أو هـذا الطرف كـما ذكرناه في الأصول ، لكن الحكم التكليفي لا يُنافي الحكم الـوضعي فيما إذا كـان مطابقاً للواقع ، كما إذا رجعت الزوجة إلى زوجها والمال إلى صاحبه والـدم صين أو أُريق على ما هو واقعه وإلى غير ذلك .

كـما أنه في العكس إذا حكم بمـا علم لكن علمه كـان جهلاً مـركباً لم يغـير الواقع ، لأن المعيار الواقع حسب المشهور بـين المخطئـة وإن كان الشيـخ المرتضى تمسك بالمصلحـة السلوكية ، وعـلى كل حـال فتفصيل الكـلام في هذه الامـور في أبوابه من الفقه والأُصول .

هذا آخر مـا أردنا إيـراده في هذا الكتـاب ، والمسؤول من الله سبحانـه أن يأتي يوم قريب ، يعيد المسلمون العرب وغير العرب كيانهم الإسلامي الواحد كما أمر الله سبحانه ، وكما فعله الرسول «صلىٰ الله عليه وآله وسلّم» وما ذلك على الله بعزيز .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة محمد الشيرازي

من مؤلّفات الامام الشيرازي

يمتاز الإمام الشيرازي بتنوّع مؤلّفاته وشموليّتها وكثرتها وتلبيتها لحاجة مختلف المستويات العلميّة والإجتماعية ومواكبتها لمتطلّبات العصر .

فقد كتب في التفسير والحديث والعقائد والكلام والفلسفة والأصول والفقه والسياسة والإقتصاد والإجتماع والإدارة والحقوق والتاريخ وغيرها .

وكتب البحوث المعمّقة والمفصّلة في الفقه والأصول والفلسفة كما كتب كراسات وكتيبات مبسطة للجيل الناشىء والبراعم المتفتحة .

وكتب للطالب الحوزوي كما كتب للشّاب الجامعي ، وقد تجاوزت مؤلفاته في شتّى الحقول ٩٨٠ كتاباً ودارسة وكراساً .

وهذه نماذج من الموسوعات والدراسات :

موسوعة الفقه التي تشكل أكبر موسوعة فقهية إستدلالية كاملة ، كتبت للفقها والمجتهدين ، تضمّ ١٥٠ مجلداً ، وتقع في أكثر من ستّين ألف صفحة ـ طبع مرّتين : إيران ولبنان .

١ ـ الأصول ٨ أجزاء ، طبع ثلاث مرّات .

٢ ـ إيصال الطالب إلى المكاسب ١٦ مجلّداً .

٣ . الوصائل إلى الرسائل ١٦ مجلّداً ، تحت الطبع .

٤- تقريب القرآن إلى الأذهان ٣٠ جزءاً .

٥ ـ توضيح نهج البلاغة ٤ أجزاء .

٦ ـ شرح الصحيفة السجادية .

٧ ـ الدعاء والزيارة .

٨ ـ شرح منظومة السبزواري .

٩ ـ الفضيلة الإسلامية .

١٠ ـ المسائل الإسلامية .

١١ ـ جامع مناسك الحج .

١٢ ـ السبيل إلى إنهاض المسلمين .

١٣ ـ الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرّية والرفاه والسلام .

١٤ ـ ممارسة التغيير .

١٥ ـ هؤلاء اليهود .

١٦ ـ مباحثات مع الشيوعيين .

١٧ ـ وقفة مع الوجوديين .

١٨ ـ ماذا في كتب النصارى .

١٩ ـ ماركس ينهزم .

٢٠ ـ من أوليات الدولة الإسلامية .

٢١ ـ الشورى في الإسلام .

٢٢ ـ الحرية الإسلامية .

٢٣ ـ في ظل الإسلام .

٢٤ ـ ما هو الإسلام .

٢٥ ـ إلى الوكلاء في البلاد .

٢٦ ـ الإقتصاد للجميع .

٢٧ ـ الإقتصاد الإسلامي المقارن .

٢٨ ـ كيف عرفت الله ؟

٢٩ ـ نريدها حكومة إسلامية .

٣٠ ـ الحكومة الإسلامية في عهد الإمام علي «صلّى الله عليه وآله وسلّم» .

٣١ ـ كيف إنتشر الإسلام ؟

٣٢ ـ الشباب

٣٣ ـ باقة عطرة في أحوال خاتم النبيّين «صلّى الله عليه وآله وسلّم» .

٣٤ ـ ولأول مرة في تاريخ العالم

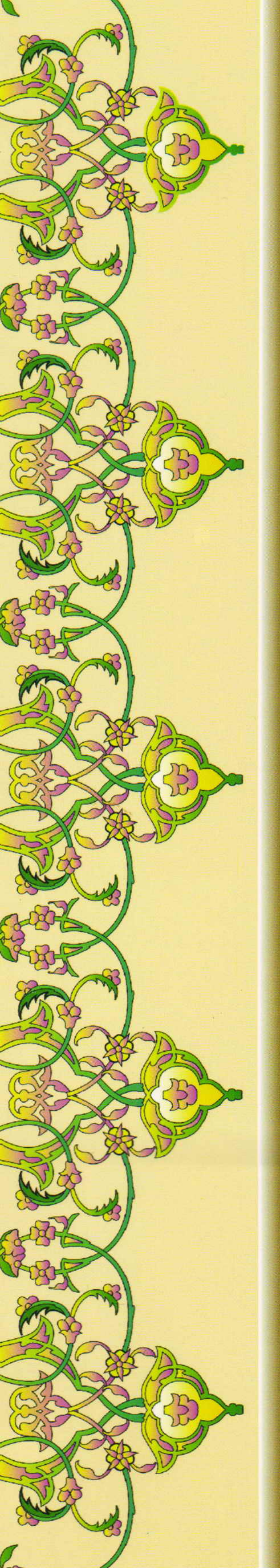
٣٥ ـ العائلة

وللإلمام بمؤلفات الإمام الشيرازي وبأفكاره وبجوانب من حياته السياسية والإجتماعية وإنجازاته ونشاطاته الدينية في مختلف البلاد الإسلامية ، نحيل القارىء الكريم إلى كتاب «الإمام الشيرازي فكره ، منهجه ومواقفه» .

الناشر



الفهرس







- ولد عام ١٣٤٧ للهجرة في النجف الأشرف.
- ينتمي إلى أسرة الشيرازي التي اشتهرت بالعلم والتقوى والعمل الصالح والجهاد في سبيل الله والتي نبغ فيها طوال القرنين الأخيرين عدد من أبرز مراجع التقليد والقيادات الاسلامية.
- تميز بالعلم الغزير والشمولي إلى جوار تحليه بمكارم الأخلاق، كما عرف بكثرة الإنتاج والعطاء الفكري والعملي والتربوي.
- تجاوزت مؤلفاته الألف والستين كتاباً وكتيباً وموسوعة.
- بلغت موسوعته الفقهية الكبرى مائة وخمسين مجلد أتناولت العبادات والمعاملات والأحكام، كما تناولت أبواباً مستحدثة في الفقة الإسلامي ومن أبرزها: السياسة، الإقتصاد، الإجتماع، الحقوق، القانون، الدولة الإسلامية، البيئة، الطب، الأسرة، النظافة، المرور.
- أنتجت مدرسته التربوية المتميزة طوال أكثر من نصف قرن، الألوف من العلماء والخطباء والمفكرين والقيادات الإسلامية والمجاهدين والأدباء والمؤلفين في شتى الحقول العلمية والأدبية.
- تأسست على يديه - وبتخطيطه أو تشجيعه وتحريضه - المئات من المساجد والمدارس والحسينيات والصحف والمجلات والمكتبات ودور الفكر ومراكز الثقافة وصناديق الإقراض الخيري والمنظمات الإسلامية والإنسانية وغيرها في الكثير من دول العالم.
- رفع راية الدعوة إلى المبادئ الإسلامية البناءه مثل مبدأ «الشورى» «الحرية» «التعددية» «العدالة والمساواة» «الأخوة الإسلامية» «الأمة الواحدة» «السلم واللاعنف» «الأخلاق الفاضلة» «العدل والإحسان».
- تحمل أعباء المرجعية الدينية منذ عام ١٣٨٠ هـ وهو في كربلاء المقدسة، ثم هاجر إلى الكويت، ومن ثم إلى قم المقدسة، حيث يقود الآن المرجعية الدينية من هناك، ويعتبر مثلاً أعلى في التضحية والجهاد لإعلاء كلمة الله في الأرض.

يمكنكم في كل وقت قراءة ملفات المرجع الديني الأعلى الإمام الشيرازي على الأنترنت

عربي www.alshirazi.com - إنجليزي shirazi.org.uk